# فقه فلسفة كينونة السؤال وسؤال السؤال

## الجزء الثاني

**الجزء الثاني**

# فقه فلسفة كينونة السؤال وسؤال السؤال

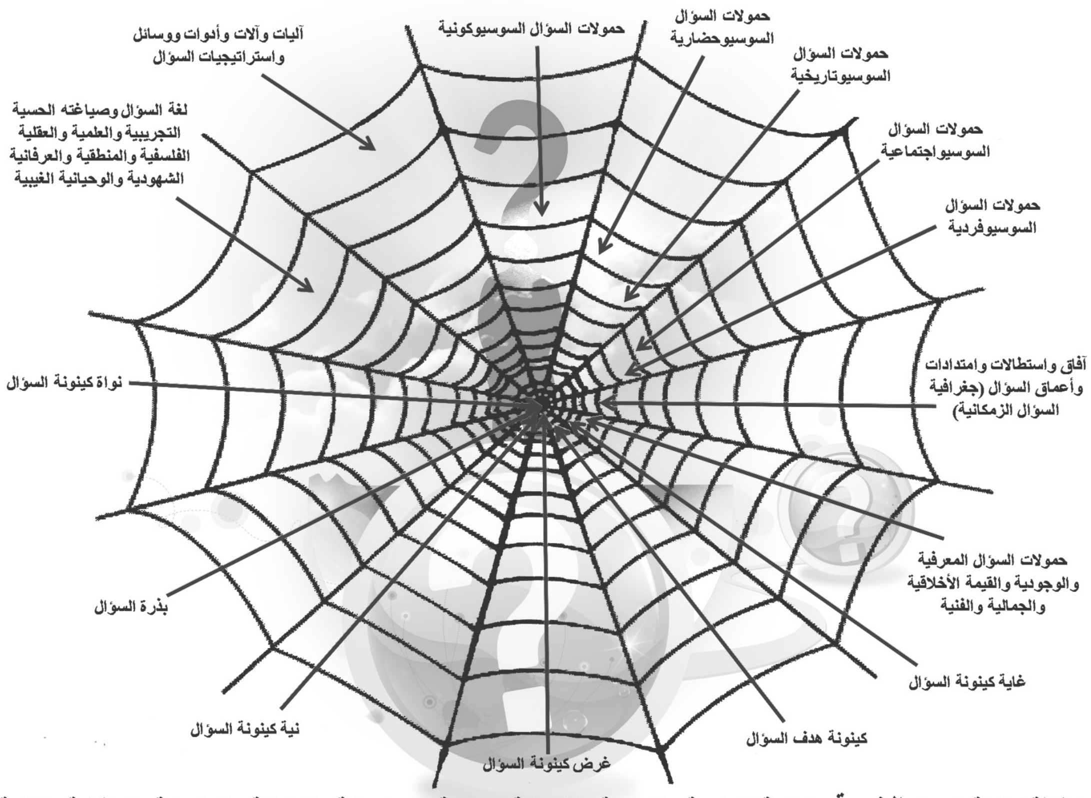


**خطاطة كينونة السؤال البنيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستبدالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية.**

تأليف الدكتور جعفر عباس حاجي

شباط/ فبراير 2014

دار الولاء

بيروت – لبنان

الفصل العاشر

# فقه فلسفة قراءة نص كينونة السؤال وسؤال السؤال وإشكالاتها

# الفهرس

**10. الفصل العاشر: فقه فلسفة قراءة نص كينونة السؤال وسؤال السؤال وإشكالاتها** ...................... 5
10.1 مقدمة: ................................................................................ 13
10.2 المثاقفة المعرفية وكينونة السؤال: ............................................................ 16
10.3 القراءة النقدية لكينونة السؤال وأطروحته المعرفية الوجودية والقيمية والجمالية: ........................... 23
10.3.1 القراءة التوجيهية: ........................................................................ 24
10.3.2 القراءة التحليلية: ........................................................................ 24
10.3.3 القراءة التركيبية:. ........................................................................ 24
10.3.4 القراءة التداولية: ........................................................................ 24
10.3.5 القراءة الاستشرافية: ........................................................................ 24
10.3.6 القراءات المسيئة لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب:............................................ 25
10.3.7القراءة الانفعالية المتشنجة: ........................................................................ 25
10.3.8 قراءة نقدية قشرية: ........................................................................ 26
10.4 استراتيجيات قراءة كينونة السؤال: ........................................................................ 28
10.4.1 استراتيجيات قراءة وتفسير وتأويل المفاهيم المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية لكينونة السؤال: .29
10.4.2 استراتيجيات النموذج الكينوني للسؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب في الإحالة والربط: .....41
10.5 الشروط المنهاجية والمعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية لقراءة كينونة السؤال: ........... 45
10.6 اقتصاديات معرفة كينونة السؤال: هل يحق لأي كائن من كان أن يسأل ما يشاء؟ ...................... 49
10.6.1 وبِمَكُنتنا تعريف اقتصاديات معرفة كينونة السؤال على النحو التالي:.............................. 50
10.6.2 أهمية اقتصاديات معرفة السؤال:............................................................ 50
10.6.3 منظومة الأسئلة المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية:........................................ 68
10.6.4 تطبيق مفهوم اقتصاديات العمل والإنتاج على كينونة السؤال: ................................ 75

الجزء الثاني

**11. الفصل الحادي عشر: فقه فلسفة منطق كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب..... 81**

11.1 مقدمة: ..... 83

11.2 ضرورة منطق التدرج: ..... 85

11.3 فقه فلسفة ومنطق التماثل والتناظر في كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب: ..... 86

11.3.1 فقه منطق كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب: ..... 89

11.3.2 منطق ومعنى علاقة كينونة السؤال الحقيقي بكينونة الكائن البشري: ..... 93

11.3.3 منطق البنيَة التأسيسية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب: ..... 97

11.3.4 منطق حرية تصور وتخييل وتفكير وطرح السؤال: ..... 100

11.3.5 تأثير السؤال الإرادي الواعي الحر اللامسؤول على المنظومة المعرفية والوجودية: ..... 101

11.3.6 موقفنا ورأينا من منطق حرية الاعتقاد والسؤال: ..... 102

11.3.7 تنوع وتعدد الأوجه الشبيهية والشبحية للذات: ..... 110

**12. الفصل الثاني عشر: مرجعية كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب..... 119**

12.1 مرجعية كينونة الكائن والسؤال وسؤال السؤال: ..... 121

12.2 المفارقة الإشكالية لكينونة المرجعية العصموية للسؤال: ..... 125

12.2.1 المرجعية العصموية الكونية خارج جنس الكائن البشري: ..... 129

12.2.2 مفارقات المرجعية القرآنية لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب: ..... 132

12.3 مرجعية السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب الأمثل والأعلى من منظور الإسلام: ..... 135

12.4 مسلّمات ومباني المرجعية العصموية الكائنية لكينونة السؤال: ..... 140

12.4.1 المسلّمة الفطرية: ..... 141

12.4.2 المسلّمة التكوينية: ..... 142

12.4.3 المسلّمة الحسية الاجتماعية والتاريخية التجربانية: ..... 144

**13. الفصل الثالث عشر: هوية كينونة وكائنية السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب ..... 147**

13.1 مقدمة: ..... 149

13.2 هوية كينونة وكائنية السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب: ..... 153

13.2.1 تداخل وتعالق مفهوم الهوية مع مفهوم القيمة: ..... 155

13.2.2 القيمة التساؤلية لكينونة السؤال في المنظومة المعرفية والوجودية للكائن البشري: ..... 156

13.2.3 تعريف هوية وماهية كينونة السؤال: ..... 162

13.2.4 دالّة كينونة السؤال: ..... 163

**14. الفصل الرابع عشر: فقه فلسفة دوالّ كينونة السؤال ..... 173**

14.1 نيّة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب: ........................ 175
14.2 نيّة فعل أو قول خطاب السؤال خير من السؤال ذاته: ........................ 179
14.3 هندسة نيّة النيّة وبنْيتها التشييدية:........................ 181
23.4 دالّة كينونة السؤال: ........................ 185
14.4.1 دالّة نيّة كينونة السؤال:........................ 186
14.4.2 دوال قيم كينونة السؤال وموضوعاته: ........................ 187
14.4.3 الغاية ودوالّ قيم كينونة السؤال: ........................ 193
14.4.4 دوالّ قيم كينونة السؤال وسؤال السؤال:........................ 196
14.4.5 السُلَّمية الراتوبية لقيم كينونة السؤال وسؤال السؤال:........................ 197
14.4.6 السُلَّمية الراتوبية لقيم كينونة السؤال وسؤال السؤال اللاواعي:........................ 198
14.5 دوال الوحدة والتكامل بين العمل والنيّة والغاية والهدف والغرض:........................ 202

**15. الفصل الخامس عشر: التأثيل والتأسيس والاستكشاف والتهجين والاستيراد لكينونة السؤال ....... 205**
15.1 مقدمة: ........................ 207
15.2 آليات توليد السؤال والتساؤل:........................ 208
15.2.1 بِمَكْنتنا اختزال سؤال السؤال وإجابة الجواب في المسلكين التالين: ........................ 208
15.3 كينونة المساءلة والتساؤل أي سؤال السؤال: ........................ 212
15.4 كينونة الوضع والمسألة: ........................ 214
15.5 كينونة السؤال والمساءلة «سؤال السؤال» والمشكلات والإشكالات: ........................ 215
15.6 مفهوم ميتا سؤال «سؤال السؤال لكينونة الذات والكينونات الأخرى في الكون: ........................ 219
15.7 مُساءلة واستنطاق سؤال السؤال «ميتا سؤال» لكينونة الذات الإنسانية: ........................ 223
15.7.1 كينونة سؤال السؤال «ميتا سؤال» المساءلة:........................ 232
15.7.2 نموذج توضيحي لسؤال السؤال أو التساؤل و«ميتا سؤال»: ........................ 238
15.8 تأثيل كينونة السؤال: المعرفة الوجودية لكينونة النفس الإنسانية من خلال معرفة الذات الإلهية:... 242
15.8.1 مسألة ومعرفة كينونة الإنسان كالعالم أو الجرم الصغير انطوى فيه الجرم الأكبر: ........................ 248
15.8.2 المفاهيم والمعاني والحقائق الأنطولوجية والأبستيمولوجية الثاوية في التعريف المقترح أعلاه:.. 249
15.8.3 مُساءلة السؤال لمسارات الأربعة لصيرورة الكائن البشري: ........................ 252
15.8.4 المستويات الراتوبية لمساءلة كينونة الذات الإنسانية: ........................ 263
15.8.5 كينونة السؤال والمساءلة بين المشكلة والإشكالية........................ 264
15.9 مِميلة ومَكيلة وبوصلة كينونة السؤال: ........................ 266
15.10 السؤال الاستضعافي والاستكباري لكينونة الكائن البشري: ........................ 268
15.11 مكر ميتا التقنيات التعليمية والثقافية وكينونة السؤال: ........................ 279

الجزء الثاني

15.12 النقد البناء والتقويم الدائم لكينونة السؤال: .......... 284
15.13 تبلور الغاية وحضورها الدائم: .......... 285
15.14 تواضع كينونة السؤال: .......... 286
15.14.1 علاقة الدهشة والتواضع المعرفي والوجودي بتأثيل كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب: .... 287
15.14.2 مصدرية ومنشئية التواضع المعرفي لكينونة الكائن الإنساني: .......... 293
15.14.3 لأي سؤال لا نتواضع؟: .......... 297
15.15 خواء وهباء كينونة السؤال من الغايات والوعي والعلم: .......... 299
15.16 فن بناء وإنتاج وصياغة كينونة السؤال: .......... 300
15.17 السؤال ووضع المشكل والمساءلة لكينونة السؤال .......... 302
15.17.1 كينونة الوضع والمسألة وسؤال السؤال: .......... 303
15.17.2 السؤال وطرح المشكل: .......... 304

**16. الفصل السادس عشر: منشئية ومصدرية كينونة السؤال لدى الكائن الإنساني ........ 307**
16.1 منشأ ومصدر كينونة السؤال عند الكائن البشري: .......... 309
16.2 الوعي بالجهل وحب المعرفة والكمال والشعور بالآلام والدهشة والإحراج والقلق: .......... 311
16.2.1 تعريف الدهشة: .......... 314
16.2.2 مصدر الدهشة لكينونة السؤال وسؤال السؤال: .......... 318
16.2.3 جذور الدهشة والتوتر الفطري ومنشئية كينونة السؤال والتساؤل: .......... 320
16.3 النفس أو الذات القلقة: .......... 322
16.3.1 السؤال الكبروي والكبّار والقلق المعرفي والوجودي: .......... 325
16.3.2 كينونة السؤال والألم والمعاناة: .......... 336
16.3.3 مظاهر الشرك في ألم كينونة الكائن الإنساني: .......... 339
16.4 كينونة السؤال وكينونة النفس أو الذات المنتظرة: .......... 341
16.4.1 مفهوم وفلسفة الانتظار الذاتي الكينوني: .......... 342
16.4.2 مفهوم وفلسفة الانتظار التاريخي الكوني: .......... 345
16.4.3 النسق البنّيوي لفلسفة كينونة سؤال «الانتظار» الحقيقي: .......... 347
16.5 العلاقة التأسيسية بين الدهشة والفلسفة والعرفان: .......... 353
16.5.1 كينونة السؤال والإحراج: .......... 356
16.5.2 وضع الإحراج في الفلسفة الغربية: .......... 359
16.5.3 موضوع الإحراج: .......... 360
16.5.4 قياس الإحراج: .......... 360
16.5.5 علاقة كينونة السؤال بالدهشة وبالإحراج: .......... 361

16.5.6 القلق الثاوي في كينونة السؤال الكبروي الكبّار: ........ 365
16.5.7 معنى القلق كما هو في علم النفس: ........ 366
16.5.8 اختلاف الناس في القلق: ........ 367
16.5.9 القلق وقوة الدافع: ........ 367
16.6 شروط أهلية السؤال كتمهيد للمعرفة عند ديكارت وهي: ........ 368
16.7 المكر الإلهي والإنساني ومكر كينونة السؤال وسؤال السؤال: ........ 369
16.8 المكر الابتدائي لكينونة السؤال على السؤال وسؤال السؤال: ........ 372

**17. الفصل السابع عشر: جهد وجهاد واجتهاد ومجاهدة كينونة السائل والسؤال ........ 375**
17.1 مقدمة: ........ 377
17.2 الجهاد في اللغة: ........ 377
17.2.1 مراتب جهاد السؤال وسؤال السؤال: ........ 382
17.2.2 الجهد والجهاد والسؤال الحسي الاعتيادي: ........ 383
17.2.3 فعل الجهد والجهاد السؤالي الارتقائي: ........ 387
17.2.4 فعل الجهد والجهاد السؤالي الاكتمالي العرفاني والوحيَاني المسدد والمؤيد العام: ........ 394
17.2.5 المرتكزات التقعيدية لفعل الجهد والجهاد السؤالي الاكتمالي أو العرفاني أو الوحيَاني المسدد والمؤيد العام: ..... 396
17.2.6 أركان وركائز بِنْيَة فعل الجهد والجهاد السؤالي الاكتمالي والعرفاني والوحيَاني: ........ 397
17.2.7 ركيزة محبة كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب: ........ 398
17.2.8 ركيزة الإخلاص لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب: ........ 401
17.2.9 ركيزة العبودية والحرية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب: ........ 404
17.2.10 ركيزة التحلّي بالصبر لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب: ........ 406
17.3 السؤال القصدي وغير القصدي؟ ........ 409
17.4 غايات وميتا غاية كينونة السؤال والمساءلة: ........ 414
17.5 علاقة غاية كينونة السؤال بالحرية والشكر: ........ 423

**مؤلفات الكاتب ........ 450**

## 10.1 مقدمة :

قراءة نص ومفاهيم ومصطلحات وعبارات وإشارات وأيقونات وكلمات وحروف كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، ومساءلة مشكلاتها وإشكالاتها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، تتطلب عدسات رؤيوية استكشافية واستبصارية واسترجاعية تغذوية واستشرافية وتركيبية وتراكبية وتكوينية وتحليلية وتفسيرية وتأويلية استدلالية وقرائية استنطاقية مركبة ومتعددة ومتنوعة متمايزة لشبكة بيت وحصن وقلعة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب ووعائه وخاناته المملوءة والمعلومة والمحمولة بالمفاهيم والحقائق والمعلومات التي تشكل حقيقة بنيَة وبناء كينونة السؤال من جهة، وخاناته الفارغة التي تمثل مجهولات ومطلوبات السؤال التي تنتظر كينونة الجواب أن تملأها وتستكملها من جهة أخرى.

وهذه العدسات القرائية الاستعلامية والاستفهامية العلمية والاستنطاقية الفلسفية العقلانية والاتصافية الصوفية والعرفانية لكينونة السؤال،لا بد أنْ تتساوق أو تتماهى وتتناغم مع طبيعة وماهية كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وثيماته وموضوعاته وغاياته وزمانيته ومكانيته وعوالمه، وكذلك تتماهى مع ماهية وهوية وشخصية وسيرورة وصيرورة الكائن البشري السائل والطالب والمستفهم والمستعلم. ولا بد أن تكون بؤرة عدساتها القرائية من القوة والعمق وسعة الأفق الواسع والممتد والمستطيل، بحيث تمكن القارئ السائل والمستفهم والمستعلم والمستنطق والمتصف لكينونة السؤال، أن تجول وتسرح وتسيح داخل المجرى الحدثي «V5» والمشهدي «V4» والمرآوي «V3» والحقيقي الواقعي والقائم «V2» داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي للكون أو العالم أو الوجود «V»، وذلك بمعيّة مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية، التي هي بمثابة العدسة القرائية الواصفة والشارحة والكاشفة والناظرة

والمبيّنة والمفسرة والمؤولة والمحيطة والمستديرة والقائمة والقيّومة والقائمة والمقوِّمة لها، ولحمولاتها المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنّية السوسيوكونية والسوسسوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوعقائدية و... الاستخلافية الإنسانية المعقودة والخاتمية المحمدية ﷺ الرسالية الكونية والانتظارية المهدوية الموعودة عجل الله فرجه الشريف والاتباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة المختومة شرعياً والواجبة عقلياً وفطرياً وأخلاقياً ووجودياً وعرفانياً وتجريبياً واقعياً وقانونياً، والممهدة للولاية العصموية المنتظرة.

وهذا النوع من القراءة لا بد أن يؤطر وفق تصور نظري ونموذج باراديمي - إبدالي ومنهاجية تشميلية تكاملية تراتبية توحيدية، محددة المعالم ومنضبطة الأبعاد ومتسقة الأزمنة ومنضبطة الحدود ومتعينة ومتحينة الأعماق والاستطالات والامتدادات والوظائف والغايات. فغياب النموذج والبارديم «**الإبدال**» المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفني لقراءة كينونة ديناميةوديمومة وتشميلية، تستوعب العلاقة البنَيَوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية الدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية بين مكوناته وعناصره المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنية المتغيرة والثابتة، والنسبانية والمطلقة، والمتشابهة والمحكمة، والظاهرانية والباطنية، والمادية والروحية، والفوقية والتحتية، والدنْيوية والديْنوية، والبرزخية والجبروتية العقلية الملكوتية، والزمانية الماضوية والرهانية الحاضرة والراهنية المستقبلية، و... لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب ومقارنة ومقاربة نصوصه ومفاهيمه ومصطلحاته وأيقوناته ورموزه وكلماته وألفاظه.

هذه العدسات الرؤيوية مركبة في منظار تلومايسكتروسكوبي ثلاثي الأبعاد والأزمنة والأمكنة، كفيلة بفتح نوافذه على كافة العوالم والأزمنة والأمكنة الممكنة التي يمكن للسؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب أن يجول ويسرح ويسوح داخل المجرى الحدثي

والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي ومجرى الحق الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا، وأنْ يُطاول تجارب الثقافات البشرية المختلفة وركاماتها المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية والاجتمعرفية والنفسمعرفية والجغرمعرفية والاقتصامعرفية، ويتجنب التعامل الطفراوي والفجائي والعشوائي والعفوي والتجزيئي والتبعثري والانتشاري، وتمكينه من قراءة تشميلية كلّيانية وحضورية وضوحية يقينية وسببية علّية ضرورية وحتمية ووحدة في عين تكوثراتها ومتكوثرة في عين وحدتها، للثقافات المختلفة عبر ممارسة التعريب أو الترجمة أو الاقتراض والاستيراد التي تنقل حرفياً أو مقطوعة وناقصة أو مشوهة أو مضافة أو منتقصة، والتي تنقصها الأمانة العلمية والقيم الأخلاقية والدقة العلمية والمحاسبة المهنية للمنقول، ما يمكننا من ممانعة الخيانة والخداع والمكر والإهانة والاستصغار والتوهين للمنقول إليه أو الموصول إليه أو المتلقي.

وإذا ما أصاب المترجم والناقل والمفسر حقيقة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب المنقول، فذاك مما يُعدّ من قبيل «**رمية من غير رام**». فما لم يتم حفر حفريات السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب المنقول جينيولوجياً، وتنقيره أركيولوجياً، وتشريحه أيكيولوجياً، وتحليل بناءات وبنْيات مصطلحاته ومفاهيمه تفكيكاً وتركيباً وتراكبياً وتكوينياً لدلالاته واستدلالاته وتداولاته وتواصلاته ووظائفه وغاياته في موطنها المؤسّس، وما لم يتم مقاربة المنقول ضمن شبكة المفاهيم في ثقافة وفقه وفلسفة ونموذج البلد أو الأمة المنقول والموصول إليه، وفق نموذج وبراديم ومنهج ومنهاجية معرفية ووجودية وقيمية وجمالية خاصة ومميزة، فإنه من غير الممكن استيفاء شروط واشتراطات مصداقية وصحة وصلاحية وأمانة ودقة الترجمة والتعريب والاقتراض والاستيراد لحقيقة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب المنقول إلى الموصول إليه أو المتلقي.

أنّ يتم التعاطي مع هذه الممارسة والمثاقفة بمفاهيمها ومصطلحاتها وفلسفتها وفقهها بشفافية واضحة وكفاية مهنية متكافئة، ومضافة ومركبة من الثقافتين المنقولة

والموصولة إليه، بهدف التمكن من تحديد «**ماهية**» وسُلّمية حقيقة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب المنقول ومستوياته الراتوبية ودرجات مراقيه الدلالية والتأويلية وتعالقاته الكائنة والممكنة والمحتملة، بغية بناء منظومة مفاهيمية متدرجة ومتشابكة، حتى يتم النظر إليه في ضوء ماهيته الجينيالوجية والأركيولوجية والأيكيولوجية من جهة، والنظر إلى السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب المنقول من خلال التواشج والتلاحم والاتساق والانسجام في منظومة علاقات مكونات السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، وعناصره المعجمية والدلالية والتركيبية والبنائية والتداولية والتواصلية في زمكانية معينة، ومساءلة مشكلاتها وإشكالاتها المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنّية، من جهة أخرى.

### 10.2 المثاقفة المعرفية وكينونة السؤال:

لا شك أن كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب خاصة الكبروي والكبّار، والتوسطي الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي أو ذات الجذور الإنسانية والتاريخية والكونية في الثقافات المختلفة وفي الأزمنة والأمكنة المتباينة، تتثاقف وتتواسط وتتفاعل وتتداخل وتتناقل وتتواصل فيما بينها، وتقترض وتقرض بعضها من بعض، من دون قيود وحواجز وعساكر أمنية حدودية، أو إنها بحاجة إلى جواز السفر والفيزا مسبقاً، وتارة هناك قيود وحدود وشروط يستلزم توافرها لكي تدخل الثقافة المنقولة والموصولة والمرسلة إلى ثقافة المنقول إليها والموصول بها والمتلقي لها؛ حيث إن كينونة السؤال للكينونات الثقافية الإنسانية بالرغم من تبايناتها وتغايراتها وتمايزاتها الواضحة بأبعادها وأعماقها واستطالاتها وحيويتها وديناميتها وديمومتها، إلا أن بنْيَتها الأركيولوجية التاريخانية وركاماتها الترسبية ، وجينيالوجيتها وقواعدها التحتية والتأسيسية والجينية، وأيكيولوجيتها البيئية المحيطة، وعلائقها البنْيوية والبنائية والتداولية والتواصلية المتداخلة والمتفاعلة، وتيولوجيتها الغائية، وبوصلتها وخرائطها وخطاطاتها الجيوجغرافية والجيومعرفية والجيووجودية والجيونفسمعرفية،

هي واحدة، من حيث إنها في أعماقها العميقة وآفاقها البعيدة والكلية، مؤسسة تَتَغَيَّا غاية فطرية تكوينية واحدة، مفادها البحث والوصول إلى التكامل والجمال والسعادة المطلقة في العلم والقدرة والفضل والكرم والصحة والعافية والحياة والراحة الأبدية، إلا أن مساراتها وسيروراتها يسير بعضها في خط وصراط مستقيم وقويم فتصيب مركز أهدافها وغاياتها أو تتحاقل معها أو تتجاور وتتجايل أو تتماس وتتلاقى أو تتقارب أو تتباعد عن مركز التمركز ومحور التمحور وبؤرة التبأور، التي تزيل التشتتات والتبعثرات والتنفرات والتشظيات حمولات كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، وتقصي الاختلافات والتمايزات والتغايرات والتضادات والتقابلات والتطابقات السلبية والتناقضات والمزايلات السببية والتناقضية من جهة، وتثبت التشابهات والتشاكلات والتضارعات والتضاهيات والتماثلات والتجاورات والتناظرات والتطابقات الإيجابية والتعاضدية والتوافقية التكاملية، من جهة أخرى، وبالتالي تحقق التشميلية والكلّيانية والسببية والضرورة والوضوحية والعلّية والحضورية واليقينية والحتمية والوحدة في كثرتها والكثرة في عين وحدتها لكينونة كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، ما يجعل السؤال سؤالاً كبيراً وكبّاراً يمثل حقيقة سيرورة وصيرورة الاستخلاف الإنساني المعقود والخاتمية المحمدية ﷺ الرسالية الكونية والانتظارية المهدوية الموعودة عجّل الله فرجه الشريف والاتباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة الممهدة للولاية العصموية المنتظرة داخل المجرى الحدثي «V5» والمشهدي «V4» والمرآوي «V3» والحقيقي الواقعي القائم «V2» في المجرى الأنطولوجي الوجودي للعالم أو الكون أو الوجود «V».

فتتحدد القيمة المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية والفنّية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب هنا، تبعاً لاتجاه سهم سؤال الثقافة نحو الحق والحقيقة والكمال والجمال والسعادة المطلقة، فإذا ما أصاب سهم غاياته الحقيقية والحقة، نال سؤال الكائن البشري مبتغاه في الدنيا والآخرة وحيوته الحقيقية «**وإن الآخرة لهي الحيوان**»، وتقوم مصداقيته وصلاحيته ومقبوليته ومشروعيته وخيريّته

الكلية والتشميلية والتكاملية والتراتبية والتوحيدية، بحسب محاقلته وقربه ومجاورته ومماسته من مركز دائرة الوجود الحقيقي المطلق سبحانه وتعالى، أو أن تتموضع خارج دائرة جاذبيته ووجوده الحقيقي المطلق، ليسكن في اللاوجود؛ أي العدم؛ أي الجهل والعمى والسقم والبخل والضعف والبؤس والشقاء والجحيم والعذاب الدنْيوي والديْنوي.

إذاً الأصل والأساس والغاية والقصد والنيّة واحدة، ولكن مصاديقها الموضوعية الخارجية إما أن تكون تمثلاتها تعاضدية تكاملية توافقية، متشابهة أو متشاكلة أو متضارعة أو متضاهية أو متماثلة أو متحاذية ومتجاورة أو متناظرة أو متطابقة مع حقيقتها الفطرية الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا الفاعلية، أو إنها مجسّدنة بأجسادها، ومشخّصنة بأشخاصها، ومصوّرنة بتصوراتها وتمثلاتها السلبية التناقضية بدرجاتها الراتوبية من حيث الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة. ذلك بسبب فقدان أو قصور أو اعوجاج أو نقص أو انحراف في مؤشرات بوصولتها وإحداثيات منْقلتها وزوايا مِمْيلتها وأوزان مَكْيلتها الجيومعرفية والجيووجودية والجيوقيمية والجيوأخلاقية والجيوجمالية والجيوفنّية، سواء الجوانية الفطرية أو البرانية المتمثلة بالأنبياء والرسالات السماوية الاستخلافية أو الخاتمية أو الانتظارية أو الاتباعية المختزلة في تكاملها وتمامها وشموليتها في الثقلين المورثين والمتوارثين من تركة الخاتمية المحمدية ﷺ، الرسالية الكونية والمختومة بالانتظارية المهدوية والاتباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة المختومة شرعياً والواجبة عقلياً وفطرياً وأخلاقياً ووجودياً وعرفانياً وتجريبياً واقعياً وقانونياً، والممهدة للولاية العصموية المنتظرة.

ويمكننا صنافة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب للثقافات البشرية إلى السؤال الثقافة الحيوية الأولي، الذي يهتم بالحاجات الأولية والضرورية الحياتية، والسؤال الثقافة العالمة، الذي يهتم بما وراء الحاجات «**ميتا حاجات**» أو ما بعد الحاجات الظاهرية، أي السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الناظر والكاشف والمبيّن

والقائم والواصف والمفسر والمؤول والحاكم والمحيط والمستدير والقيومي والمقوِّم، وهو سؤال الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتباعية الكبروي والكبّار الذي تستجمع وتستهلك وتستغرق كافة الأسئلة والتساؤلات والإشكالات والحاجات المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوعقائدية و... للبشرية.

إذاً كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب للثقافات البشرية المختلفة تتداخل وتتفاعل وتتواصل وتتقارب وتتجاور وتتصاهر وتتزاوج وتتوالد من دون حاجة إلى جواز السفر أو هوية شخصية لها على مستوى الثقافة العالمة؛ أي في مستوى الحاجات الضرورية الأولية الفطرية المشتركة ذات هوية واحدة من حيث البنيَة والأساس والغاية والمقصد، كما هو الشأن في البعد العقائدي مثل التوحيد والغيب والعدل والآخرة والنبوة والإمامة، أو كما هو الشأن في المطبوعات المادية الجسدية مثل المزروعات والمأكولات والمشروبات والمنسوجات والمبنيات وغيرها. وعندما يتعلق الأمر بثقافة الضرورات والحاجات المادية والمعنوية، فإن آلية «**إوالية**» الاحتواء هي القائمة والسائدة. وإن هذا الاحتواء قد يجد تفسيره في كينونة الخيال كما يجد أساسه في كينونة الفطرة البشرية التي فطرها الله عليها ولا تبديل ولا تحويل ولا تغيير لها البتة، لكون سؤال النوع البشري وتكويناته البنِيوية والتركيبية والبنائية والغائية، هو في جميع الأزمنة والأمكنة، ولدى كافة المستويات المعرفية والوجودية والاجتمعرفية والنفسمعرفية والجيوثقافية البشرية والجيوعقائدية والجيوغائية والجيومقصدية، ولكنه قد ينحجب تحت قناع ويتوارى وراء ستار وينضوي خلف استتار الفطرة الشبيهة والشبحية الموهومة والمحجوبة التي تتطفل على الفطرة الأصلية المركوزة والنورانية وتعيش بجانبها، ويتخذها الكائن البشري مرجعية وبوصلة ومِمْيلة ومسطرة ومَكْيلة ومرشداً ودليلاً جوانياً لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الإنساني الكبروي والكبّار، فيخطئ سهم غاياته في

تعيين وتحيين أو تحديد وتشخيص مصداقياته الموضوعية الخارجية، معتقداً ومتصوراً أنها مجسّدنة في أجسادها، ومشخّصنة في أشخاصها، ومعنّونة في عناوينها الحقيقية والحقة.

ولكن الأمر يختلف، عندما نأتي إلى السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب للثقافة العالمة، حيث إن ما يصدق على السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الثقافة الحيوية الضرورية الفطرية، لا يصدق على السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب للثقافة العالمة التي صنفناها وشعبناها إلى ثقافة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب عالمة عملية، تقوم بإنشائه ثقافة الضرورات لتسوغ الدخيل أو الوافد بخلق أساطير أو تأويلات مسوغة لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب ومدافعة عنه، وهو ما يفسر تقبل كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الثقافة الإسلامية بصدر رحب أحياناً كثيرة.

السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب للثقافة عالمة النظرية لم تتقبلها كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الثقافة الإسلامية وسلكت معها آلية الاستبعاد، كما هو الشأن في الفتاوى حول المنطق والتصوف وفلسفة ما وراء الطبيعة. وهذا لا يعني غياب كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب بتاتاً، حيث هناك اجتهادات فردية عبر التاريخ الإسلامي قام بها بعض الفقهاء والفلاسفة من الاعتقاد بالجمع بين البيان والبرهان والعرفان والوحي قديماً ومستحدثاً ومعاصراً، فالإمام الخميني «قده» هو من الفقهاء المعاصرين الذي أصبحت هذه المنظومة المتكاملة من المعارف البشرية مجسّدَنة في فكره، ومشخّصنة في شخصيته وسارية في سيرورة مسلكياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية اليومية المعيشية، ومعنّونة في عناوين مقالاته البيانية، ومقولاته الفلسفية والعرفانية، وتفسيراته وتأويلاته القرآنية، وفتاواه الفقهية، ذلك بقدر ما تتقبلها العقول والقلوب العلمية والفكاهية، وبقدر ما لا تصيب ثقافة وفقه فلسفة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب لطلبة العلوم

الدينية وثقافة العوام من المحيطين به، وبقدر ما تسمح به البيئة الأيكيولوجية العلمية والفقهية والاجتماعية الخانقة والمنغلقة على ما كان ينادي بالمصالحة والمقاربة أو المجاورة والمحاقلة أو المصاهرة والمزاوجة أو المصاحبة الحقيقية البيْنيّة بين الفقه والعلم والفلسفة والعرفان والوحي المسدد والمؤيد[1]؛ أي بين العالِم والفقيه والفيلسوف والعارف والنبي المسدد والمؤيد، لكون كل واحد منهم يسعى للوصول إلى نفس الحقيقة والحق، ولكن بطرق وسبل وأساليب وأدوات وآليات واستراتيجيات دلالية واستدلالية وبنائية تركيبية وتراكبية وتكوينية وتداولية تواصلية، ومنهاجيات وعدسات رؤيوية استكشافية وتحليلية وتأويلية وتفسيرية واستشرافية، متنوعة ومتعددة ومركبة، تتموضع في المنظار التلومايسكتروسكوبي التشميلي التكاملي التراتبي التوحيدي، كل حسب أوّلياته وإوَلياته وآلياته وآلاته وأدواته ووسائله واستراتيجياته القرائية والاستدلالية والاستعلامية والاستفهامية والاستنطاقية.

والسؤال الجوهري والأساس والمحوري هنا، ما المانع والحاجز الذي منع وحجب عن هذا التداخل والتفاعل والتواصل والتعالق والتمازج، بين المكونات والمصادر الرئيسة للمعرفة الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي الكبروي والكبّار، ومنظومته التساؤلية الصغيرة والصغّارة لدى الفقهاء أو العلماء أو الفلاسفة أو العرفاء المسلمين، داخل المنظومة الثقافية والفكرية والفكرانية والفقهية التنظيرية والتجريبية والعَمَلانية من جهة، وعمل المثاقفة بين الثقافة الإسلامية والثقافات والحضارات الإنسانية الأخرى، من جهة أخرى.

باعتقادنا ومعرفتنا المتواضعة، نقول إن السبب الجوهري والأساس هو في الحمولات

---

(1) - هذا الوحي والغيب المسدد والمؤيد كان واضحاً جلياً في كل سياقات مقالاته ومقولاته ومسلكياته وأحاديثه في كل المناسبات والأزمنة والأمكنة، بأن كل ما لدينا هو من الله ومن الخاتمية المحمدية ومن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ومن حقيقة الانتظارية المهدوية الموعودة عجل الله فرجه الشريف ومن الاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية والعامة، وإن كافة ما نشاهده من الانتصارات فهي مختومة ومعقودة ومنسوبة إلى ميتافيزيقيا الغيب من حيث الرحمة والعناية الإلهية، ومن اتكال الشعب على الله ومن الروح الجهادية النفسية و...

المعرفية والوجودية الثاوية في كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي الكبروي والكبّار ومنظومته التساؤلية الصغيرة والصغّارة، ومساءلة مشكلاتها وإشكالاتها، التي كانت تقصي وتبعد وتهمش، أو تطرد وتعتقل وتسجن أو تجلد وتغتال كينونة السؤال التجريب العملاني أو كينونته العلمية أو كينونته العقلية أو كينونته العرفانية أو كينونته الغيبية من جهة، أو منعها من المقاربة أو المجاورة أو المماسة أو المحاقلة أو المعانقة أو المصالحة أو المصاهرة أو المزاوجة بينها في احتفالية تعييدية رمضانية صومتية، وعيدية إبراهيمية «**تعييدية الحجاج**» التي تحتفل بحضور سؤال الفطرة المغروزة النورانية المركوزة وإفاقتها من سبتها السبوت، التي احتجبتها واستترت عليها الفطرة المحجوبة والظلامية والنزعات البهيمية والنزوات الحيوانية والشهوات الشيطانية والإبليسية والنسناسية والخناسية، من جهة أخرى.

ويمكننا الاستفادة من بعض الدراسات والبحوث حول موضوع المثاقفة بشكل عام، وذلك من خلال تحويرها وتمكينها للاستفادة منها في مفهوم كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الكبروي والكبّار ومنظومته التساؤلية الصغيرة والصغّارة. فتشير هذه الدراسات إلى هذه المفاهيم على النحو التالي[1]: «**القولبة**» و«التمثل» و«التكيف»، «**التحصن**» و«الإبعاد»، و«المحيطة».

فالقولبة هي الآلية المناسبة للتعامل مع سؤال ثقافة الضروريات، حيث إن القولبة تعني أن كل كائن بشري يحتوي على منظومة تساؤلات أو فطريات «**فطرة**» وملكات تنمو بنمو قوى وطاقات وإمكانات ثاوية في بنْيَتها التكوينية الجوانية العميقة، بقطع النظر عن أية مؤثرات بيئية برانية أو حمولات عقلية وعرفانية وثقافية وفقهية وعلمية متباينة أو متشابهة، وسواء كان حامل هذه الفطرة عالماً أو جاهلاً أميّاً، وسواء كان فقيهاً مجتهداً أو مقلِّداً تابعاً، وسواء كان فيلسوفاً أو عامياً، وسواء كان الكائن البشري بدوياً صحراوياً أو مدنياً حضرياً، فهما سيان مقابل الضروريات الفطرية، لذا فهو يتقبل الكليات تقبلاً

---

(1) – محمد مفتاح: «مشكاة المفاهيم النقد المعرفي والمثاقفة « المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ص 36.

طبيعياً وتكوينياً وفطرياً.

أما «**المحيطة**» فهي الآلية المناسبة للتعامل مع سؤال الثقافة العالمة النظرية، حيث إن «**المحيطة**»، في المقابل، تعني الفردية المطلقة. فكل كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الكبروي والكبّار ومنظومته التساؤلية الصغيرة والصغّارة، إنسانية لها عالمها الذاتي في نفسها ومقياس لذاتها. وبين هذين المفهومين المتقابلين والمتطرفين تقف بقية المفاهيم الأخرى في سُلّميتها الراتوبية والتدرجية، أو المفاهيم الوسطى، التي تقوم بالدمج بين «**القولبة**» و«المحيطة»، أو التفاعل بين الذات والمحيط بدلاً من التطابق المطلق بين كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الكبروي والكبّار ومنظومته التساؤلية الصغيرة والصغّارة البشرية، وبدلاً من الفردية الذاتية المطلقة.

وهكذا يتم التفاعل والتواصل والتناقل والتبادل بين كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الكبروي والكبّار ومنظومته التساؤلية الصغيرة والصغّارة للثقافة المنقول والموصول والمرسل وكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الكبروي والكبّار ومنظومته التساؤلية الصغيرة والصغّارة للثقافة المنقولة إليها والموصولة لها والمستقبل لها.

### 10.3 القراءة النقدية لكينونة السؤال وأطروحته المعرفية الوجودية والقيمية والجمالية:

إنَّ لحظة القراءة النقدية التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية لكينونة السؤال وطروحاته المعرفية الوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنّية، هي اللحظة التي تسبق دخول كينونة السؤال في لحظة التواصل والتداول مع الغير من أجل بناء مشترك لكينونة الجواب المتساوق والمتماهي مع كينونة السؤال، بغية امتلاء وإفراغ حمولات الجواب المعرفية والوجودية في قوالبها وبيتوتاتها التي أُعدت سلفاً في كينونة السؤال. ولذلك يستلزم الأمر أن تكون قراءة السؤال قراءة ممنهجة ومنمذجة تشميلية تكاملية تراتبية توحيدية، تتشكل من القراءات التالية:

**10.3.1 القراءة التوجيهية :** وهي قراءة تهدف إلى «تجميع بيانات ومعلومات ومعارف ومعطيات ومؤشرات حول كينونته من داخله أو خارجه، وتوقع اتجاه السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب ووضع فرضيات له.

**10.3.2 القراءة التحليلية :** قراءة تهدف إلى فهم الأجزاء المقروءة من السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب واستخراج مكوناته المميزة وتفكيكه، وتحديد أبعاده وغاياته.

**10.3.3 القراءة التركيبية :** هي قراءة تهدف إلى اكتشاف قوة ومتانة وتماسك بنيَة ونسقية ونظِمية كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب.

**10.3.4 القراءة التداولية :** قراءة تهدف إلى كشف القناع والاستتار والاسترار عن الغايات والقصود والنيات الثاوية في كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، وقدرته التواصلية مع الغير.

**10.3.5 القراءة الاستشرافية :** قراءة تمكن الكائن البشري من استحضار تموضعات السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وأطروحتها في صورتها الاحتمالية والاستشرافية.

هذه القراءات النقدية وغيرها من القراءات تساهم في تجاوز نتاج كل قراءة على حدة، من حيث الاختزال والحذوفات واختزال وتجزؤ الرهانات والراهنيات التي تنتظم بها أطروحة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب ، بدلاً من اكتشاف الرهان الذي يستوعب نص كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب برمته، هذا الرهان لا يظهر إلا باكتمال العدسات الرؤيوية المركبة التي تسمح بالقراءة التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وأطروحتها المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنية، في سياق فقه فلسفة وعلْمنة وعرْفنة ووحْيَنة السؤال الاستخلافي الميثاقي والخاتمي المحمدي ﷺ الكوني والخالد والانتظاري المهدوي عجل الله فرجه الشريف الموعود والاتباعي الولائي الفقهي التقوائي العام والممهد للولاية العصموية المنتظرة.

إن حمولات نصّ كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وأطروحتها المعرفية

والوجودية، تنبئ بأنه نص شبيه للنسيج «Tessu» أو اللحمة «Trame» تتشابك فيه سلسلة متنوعة من الخيوط المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنّية، التي تحتاج إلى استحضارها بشكل ديمومي وديناميي من خلال العدسات النسقية والبنِْيوية والنظْمية الدلالية والتداولية والتركيبية والتراكبية والتكوينية في منظومة القراءات المتعددة السابقة، التي تشكل عناصر أساسية لبناء حمولات نصّ كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وأطروحتها المعرفية الوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنّية، وهي تكشف لنا الكيفية التي تتموضع وتتشكل وتتعالق وتتفاعل وتتراتب وتتكامل وتتوحد عناصره ومكوناته.

وإنّ إقصاء أو تهميش أو اسقاط أي مظهرٍ أو جزءٍ يشي بإخلال وتشويه أو اسقاط الكل، لكونها متشابكة ومتداخلة بعضها ببعض، وإنها تدرك كينونته وبنْيَته ونسقيته ونظْميته في لحظة كلية تشميلية واحدة، هي لحظة القراءة الآنية من أعلى برج بابل بجميع عدساتها الرؤيوية الاستكشافية المركبة والمتراتبة والمتكاملة، لمعانيها ومفاهيمها وحقائقها الجزئية المتشظية والمبثوثة، بعد أن تستجمع وتستغرق وتستهلك جميعها في بؤرة عدسة عدساتها الكبروية الكبّارة، لتمثل قراءة نقدية حسية وعلمية وعقلية وقلبية وغيبية متزاوجة ومتصاهرة ومتصاحبة، ويتم فهمها وتفهيمها وإفهامها وانفهامها، وتعليمها وتعلّمها وتدريسها بيداغوجية وديداكتيكية تبليغية تداولية وتواصلية في صورتها التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية.

### 10.3.6 القراءات المسيئة لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب:

ثمة قراءات مسيئة ومهينة تهتك حرمة وحوزة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، نشير إلى بعضها بعجالة دون شرح وتفصيل، منها ما يلي:

**10.3.7القراءة الانفعالية المتشنجة:** قراءة السؤال قراءة انفعالية ومتشنجة بدون مبرر منطقي وعقلاني وظرفي، وخاصة السؤال غير المألوف والمعتاد الذي يحمل الجدّة والحداثة والاجتهاد. وهنا بحاجة إلى وقفة تأمل وبحث جدي ودؤوب شمولي وموضوعي

وتفصيلي لمعرفة مسببات وعلل هذه القراءة الانفعالية الغاضبة ولحظاتها الراهنة وراهنيتها الظرفية والزمكانية، وذلك للتوصل إلى أصولها وفروعها وأسسها ووقودها ووسائلها وآلياتها وأدواتها واستراتيجياتها، التي ولّدت ظاهرة العنف والغضب والتشنج في مناخاته العلمية والفلسفية والعرفانية والفقهية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتعليمية والتربوية و...، والتي أدت في نهاية المطاف إلى اعتقال وسجن واغتيال كينونة السؤال العربي والمسلم بدم بارد وبشكل إرادي أو لا إرادي علانية في رائعة النهار، ومن قبل حراسه الأمناء على العهد والاستخلاف والانتظار والاتباع.

**10.3.8 قراءة نقدية قشرية :** قراءة السؤال قراءة نقدية قشرية سطحية وهامشية مبتذلة، تفتقد إلى نموذج أو نظرية أو فلسفة أو فقه السؤال، فضلاً عن مرجعية عصموية جوانية وبرانية تقييمية وتقويمية للسؤال وسؤال السؤال ومساءلة مشكلاته وإشكالاته المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية والاجتمعرفية والنفسمعرفية لدلالته التركيبية البنائية والدلالية الاستدلالية والتداولية التواصلية والوظيفية الغائية.

وهذه القراءة النقدية والعلمية والعقلانية والعرفانية والفقهية والشرعية والغيبية، من غير منهج ونظرية وفلسفة وفقه ومرجعية، أخطر على كينونة السؤال وأشد وطأً وثقلاً وعبأً عليها، وأكثرها تضليلاً وتشويهاً وتعذيباً وانتهاكاً لحرمة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، لكونها مبررة بالمنطق والعقلانية والعلمية والتجربانية والقدسية الفقهية من جهة، وكون الجلاد والقاتل هو إما عالم أو فقيه أو فيلسوف أو عارف، أو مفكر سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو إعلامي أو تربوي، الذين هم مؤتمنون وحراس وحفظة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، من جهة أخرى، وهم ممثلو العدسات الرؤيوية في المناظير التلومايسكتروسكوبية المركزية الناظرة والحارسة والقائمة والواصفة والشارحة والكاشفة والمبيِّنة والمحيطة والمستديرة والمقوِّمة عليها من السرقة والتلف والتلاعب، فإذا هم من يخطط ويبرمج ويفعل فعل الاعتقال والسجن والتعذيب والتشويه والتحريف والاغتيال العلني، وهم أنفسهم الذين نجدهم اليوم، في الحرس «**المخزوني**»

ـ الحكومي والأجنبي ـ وفي العسس الثقافي والاكاديمي والبحثي، يتحالفون مع الأخطبوط الثالوثي «**ميتا إعلام**» و«**ميتا رأس المال ـ اقتصاد**» و«**ميتا سياسة**».

هذه القوى الثلاث المتواطئة والمتزاوجة والمتصالحة تشكل الأداة والقوة المعرفية والعلمية والسلطة العلمية والاقتصادية والسياسية الضاربة الأولى، وهم الكلمة والقول والفن والأدب والبحث والكتاب والسمفونية التي تحجب الحق والحقيقة اليوم، وجميع هؤلاء مارسوا الخيانة النقدية في كل وجوهها، وفي جميع مستوياتها المتعددة والمتنوعة، حيث خانوا الكلمة والحرف والعبارة والإشارة بكل حرّفنة ودقة وجهد واجتهاد، لتحقيق مصلحة ومنفعة مادية آنية، ومنفعة سياسية واقتصادية واجتماعية لمصلحة حفنة من المنتجين والسياسيين والإعلاميين. هؤلاء وضعوا الحصان قبل العربة، وقدموا الجواب المعلّب والمنمط قبل تشكل وطرح السؤال، وهؤلاء هم الذين مارسوا الخيانة بتحريف حمولات كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب عن مواضعها الصحيحة، وقدموا حمولتها الفكرية والمعرفية والوجودية والأخلاقية والاجتمعرفية والنفسمعرفية بشكل مغاير ومضاد ومناقض.

هؤلاء قفزوا على ماهية وهوية وأسس ومبادئ ومرجعيات كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب والحقيقية والحق، ولم يكتفوا بوضع عربة الجواب أمام حصان السؤال، بله، قلبوا معادلة التعادل والتوازن والتساوق والترابط بين حمولات السؤال النسبية والإطلاقية، والمتغيرة والثابتة، والجزئية والكلية، والظاهرية والباطنية، والفردانية والمجتمعية، والتاريخية والإنسانية والكونية، والشهودية والغيبية، والهامشية والمركزية، والناطقة والصامتة، والقولية والفعلية، والانغلاقية والانفتاحية، والسلبية والإيجابية، والقبيحة والحسنة، والفارغة والممتلئة، والمادية والروحية، والمحاقلة والمجاورة والبعيدة، والهوية والغيرية، والمباشرة وغير المباشرة، والعرضية والطولية، والمثالية والواقعية، والكائنية الإمكانية، والقائمية والاحتمالية، والقوة والفعلية، والدنْيوية والديْنوية و....

والمؤسف أننا في مدخل الألفية الثالثة ونحن ما زلنا أوفياء ومخلصين لهذا النموذج المبتذل والمتهتك والمستهتر الذي يقدم كل ما لديه من إمكانات وطاقات مادية وروحية وعقلية لبناء ستار وحجب وحواجز للاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء، لِكُنْهِ حقيقة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، لقد تغيرت الأسماء والعناوين، وتبدلت الأقنعة والألبسة، ولكنّ المسمى والمعني والمعنون هو نفسه.

## 10.4 استراتيجيات قراءة كينونة السؤال:

المستقرئ في أدبيات الدلالات المفاهيمية للنصوص لدى القدماء والمحدثين والمعاصرين، فيما يتعلق باستراتيجيات قراءة النصوص في سياق ما تحملها أو تتحملها، من حمولات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية، ومن دلالات ومعان ومبان مختلفة، يلاحظ التأكيد على سعة واستطالة امتدادات وأعماق وأبعاد حمولات النص والمفاهيم المحمولة الظاهرة والمعلنة أو المسكوت عنها أو الثاوية في كينونة السؤال وسؤال والسؤال والجواب وسؤال الجواب، ودلالتها الحقيقية الكائينية والاحتمالية والممكنة، والتي يطلق عليها مصطلح «**الحقْملة**»[1] الاستخلافية والخاتمية والانتظارية المهدوية والاتباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة؛ أي إن النص وعلى خلاف التصورات السائدة لدى الغالبية العظمى من المفكرين والمثقفين في عالمنا العربي والإسلامي، لا يعبر عن الحقيقة وحدها، أو أن لها معنى واحداً فريداً.

ولهذا الاعتبار يقتضي توظيف المنطق التراتبي التشميلي التكاملي التوحيدي، أو منطق التدرج والتراتب الذي يمكننا من التحكم في آليات قراءة نص كينونة السؤال والإمساك بدلالاته، بجانب المنطق الثنائي الصارم المبني على إمّا وإمّا أو «0:1»؛ أي «**الحقيقة المطلقة**» و«الاحتمال» الذي يحجب مختلف الوقائع النصية وسياقاتها وأنواعها ومستويات ومراقي ومراتب دلالاتها وآليات واستراتيجيات تفسيرها وتأويلها.

(1) – محمد مفتاح: «النص من القراءة إلى التنظير»، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، 2000. ص 32.

فالمفاهيم والمصطلحات بحمولاتها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية والعلمية والفلسفية والعرفانية والفقهية والشرعية والنفسمعرفية والاجتمعرفية، التي تشكل وحدة نواة واحدة ونسقية متسقة ونظمية منتظمة وغائية ووظيفة ودلالية بمعانيها ومبانيها ومضامينها في نصوص كينونة السؤال وسؤال السؤال، وسؤال الجواب، ومساءلة مشكلاتهما وإشكالاتهما المعرفية والوجودية، لم تأتِ من فراغ وهباء وخواء، بله، إنها تتمأسس وتتأصل وتتأثل من خلال توليد وإنتاج وابتكار وإبداع وصياغة محكمة متماسكة معرفياً ومنطقياً.

تأسيساً على ما قدمته نظرية المعرفة وعلم النفس المعرفي نستنتج ثلاث استراتيجيات لآليات قراءة النص والإمساك بدلالاته المختلفة، ولقد أضاف الأستاذ محمد مفتاح استراتيجيتين أخرويين إلى تلك الثلاث، وفيما يلي بيان موجز لها:

### 10.4.1 استراتيجيات قراءة وتفسير وتأويل المفاهيم المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية لكينونة السؤال:

إنَّ استراتيجيات القراءة النقدية لكينونة السؤال هي سيرورة وصيرورة منوطة بحذاقة العمليات الاستدلالية، ودقة أجهزتها المنطقية وغير المنطقية، وحدة آلياتها، وصحة مبادئها، ومتانة قواعدها، وصدق قوانينها التفسيرية والتأويلية، فضلا عن سعة وقدرة عدساتها المركبة الرؤيوية الاستكشافية والاستبصارية والاسترجاعية التغذوية والتفكيكية والتراكبية والتركيبية والتكوينية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية. فإذا ما تجاوزنا العمليات الاستدلالية البسيطة، وتخطينا عادة الاستماع التلقائي، وتخلينا عن القراءات السطحية والساذجة والفرجوية والمدرسية التقليدية، وتواصلنا مع المكنونات اللاشعورية المضمرة في الكينونات اللاواعية والغيبية والثاوية والمسكوت عنها في كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، وانكشفنا عليها واستظهرناها أمام الشعور والوعي داخل المنظور الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيق الواقعي القائم، نستطيع في هذه الحال

التعرف الى حقيقة كينونة منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وحمولاتها المعرفية والوجودية لها.

الأدبيات التراثية والحديثية تقدم لنا عدة استراتيجيات استدلالية للقراءة والتفسير والتأويل للمعاني والمصطلحات والمضامين المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، وتقديراً وتحسيباً لقيم حمولاتها، من أهمها ما يلي:

**1 - الاستراتيجية القرائية التصاعدية:**

المقصود من الاستراتيجية التصاعدية هو التدرج السُلّمي من الخاص إلى العام، أي البدء في فهم وتفهيم وإفهام وانفهام المعرفة الإنسانية لماهية وحقيقة الأفكار والمفاهيم والمضامين والمعاني والمصطلحات والكلمات والنصوص والحروف، وذلك، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، بتتبع سلسلة متواليات النص من الحروف إلى الكلمة، ومن الكلمة إلى الجملة، ومن الجملة إلى الفقرة، ومن الفقرة إلى المقطع إلى التي تليها حتى يتسنى للمفسر أو المؤول عقلنة النص، والإمساك بدلالته والظفر بمغازيه.

هذه القراءة الاستراتيجية التصاعدية تمكننا أيضاً من الانتقال والسيرورة من قراءة المفاهيم والمعاني والمعارف المعلنة والمنطوقة الظاهراتية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب والثاوية والمسكوت عنها، وذلك من خلال كشف واستعلام واستنطاق ما هو معلوم إلى ما هو مجهول، أو ما هو ثاوٍ أو مضمر إلى ما هو مبين ومظهر وواضح، أو ما هو متحاقل ومحايل ومجاور وما هو مماس وقريب وبعيد عن مركز وبؤرة السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي الكبروي والكبّار والصغير والصغّار، ما يكشف للسائل والمجيب منظومة الشبكة العنكبوتية للعلائق التداخلية والتشابكية وتفاعلاتها مع تلك المفاهيم والمضامين، أو الكلمات والمصطلحات المتطابقة والمتفاعلة والمتداخلة والمتحاذية والمتباعدة والمتقاصية، بغية استنتاج طبقاتها الأركيولوجية التاريخانية المترسبة، وأعماقها الجينية التأصيلية، وجينيولوجيتها التأسيسية، وأيكيولوجيتها البيئية، وعلائقها البنِيوية والبنائية والدلالية

والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية الجوانية والبرانية، لكينونة السؤال والجواب وقيم حمولاتها المعرفية والوجودية والجمالية والفنية والأخلاقية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و.... ومن ثم ندخل في نسق من سلسلة متواليات علائقية أخرى مع عوالمها وأزمنتها وأمكنتها المتعالية الأخرى.

وهذه القراءة الاستراتيجية التصاعدية تمكننا من إجراء الحصر والاختزال الأنطولوجي لكينونة منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، من حيث إزالة التشتتات والتبعثرات والتنفرات والانتشارات والتشظيات الجانبية والهامشية والبعيدة أو الخارجة عن بؤرة تجاذبات السؤال التبئيرية والمركزية والمحورية، وإمحاء اختلافاتها وتمايزاتها وتغايراتها وتضاداتها وتقابلاتها وتطابقاتها وتناقضاتها ومزايلاتها السلبية والانحدارية والتناقضية المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية من جهة، وتحقيق تشابهاتها وتشاكلاتها وتضارعاتها وتضاهياتها وتماثلاتها وتجاوراتها وتناظراتها وتطابقاتها التعاضدية التوافقية التكاملية، التي تحقق تشميلتها وكلّيانتها ووضوحيتها وسببيتها وضرورتها وعلّيتها ويقينيتها وحتميتها ووحدتها في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها الأنطولوجية والأبستيمولوجية.

الأمر الذي سيؤول إليه في نهاية المطاف من انكشاف وتعيين وتحيين مراتب حقيقة وماهية المفاهيم والمضامين والمصطلحات والكلمات، ومعرفة قيم حمولاتها المعرفية والوجودية لكينونة منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب. ونعتقد أن هذه الاستراتيجية جدُّ صالحة ومفيدة من جانب، وجدُّ متساوقة ومتماهية مع السير الارتقائي التكاملي التدريجي لكينونة السؤال وكينونة الكائن البشري والمجتمعي الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي، من جانب آخر، وهي استراتيجية قرائية نقدية واعية وهادفة وطبيعية مدركة تمام الإدراك للعقل والذهن الواعي.

2 - **الاستراتيجية القرائية التنازلية:**

المقصود من الاستراتيجية القرائية التنازلية هو التدرج السلّمي من العام إلى الخاص، ومن الكلي إلى الجزئي لكينونة منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب. حيث إن معرفة البداية تمكننا من التعرف الى النهاية، واستحضارٌ واعٍ للعنوان يمكننا ويذكرنا بمكنونات كينوناته وعناصر مكوناته وحمولات أجزائه وقياساتِ أبعاده. وهذه الاستراتيجية مآسسة على مخزون الحقائق والمفاهيم والمعاني والكلمات القبلية والبعدية التشميلية الكلية والعامة الكمونة في أذهاننا وذاكرتنا، وذلك في صور أنساق أو قوالب أو أطر أو خطاطات أو إبدالات «**باراديمات**» أو نماذج أو مدوّنات ذهنية محكمة ومتسقة ومنسجمة.

وتمكننا هذه الاستراتيجية القرائية وعدساتها الرؤيوية الاستكشافية والاستبصارية والاسترجاعية التغذوية والاستشرافية المستقبلية وعدساتها التفكيكية والتركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية المركبة على مناظيرها التلومايسكتروسكوبية والمتموضعة في أعلى قمة برج بابل، من قراءة مكونات المجرى السفلي من البرج بكل تفاصيلها ودقائقها وعلائقها وتفاعلاتها، من خلال بؤرة العدسة الناظرية والكاشفية والواصفية والشارحية والتقويمية والتقييمية والقوّامية والتفسيرية والتأويلية والاحاطية والاستدارية، للعلاقات البنِّيوية والبنائية الواضحة والمعلنة والعلاقات الثاوية والمسكوت عنها والعلاقات الاحالية والترابطية والتساوقية والتناغمية والتماهية، بين الأجزاء والكل، والأطراف والمركز، والهوامش والحواشي، والنسبانية والمطلقة، والمتغيرة والثابتة، والظاهراتية والباطنية، والسكونية والديمومية، والخاملة والدينامية، والمادية والمعنوية، والدنِّيوية والديِّنوية، والبرزخية والجبروتية والعقلية، و...إلخ.

وهي بمثابة إوَاليات وآليات وآلات واستراتيجيات تساهم في إزالة التشتتات والتشظيات وإمحاء الاختلافات والتضادات والتناقضات، وتحقق التمركز والتمحور

والتبؤر، وتكشف التشابهات والتشاكلات والتماثلات والتطابقات التعاضدية والتوافقية والتكاملية، وتحقق التشميلية والكلية والسببية والحتمية والوحدة لحمولات كينونة السؤال ومن ثم الجواب، المتماهية والمتساوقة مع فلسفة وحقيقة السؤال والجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي الكبّار مع كينونات منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الصغيرة والصغّارة أو الجزئية، التي عادة ما تكون هي السبب في التشتت والتشظي والابتعاد عن المركز والبؤرة الاستجذابية التي وظيفتها الإمساك بتلابيب السؤال وحفظ وصيانة وتقويم زوايا مِمّيلته وإحداثيات منّقلته وأوزان مَكّيلته وقياسات مسطرته واتجاهات بوصلته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ.

3 - **الاستراتيجية التقييسية:**

تفيدنا هذه الاستراتيجية في حال كون الاستراتيجية القرائية التصاعدية مكلفة من حيث استغراقها لوقت طويل وجهد عظيم، سواء في تعيين وتحديد وتحيين قيمتها المفاهيمية وحقيقتها التراتبية أو في تقدير قيم حمولاتها المعرفية والوجودية والجمالية والفنية والأخلاقية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ الأمر الذي يستلزم التوسل باستراتيجية قرائية متساوقة أو مستوفاة لأغراض التوصل إلى الحقائق وحمولات قيمها المعرفية والوجودية.

وبالتأكيد لا يمكن هنا التوسل والاعتماد على الاستراتيجية القرائية التنازلية كبَديل تام وكامل لكون عدم استجماع كافة عناصرها واكتمال خطاطتها أو نموذجها أو نسقها العام والكلي، الحال التي تدعونا إلى الاستعانة والتوسل بالاستراتيجية القرائية التقييسية

التي توظف ما هو معلوم لفهم ما هو مجهول أو ما هو مكشوف ومعلن لما هو مضمر ومسكوت عنه، أو ما هو مضمر ومستتر وما هو ثاوٍ وكامن ومخفي، واستثمار اقتصادي رشيد للخبرات التراكمية السابقة من خلال تنقيب وتشريح وحفر حفريات كينونات منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الأركيولوجية والجينيولوجية والأيكيولوجية للمضامين والمفاهيم والمعارف المعرفية والوجودية الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتباعية المستجدة والقائمة بغية فهم كنه حقيقتها وتقدير قيم حمولاتها المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية.

وعليه، فان الاستراتيجية القرائية التقييسية تمكن المؤول أن يقيس ما لم يعلم تأويله على ما علمه الأمر الذي يمكنه من التوصل إلى مرتبة من مراتب حقائق المفاهيم والمعاني والأفكار، الثاوية في كينونات منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب بأقصر مجهود وأقل تكلفة وأعظم فائدة ومنفعة، ولكن السبيل ليس سوياً، بله، محفوف بالمخاطر والانزلاق والتشتت والتشظي والاختلاف والتضاد والتناقض، وخاصة في حال عدم التيقن أو الاطمئنان أو ضبابية الصورة التشميلية والكلّيانية والضرورة والوضوحية واليقينية والحتمية والعلّية والسببية المشتركة بين المعلوم والمجهول المراد استكشافه.

حيث إن جوهر القياس كما هو معروف في علم الأصول والمنطق هو درجات القرب والبعد من منظومة التوازيات التالية: المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة والمطابقة التوفيقية والتعاضدية والتكاملية لها، مع الحمولات المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتباعية لمجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية، داخل المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم في المجرى الأنطولوجي الوجودي للعالم والكون أو الوجود.

هذا الأمر إذا ما تحقق، يجعل عملية إتمام وإكمال العقد والربط بين المعروف واللامعروف، والمعلوم والمجهول، والمنطوق والمسكوت عنه، والمكشوف والمستتر، والظاهر والباطن، وبين الأجزاء والكل، والأطراف والمركز، والهوامش والحواشي، والبؤرة والمتن، وبين البداية والنهاية، والمصدر والهدف، والمتشابه والمحكم، والدنْيوي والديْنوي، والمُلْكي والملكوتي، والبرزخي والجبروتي، و...إلخ، ما يجعل مهام ووظيفة الاستراتيجية القرائية التقييسية سهلة وميسرة في حال استخدامها في البحث عن بنيَة كينونات وحمولات منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وبناءاتها التركيبية والتراكبية والتكوينية، وأنماط دلالاتها واستدلالاتها، وأشكال تداولاتها وتواصلاتها، وتعدد وظائفها وغاياتها وقصودها ونيّاتها الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتباعية لتلك الحمولات المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية، وعلائقها النسقية والنظْمية والبنْيوية والبنائية والوظيفية المتمركزة والمتبأورة في مركزها المركزي وبؤرتها التبئيرية أو تلك المتحاقلة لها.

أما الحمولات المتجاورة أو المماسة والقريبة أو المتباعدة والمتقاصية لها، فإنّ الوضع يصبح أكثر صعوبة وتعقيدا، الأمر الذي يستلزم البحث عن مخرج منطقي ومفاهيمي، من خلال استثمار وتوظيف اقتصادي معرفي لمفهوم أصالة الوجود واعتبارية الماهية، ومفهوم وحدة الوجود، ومفهوم الوحدة التشكيكية، والوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة، ومفهوم السُلّمية الراتوبية لقيم المفاهيم والمعاني والمعارف والحقائق، ومفهوم الاستخلاف الإنساني والخاتمية المحمدية ﷺ الرسالية الكونية الخالدة والانتظارية المهدوية عجل الله فرجه الموعودة والاتباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة المختومة شرعاً والواجبة عقلاً وفطرةً وأخلاقياً ووجودياً وعرفانياً وتجريبياً واقعياً وقانونياً، الممهدة للولاية العصموية المنتظرة، وذلك كنموذج وباراديم «**إبدال**» معرفي وجودي قيمي وجمالي، أو كخطاطة عنكبوتية البنيَة والبناء والنسق والنظام والوظيفة والغاية والعلائق الحلزونية والهرمية والشجرية التشميلية والكليّانية والسببية التي تستوعب في كينونتها

كافة الكينونات الصغيرة والفرعية والتشتتية والاختلافية والتكوثرية في وحدة واحدة متكاملة وفي نسق تراتبي تكاملي وتوحدي.

4 - **الاستراتيجية القرائية الاستكشافية:**

وهي استراتيجية أبستيمولوجية معرفية وأنطولوجية وجودية ترتكز على التوسل بمؤشرات ومعلمات معرفية أو وجودية لكينونة السؤال تساهم في انبناء فهوم ومفاهيم معينة. فبعد انقيادها وخضوعها لسلسلة متواليات من التجربة والخطأ في سياق مرجعيات ومِمّيلات ومَكْيلات ومنْقلات ومسطرات وبوصلات استخلافية وخاتمية وانتظاريه واتّباعية، ناظرة وكاشفة وواصفة وقيّومة وشارحة ومقوِّمة لحمولاتها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و... إلى حين التوصل للمنشود والظفر بالمبتغى.

فإذا توصلنا إلى المراد والمبتغى تنتهي سلسلة حلقات متوالياتها التجريبية، وإذا لم نحقق المبتغى فنعيد أو نستكمل حلقات سلسلة متوالياتها التجريبية إلى حين التوصل إلى حقيقة وماهية كينونة المفاهيم والمضامين المعرفية والوجودية في كينونات منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، من خلال جمع قيم تراكماتها الاحتمالية للحقائق الجزئية والفرعية أو ما يعتقد ظناً احتمالياً قوياً أنها هي المعني والمضمون الحقيقي والواقعي لها ولقيم حمولاتها من المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية والفنّية.

هذه هي الاستراتيجيات القرائية والاستكشافية والتحليلية والنقدية الاستدلالية الأربع، التي بموجبها تُمكننا من استكشاف والتعرف الى حقيقة الأشياء والمفاهيم والمضامين المعرفية والوجودية المنطوقة، من قبل كينونات منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب أو المسكوت عنها، والمكشوفة أو المضمرة، والقريبة والبعيدة.

وهناك استراتيجيتان أُخريان تتموضعان كطرفين متقابلين للاستراتيجيات القرائية والاستكشافية والتحليلية والنقدية، وهما: الاستراتيجية الاستدوانية والاستراتيجية الاستئطارية[1]، بمَكِّنتنا توظيفهما واستثمارهما وفق قواعد ونظريات الاقتصاد المعرفي الذي يعظم مخرجات ومنتجات كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتباعية، بأقل معلومات ومعروفات، أي معطيات، بأقل جهود وأقل تكلفة وأقل وقت إذا ما أُحسن توظيف وتطبيق معادلاته الإنتاجية المعرفية.

إذاً بجانب الاستراتيجيات القرائية الأربع السابقة، وإضافة الاستراتيجيتين التاليتين، يصبح لدينا سُلّمية تدرجية وتراتبية متكاملة لاستكشاف واستبصار واستشراف أو لتكوين وتأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، وهما: الاستراتيجية الاستدوانية والاستراتيجية الاستئطارية. وفيما يلي توضيح مختصر وموجز لهما.

**5 - الاستراتيجية الاستدوانية:**

المقصود هو أن المعنى الأولي النووي يستلزم معاني متفرعة عنه تسير وفقا له ولا تتناقض معه. وبهذا المعنى تتضمن هذه الاستراتيجية القرائية والتحليلية والاستبصارية والاستشرافية والاسترجاعية التغذوية لكينونات منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، كلاً من الاستراتيجية التصاعدية والاستراتيجية الاستكشافية. فهذه الاستراتيجية التي يمكن تسميتها أيضا بالاستراتيجية القرائية الاستلزامية والتي يقصد منها أن فهم وتفهيم وانفهام وإفهام أو تعليم وتعلّم ومدارسة، أو تداول وتواصل وتبليغ مبين لحمولات نص كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الأنطولوجية المعرفية والأبستيمولوجية المعرفية والأكسيولوجية القيمية الأخلاقية والاستطيقية الجمالية الفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية

(1) محمد مفتاح، المفاهيم معالم – نحو تأويلي واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 1999، ص 34.

والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و... الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتباعية للمجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم في العالم والوجود، يستوجب فهم جمله، وفهم مفهومه أو مصطلحه هذا يستلزم فهم كينوناته المتحاقلة والمتماسة والقريبة والبعيدة.

وفهم الجملة يتطلب فهم كلمات السؤال، وفهم كينونات مفاهيمها ومصطلحاتها وحقائقها، ويستلزم فهم كينوناتها المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية الجزئية والفرعية والكلية، والنسبانية والمطلقة، والظاهرية والباطنية، والمتغيرة والثابتة، والمتشابهة والمحكمة، والخاصة والعامة، و... في المنظومة التراتبية التناظرية في الشبكة العنكبوتية بعلائقها التناظرية والهرمية والشجرية والحلزونية، بحثاً وتحقيقاً عن سياقاتها المطابقة أو المناظرة أو المحاذاة أو المماثلة أو المضاهاة أو المضارعة أو المشاكلة أو المشابهة لها، الأمر الذي سيؤول في نهاية المطاف إلى الانكشاف على مراتب حقيقتها ومعرفة قيم حمولاتها المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنيّة.

6 - **الاستراتيجية القرائية والتحليلية الاستئطارية:**

هي استراتيجية تحتوي على الاستراتيجيات الاستقياسية والاستراتيجيات التنازلية، فإنهما يشتركان في الاستراتيجية الاستنباطية. حيث تشرع مركبتها التحليلية والاستدلالية من المعروف لفهم وتفهيم وانفهام وإفهام اللامعروف، أي توظيف ما يعرف لإدراك ما يجهل، وتردّ المجهول إلى المعلوم، والتوسل بالظاهر لاستكشاف الباطن، ومن التمسك بالمعلن والمكشوف والسافر لإسدال الستار عن المضمر والمستتر والمسكوت عنه، و... إلخ.

تلك استراتيجيات قرائية وتفسيرية وتأويلية للنصوص والكلمات والمصطلحات والمفاهيم العلمية والعقلية والعرفانية والوحَيانية المسددة والمؤيدة المعرفية

والوجودية والقيمية والجمالية، التي تمكننا من السير والمسير والسيرورة في مجرى الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتباعية، الممثل لمجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية داخل المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيق الواقعي القائم، ذلك بغض النظر عن تباين إوَالياتها وآلياتها الاستدلالية الاستقرائية والاستنباطية والفرضية والاستكشافية، إلا أن هناك قاسماً مشتركا بيِّناً وواضحاً بينها، وهو التوسل والارتكاز على المعروف والمعلوم، والواضح والمكشوف والمعلن عنها سبيلاً لمعرفة المجهول، وطريقاً لاستكشاف المضمر، ووسيلة لاستعلام المستتر، وهدياً لاستنطاق المسكوت عنه.

انطلاقاً من الرؤية الكونية القرآنية الفلسفية والعرفانية، والرؤية الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتباعية، ورؤية وحدة الوجود والوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة، وذلك للحمولات السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و... لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، المتموضعة في شكل عنكبوتية وشجرية وهرمية وحلزونية بالنسبة لعلائقها المتداخلة والمتفاعلة والمتبادلة، وكذلك لبنّياتها وبناءاتها التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية. ما يوكد لنا أنّ حمولات نصوص السؤال المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية متعالقة ومتفاعلة يعضد بعضها البعض، ويشيد بعضها على بعض، ويستنطق ويستدل بعضها من البعض، ويفسر بعضها البعض، وذلك وفقا لدرجات التناص من التطابق والتفاعل والتداخل والتحاذي والتباعد والتقاصي.

تمكننا هذه الاستراتيجيات القرائية والتحليلية والاستكشافية والاستشرافية والتفسيرية الست السابقة، من توليد وصياغة السؤال التأصيلي والتأسيسي والتأثيلي الكوني والحضاري والتاريخي والاجتماعي الكبروي والكبّار في سياق السؤال الاستخلافي

والخاتمي والانتظاري والاتباعي، فضلاً عن قدرته في توليد وإنتاج وابتكار ومأسسة وصياغة أسئلة صغيرة وصغّارة تابعة له، وهو سؤال تستجمع وتستغرق في بنْيَته العميقة وبؤرته التبئيرية المركزية الأسئلة الكبيرة والكبّارة والصغيرة والصغّارة لكينونة الفرد في صورة تناغمية وتساوقية مع السؤال الكوني والتاريخي والاجتماعي، حيث له من الحس الواضح الذي يسعفه على الوقوف عند دقائق المعاني وخفايا الخصائص للمسائل المدروسة من خصوصيات، وما في الظواهر المعروضة والموصوفة من تطورات وتباينات، وعلى إدراك وفهم وتفهيم وانفهام وإفهام حمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنية، أي تفقه كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب لحمولات المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم، وعلى حمولات مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي في العالم أو الكون أو الوجود.

فإذا بنا إزاء السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب يرصد الحراك في كل شيء وفي كل المستويات والأبعاد والاستطالات والأغوار، ويرفض التعامل مع السؤال الجاهز والمستورد والعابر والساذج والبسيط والعبثي والفجائي والسوقي والفرجوي والمسرحي الهزلي من دون إعمال الحس التجرباني والتجريبي العلماني، والانتطاق المنطقي العقلاني، والاتصاف الصوفي أو الاجتهاد والمجاهدة العرفانية القلبية المتعقّلنة والمتشرّعنة، والانفتاح على الوحي الغيبي المسدد والمؤيد، ويرفض السؤال الاستنساخي الكربوني ويرفض السؤال الاستمساخي والاستفساخي الاستحلالي المنحل والمتحول من حلته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية الأصيلة والأثيلة إلى حمولات حيوانية بهيمية وشيطانية موهومة.

هذه الممانعة والرفض والوعي بحقيقة السؤال الاستنساخي والاستمساخي والاستفساخي تتشكل من خلال الارتقاء والصعود إلى قمة برج بابل، للاستماع إلى كل الأصوات، والنظر إلى كل الصور، والكشف عن كل الأبعاد والاستطالات والأعماق

والامتدادات، ولا يقنع بعرض الأمور في شكل منمط ومستقر أو مبسط ومهمش، وإنما يعرض الحمولات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية في كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب في صورتها المتحركة الديمومية والنامية الدينامية المتطورة. تلك الصورة التي تكشف عن حقيقة وجودها وترسم خط سيرورتها وترصد طبيعة مآلها وصيرورتها في المجرى الأنطولوجي الوجودي في الكون والوجود. وهذا الأمر لا يتحقق إلا من خلال فهم وتفهيم وإفهام وانفهام وتعليم وتعلّم لغة وقراءة سيرورة وصيرورة فعل وعمل وجهد الجهاد والمجاهدة، وجهاد الجهاد ومجاهدة المجاهدة، أي العمل على الجهاد للجهاد «**الإخلاص**» والجهاد في الجهاد «**الإرادة الحرة**» «**العبودية والعبودة لله فقط**» ومحبة الجهاد «**محبة الله فقط**» والصبر على الجهاد «**الصبر لله وعلى الله**» من خلال تحمل المشاق وتقبل الكُلفة واقتحام العقبة، التي تقتضي الإيمان المطلق بالله عزّ وجلّ وكتبه ورسله وبالغيب أولاً، وتزكية النفس البشرية وخلوها من الأمراض النفسية من الكفر والحسد والنفاق والطمع والكبر آخراً.

### 10.4.2 استراتيجيات النموذج الكينوني للسؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب في الإحالة والربط:

تعمل استراتيجيات النموذج المعرفي والوجودي التشميلي التراتبي التكاملي التوحيدي لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب في اتجاهين أو مسارين معاً وفي آن واحد، أحدهما مسار أفقي والآخر عمودي. الأفقي هو القضية المنهاجية الناظمة والشارحة والكاشفة والواصفة والمبيّنة والمحيطة والمستديرة والمفسرة والمؤولة، والعمودي هو الحفر والتشريح والتنقير في اللحظات الأفقية لاستخراج بنْياتها التي تُستعمل كأعمدة يمر فوقها الجسر أو الأطروحة النظرية. والسير في هذين المسارين يتطلب نوعاً من التوازن والتعادل الديمومي والدينامي العام في حمولات كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الكبروي والكبّار، فضلاً عن توابعها من الأسئلة الصغروية والصغّارة التي تحوم وتتساوق

وتتماهى مع السؤال الكبروي والكبّار، بحيث إن الانشغال في الحفر الجينيالوجي لتعميق جذور وجذوع السواري وتدعيم بنّياتها عمودياً، لا يغفل المنشغل في توليد وابتكار ومأسسة وصياغة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب عن مد سطح الجسر نفسه.

والجدير بالذكر أن هذه الأعمدة والصواري تبدو متفاوتة الثخانة والهيئة، ومتساوقة وموازية ومتماهية مع طبيعة بيئتها المقامة فيها، من حيث كونها سهلية طينية ما يسهل عمل الحفر الجينيالوجي والتنقير الأركيولوجي والتشريح الأيكيولوجي، أو إنها جبلية صخرية صلبة مستعصية، ما يصعب عمل المعول في الحفر والتنقير والتشريح والبحث في الأعماق. فمقتضيات الحفر والتنقير والتشريح الجينيالوجي والأركيولوجي والأيكيولوجي، ومقتضيات أدواته وأساليبه ووسائله وآلياته واستراتيجياته الدلالية والاستدلالية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية، تتباين وتتمايز من حقل ومجال إلى حقل ومجال معرفي ووجودي آخر، وإنّ كانت لموضوعاته وثيماته استطالات وامتدادات وتقاطعات وتداخلات، تتطلب مد الجسور والروابط بين النقاط المختلفة على الجسور ومواطن الاتصال فيما بين المسافات الفارغة، من خلال امتلاء فراغاتها باستطالة وامتداد منظوماتها المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية والفنيّة المناسبة. وعلينا البحث الدائم والأبدي عن الناظم والشارح والواصف والكاشف والمبيّن والمفسر والمؤول والمحيط والمستدير والقائم والقيوم والمقوِّم الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي والأكسيولوجي القيمي والأخلاقي والاستطيقي الجمالي والفني في أبعاده وأكنافه وأعماقه ومستطيلاته وامتداداته وأغواره العلمية والفلسفية والعرفانية والغيبية الميتافيزيقية في صورة مزاوجة ومصاحبة ومصاهرة ومقاربة بينها.

والثيمة أو الموضوع التساوقي والتنظيمي والتناغمي والتماهي الذي طرحناه مراراً وتكراراً، تحليلاً وشرحاً في مواضع متعددة ومختلفة في هذا الكتاب، تتعلق بالعلائق البنيوية والوظيفية والغائية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية الثنائية داخل

منظومة المفاهيم والأفكار وسُلّميتها الراتوبية التدريجية، هي علاقة تساوقية وإحالية وتوافقية واستجماعية واستغراقية منها على سبيل المثال: علاقة المتغير بالثابت، والنسبي بالمطلق، والجزء بالكل، والشاهد بالغيب، والظاهر بالضامر، والفردانية بالمجتمعية، والإنسانية بالكونية، والإنسان بالكون، والظاهر بالباطن، والسطح بالعمق، والواقع بالنص، والمحيط والهامش بالمركز، والثمر بالنواة، والفرع بالأصل، والخاص بالعام، والكثرة بالوحدة، والمتشابه بالمحكم، والعمل بالإيمان، والتطبيق بالتنظير، والواقع بالمثال، واللاشعور بالشعور، والفرد بالغير، والعرض بالطول، والفعل بالقوة، والإمكان بالتحقق، والانقطاع بالاتصال، وغير المباشر بالمباشر، والمثالي بالواقعي، والقوة بالفعل، والماضي بالحاضر، والحاضر بالمستقبل، والتراث بالمعاصرة، والدنْيوي بالديْنوي، والبرزخي بالجبروتي، والاعتبار بالإشارة، والقول بالفعل، والبعيد بالقريب، والمتجاور بالمتحاقل، والتخارج بالتساكن، والفوق بالتحت، والمنطوق بالمسكوت عنه، والمفكر فيه باللامفكر فيه، و... ذلك للحمولات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ للمجرى الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، أي مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي للعالم أو الكون أو الوجود.

وهي تعالقية وتكاملية وتراتبية ودينامية وديمومية متفاعلة منفعلة، وهي علاقة منسجمة ومتساوقة ومتماهية. فهي علاقة شبيهة لعلاقة النهر المعرفي والوجودي بمياه المعرفية المتغيرة. أي علاقة المجرى النهري الثابت الذي لا يتغير، في حين أنّ مياهه متدفقة جارية بشكل ديمومي ودينامي دائم ومستمر. فهي تتجدد من غير أن تحيد عن ثوابتها ومحكماتها ومطلقاتها ووحدتها التي لا يمكن أن تقوم بدونها. ولذلك بحثنا لن

يكتفي برصد المتغيرات والمتشابهات والظواهر والتكوثرات الظاهرة في كينونة السؤال وسؤال السؤال ومساءلة مشكلاته وإشكالاته؛ أي المتغيرات الظاهرة النسبية، بله، الحفر والتنقير والتشريح الأبستيمولوجي «**المعرفي**» والأنطولوجي «**الوجودي**» والأكسيولوجي «**الأخلاقي والقيمي**» والسسيولوجي «**الاجتمعرفي**» والسيكولوجي «**النفسمعرفي**» والتيولوجي «**الغائي**» لكشف ثوابتها ومحكماتها ومطلقاتها وكلياتها وغيبياتها ووحدتها....

ولكن من دون أن نطرح سؤالاً جوهرياً أساسياً محورياً، من أين نبدأ من الجزء أولاً ثم الكل، أو من المتغير ثم الثابت، أو من النسبي ثم نلحق به المطلق أم العكس؟ وهل هناك استراتيجية أخرى بجانب هاتين الاستراتيجيتين التقليديتن «**الاستقراء والاستنباط**»، أم هناك استراتيجية يمكن الجمع بينهما ، بغض النظر عن التقادم والتأخر أو التقدم والبدء الكرونولوجي الزماني؟ وما الجدوى والأهمية الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» العملية والنظرية في البدء من الجزء والتفتح على الكل دائرة بعد دائرة حسب مقتضيات الموضوع؟ وما الجدوى والأهمية الجينيالوجية والأركيولوجية والأيكيولوجية من البدء في تصور شمولي كلي وضروري وسببي وعلّي ويقيني وحتمي ووحدة متكوثرة في عين وحدتها وتكوثراتها، ثم إسقاطها على خرائط كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وخطاطاتها التفصيلية والجزئية المتشظية والمتنافرة والمتباعدة والمتشتتة، بغية استجماعها واستهلاكها واستغراقها وتبئيرها في الكل والوحدة التوحيدية ، وما الخانات التي ستملأها الخطاطة العامة الكلية؟

هناك من يؤكد على الأهمية الجدوائية والمنفعية الأبستيمولوجية المعرفية في البدء بالانتطاق المنطقي والعمل التجريبي والتعقيلي من أخص خصوصيات ثيمات وموضوعات كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، أي قبل الانفتاح على مجالات ومحاقلات التقاطع والتشارك والتلاقي فيما بينها. لأن المسألة لا تتعلق بوجود مبادئ وبنِّيات تخترق مجالات الوجود والنشاط في هذا الكون الضيق على شساعته، سواء نُظر إليها من زاوية سكونية «**التشابه والتساكن والوحدة**» أو نُظر إليها من زاوية

ديالكتكية «**قوامها الاختلاف والتصادم وتوليد المركبات والأضداد...إلخ**»، بله، يكمن المشكل، من جهة، في الخصوصية الفاعلة في هذا المجال من النشاط غير الفاعلة في ذاك، أو الفاعلة فيه بقيود غير القيود، ويكمن من جهة أخرى في ربط التشميلي بالعابر.

## 10.5 الشروط المنهاجية والمعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية لقراءة كينونة السؤال:

كما أنَّ هناك شروطاً ومحددات ودوالَّ لعملية بناء السؤال وتأسيس وتأصيل وتأثيل وحفظ وحضور كينونة السؤال، كذلك هناك شروط ومحددات منهجية ومنهاجية معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية لقراءة كينونة السؤال وقراءة قراءة كينونة السؤال، أي القراءة الناظرة والفاحصة والواصفة والشارحة والقائمة والقيّومة والمقوِّمة للقراءة ذاتها، وفيما يلي تبيان لبعض هذه الشروط والمحددات لقراءة السؤال، سواء من السائل نفسه «**الأنا**» لسؤاله، أو من قبل المستمع والمجيب «**الغير**»:

**أولاً:** حضور البارادايم «**الإبدال**» أو النموذج أو المنهاجية التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية لكينونة الذات الإنسانية، ولكينونة المنظومة الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية، ولكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، بعدساتها الرؤيوية الاستكشافية والاستبصارية والاستحضارية التغذوية والاستشرافية والتفكيكية والتراكبية والتركيبية والتكوينية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية و... بأبعادها وأعماقها وآفاقها واستطالاتها وعوالمها الممكنة ومستوياتها وحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ للمجرى الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، أي مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجوال، في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم داخل

المجرى الأنطولوجي الوجودي للعالم أو الكون أو الوجود.

**ثانياً:** حضور أوّليات وإوَاليات وآليات وآلات وأدوات ووسائل واستراتيجيات قراءة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب في ذهن السائل والمستمع والمجيب.

**ثالثاً:** حضور غاية وقصدية ونيّة القراءة ونيّة نيّة القراءة، أي ميتا النيّة أو ما بعد النيّة أو النيّة الناظرة والحاضرة والشارحة والواصفة والقائمة والقيّومة والمقوِّمة لأنطولوجية النيّة الوجودية ومنطوقها الأبستيمولوجي بقيمها الأخلاقية وصورها البنْيَوية والبنائية الجمالية والفنيّة، فضلاً عن ذلك حضور الغرض الآني والهدف التوسطي القريب والغاية القصوى لكينونة السؤال.

**رابعاً:** هذا الحضور الثلاثي الأضلاع لثالوث مثلث القراءة لكينونة السؤال يجعل الكائن البشري، سواء كان السائل ذاته أو المستمع البراني أو المجيب والمتلقي للسؤال، مؤهلاً بكفاءات وكفايات عملية الخوض والتجوال داخل منظومة الشبكة العنكبوتية لكينونة السؤال والتسوح والتمسرح داخل غرفها وخلاياها المتراكبة القريبة والبعيدة لبؤرتها ومركزها، هي سياحة لالتقاط صور فوتوغرافية معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية لهيكلها وبناءاتها التركيبية والتراكبية والتكوينية، وذلك بغية تمكين السائح المعرفي من بناء صورة بانورامية «Panoramic»[(1)] تشميلية كلية أولية بخاناتها الممتلئة والفارغة، والقريبة والبعيدة عن المركز والبؤرة، وبغرفها وشققها وأجنحتها وطوابقها المختلفة. وبتعبير آخر استحضار نظرة تشميلية كلية نظامية إلى المكونات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و... إلخ

(1) – البانوراما «Panorama» عبارة عن سلسلة متواصلة من الصور مرتبة في داخل أسطوانة بحيث يراها المرء من نقطة مركزية. أي هو منظر شامل كامل في كل اتجاه.

للمجرى الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، أي مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجوال، في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي لعالم السؤال.

**خامساً**: بعد المراحل والخطوات الإجرائية الأولية والكلية السابقة، يتم تعيير مَكْيلة القراءة لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، وتحديد بوصلتها، وتعيين زوايا مِمْيلتها، وتشخيص إحداثيات منْقلتها، وتسطير استطالات مسطرتها، المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ، ومن ثم إجراء قراءة كينونة السؤال في ضوء وعلى النحو التالي:

- قراءة بعقلية منفتحة، غير منغلقة، وبقلب منفتح غير متعصب، وبصدر واسع للاطلاع على كل المكونات والعناصر المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية الثاوية في بنْيَة كينونة السؤال وغاياته وأهدافه ومنطقه وأدواته وأساليبه وآلياته واستراتيجياته، التي في ضوئها أنتج الكائن البشري سؤاله هذا؛ أي التعرف الى فقه فلسفة وعلْمنة وعقْلنة وعرْفنة ووحْيَنة كينونة السؤال.
- معيار قبول ورفض السؤال، أو الإقرار بصحته وفساده، أو فائدته وضرره، هو معيار ما يحقق السؤال من معرفة مسؤولة تحمل قيماً إنسانية كونية تشميلية تؤدي إلى الالتزام بالعمل الصالح والإحسان، وفتح باب الخيرية الدنْيوية والديْنوية له، وبقدر ما يحقق له تكامله الفردي والمجتمعي، وبقدر ما يقربه إلى مثله الأعلى والكمال والجمال المطلق جلَّ وعلا.
- الاعتقاد بأن كينونة السؤال هي الوجه المرآوي لكينونة الكائن البشري، وهي الصورة البرانية للحقيقة الكينونية الجوانية له، وحال كينونة السؤال هي حال

محايثة لصيرورة كينونة الكائن البشري التي تولِّد وتبتكر وتنتج وتُمأسس وتصوغ السؤال، لكي يقوم السؤال بدور البناء الذاتي لكينونة الكائن البشري القائم بتوليد وإنتاج سلسلة أو منظومة أسئلته، بناءً على جواب السؤال السابق وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، لتتحمل المسؤولية والمشاق وتقبل الكلفة وتقبل حمولات ومسؤوليات اقتحام العقبة حين البحث عن الحقائق الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية والسسيولوجية والسيكولوجية، التي تزود كينونة الإنسان بطاقات وإمكانات وقدرات تُعينه وتُحينه في صيرورته نحو الكمال والجمال المطلق، وهكذا دواليك. إذاً كينونة السؤال حالها حال كينونة الكائن البشري تخضع لقوانين وسنن وأحكام صيرورة التطور والنمو والتنمية والتكامل، وحضور هذه الحقيقة يُعيننا على قراءة نقدية صحيحة متعالية لكينونة السؤال.

- ضرورة حضور الشخص السائل وكينونته الذاتية في غاية الأهمية هنا، حيث إنَّ السؤال والكلام يعبر عن شخصية المرء وهويته وحقيقته الوجودية والمعرفية، والحديث يعبر عن حجم معارفه وعلومه وثقته بنفسه وبرسالة سؤاله. لذا السؤال الصادر عن الله سبحانه وتعالى أو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمة الأطهار المعصومين عليهم السلام أو الفقيه الولي التقوائي العام، أو الفقهاء بشكل عام، أو العلماء أو العرفاء أو الفلاسفة، يتماهى ويتساوق ويتناغم مع كينوناتهم الأنطولوجية الوجودية والأبستيمولوجية المعرفية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والجلالية والفنّية و... والى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله «**تكلموا (تساءلوا) تعرفوا، فان المرء مخبوء تحت لسانه (سؤاله) فكيف يريد من لا يقدر على طرح السؤال أو التلفظ بالكلام الصحيح والتعبير السليم إيصال رسالته بشكل صحيح وسليم إلى كينونته الذاتية أولاً، وإلى الكينونات الغيرية والطبيعية والملكوتية المتلقية وهو لا يعرف أو لا يُحسن**

**قراءة السؤال كما ينبغي قراءته؟.[1] قد شدد القرآن الكريم على هذا الأمر بقوله عز وجل﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ كما أكد النبي الأعظم ﷺ على ذات المعنى بقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»،** أما أمير المؤمنين علي عليه السلام فيقول: **«أيها الناس، اتقوا الله الذي أن قلتم سمع، وان أضمرتم علم».**

## 10.6 اقتصاديات معرفة كينونة السؤال: هل يحق لأي كائن من كان أن يسأل ما يشاء؟

ما زالت وستظل المعرفة والحكمة سيدة الموقف والقرار والحكم وأساس السؤال الصحيح والقويم ومبدأ كل نشاط فكري واقتصادي واجتماعي، وأصبح اليوم من كثرة وتعدد وتنوع وأهمية وسرعة البيانات والمعلومات، تحتاج المعرفة إلى إدارة ونموذج واقتصاد، وهي مصطلحات ظهرت في الآونة الأخيرة مع التطورات السريعة لنظم المعلومات ووسائل الاتصال والتحليل.

الحمولات الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية القيمية**» والاستطيقية والسوسيولوجية «**اجتمعرفية**» والسيكولوجية «**النفسمعرفية**» المتعددة والمتنوعة والمتشتتة والمتبعثرة والمتسارعة لا مثيل لها من المعلومات والبيانات والمعارف من حيث التراكم والنمو والاستطالة والتوسع، تتجاوز معدلات تعدد وسرعة سلسلة متوالياتها الهندسية، التي تحملها كينونة السؤال وتثوي

(1) – إن كثرة الكلام والسؤال المرسل تشكل بؤرة توتر وحيرة ودهشة سلبية وتُكثر من احتمالات الخطأ، ولذلك ينبغي للعاقل أن لا يثرثر في طرح الأسئلة المرسلة من دون إدراك ووعي، وأن يزن سؤاله بميزان الذهب، وذلك قبل أن يدلي به، وأن يتأكد من المعلومة قبل أن يفشيها إذا ما أراد أن يستجلب ذهب المعرفة. ولقد قال الإمام علي عليه السلام: «من كثر كلامه (سؤاله) كثر خطأه، ومن كثر خطأه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار». ما أعظمها من معادلة تبدأ بالثرثرة وطرح الأسئلة المرسلة واللامسؤولة واللاجدوى واللامعنى واللاغاية واللاخيرية واللافائدة منها وتنتهي بصاحبها الى النار، آفلا ينبغي للمرء العاقل أن يعير الانتباه والحذر والحيطة من منظومة أسئلته المرسلة، لكي لا نقع في شباك مكر وحيل وخداع السؤال والجواب الذي قد يقودنا إلى الجهل والمهلكة والدرك الأسفل من النار؟ ألا يستحق الالتفات إلى القول المأثور (لسانك حصانك، إن صنته صانك، وإن هنته هانك) أو قول الإمام علي عليه السلام: «اللسان سبع، أذا خلي عنه عقر»، وقوله: «قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه».

في عمق بنْيَتها الجوانية، ما يدعو إلى ضرورة تنظيمها وإدارتها وتفهم اقتصادياتها، وخاصة بعدما أصبحت المعرفة تُعد اليوم كسلعة ومنتج ينتج ويسوّق ويباع بثمن رخيص جداً من حيث المادة، وغالٍ جداً من حيث التأثير السلبي على كينونة السؤال وكينونة الكائن البشري إذا لم يدرك حقيقة المعرفة المنتجة وحقيقة معرفة المعرفة «Knowledge of Knowledge» أو «**ميتا معرفة**» وكيفية إدارتها ونمذجتها اقتصادياً وفق قوانين وسنن وأحكام ونظريات ومفاهيم اقتصاديات معرفة السؤال، فضلاً عن تقييمها وتقويمها بشكل ديمومي دائم ودينامي مستمر، ومحاكمتها ومحاكاتها الاسترجاعية التغذوية الدائمة لمصادرها ومنابعها وقيمها وقدرتها الاستدلالية والدلالية والاستنتاجية والتحليلية والتواصلية والتداولية لها.

### 10.6.1 وبِمَكْنتنا تعريف اقتصاديات معرفة كينونة السؤال على النحو التالي:

عبارة عن إطار أو نموذج معرفي وظيفته جمع البيانات والمعلومات حول موضوع ما ومعالجتها معرفياً من حيث تنقيتها وتحديثها وتصفيتها وتوصيفها لبناء بنْيَة متماسكة ونسق متكامل ونظْمية محكمة للعلاقات البنْيوية والتيلوجية «**الغائية**» والاستدلالية والدلالية والتواصلية والتداولية بين مكونات البيانات والمعلومات في النموذج المعرفي، لإنتاج وابتكار وإبداع وصياغة كينونة السؤال على أسس وحقائق متماسكة صلبة واقعية حقيقية، ونشرها وتوزيعها وحفظها وصيانتها وتنميتها بأقل وقت وجهد وتكلفة ذهنية ومادية.

### 10.6.2 أهمية اقتصاديات معرفة السؤال:

نظراً للأكوام المتراكمة والمتسارعة المتنامية للبيانات والمعلومات والمعرفة من جهة، والتعامل معها كسلعة وسيطة ونهائية منتجة، من جهة أخرى، فحالها حال المواد والسلع الوسيطة والنهائية المنتجة في الاقتصاد التي تدخل في إنتاج سلع نهائية أخرى أو تدخل مباشرة في سوق الاستهلاك النهائي. وكما أن المنتج يخضع السلع الوسيطة ومواد وعناصر الإنتاج لمعالجات وفق قوانين اقتصاديات الإنتاج، أو أن المستهلك النهائي الذي يشتري المنتج وفق قوانين العرض والطلب والاستهلاك والاستثمار، كذلك منتج

السؤال ومبتكره ومبدعه لا بد أن يخضع بياناته ومعلوماته ومعارفه المختلفة لاقتصاديات معرفة إنتاج وتوليد وابتكار السؤال، من حيث ملاحظة ومتابعة التكلفة والوقت والجهد والكفاءة والدقة والصحة والصلاحية والفائدة والخيرية والجدوائية قبل توظيفها في بناء كينونة السؤال. وكما أن المواد الأولية الهامة كالذهب والبلاتين واليورانيوم والنفط وغيرها مواد نادرة نسبياً، كذلك هناك بيانات ومعلومات ومعرفة تخضع لقوانين الندرة الاقتصادية المعرفية والتنافسية الشديدة التي لها أثمان وعرض وطلب.

إذاً لا يمكن الحديث عن اقتصاديات إنتاج وإبداع ومأسسة وصياغة كينونة السؤال من دون البحث عن قوانين ونظم وآليات واستراتيجيات اقتصاديات إنتاج السؤال، وأغراضه وأهدافه وغاياته ودواله وحمولاته وقيمه، فضلاً عن السؤال عن السؤال ذاته من جهة، وعن معنى وحقيقة وشخصية وهوية وماهية السؤال الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي والأكسيولوجي القيمي والأخلاقي والاستطيقي الجمالي والفني، بأبعادها واستطالاتها وآفاقها وامتداداتها وعوالمها وطبيعة أسواقها وروداها وأثمانها و... من جهة أخرى، فما لم نعرف حق المعرفة ونعتقد تمام الاعتقاد بالسؤال ككينونة لها جذور ونواة وجذع وفروع وأغصان وأفنان وأوراق وأزهار وثمار، وإنَّ السؤال كينونة لها حياة ونمو وسبات وممات وصحة ومرض، لا يمكننا القيام بعمليات مأسسة وصياغة السؤال وتوليده بكفاءة إنتاجية واقتصادية وتوزيعية عالية بأقل تكلفة وجهود معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية من جهة، وتعظيم بأعلى كفاءة وأوسع وأكبر استطالة وامتداد وأفق وعمق لكينونة الجواب كمنتج نهائي له ثمن في سوق الاقتصاد المعرفي والوجودي والقيمي والجمالي، من جهة أخرى. فمنتج السلع والخدمات لا بد من أنْ يكون لديه تصور واضح عن طبيعة منتجاته المصنوعة، وكذلك الحال بالنسبة لمنتج السؤال، لذا دعونا نلقي الضوء بعض الشيء على ذلك.

فبالرغم من تتالي وتوابع السؤال التي تتجاوز حدود السؤال وغنى مكوناته وعناصره الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية والسسيومعرفية

والسيكومعرفية من جهة، وثقل وعناء حمولاته الاستدلالية والدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والتيلوجية «**الغائية**»، من جهة أخرى، وبالرغم من أهمية وضرورة كينونة السؤال، وأن مجرد طرح السؤال هو في حد ذاته أهم من الجواب، وأنه نصف الجواب، وذلك كله صحيح. غير أن السؤال في نظر كينونة الكائن البشري الإلهي والغائي والناظر إلى تحقيق حمولات كينونته الفطرية والإنسانية من الأسماء الحسنى والصفات العليا الثاوية بالقوة والإمكان والاحتمال في بنْيته التكوينية والخَلْقية، والقاصد إلى تحققها وانوجادها بفعل الإيمان النظري وبفعل العمل الصالح الكادح إلى ربه كدحاً دؤوباً لملاقيه، يكتسي هنا طابعاً خاصاً وعلامة مميزة وفصلاً تاماً يلبي اهتمامات وحاجات صيرورة الكائن البشري للتعالق والانفتاح والتقارب إلى مثله الأعلى وكمالاته المتعالية.

الأمر الذي يقتضي بناء ومأسسة الجواب الشافي والجامع والمانع المتساوق والمتماهي مع حمولات كينونة السؤال، التي تقوم بتأطير وتوجيه وترشيد وتحديد مؤشرات بوصلة الجواب الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ المعبرة عن حمولات السؤال وأبعاده المستطيلة وأعماقه الشاقولية وامتداداته الآفاقية، ويتوصل إليها السائل/ المستجوب/ المخبر/ الراوي. كلها، أو بعضها، بأمانة أو بتحريف معين، يتسع مداه أو يضيق، حسب نية ووعي السائل، وتبعاً لعدساته الرؤيوية ومنهاجياته الاستكشافية والتفسيرية والتأويلية والاستدلالية والاستشرافية، وحسب رؤيته الكونية وفلسفته للحياة وإيديولوجيته الفكرانية ومذهبه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

والسؤال كينونة دينامية حيّة تتفاعل بسرعة متسارعة وتنفتح على آفاق متعددة، ويستطيل مداها إلى أبعد الحدود، وتتجاوز أزمانها مهما مضت أو تحاضرت أو تسابقت، وإنها تخترق حجب عالمها للتواصل مع جميع عوالمها الممكنة. وكينونة السؤال تحمل في بنْيَتها قوة تثويرية هائلة، وطاقة ذرية عظيمة، تقتحم السدود، وتتجاوز الحدود، وتلوي

الأعناق، وتدخل النفس وتحشرها، بدون استئذان. والسؤال هجوم غير منتظر، واكتساح غير متوقع لكينونة الكائن البشري ذاته والكينونات الطبيعية والملكوتية الأخرى، دونما حاجة إلى أخذ رأيه، أو أيوافق أو لا يوافق؟ وما هي الحدود التي يسمح بها؟ وهل هناك شروط وقيود ومحددات يقتضي مراعاتها أثناء طرح السؤال؟ وهل ثمة استثناءات وتساهلات؟ وهل هناك قوى ردع وممانعة مضادة لهذا الاقتحام والتدخل السافل من دون إذن وحرمة من قبل كينونة السؤال؟ هل هناك حرمة وكرامة وشخصية لكينونة السؤال؟، أم إنها كينونة فارغة وخاوية من أي غنى معرفي ووجودي وأخلاقي وجمالي، تجعلها كالريش في مهب الريح، وتنعق مع كل ناعق؟

كينونة السؤال لها قوة جاذبية ودافعية عظيمة وسرعة مهولة تنطلق كطلقة رصاص تصيب من تصيب، دونما تحسّب لحجم هذه القوة وإمكانياتها البنائية أو التدميرية، ودون مراعاة لتطفلاتها السمجة أو تعالقاتها الحميمة. فكينونة السؤال طلب للجواب مع الإلحاح والتأكيد، وربما مع الإكراه والإرغام، دونما فسح مجال للاختيار والخيار. فكما إن السؤال لا يعتريه التردد، كذلك الجواب لا يسمح له بالاعتذار، وإذا لوحظ عليه تلكؤ أو تردد حوصر بمزيد من سهام الأسئلة، وضيق عليه الخناق بتغيير صيغها اللغوية، أو إبدال عباراتها، أو بالشرح والتفصيل والتوجيه، فلا يُبدل السؤال إلا بسؤال بدله، ولا يرضى عن الجواب إلا بالجواب.

السؤال كبرياء واستعلاء، وإحساس ونشوة بالقوة، وأولوية وأحقية المساءلة، وامتلاك القدرة وتملك السلطة على الكلام المستفسر والمستفهم، تقتحم كينونته الأمكنة وتخترق الأزمنة بأي كيفية من دون استئذان أو توقيت، ومن دون تعيين وتحديد لموضوعاته، إنه وقاحة وتطفل واستباحة غير مفيدة للكلام، واستباحة لحُرم المسائل، فما من مساحة تتمنع على المسائل.

السؤال نفي للخصوصية، وجعل عالم المسائل النفسي والثقافي والاجتماعي مباحاً، يُتصرف فيه، ويصبح مفتوحاً للسائل الذي يستبيحه ويبيحه للقارئ والسائل

والسامع وأي قارئ وسامع.... السؤال سلطة لغوية ناعمة قد تزعج تموجات وذبذبات معانيه الصوتية آذان السامع والسائل في البداية، ثم يبدأ يتفاعل بقوة متعاظمة وسرعة مطّردة في الحجم، حالها حال كرة الثلج في التأثير أو حال أخشاب الدومينو ليطال الأبعاد السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسيكومعرفية وآفاق السسيومعرفية و... إلخ لكينونة الكائن البشري الجوانية وأبعاد وآفاق الكينونات الذاتية الأخرى والكينونات الطبيعية والملكوتية في الكون.

فحينما يتقبل المسائل تلقيه، يجعل نفسه طوع تلك السلطة ويمنحها الاعتراف والمشروعية، بالمقابل، يجرد نفسه من أي إرادة تسمح له بمناقشة مشروعية السؤال - أي سؤال - أو عدم مشروعيته، وتجرده من رفض التعاطي معه الكلي أو الجزئي، بله، إن كل ما يتبقى له هو التردد المشوب بالاعتذار. وربما كان في الإجابة عنه خطر مفترض، وعواقب متوقعة، إلا أن ذلك لا يعفي المُساءَل من الجواب، الذي يصبح فرضا وواجبا.

ولا يسعنا أمام الحقيقة سوى أن نعترف بأن مهمة الكائن البشري المتعالي والقاصد للكمال والتقرب إلى جمال وكمال مطلق المطلقات تعالى، هي التخطيط والتوجيه والترشيد في عمليات إنتاج السؤال وعمليات استقبال كينونة الجواب. وعليه أنْ يدرك أنَّ السائل والمتلقي للجواب في نهاية الأمر هو الذات أو كينونته الجوانية التي تتكشف لها وللغير من خلال تشقيق صورتها الممكنة إلى الفعل والانوجاد والتحقق والتثبت والإنّية، من خلال ابتكار وإبداع وصناعة وصياغة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، ومعالجة المشكلات والإشكالات والإشكاليات ومكرها وخداعها وحيلها وآلياتها وأساليبها واستراتيجياتها المنبثقة عنها.

ذلك في سياق حقيقة الاستخلاف والإعمار الدنْيوي والديْنوي الوظيفي والتكليفي الذي ارتضى به طوعاً واختياراً منذ الزمن الصبيحي الأول، وحقيقة الخاتمية المحمدية ﷺ

الكونية الخالدة، وحقيقة الانتظارية المهدوية ﷺ الموعودة، وحقيقة الاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة الممهدة للولاية العصموية المنتظرة، بغية الانفتاح والتعالق والتزاوج والتصاهر والتصالح والتطابق مع عالم الكينونات الطبيعية والميتافيزيقية ومع كينونات المعاني والحقائق الأنطولوجية الوجودية المتجسدة في السائل تجسيداً لهيمنة العالم الذي ينتمي إليه، وما هو في الحقيقة إلا وسيلة من وسائل طرقه الممنهجة والمنمذجة وصورته الكلماتية واللفظية القرآنية، متمسكاً بتلابيب السؤال ومتخفياً خلف ستار (المساءلة – الحوار)، الذي لا ينفي عنه القوة، خاصة المعنوية.

ومن الأوهام الغالبة، والمفارقات الصارخة، والتشوهات البارزة، والانحرافات الواضحة لدى الغالبية العظمى من الكينونات البشرية، وخاصة العوام منها والكثير من المثقفين والمفكرين الذين يعيشون على هامش حقيقة كينونة السؤال، هي الاعتقاد والتصور أن ما على الكائن البشري إلا أن يسأل ويسأل، وأنه مجرد تثوير السؤال وطرحه يصبح الطريق سالكاً وممهداً لتلقي الجواب، وإنه جاهز سلفاً وقبلاً في موضع ما، وطافح على موقع سطح ما، وعائم ومتعالق في طبقة ما في الهواء الطلق، وما عليه إلا أن يصوب سهم السؤال ليصيب فريسة الجواب. أي ما عليه إلا نفض الغبار ورفع الستار والاسترار والاستتار عنه، ليجده مطروحاً في قارعة طريق السؤال. وكأن «**ثمة سؤال يكون هو فينا ويكون جوابه في الأشياء**» بعبارة أخرى كأن السؤال نفسه هو انتظار الجواب أو العتبة التي توصل إلى باب الحلول.

ومن هذا المنظور فإن منظومة كينونة سؤال العامي دائماً وأبداً يضفي عليها صفة الاستعجال والتسرع والتهور، من حيث التموضع والتمركز في وضع الحلول ورسم الإجابات وتحديد الردود قبل استكمال نمو جين كينونة السؤال، ما يخضع لعملية ولادة قيصرية أو إسقاط جنينه وهو مشوه ومعلول وناقص البِنْيَة، معتقداً أنه مكتمل النمو، وأنه يعلم ما يعرفه ولا يعرف أنه لا يعلم، حاله حال المنتج المتهور والجاهل بأحوال السوق والسلع وتكلفة الإنتاج وحجم الطلب والعرض، فينتج منتجات رديئة الجودة ومرتفعة التكلفة

وقليل الطلب عليها.

والسؤال والسائل المتهور أو الذي لا يخضع صياغة كينونة السؤال لاقتصاديات إنتاج وابتكار السؤال، نجد أنه يقتنع باليقينيات الجاهزة، ويؤثر البديهيات والمسلّمات المنقولة على الصعوبات والإحراجات لكينونته، لما توفره له من «**طمأنينة في مجال الرأي واعتدال في الضرورات**» ويحاول قدر الإمكان تفادي تجارب الشك والحيرة والدهشة والتساؤل، ويحبذ التقليد والاتباع والتسليم، ويركن إلى الإيمان العجائزي وتمجيد التراث وتقديس السلف، من دون الوقوف عند حدود السؤال وماهيته وقوانينه وسننه وأحكامه وآلياته وأدواته وأساليبه واستراتيجياته الدلالية والاستدلالية والتواصلية والتداولية والوظيفية والبنائية والتيلوجية «**الغائية**»، بأبعادها وأكنافها وآفاقها الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والسسيومعرفية والسيكومعرفية، ومن دون تجشم العناء والتعب وتقبل الكلفة واقتحام العقبة في نقد أو تمحيص أو حفر أو تنقير أو تحليل أو تشريح لكينونة السؤال.

ولهذا فإنه يبحث في دهاليز الكلام اليومي المعيشي عن السؤال من حيث هو، لكونه لا يخضع لعملية الاستعلام والاستفسار والاستفهام والاستنطاق التي هي عناصر نمو واكتمال جنين كينونة السؤال في رحم ذهن الكائن البشري. ولذلك نرى أن كلاً من السائل والمُساءل والناطق والمنطوق والسامع والمسموع جلّ اهتماماتهم وتركيزهم ليس في السؤال، بل في الجواب. وخير شاهد على ذلك، نلاحظ أنه لا السائل يطرح السؤال بصورته المنطقية والعقلانية المتكاملة، أو أنه ينتقل من سؤال إلى سؤال متناقض ومتضاد، أو يمتلك نسق ونظْمية وبنْيَة صلبة ومتماسكة من جانب، ويمتلك آليات واستراتيجيات التحاور مع الجواب ومساءلته من جانب ثانٍ، ولا نجد عند المُساءل والمجيب حس السمع والاستماع والصبر والاصطبار لكي يستكمل السائل سؤاله.

فهو في الأغلب الأعم متسارع وعجول يقاطع السائل ويريد أن يقدم له الجواب في الصورة التي هو فاهمها وقاصدها، وليست الصورة التي يطرحها ويقصدها السائل.

فالسؤال الذي لا يلقى جوابا عنده هو ليس بسؤال معقّلن ومشرٌعن ومعرٌفن، بله، هو سؤال عرضي طارئ وطفراوي فجائي مصدره النزوات البهيمية والشهوات الحيوانية والذهنيات الوهمية والخيالية، فاقداً تأسيساته البنٌيوية وقواعده النظٌميّة وأحكامه النسقية وأسسه الاستدلالية والدلاية وروابطه التواصلية والتداولية وحقيقته الغائية والانبنائية والوظيفية.

هذه الوضعية المتردية لكينونة السؤال والمساءلة هي نتيجة ذلك الفكر التداولي الهامشي والهجين والاستنساخي المسوخ والممسوخ الذي يفتقد إلى الأصالة والتأسيس والتأثيل، ويجهل آليات واستراتيجيات اقتصاديات إنتاج السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب. فنجده يُبدل المركز والمحور والبؤرة بالهوامش والأطراف والأجزاء، ويقصي المتغير عن الثابت، والنسبي عن المطلق، ويمزج المتشابهات بالمحكمات، والمعنويات بالماديات، والشواهد بالغيبيات، والظواهر بالبواطن، والبدايات بالنهايات، ويركن إلى الحلول الجاهزة الصنع، والردود المعلّبة الاستيراد، والوصفات المألوفة من تعويذات الجمهور وشعوذات الدجالين ومتطفلي المفكرين والمثقفين، الذين يستأنسون بها ويأنسون لها، ويتقوقعون في دائرة السؤال التداولي، ويتأقلمون ويصبرون على إثارة كينونة السؤال، من دون تجشم العناء وبذل الجهد والجهاد والمجاهدة ومحبة السؤال والصبر عن السؤال والصبر على السؤال في التقرب والتجاور والتماس والتحاقل، مع كينونة سؤال السؤال والمساءلة والمشكل والإشكال وفق اقتصاديات معرفة السؤال وإنتاجيته وكفاءته التوزيعية والإنتاجية والاستهلاكية.

فهو غير قادر على أن يطيق غمرة الإشكال والإشكالية، ولا بِمَكْنته العيش والتأقلم مع محنة القلق والتوتر والدهشة والحيرة الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والاستطيقية «**الجمالية والفنّية**» السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية

والسوسيوعقائدية و...إلخ الملازمة لها، لكونه فاقداً تحقيق كفاية نفسه وعاجزاً عن تجاوز وضعيته. ومن مآلات هذه الوضعية الأبستيمية الكسيفة لكينونة السؤال، أنها وهي متموضعة في دائرة الخيال العام أو في الحقل والموقف الطبيعي فإنها تفتقد إلى وجود حقيقي، فيصبح للسؤال وجود عرضي طفراوي فجائي يظهر فجأة ليختفي بسرعة.

أما الجواب، فإنه يتأبد ويترسخ بعد الحكم بالنفي أو الإثبات على الرأي الصحيح، ليصبح من اليقينيات التي لا تتزعزع، والبديهيات التي لا يمكن أن نضعها موضع شك وتساؤل ومساءلة منهجية ونمذجية. لهذا السبب لا يزال كل سؤال معلقا بجوابه مشدودا إليه متوقفا عليه، وما تزال مهمة الجواب إلغاء السؤال الذي سبقه وكأنه سبب وجوده، وكأن السؤال في التجربة اليومية المعيشية للكائن البشري العادي هو استفهام واستعلام واستفسار حول موضوع يستشعره السائل بوعي أو بلا وعي، ومن دون أن يدري:

- ما هي حقيقة كينونة السؤال؟
- وما هي حمولاته المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية؟
- لا يعرف هل له الحق أساساً أن يطرح هذا السؤال أم لا؟
- وهل بنْيَته خالية من التناقضات والتضادات أم لا؟
- وهل بناءاته التركيبية والتراكبية والتكوينية محكمة متماسكة مكينة ومتينة أم لا، إنها هشة ركيكة مهلهلة؟
- وهل بِمَكْنته استيعاب الجواب أم لا؟
- وهل هو بحاجة لهذا السؤال أم لا؟
- وهل السؤال مفيد وخيّر له أم لا؟
- وهل يتموضع السؤال ضمن سلّم أولوياته أم لا؟
- وهل يستحق هذا السؤال توظيف كل هذه الطاقات والإمكانات والموارد المادية

والمعنوية والذهنية والتخيلية والمنطقية والعقلية من أجله أم لا؟

- وما هي قيمته المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية مقابل تلك الجهود والطاقات المستثمرة فيه؟
- وهل السائل والمجيب هو الشخص المناسب من أهل الذكر أم لا؟
- وهل هو مستعد للالتزام بالجواب وتحمّل المسؤولية أم لا؟

وهناك عشرات التساؤلات والأسئلة والإشكالات والإشكاليات حول كينونة السؤال المنتج في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي، مقاربتها ومقارنتها بمجرى الحق الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا، داخل مجرى العالم والكون والوجود.

والأدهى والأمرّ هو أنَّ أغلب الكينونات البشرية من عوام الناس وقطاع كبير من مثقفي ومفكري اليوم هم في غفلة ونسيان وسبات سبوت من أمر وحال السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب واقتصاديات كفاءته الإنتاجية والتوزيعية والاستهلاكية، وإدارته وإدارة مخزونه المعلوماتية والمعرفية والبيانية والحِكمية التراكمية.

هذا بالإضافة إلى أن السؤال في التجربة اليومية المعيشية لكينونة الكائن البشري العادي وقطيع من المثقفين والمفكرين المتطفلين على عتبة الفكر والثقافة والعلم والمعرفة، هو السؤال النمطي التقليدي العام والساذج والبسيط أو المدرسي الأكاديمي التجاري الذي لا يتجاوز عتبة عمق حمولاته المعرفية والوجودية سطحه الظاهري، وفي أحسن الأحوال بالنسبة للمثقفين لا يتجاوز عمق سطحه وأطرافه وأجزائه وهوامشه من دون مجاورة ومماسة لبه العميق وبؤرته المركزية وثوابته ومطلقاته وبواطنه ووحدته المُلْكية والملكوتية والبرزخية والجبروتية.

والأدهى والأنكى، أنَّه يرفع رايات العلم وصكوك امتلاك المعرفة والحقيقة في السؤال ويتباهى بثيمات موضوعاته لا في محافل العلم والمعرفة، بله، في دهاليز سوق عكاظ

أو نخّاسي المعرفة والثقافة والعلم التجارية. ولا يسبب السؤال إثارة وحيرة وإدهاشاً لدى كينونة الكائن البشري بحيث يشعر باحتياجه إلى اقتصاديات إنتاج السؤال المعرفي والوجودي والأخلاقي والجمالي، وإنّ شعر بذلك البعض، فإنَّه لا يدري ما هو؟ وأين هو؟ وكيف يصل إليه؟

ولو تُؤمل حق التأمل اليوم، لوجدنا أن الكائن البشري العامي وأغلب المثقفين والمفكرين في عالمنا العربي والإسلامي ناهيك عن العوالم الأخرى، تتمركز اهتماماتهم وتتبأر جهودهم وتتمحور غاياتهم المعرفية والوجودية في عشق وحب كينونة الجواب، وتهميش وتحجيم وتسطيح كينونة السؤال، بله، إلى حد كراهية وبغض كينونة السؤال وتناسيه واستغفاله شعورياً ولا شعورياً. وهذه الحال هي عيناً حال من يذهب إلى ضفاف النهر ليعرف ما يحتاجه من الماء من دون تهيئة وإعداد الوعاء أو الظرف المناسب. أو كمن يشترى مواد البناء من دون تملك الخرائط الهندسية البنائية والمعمارية والكهربائية والصحية و...

إن هذا الحب والعشق لكينونة الجواب على حساب كينونة السؤال، دليل على معاكسة معادلة إنتاج المعرفة وتوليد العلم، حيث جعل الجواب يتبع السؤال وليس العكس الذي يفترض أنّ يتبع الجواب السؤال، أي أنّ تتبع العربة الحصان وليس العكس. ودليل أيضاً على غياب قيمة المعرفة والحقيقة المجردة، بله، إنَّه دليل على الجشع والنهم السريع لحمولات الجواب من المعرفة للاستفادة الآنية الفردية والمادية القصيرة الأمد.

هذا الحب والعشق للجواب والكراهية والبغض للسؤال جعل الكائن البشري في حالة العمى والصمم والبُكم البصري والعقلي والقلبي المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي، ما مهد الطريق لولوج كافة المنتجات المعرفية والأخلاقية والجمالية الرديئة والفاسدة بفيروسات الهوى والنزوات البهيمية والشهوات الحيوانية المتعالقة والمعجونة في بنْيَتها وبناءاتها ودلالاتها المختلفة إلى بنْيَة كينونة الجواب وكينونة السؤال، لتتمأسس أشباه الحقيقة والحق إنّ لم يكن الضلال والانحراف والسم القاتل للسؤال.

في حين السؤال الإبراهيمي والموسوي والعيسوي والمحمدي والعلوي والمهدوي عليهم السلام أو السؤال الولائي التقوائي الفقهي والحكيم الحكموي والفيلسوف الفلسفي والعارف العرفاني، يتمأسس على الأسماء الحسنى والصفات العليا الفاعلية، وعلى الحقائق اليقينية والحق المبين، ذلك كل بقدر سعة واستطالة وامتداد أفق وعمق الاكتمال الروحي وقربه من الكمال والجمال المطلق. إن حب سؤال هؤلاء لا يعمي ولا يصم ولا يُبكم، بله، يزيد في السمع والنظر والنطق قوة واستطالة، ويقوي في الرغبة شدة واتساعاً، ويضيء البصر حدة ودقة، وينور القلب إنارة واستنارة، ويطهر الخاطر تطهيراً، ويجعل كينونة الكائن الإنساني مستأنساً ومتشوقاً لما لا يعرفه، ويستوحش ممن يعرفه، خوفاً من أن يتحول إلى حجاب من حجب النور فتقف صيرورته أو تتباطأ النفس في حركتها الجوهرية نحو الكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى.

فبدلاً من مساهمة اقتصاديات كفاءة وكفاية إنتاجية كينونة السؤال في تعضيد تطابقية تلك الأسماء الحسنى والصفات العليا الكامنة في بنِّيته الفطرية والتكوينية بالقوة والإمكان، إلى حال الفعل والتحقق والانوجاد والإنّية لكينونة الكائن في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي الموازي لمجرى الحق في مجرى العالم والكون والوجود، وفق سلَّميتها التدرجية التي تبدأ من مرتبة المشابهة والمشاكلة والمضارعة، مروراً بالمضاهاة والمماثلة والمجاراة والمناظرة، متموضعة في دائرة المطابقة بينهما. فعدم توظيف وتطبيق أو سوء توظيف اقتصاديات السؤال يجعل كينونة السؤال تتمأسس على كينونة شبيهية تتناقض وتبتعد عن المطابقة وتتموضع في صورة المزايلة، بدءاً من الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد ومروراً بالتقابل والتطابق والتناقض ومتموضعاً في دائرة المزايلة.

هذه الوضعية البائسة لسوء توظيف اقتصاديات إنتاج السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب من قبل البسطاء والسذج والعوام من الناس أو المتطفلين على العلم جهلاً وجهالة، أو علماء وفقهاء ومفكري ومثقفي البلاط الأموي والملكي

والرئاسي، أو أصحاب أنصاف العلم والمعرفة والدين والفقه الدنّيوي والتجاري، هي كينونات إنسانية تاجرت بالعلم والمعرفة والسؤال والجواب، وروجت للجواب وجواب الجواب على حساب السؤال وسؤال السؤال، فأصبحت كينوناتهم ميالة ومتعطشة لكينونة الجواب نافرة وهاربة من كينونة السؤال. الأمر الذي أفقد الكائن البشري كلاً من كينونة الجواب وكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، فلم يحافظ على كرم وجود وحياء وشفاعة وحكمة وسيرورة وصيرورة السؤال والجواب.

من يبحث عن الجواب ليغرف من دون وعاء السؤال كمن يغرف الماء من وعاء لا قاع له أو أنه قاع مشخول بفتحات كبيرة لا يستقر أي سائل فيه أكثر من ثوان معدودات، أو كمن يضع العربة أمام الحصان. فإذا كان السؤال هو انعكاس مرآوي لكينونة الذات الإنسانية، فمساءلة السؤال هي مساءلة للذات. وهذا ما يجعلنا ننظر إلى الذات دائماً وأبداً بمنظار السؤال وليس بمنظار الجواب، وإنْ كان الجواب يعكس كينونة المجيب والجواب، ولكن نحن هنا بصدد كينونة السؤال من جانب، وإنَّ كينونة الجواب بالأساس تابعة لكينونة السؤال. إذاً السؤال هو مدخل لكينونة الذات وكينونة الجواب معاً، كمال إن الظرف محل للمظروف، والوعاء وسيلة لغرف الماء، فمن غير الظرف والوعاء «**السؤال**» لا استقرار ولا حفظ للمظروف والماء «**الجواب**».

- ولماذا لا ننظر إلى الوجه الآخر المقابل والمعاكس لكينونة الذات؟
- أي لماذا لا ننظر إلى الوجه الآخر من العملة المعرفية والوجودية؟
- لماذا لا نسائل الجهل والجهالة الكامنة في كينونة السؤال قبل كينونة الجواب؟
- لماذا لا نوزن وزن ولا نثمن القيمة السالبة للجهل في السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب؟
- لِمَ نرفع راية الجهاد والاجتهاد والمجاهدة في صون وحفظ كينونة الصواب مهما كان مستواه وقيمته، من دون مساءلته أو طرح مشاكله وإشكالاته وإشكالياته

الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و... إلخ الملازمة له؟

- لِمَ نطلب الدنيا والمال والثروة والسلطة بالعلم والدين والمعرفة والحق واليقين ولا نطلب العلم والدين والحق والحقيقية بالدنيا والمال والثروة والسلطة؟

- لماذا يحرص على ما مُنع عليه ويُسرع الملل إليه في ما بذل؟

- لماذا صار اليقين والحقيقة والحق اذا حدث وطرأ يثبت ويستقر والشك والظن إذا عرض أرسى وربض؟

- وما معنى قوله تعالى: «**وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى × فإن الجنّة هي المأوى**»[1]. وقوله تعالى: «**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**».[2] وكذلك لِمَ قيل إنَّ الرأي نائم والهوى يقظان، ولذلك غلب الهوى الرأي؟

- وما معنى قول بعض الحكماء: الْهَوَى مَلِكٌ غَشُومٌ، وَمُتَسَلِّطٌ ظَلُومٌ.. ومَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ، أَعْطَى عَدُوَّهُ مُنَاهُ.. والْعَقْلُ صَدِيقٌ مَقْطُوعٌ، وَالْهَوَى عَدُوٌّ مَتْبُوعٌ.. وَقَالَ بعضهم: إنَّ الْعَيْنَ رَائِدُ الشَّهْوَة، وَالشَّهْوَةَ مِنْ دَوَاعِي الْهَوَى، وَالْقَلْبَ رَائِدُ الْحَقِّ، وَالْحَقَّ مِنْ دَوَاعِي الْعَقْلِ.. ومَنْ أَمَاتَ شَهْوَتَهُ، فَقَدْ أَحْيَا مُرُوءَتَهُ.. والْعَقْلُ «**وَزِيرٌ**» نَاصِحٌ.. وَالْهَوَى «**وَكِيلٌ**» فَاضِحٌ..؟

- لماذا صار وضع كينونة السؤال في حياتنا مبتذلاً بائساً مستسهلاً ومسترخصاً وضيعاً يتداوله كل من هبَّ ودبَّ، من دون مراعاة لهتك قدسيته وانتهاك حرمته

---

(1)- المرجع القرآن المجيد، سورة النازعات، الآيتان 40 ـ 41.

(2)- المرجع القرآن المجيد، سورة الكهف، الآية 28.

وتشيين صورته؟

- لماذا اصبح السؤال قولاً نافلا لا حاجة لنا به إلى معرفة كينونته وماهيته الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و... إلخ الملازمة له؟

- لماذا أصبحت ممارسة السؤال وظيفته الاستدلالية والدلالية والتواصلية والتداولية ومعاينة غاياته المتعالية وأبعاده المستطيلة وأعماقه الشاقولية بالنسبة للموضوعات الكبروية الكبّارة والقضايا الأساسية في غاية الاستعصاء والصعوبة؟

- لماذا لا نعير موازين مَكِّيلة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب ومشكلاتها وإشكالياتها وإشكالاتها وبوصلتها ومنّقلتها ومِمّيلتها الإحداثية والاتجاهية والوظيفية والتحليلية؟

- لماذا لا ينظر الكائن البشري من خلال عدساته الرؤيوية إلى كينونة السؤال كمدخل ومقدمة معرفية جوهرية لحلول جذرية لمشكلات وإشكاليات اليومي المعيشي للكائن البشري والوضعية التي يوجد فيها؟

وعليه، فإذا كانت كينونة الكائن البشري لا سكون ولا ثبات لها، بل إن صيرورتها في ديمومة ودينامية متفاعلة دائمة وكل يوم في شأن، إما متعالية ومتسامية تتطابق مع الحق والحقيقة الربانية وفق سُلَّمية راتوبية تعاضدية متعالية، أو إنها شأنها منحدر وهابط تصير نحو التناقض والتضاد والمزايلة للحق والحقيقة. فإن كان كل معرفة هدفها في النهاية بلوغ نوع من بساطة اليقين فقط ومن دون التعالق والسير نحو عين اليقين وحق اليقين، أو بسط راحة كينونة العقل وثبات الوجود، فإن هذه الرتبة من اليقين لا مقياس لها، وهذه الدرجة من العقل لا قيمة معرفية ووجودية معتبرة لها، مقابل أصل كينونة

الوجود وحمولاته الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا تعالى.

فمالك السؤال هو كينونة الكائن البشري الحقيقي المتعالي الذي تثوي في بنْيَته كافة مقومات وصفات وأسماء الكمال والجمال والعلم والمعرفة والحق والحقيقة، التي تنتظر من كينونة السؤال استعلامها واستفسارها واستفهامها واستنطاقها لتنطق بمكنوناتها. وهذه الوضعية لا تتناسب ولا تتطابق ولا تتماهى مع كينونة أي سؤال ومن أي كائن ما كان، بله، هي ملك كينونة السؤال الملكوتي الإبراهيمي والموسوي والعيسوي والمحمدي والعلوي والانتظاري المهدوي والاتّباعي الولائي الفقهي، وهو سؤال كبروي كبّار ومنفتح على المثل الأعلى وعلى كينونة الجمال والكمال المطلق تعالى، وهو سؤال جوابه كل يوم في شأن وفي صيرورة متعالية متسامية متكاملة، وليس له حدود ونهايات لحمولات الجواب، وأن من شأن هذا النوع من الجواب أن يفتح وينتج عشرات من متواليات السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، التي تمس مراتبه ومراقيه المتعالية والمستطيلة. هذا السؤال المنتج هو خير مثال نقتدي به في السير البنائي لكينونة السؤال الإنساني على أسس قواعد ونظريات ومفاهيم وحقائق اقتصاديات فقه فلسفة وعلْمنة وعرْفنة ووحْيَنة السؤال الكبروي والكبّار.

وعليه، فإن كل سؤال هو علامة استغراب وتوتر ودهشة، وشوق وحب وهيام لمعرفة الحقيقة والحق، وكينونة السائل هي في صيرورة وديمومة ودينامية دائمة، وشأنها شأن السالك السائر الحائر العابر والناظر المسافر الذي لا سكون ولا استقرار ولا ثبات له... وإنه الكائن المخلوق الذي يَجِدُّ دائماً في أثر الحقيقة والحق، ولكنه يعلم في الوقت نفسه أن التأمل والتفكر والتدبر والتساؤل والمساءلة قطار سائر من دون توقف ومن دون نهاية، وأي تأخر وتباطؤ وتوقف وتسكّن هو مخالفة لكينونة الكائن ونكران لذاتها وتهميش وهتك لحرمتها وانتهاك لمقامها ومقالها. صيرورة مهمة لا يمكن أن تنتهي لأن في توقفها نكران لذاتها... فهل يشبه فيلسوف السؤال الملك شهريار الذي كان يريد دائما أن يضع حدا

لمخاطراته بقطع رأس ضحيته من دون أن يفعل أم يشبه شهرزاد التي كانت تواصل كل مساء سرد قصة كانت قد بدأتها في الصباح؟

وعليه، فإن السؤال الذي طرحناه في صدر وعنوان هذه الفقرة والمتعلق بأهلية وأحقية كل كائن ما كان أن يطرح أي سؤال ما كان، وفي أي زمكانية ما، ومع من كان وسيكون، وبأي طريقة اقتصادية أو غير اقتصادية، هو سؤال جوهري وإشكالي وبدئي في حياة كينونة الكائن البشري. هو في واقع الحال من الأسئلة التي تتموضع في دائرة الغفلة والنسيان والالتباس والجهل، وهو في كثير من الأحيان مصدر تضليل وخداع ومكر السؤال نفسه أو الكائن البشري لذاته الشبيهية، وهو منشأ القلق والتوتر والدهشة السلبية لكينونة الإنسان والشك المفرط واللاأدرية.

يفترض على الكائن البشري، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، أن يسأل هذا السؤال قبل التفكير والشروع في طرح السؤال، وأنّ يفكر باقتصاديات السؤال وكفاءته الإنتاجية والتوزيعية والاستهلاكية والتبليغية والتعليمية والتعلّمية والفهامية والتفهيمية والإفهامية والانفهامية.

- هل من حقه أن يخوض ويطرح أي سؤال كان ما كان؟
- وهل يحق له أن يطرح السؤال المسموح في أي زمان وفي أي مكان وعلى أي كائن ما كان أم لا؟
- هل يحق لأي شخص كان ما كان أن يطرح أي سؤال كان ما كان؟
- ما هي حدود السؤال المسموح؟
- وما هي الأسئلة غير المسموحة للكائن أن يخوض فيها؟
- ومن الذي يحق له السماح والمنع؟
- وما هي المبررات المنطقية والعقلية والشرعية للمنع أو السماح؟

- وما هي درجات وزوايا وإحداثيات واتجاهات بوصلة ومِمّيلة ومنّقلة ومَكّيلة ومسطرة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب؟
- وما هو الثمن المدفوع وكلفة السؤال؟
- وما هي قيمة السؤال المستورد مقابل السؤال المنتج محلياً؟
- ما هي مرجعية السؤال؟
- وما هي مصادر معرفة السؤال؟
- وما هي غاية وقصدية وهدف وغرض السؤال؟
- وما هي عوالم السؤال الممكنة؟
- وما هو مقدار وحجم ونوعية السؤال المطلوب؟
- وما هي تاريخانية السؤال وجينيولوجيته وأركيولوجيته وأيكيولوجيته المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية والفنّية؟
- وما هي مآلات السؤال ومحطاته النهائية؟
- ما هي مُلْكيات وملكوتيات وبرزخيات السؤال وجبروتاته المتعالية؟
- ما هو جهد وجهاد واجتهاد ومجاهدة السؤال؟
- ما هو جهد الجهد وجهاد الجهاد ومجاهدة المجاهدة واجتهاد الاجتهاد لكينونة السؤال؟
- ماهي محبة السؤال ومحبة المحبة له؟
- وما هو صبر السؤال وصبر الصبر عن السؤال وعلى السؤال؟
- ما هي كرامة وشهامة وجود وشفاعة السؤال؟

هذه مجموعة من المسائل والعناصر الداخلة في دائرة نظريات ومفاهيم وحقائق فقه

فلسفة وعلْمنة وعرْفنة ووحْيَنة اقتصادية كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب السؤال المعرفي والوجودي والأخلاقي والجمالي. وما تلك الأسئلة القبلية التي يُفترض على الكائن البشري أن يطرحها ويرصد كافة مشاكلها وإشكالاتها وإشكالياتها، ويحللها تحليلاً أبستيمولوجياً «**معرفياً**» وأنطولوجية «**وجودياً**» وأكسيولوجياً «**أخلاقياً وقيمياً**» واستطيقياً «**جمالياً وفنّياً**»، وبإرادة وحرية تامة ومن دون تحريم وتجريم وتأثيم وتكفير وإقصاء وإبعاد، لمقدمات وفعّاليات وإجراءات وأبستيمولوجية معرفية لتمكين الآلية الاقتصادية والكفاءة الإنتاجية لتوليد كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب أنْ تسير عجلة سيرورته وصيرورته وفق قيم مِمِّيلة ومنْقلة ومَكْيلة ومسطرة الحمولات الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا الكامنة بالقوة والإمكان والاحتمال في كينونة الذات والفطرة الإنسانية المركوزة، وتفعيلها بالجهد والجهاد والاجتهاد والمجاهدة بغية التحقق والانوجاد والتثبت والإنّية في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيق الواقعي داخل مجرى العالم والكون والوجود، وذلك بمعية مجرى الحق التجريبي العلمي والانتطاقي المنطقي والعقلي والاتصافي الصوفي والعرفاني المعقْلن والمشرْعن والغيبي الوحيَاني المسدد والمؤيد، وبمعية المرجعية اللفظية الكلماتية القرآنية الملفوظة والمرجعية الناطقة الولائية العصموية والولائية التقوائية العامة.

### 10.6.3 منظومة الأسئلة المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية:

إنَّ كينونة العقل المشرْعن والمعقْلن والمعرْفن والموحْين المسدد والمؤيد للكائن البشري، كفيلة بالتصدي لتلك الأسئلة وتقديم إجابات وردود منطقية وعقلية وعرفانية وغيبية، مقنعة ومدعمة بالحجج والبراهين والشواهد المادي والمعنوية. لذا نبدأ بمساءلة العقل من خلال عدة أسئلة تمكننا من إسدال الستار والاستتار والاسترار حول ماهية السؤال القبلي الذي طرحنا في صدر العنوان الجانبي لهذه الفقرة بعض الشيء، إذ الإجابات الشافية والكافية تتطلب بحثاً نستقصي كافة جوانبها وأبعادها وأكنافها،

وهو بحث ليس هنا محله، لذا نكتفي بإلقاء بعض الضوء على بعض جوانبه فقط.

**السؤال الأول**: دعونا نوجه السؤال الأول إلى كينونة العقل ونقول لها: هل المعرفة العلمية والعرفانية والفلسفية العقلية والاجتماعية والإنسانية و... للعالم أو الكون أو الوجود محدودة أم لا متناهية بالنسبة للكائن البشري بشكل عام؟ «**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**»[1]. الآية جدُّ صريحة في تبيان أنَّ علم الإنسان مهما أوتي من علم وطول عمر فإنه جدُّ محدود، والتمثيل البياني القرآني الذي مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، خير دليل بيّن وبرهان قاطع.

**السؤال الثاني**: هل إمكانات وطاقات وعقول وحواس الكائن البشري من حيث عناصر الزمن والمادة والصحة والنفس محدودة أم لا متناهية؟

**السؤال الثالث**: هل بإمكانك أن تجيب عن أي سؤال يطرح عليك؟ وهل تسمح بالأسئلة المبتذلة والمتناقضة والمتضادة أم لا؟

**السؤال الرابع**: هل أنت مستعد للإجابة عن أي سؤال يطرح عليك من أي شخص كان ما كان أم لا؟ وهل ترى من المنطق والعقل أن يسأل الشخص أي سؤال كان ما كان؟ هل يوافق العقل والمنطق أنْ يسأل الكائن البشري أي كائن ما كان سواء من أهل العلم والذكر أو من أهل الجهل والجهالة؟ ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾.[2]

**السؤال الخامس**: هل لديك شروط وقيود ومعايير وموازين ومساطر للسؤال أم لديك بوفيه من الإجابات الجاهزة أو معرض الملابس الجاهزة والمصنوعة وتبحث عن الأشخاص للشراء، أي هل توجد إجابات جاهزة حسب الطلب ولكل صنف ونوع من

(1)- المرجع القرآن المجيد، سورة لقمان، الآية 27.
(2) – المرجع القرآن المجيد، سورة النحل، الآية 43.

الأسئلة المعروضة؟

**السؤال السادس:** أيها العقل هناك قوانين وأحكام اقتصاديات إنتاج المعرفة والسؤال والجواب، بكفاءة إنتاجية وتوزيعية للموارد وعناصر الإنتاج المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، حاكمة وناظمة على عمليات الإنتاج في اقتصادات إنتاج السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، كما هي حال إنتاج سلع وخدمات في اقتصاديات السوق، بله، في إنتاج وتوليد أي شيء فيه. هل يقر بها ويلتزم بقوانينها ونظمها ونظرياتها ونماذجها ومفاهيمها وحقائقها الأنطولوجية الوجودية والأبستيمولوجية المعرفية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية أم لا؟؛ أي هل عمليات إنتاج السؤال والجواب والمساءلة والمشكل والإشكال تخضع لقوانين اقتصاديات السؤال والتفكير والنشاط الإنساني الإنتاجي والتوليدي والصياغي أم لا؟

**السؤال السابع:** هل دائماً وأبداً من الفائدة والخيرية أن يسأل أي كائن ما كان عن أي شيء كان وما كان أو ما سيكون أم لا؟ هل هناك زمكان وموضوعات يُمنع ويُحرَم على الكائن البشري السؤال عنها أو السكوت عنها أو تأجيل طرحها إلى حين تحيّنها؟ ألم يقل عزّ وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[1].

**السؤال الثامن:** هل تجيب عن السؤال اللامعنى واللاغاية اللامعقول والعبثي؟ هل تتجشم عناء البحث عن السؤال الذي غايته التكاثر والتفاخر أو السؤال الفاسد والباطل؟

**السؤال التاسع:** هل للسؤال شكر أم لا؟ وهل لشكر السؤال شكر «**شكر الشكر**»؟ وما هذا الشكر وشكر الشكر للسؤال؟ وكيف يكون ذلك؟ أليس الشكر الحقيقي هو استكثار سؤال الخيرات والبركات؟ وإن شكرتم لأزيدنكم! أليس شكر الشكر هو صيانة وديمومة

(1)- المرجع القرآن المجيد، سورة المائدة، الآية 101.

وديناميةِ لبنْيَة كينونة الشكر وغاياته وأوّلياته وإوَالياته وآلياته وآلاته وأدواته ووسائله ولغته وزمكانيته و...؟ هل نماء وديمومة ودينامية شكر السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب هو غير صرف النظر عن الإسراف والترف والبذخ والكفر بنعمة السؤال، وتثبيت التأمل والتدبر والتفكر في شكر السؤال؟؛ أي حفظ حق السؤال وكرامته وحرمته وقدسيته وزمكانيته وعوالمه وشخصيته وهويته وماهيته الأنطولوجية والأبستيمولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية، والعناية بصحته من آفات المورثات والفيروسات المرضية الفتاكة، وحفظ بنْيته النسقية ونظْميته الوظيفية والتيلوجية «**الغائية**»، وسلامة مكونات حمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ للمجرى الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، أي مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجوال، في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي للعالم أو الكون أو الوجود؟

**السؤال العاشر**: هل لكينونة السؤال منظومة قوانين وأحكام وحساب وعقاب وتساؤل وسؤال أم لا؟ هل للسؤال حق التقاضي يوم القيامة من السائل كما هناك حق التقاضي للجواب؟ إذا كان الأمر هكذا، فلماذا نحاسب ونحاكم ونقاضي ونرفض وننتقد الجواب وحمولاته دائماً وأبداً، بينما جدٌّ نادراً ما نقوم بنفس الفعل مع السؤال؟ هل ثقافة السؤال أصبحت نادرة أو معدومة إلى الحد الذي بدأنا نستورد السؤال كما نستورد الجواب في علب سردينية جاهزة للتوزيع والاستهلاك متى ما شعرنا بجوع السؤال والجواب؟

**السؤال الحادي عشر**: هل يخضع توليد وإنتاج أو إبداع وابتكار أو مأسسة وصياغة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب سؤال سؤال الجواب لاقتصاديات الإنتاج المعرفي، كما هي حال إنتاج السلع والخدمات في السوق أم لا؟ وإذا كان الجواب نعم، ما هي قوانين وسنن وأحكام ونظريات ومفاهيم اقتصاديات إنتاج وتوليد وصياغة السؤال؟

هذا السؤال الأخير هو ما دعانا للنظر والتأمل فيه بشكل أكثر عمقاً واستطالة لأهميته المعرفية والوجودية من جهة، ولكونه ربما موضوعاً جديداً وغريباً أو منسياً لدى الغالبية العظمى من السائلين والمجيبين، من جهة أخرى.

فهذه الرزمة من الأسئلة الموجهة إلى كينونة السؤال يمكن تبئيرها في سؤال أو موضوع كبروي كبّار يمكن استجماع واستهلاك واستبآر كافة حمولات تلك الاسئلة وموضوعاتها في بؤرة مركزية واحدة نطلق عليها اقتصاديات إنتاج وتوليد أو إبداع وابتكار أو مأسسة وصياغة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

السؤال يمكن أن نعتبره ككينونة منتج أو سلعة أو خدمة حيث يقوم المنتج بصناعتها وإنتاجها وفق اقتصاديات الإنتاج والسوق والتكلفة والجهد والربح والاستدامة والديمومة والدينامية مع فارق الأبعاد المُلْكية والملكوتية والبرزخية والجبروتية لكينونة السؤال، واستخلافيته وخاتميته وانتظاريته واتباعيته. وحيث إن موارد وعناصر الإنتاج المتكونة من الأرض» Land» المواد الأولية والعمالة «**العمل**» «Labour» والآلات والمعدات «**التكنولوجيا**» «Technology» «**والتنظيم**» المنظم والمخاطر وصاحب المشروع «Entrepreneurship» وعنصر المعرفة «Knowledge» محدودة ونادرة نسبياً، مقابل لا نهائية وعدم محدودية حاجات الكائن البشري، الأمر الذي يولِّد مشكلة كبروية كبّارة في منظومة الاقتصاد، يقتضي أن نبحث عن حل وعلاج منطقي وعقلاني اقتصادي لها.

الخطاطة التالية توضح طبيعة ومعالم الوضع الاقتصادي لحياة الكائن البشري.

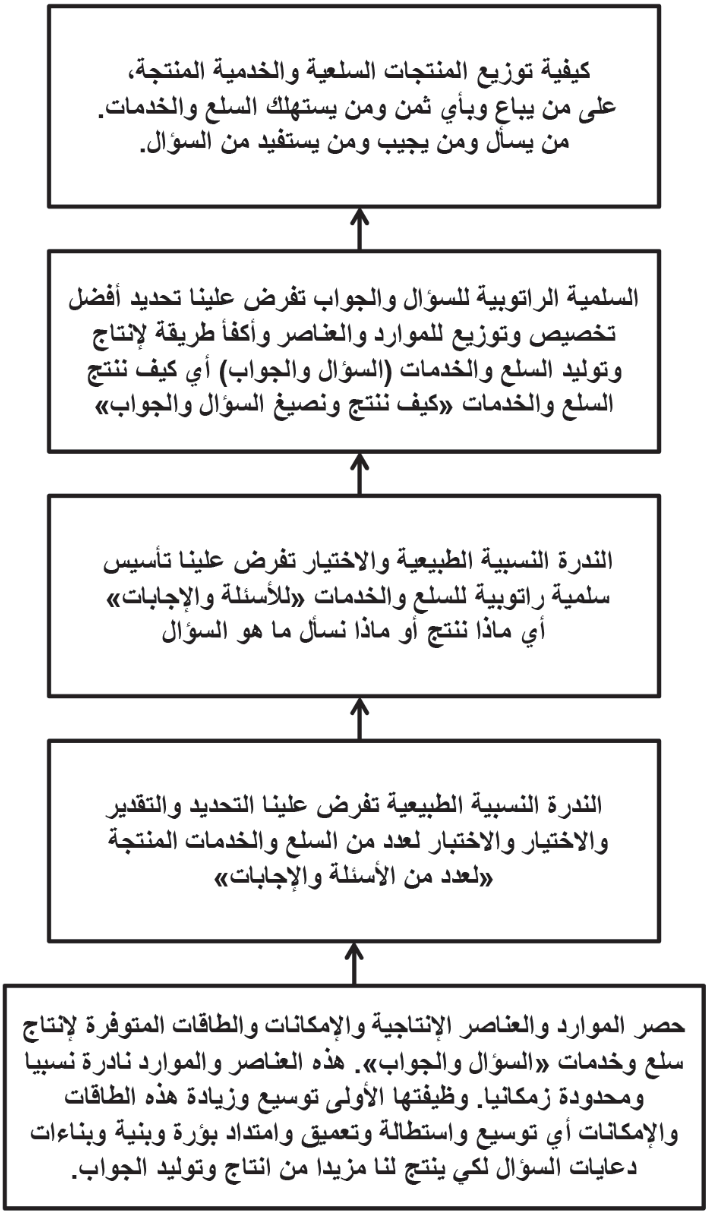


**خطاطة الآلية الاقتصادية لإنتاج السلع والخدمات أو السؤال والجواب.**

ولو تُؤمل حق التأمل، لوجدنا أن الحل الاقتصادي المناسب يكمن في وضع سلّم أوليات حاجات الكائن البشري حسب شروط وقيود ومعطيات محددة وإعطاء أوزان أهمية وقيمة لكل منها من جهة، وتوظيف واستثمار وتشغيل كافة الإمكانات والطاقات وعناصر الإنتاج توظيفاً وتشغيلاً واستثماراً متكاملاً بأقصى حد ممكن وبكفاءة إنتاجية وتوزيعية عالية جداً. وللوصول إلى هذا الجواب والحل للمشكلة الاقتصادية الكبرى، يستلزم الأمر تحديد السؤال والمساءلة وتعيين المشكل والإشكالية التي تتبأور في الأسئلة الفرعية الثلاثة التالية:

**السؤال الأول:** ماذا ننتج من السلع والخدمات اللانهائية المطلوبة التي تلبي حاجات الكائن البشري اللامحدودة؟

**السؤال الثاني:** كيف ننتج هذه السلع والخدمات التي تم اختيارها من بين تلك السلع والخدمات اللانهائية؟ هل ننتجها وفق معادلة كثافة رأسمالية «**آلات ومعدات وأجهزة كثافة تكنولوجية**»، أم وفق كثافة عمل «**توظيف أيدٍ عاملة بكثافة عالية**»، أم وفق نسب متساوية أو متوازنة أو مرجحة بين استخدام كثافة الآلات والمعدات التكنولوجية وكثافة العمل؟

**السؤال الثالث:** كيف يتم توزيع المنتجات السلعية والخدمية المنتجة؟؛ أي لمن نوزع ونمنح هذه المنتجات وبأي كيفية وبأي مقدار وبأي سعر؟ [1].

**تخضع هذه الأسئلة الثلاثة لقانون ونظام ونسق اقتصادي يطلق عليه قانون تكلفة الفرصة البديلة « Opportunity Cost» الذي يعبر عنه بمقدار الوقت والجهد والمال المضحى بها لإنتاج السلعة «س» بدلاً من السلعة «ص».**

(1)- جعفر عباس حاجي: «المذهب الاقتصادي في الإسلام: دراسة مذهبية مقارنة بين مذهب الرأسمالية والاشتراكية والإسلام» الجزء الأول، مكتبة الألفين، الكويت 1986، ص 226 ـ 265.

### 10.6.4 تطبيق مفهوم اقتصاديات العمل والإنتاج على كينونة السؤال:

إنَّ مفهوم اقتصاديات العمل أو الإنتاج مفهوم اقتصادي عقلي واقعي وطبيعي، بحيث هو قابل للتطبيق والتصديق على كافة أنشطة الكائن البشري، بدءاً من فعل الرغبة والغاية والقصد والنيّة والإرادة والعزم، مروراً بالنشاط الذهني والتفكير العقلي، وانتهاءً بفعل القول وبفعل الجسد، أي الفعل المادي، وهذا ما حاولنا توظيفه في كتاب فقه فلسفة ونظرية فعل القول والعمل من منظور إسلامي[1].

إنّ بناء كينونة السؤال نشاط ذهني وعقلي وعرفاني قلبي معقد، ونشاط يخضع لقوانين وسنن وأحكام إنتاج المعرفة، وإنَّ إنتاج منتجات السؤال يقتضي، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، تحديد مكونات وعناصر المنتج السؤال والتي هي: العمل والجهد والجهاد والمجاهدة الذهنية والقلبية والغيبية - الوقت - مواد معرفية من أفكار ومفاهيم ومعلومات - تقنيات منطقية وعقلية استدلالية ودلالية إنتاج المنتج السؤال - السائل، والهدف والغاية والزمكان للسؤال. ومن المعروف أن هذه المكونات والعناصر الأولية الإنتاجية اللازمة لإنتاج المنتج السؤال هي محدودة ونادرة نسبياً، مقابل الكم الهائل والحجم اللامتناهي من المنتجات المعرفية التي يرغب الكائن البشري بالحصول على إجابات لها، من خلال إنتاج الأسئلة، أي السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب التي تشبع حاجات وتحقق غايات الإنسان الباحث عن التكامل والتقرب إلى المطلق والمثل الأعلى له. وعليه، يخضع النشاط الإنتاجي لكينونة السؤال لظاهرة وقانون تكلفة الفرصة البديلة الذي ينتج بموجبه الأسئلة الثلاثة التالية:

**السؤال الأول:** كيف يتم تعيين وترتيب سلّم أوليات السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب والمشكل والإشكال مع أوزان الأهمية لكل منها، وذلك حسب تسلسل متواليات حاجات الكائن البشري للمعرفة والسؤال والجواب التي هي بطبيعتها غير محدودة ولا متناهية، لكون الإنسان دائماً وأبداً يسعى إلى الجمال والكمال

(1) - لمزيد من التفصيل: راجع كتابنا قيد المراجعة النهائية «فقه فلسفة كينونة العمل - من منظور إسلامي».

المطلق، سواء يشعر بذلك أم لا يشعر به. وعليه أن يختار أهم الأسئلة المتصدرة في قائمة سلّم الأولويات والتي لها أوزان أهمية كبيرة وكبّارة وقيم متعالية، تعظم دالة تحقيق حاجات الكائن البشري من المعرفة، بأقل جهد ووقت وتكلفة، وتمكنه من اختيار الطريق المستقيم والسبيل القويم للوصول إلى مبتغاه في الحياة؟.

**السؤال الثاني:** كيف يتم اختيار أفضل وأدق وأكمل وأنسب التقنيات المنطقية والعقلية الاستدلالية والدلالية والتواصلية والتداولية والتيلوجية «**الغائية**» لإنتاج المنتج السؤال، التي تعظم دالة إنتاج السؤال بكفاءة وكفاية عالية من حيث أكبر قدر ممكن من السؤال وبأقل تكلفة ذهنية وعقلية ومادية جسدية ممكنة، أو بأقل قدر ممكن من الأسئلة التي تولّد وتنتج أكبر قدر من المعرفة والعلم. هنا البحث في آليات وأدوات وأساليب واستراتيجيات عمليات إنتاج المنتج السؤال، وهو عمل معقد وشاق مضنٍ وجهد كبير يحتاج إلى ممارسات وتجارب في غاية الأهمية والدقة، قد لا تتوافر لكل كائن في كل الأزمنة والأمكنة، كما هو حال المنتج الصناعي الذي يبحث دوماً وأبداً عن أحدث وأكفأ تقنيات الإنتاج لكي يواكب ويستمر في السوق.

**السؤال الثالث:** كيف يتم اختيار حمولات السؤال المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ للتكليف الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، أي مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجوال، في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي للعالم أو الكون أو الوجود.

وكذلك كيف يتم اختيار حمولات الجواب المعرفية بشكل يحقق أكبر قدر من المنفعة والفائدة والخيريّة للكائن البشري، وفقاً لسُلَّمية دالة قيم غايات وقصود ونيّات وأهمية الإجابات وحمولاتها الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والسسيومعرفية والسيكومعرفية، التي تحقق

مراتب ومراقي الكمال والتقرب إلى مثله الأعلى.

هذه النظرية الإنتاجية والتوليدية المعرفية لكينونة المنتج السؤال والتي هي عقلية منطقية طبيعية وفطرية، لكونها حقيقة مشتركة ومقبولة من قبل كافة الكائنات البشرية، وإنها نظرية حاكمة وناظرة وواصفة لكل فعل قول أو عمل أو تفكير وحتى فعل الصمت والصومتة ليس مستثنى من هذه النظرية الكونية الفطرية والطبيعية، وإنها حاكمة أيضاً على أي كائن ما كان سواء من الكائن العالم أو الفقيه أو الفيلسوف أو الحكيم أو البسيط والساذج أو الأمي أو الجاهل. قانون تكلفة الفرصة البديلة ونظرياته ومفاهيمه تسري في فعل القول والعمل والتفكير والسكوت سواء بقصد أو بدون قصد أو بوعي أو بلا وعي أو بتخطيط مسبق أو بدون ذلك.

إنها صالحة ومقبولة في كل الأزمنة والأمكنة، وكذلك شاملة وجامعة لكافة أنشطة الكائن البشري، سواء الذهني أو القلبي أو الجسدي أو الروحي، وسواء في الأنشطة الدنْيوية أو الديْنوية، وحتى العبادات والنيّات والمعاملات الشرعية تخضع لهذا القانون الفطري الطبيعي والعقلاني، وإن البيْنونة ليست في أصل قانون تكلفة الفرصة البديلة وأصل اختيار منظومة الأسئلة المحددة من بين مئات الأسئلة الممكن إنتاجها وطرحها، وليس في أصل اختيار أفضل الطرق والسبل والآليات والاستراتيجيات الدالة على إنتاج المنتج السؤال بأقل تكلفة إكونولوجي «**اقتصامعرفية**» «Econology» أي اقتصادية – معرفية ، وليس في أصل اختيار الجواب المحدد من حزمة الإجابات المختلفة أو المراتب المتباينة للجواب، بله، الاختلاف والتمايز وحتى التضاد والتناقض هو في تشخيص وتعيين وتحديد منتجات السؤال وقيمها وحمولاتها المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والجمالية والفنّية، وفي قيم وأوزان أهميتها النسبية وغاياتها المتعالية وآلياتها وأدواتها وأساليبها واستراتيجياتها الاستدلالية والدلالية والتواصلية والتداولية الفعّالة المنتجة بكفاءة عالية.

إذاً، بِمَكْنتنا القول إن ما يجري من قانون تكلفة الفرصة البديلة في النظام الاقتصادي لأي مذهب سواء رأسمالي أو اشتراكي أو إسلامي، هو قانون عام وطبيعي وعقلاني وفطري مشترك بين كافة الكينونات البشرية وفي كل الأزمنة والأمكنة، ما

دام هناك ندرة نسبية حقيقية وليست مفتعلة لعناصر وعوامل الإنتاج وزيادة مطّردة لامتناهية لحاجات البشر. ولا يستثنى النشاط الإنتاجي المعرفي لمنظومة السؤال من هذا القانون، ما دام عمر الكائن البشري ووقته محدوداً وإمكاناته وطاقاته الذهنية والقلبية والعقلية والجسدية محدودة نسبة إلى طموحاته وغاياته وأمانيه التي تصبو إلى تحقيق الجمال والكمال المطلق في كل شيء.

الشيء الوحيد المائز بين نشاط إنتاج المنتج الصناعي والمنتج السؤال المعرفي، هو أنه في حال المنتج السؤال المعرفي لا بد من قيام الكائن البشري وحده بإنتاجه، وليس مقبولاً البتة استيراده من خارج كينونته الذاتية إلا إذا تتطابق مع ما يريده عقلانياً وفطرياً وعرفانياً ووحْيانياً، وليس هناك مانع من الاسترشاد والاستعانة بالخارج. أما فيما يتعلق بالمنتج الصناعي، فقانون التخصص وتكلفة الفرصة البديلة والرشد الاقتصادي يفرض على الكائن البشري تعيين وتحديد مطالبه ومن ثم يتكفل المنتج الصناعي القيام بإنتاجه، سواء كان المنتج محلياً أو أجنبياً، مؤمناً أو كافراً و...

وهذه الحال لا تجري على كينونة السؤال في صورتها المتكاملة التي تقتضي تجربة ومشاركة وجدانية وعقلية ذاتية للكائن البشري، لكون السؤال المعرفي ليس منتجاً استهلاكياً ينتهي مفعوله ووظيفته، بله، هو عملية بنائية وتأسيسية وتأثيلية ذاتية لكينونة الكائن الجوانية، ومأسسة وانبناء لهويته وماهيته وشخصيته الإنسانية، وليس مقبولاً ولا مطلوباً من الكائن أن ينتحل ويستورد هوية وشخصية مصنعة معلبة جاهزة. فالسؤال ليس لباساً يلبسه الكائن ليواري سوءته، بله، هو تعرية وانكشاف وإظهار وتجلّ وعرض لكينونته الجوانية. وهذا الأمر لا يمنع من الانفتاح والتعالق والتفاعل والتشارك والتواصل مع الغير في بناء هويته وشخصيته، أي بناء وإنتاج السؤال المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفني لكينونته، ولكن الصانع والمنتج والمبدع والمبتكر لكينونة السؤال وما يترتب عليه من التكاليف والجهود والمعاناة والإثارة والتوتر والدهشة والقلق، هو من مسؤولية الذاتية الجوانية لكينونة الكائن، وليست مسؤولية

الكينونات الغيرية البرانية، وإنّ كان الانفتاح والتفاعل والتشارك أمراً ضرورياً أساسياً في عملية البناء والتصنيع والتوليد والصياغة لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

وخلاصة القول، كما إن المنتج الصناعي مقيد وملزم بقوانين وسنن وأحكام ونظريات اقتصادية، وإنه ليس طليقاً وحراً في اختيار أي منتج صناعي أو اختيار أي وسيلة إنتاجية أو توزيع وبيع المنتج على أي شخص وبأي سعر وفي أي زمان ومكان يشاء، إلا إذا تجاوز ثيمة القانون الاقتصادي الطبيعي والعقلاني والفطري، أو أنه خرج من دائرة الرشد الاقتصادي الذي يصبو كل منتج اقتصادي للوصول إليه. ونفس الحال يجري على المنتج السؤال المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفني، فهو مقيد وملزم بسنن وقوانين وأحكام وضوابط ونظْمية ونسقية عمليات الاستدلال والدلالة والتواصل والتداول العقلي والعرفاني والعلمي المعرفي وآلياته وأساليبه وأدواته واستراتيجياته المنطقية والعقلانية والعرفانية والوحْيَانية الغيبية المسددة والمؤيدة.

وعليه، فهو ليس مبسوط اليدين حر طليق، يفعل ما يشاء، وينتج ما يتصور، ويتخيل من الأسئلة وبأي طريقة ووسيلة يشاء ويريد، أو أن يختار أي جواب لأي سؤال مهما كان، بله، هناك قيود ومعطيات وشروط يقتضي على الكائن البشري أن يلتزم ويتقيد بها في اختياراته للسؤال والجواب، إذا ما أراد أن يكون كائناً ناطقاً عاقلاً راشداً وربانياً يصبو إلى تجلي وتمظهر الأسماء الحسنى والصفات العليا وحمولاتهما الكمالية والجمالية الكامنة بالقوة والإمكان إلى الفعل والانوجاد والتحقق والتثبت والإنّية في كافة تمظهرات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية و...

والكائن العاقل لا يستهين بالسنن والقوانين والأحكام وخاصة العقلية والقلبية والعلمية والشرعية، وإلا وقع في المحظور وتموضع خارج دائرة الرشدية والعقلانية والتكاملية والعلمية والعرفانية والإنسانية والفطرية و.... يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«دليل العاقل شيئان، صدق العقل وصواب العمل، والعاقل لا يتحدث (لا يسأل)**

بما يكره العقل، والهوى عدو العقل، ومخالف الحق قرين الباطل، وقوة الهوى من الشهوة، وأصل علامات الشهوة أكل الحرام والغفلة عن الفرائض والاستهانة بالسنن والخوض في الملاهي».

الفصل

الحادي عشر

# فقه فلسفة منطق كينونة السؤال
# وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب

## 11.1 مقدمة:

مفاتيح حمولات السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب هي ما تحمل من مفاهيم وحقائق ومصطلحات من جهة، والتسلح بالمنطق السليم والقويم، من جهة أخرى، وذلك لربط التبعثرات والتشظيات والمتباعدات لضبط مفهوم مركزي وتبأوري، وإلا تكون قد ظلمنا كينونة السؤال بما لا طاقة له به إلا أن يتواطأ على امتصاص روح العلم والمعرفة وإذابة رحيقه، وهذا لما يصدق على كل معرفة تحتكم إلى أواصر العقل. ومن ثمة تتضح العلاقة الوطيدة بين المصطلحات والمفاهيم والعلوم الثاوية في كينونة السؤال، ويتبين أنه لا مناص من الوجاهة المعرفية والوجودية والعرفانية والوحْيَانية بجانب المنطق والقدرات اللغوية في معالجة هذه المعضلة، وتحديد المفاهيم في كينونة السؤال، أو نحتها، أو سبكها، أو افتراضها بدرجات عالية من الدقة والحصافة. وبعد سلسلة من العمليات الذهنية يتمكن السائل من التمسك بروح السؤال ومركز سيرورته وآليات مِمّيلته التوجيهية ومنّقلته الإحداثية ومَكّيلته التوزينية وبوصلته الاتجاهية التي تضبط مفهوم التمركز والتبأور والضرورة والحتمية والعلية والسببية والوحدة في عين تكوثراته، وتكوثراته في عين وحدته التوحيدية. وبهذا يُمَكّننا من التفريق بين شيء وشيء، وكائن وكائن معرفي ووجودي وقيمي وجمالي في مجرى السؤال. فهم السؤال وتفهيمه وانفهامه وإفهامه، وكذلك الجواب يتعدد بتباين المسلّمات المنطلق منها سواء أكانت ميتافزيقية أم أنطولوجية أم فلسفية أم عرفانية أم وحْيَانية. وتتحدد طبيعة السؤال الظرف والرحم لكينونة الجواب ومداها على أساس مصدرها ومرجعيتها ومِمّيلتها وعوالمها المختلفة «**فمن وجهة النظر العقلانية فإن المفهوم شمولي وضروري ومستقل، ومن وجهة نظر التجرباني فإن المفهوم مرتبط بشيء ما في**

**وقت ما؛ ومن ثمة فإنه نسبي وقابل للتحوير والتبديل والإلغاء،... وأما العقلاني التجريبي فيقر بوجود مصدرين للمفاهيم؛ أحدهما الإنسان في كليته، وثانيهما السياق في شموليته، ومن حيث كونه عرفانياً يتوغل ويسري إلى بواطن الظواهر ليتدرج بسلّم السؤال إلى اتجاه الجمال والكمال المطلق تعالى.**

ونحتاج إلى باراديم «**إبدال**» ومنهاجية ومنطق يستوعب التقسيمات المختلفة، فعلى سبيل المثال دأبت العلوم التجريبية إلى تقسيمها إلى ثلاثة أنواع؛ هي المفاهيم الترتيبية، والمفاهيم المقارنة، والمفاهيم التكميلية. واختزلتها الأدبيات المعاصرة المختصة بالمجال المفاهيمي إلى مفهومين أساسيين؛ هما التصنيف والترتيب. وهناك مَن صنّف وفق مفاهيم تراتبية أو ترتيبية ومفاهيم مقارنة.

أ - المفاهيم الترتيبية: يقوم هذا النوع بترتيب المفاهيم على أساس أنواع العلائق؛ وهي المشابهة، والأسبقية، والاحتواء، والتبعية. وتتحقق علاقة الرتب بحسب مبادئ ميتافزيقية أو مبادئ أنطلوجية. «**فالمبدأ الميتافزيقي الأنطلوجي يجعل تلك التوالدات الترتيبية نابعة من أصل وحيد. والمبدأ الأنطلوجي التجريبي يرى أن تلك التوالدات ينتج بعضها عن بعض.**

ب- المفاهيم المقارنة: تنهض على منطق هذا ولا هذا، وأكثر وأقل، ما أدى إلى القيام بتدريج المفاهيم وترتيبها، والإقرار بوجود سلسلة من الأشكال الوسيطة بين نوع وآخر. ويقول الأستاذ محمد مفتاح ما يلي لاستدراجنا إلى صلب الموضوع: «**بغض النظر عن التقابل بين المنطق الصوري والمنطق المتدرج، أو بين أرسطو وبداه، وبقطع النظر عن تبادل العبارات القوية فإن ما يهمنا نحن هو أننا وظفنا مفهوم التدريج فأدى بنا إلى نتائج حسنة مع بعض الأعراض الجانبية؛ بل إننا اتخذنا شعارا لنا هو: المفاهيم معالم**»[1].

(1) لقد سبق لمحمد مفتاح أن وظف مبدأ التدريج. اقترح مفاهيم مرتبة تدريجيا من الكثرة إلى القلة على القياس والتقريب. أنظر في هذا الصدد إلى التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1، 1996، ص10-11.. -

وعلينا توظيف المنطق الأرسطي الصارم بجانب منطق ومبدأ التدريج متجاوزا الثنائيات إلى رباعيات، وسداسيات، بل إلى ثمانيات أو أكثر، وذلك حسب الخاصيات المطلوبة، وإعداد تدرج للمفاهيم المقارنة بالاعتماد على نظام تسلسلي وتصاعدي. وقد أثبتت نتائج التدريج[1]. أن مبادئ البحث توخت البساطة، لكنها - على جري عادة أهل العلوم المعاصرة - ولّدت من مبدأي الاتصال والانفصال (عنواني البساطة) مبادئ فرعية ومفاهيم متعددة.

## 11.2 ضرورة منطق التدرج:

نظرا لاختلاف المرجعيات والبارادايمات والمنهاجيات لمنظومة الكائن الإنساني الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي والأكسيولوجي القيمي والأخلاقي والاستطيقي الجمالي والفني من جهة، وتباين عدسات مناظيرها التلومايسكتروسكوبية المركبة من جهة ثانية، وتغاير وتمايز حمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوعقائدية والسوسيوثقافية و... من جهة ثالثة، يقتضي الأمر تعدد القراءات[2] والفهوم الطولية وليست العرضية المرفوضة. وهذا الأمر يتطلب منطق ومبدأ التدرج الطولي لفهم كينونة السؤال والجواب في سياق الممازجة والمصالحة والمصاهرة بين

(1) لقد سبق لمحمد مفتاح أن وظف مبدأ التدريج. اقترح مفاهيم مرتبة تدريجيا من الكثرة إلى القلة على القياس والتقريب. أنظر في هذا الصدد إلى التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1، 1996، ص44.

(2) يرى الأستاذ محمد مفتاح بأنه آن الأوان لتجاوز ثنائية الحقيقة/ الاحتمال (ينحت الكلمتين على النحو التالي الحقملة) لمراعاة الوقائع النصية، وسياقاتها، وأنواعها، وآليات تأويلها بالاعتماد على تدريج إستراتيجيات القراءة، وتدريج المعنى، وتدريج المفهوم.

1 – فيما يخص تدريج استراتجيات القراءة، نجد ثلاث إستراتيجيات معروفة ومتداولة، وهي:

- الاستراتجية التصاعدية (من الخاص إلى العام، ومن الجزء إلى الكل).
- الإستراتيجية التنازلية (من العام إلى الخاص، ومن الكل إلى الجزء).
- الإستراتيجية الاستكشافية (الظفر بالمبتغى بعد التجربة والخطأ).

ثم أضاف إليها إستراتيجيات أخرى لمحاصرة عمليات الذهن في القراءة والتأويل، وهي:

- الإستراتيجية الاستدوانية (استتباع المعنى النووي الأولي معاني متفرعة عنه، تسايره ولا تناقضه).
- الإستراتيجية الاستقياسية (المشابهة القريبة والبعيدة).
- الإستراتيجية الاستئطارية (الانطلاق من المعروف لفهم المجهول).

المفاهيم العلمية والفلسفية والعرفانية والوحْيَانية، أو بين العلم والفلسفة والعرفان والوحي المسدد، أو بين المحسوسات والمعقولات والعرفانيات والوحيَانيات، أو بين العالم والفيلسوف والفقيه والعارف والنبي الباطني، ذلك كلما أمكن حسب طبيعة دائرة الموضوع والمحمول أو الغاية والمطلب، أو أي اعتبار معقول ممكن.

## 11.3 فقه فلسفة ومنطق التماثل والتناظر في كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب:

الغاية من التأكيد على فلسفة تحقق وتثبت وانوجاد التشابه والتشاكل والتضارع والتضاهي والتماثل والتجاور والتناظر والتطابق التعاضدي والارتقائي والتوافقي أو الوفاقي والتكاملي أو الاكتمالي، للحمولات الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية لكينونات ومنظومات السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، وفلسفة إزالة وإمحاء الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق السلبي والتناقض والمزايلة التناقضية السلبية والترقيعية والتهجينية والتركيبية لها، والتي يتم توظيفها بشكل مكرر مكرور ودائم مستديم في الباراديم «**الإبدال**» والنموذج والمنهج والمنهاجية التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية لكينونة الكائن البشري وكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، مآلها هو كون التماثل أو التناظر أو التطابق يشير إلى تماثل وتناظر وتماهي وتطابق أوّليات وإوَليات وآليات وآلات ووسائل واستراتيجيات التفكير المنظوري البشري لتماثل بنياته الذهنية، تماثل كينونته الوجودية الفطرية، وتماثل غاياته وقصوده وأهدافه الكبروية الكبّارة، وتماثل طموحاته ورغباته وتصوراته وتخيلاته الجمالية والفنّية التكاملية، وتماثل أسس ومبادئ قيمه الأخلاقية والجمالية، من حيث امتلاك ناصية الجمال والكمال المطلق والسعادة الأبدية والخيرية المطلقة.

وهذه التماثلات والتمثلات هي مصدر ظاهرة التطابق والتناظر والتماثل والتحاذي

والتضاهي والتضارع والتشاكل والتشابه في الكون، ومصدر العلائق الحميمية والصلات الصميمية بين أجزاء الكون ومبادئه، التي تنشر روح المحبة والتعاون والإحسان والإيثار والتسامح والأخوة الإنسانية قبل الأخوة النسبية والقبلية والمجتمعية والإقليمية. حيث إن مبدأ التماثل وفلسفته وفقهه ونظرياته ونماذجه المعرفية والوجودية مبنيّة على أن: «**كل شيء ممكن الوجود يماثل، أو يشابه، أو يتصل، أو يتساوق، أو يتماهى، أو ينسجم مع كل شيء بجهة من الجهات، لا في جميع الجهات، أو بزاوية من الزوايا، لا بكل الزوايا، أو بجانب من الجوانب، لا بكل الجوانب، وبمستوى ودرجة ومرتبة من المستويات والدرجات والمراتب العرضية والطولية، لا بكل المستويات والدرجات والمراتب مطلقاً**».

حيث إنّ تشييد مبادئ التفكير النسقي والمنظوري ذات عنكبوتية الشكل والمضمون والوظيفة والنسق والانتظام تسعى في النظر إلى الظواهر والإشكالات، وفق رؤية تكاملية قائمة على الأوصاف الكلية والتشميلية والسببية والضرورة والوضوحية والعلّية واليقينية والحتمية والوحدة في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها، لا على الأوصاف التجزيئية والتشتتية والتبعثرية والتشظية، حيث إنها تسعى إلى البحث عن مرتكزاتها وأوصافها وبِنْياتها وبناءاتها المشتركة، وإلى استجماعها واستهلاكها واستغراقها في بؤرتها التبئيرية ومركز مركزيتها ومحور محوريتها، وجعل هذه الأسس والقواعد والنسق والنظام صفة وحقيقة ووظيفة تقوم بمثابة واصف وشارح وناظر ومقوِّم لهذا الاختلاف والتمايز والتغاير، من أجل إيجاد النسق العام لسيرورة التكامل والارتقاء. فنحن نخالف التضاد والتناقض والمزايلة التي تفتت الوحدة وتباعد الأجزاء والأطراف عن المركز والمحور والبؤرة للمجرى الحدثي «V5» والمشهدي «V4» والمرآوي «V3» والحقيقي الواقعي القائم «V2» عن مجرى الحق الإلهي «V1» الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي للعالم أو الكون أو الوجود «V».

وإن الأصل في التماثل يشي إلى إمحاء التضاد والتناقض والمزايلة، لا يعنى البتة إلغاء الاختلاف والتمايز والتغاير في المستويات الجزئية والتفصيلية الصغيرة والصغّارة لبعض الجزئيات والظرفيات والوضعيات والموضوعات والمسائل والكينونات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، أو في بعض تموضعات ثيمات هذه الكينونات المعرفية والوجودية في دائرة من الدوائر القريبة والبعيدة أو المجاورة في النظام العرضي للكون، أو الاختلاف الظاهري أو التراتبي التكاملي في المستويات الدنيا في النظام الطولي في الكون، أو الاختلاف في الوظيفة.

أما على المستوى التوسطات أو المتوسطات أو المجموعات كوحدات حاضنة وناظرة ومستحكمة لتلك الجزئيات المتناثرة والمتباعدة والمتشظية، فإنها، أي المجموعات، تكون أقرب من حيث التشابه والتناظر والتماثل، لكونها تتقارب وتتجاور وتتماس على المستوى الأفقي والعرضي، وتتداخل وتتحاقل على المستوى الطولي والهرمي. وعليه، كلما اقتربنا من قمة الهرم التراتبي للكينونات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنيّة، أو كلما اقتربت وتجاورت وتحاقلت دائرة الكينونات المعرفية والوجودية من دائرة المركز والبؤرة والنواة في نموذج الشبكة العنكبوتية لنظام الكون، نكون قد تجاوزنا الدوائر التعضيدية التكاملية من المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمحاذاة إلى المناظرة والمطابقة، واختفت وتقلصت التناقضية من المزايلة والتناقض والتطابق السلبي والتقابل والتضاد والتغاير والتمايز إلى الاختلاف.

أما على المستوى الكليات الإنسانية فهي متماثلة ومتشابهة لكونها تقترب من الفطريات والبديهيات والمسلّمات التكوينية الطبيعية لكافة الكينونات البشرية. والأسس المنهاجية لتحقيق التماثل مرتكزة على منطق الدرجات أو المتداخل، ونظرية المجموعات، وفق سُلّمية راتوبية محددة. إذاً فلسفة وفقه ونظرية ونموذج التماثل لكينونة الكائن البشري ولكينونته المعرفية والوجودية، ولكينونته التساؤلية، مبنيّة على فلسفة كونية ورؤية تشميلية تراتبية تكاملية توحيدية.

### 11.3.1 فقه منطق كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب:

إنّ المنطق الذي نوظفه في دراسة ونموذج كينونة السؤال هو منطق الدرجات والمراتب والمراقي ذو حدين ثنائيين مفتوحين يتوسطهما درجات ومراتب إما تعاضدية إيجابية تكاملية تطابقية أو تناقضية سلبية تراجعية انحداريه تباعدية، وهو ما يطلق عليه بعض الباحثين منطق «**بُودّا**»، في مقابل منطق «**أرسطو**»؛ وهذا المنطق شائع في بعض الدول الآسيوية، لأنه منطق طبيعي يضاهي طبيعة تكوين الدماغ البشري، ويشاكل صيرورة التكامل والترقي المتعالي الذي يتحقق وفق حركة جوهرية للنفس تدرجية وتراتبية وتزامنية، وهو منطق ينسجم ويتماهى مع تحليل وطبيعة الأفعال الإرادية، مثل الأفعال الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والأخلاقية والظواهر اللغوية، وجميع الموضوعات والمجالات المعقدة.

المنطق الثنائي (0:1) أو منطق إمّا وإمّا، هو منطق تبسيطي اختزالي واستجماعي واستهلاكي وتبئيري في حدين متطرفين مغلقين، قد يصلح ويخص ببعض الرياضيات الخالصة، وببعض المواقف والأوضاع والأحكام الفقهية والشرعية والاجتماعية والسياسية، وببعض المصطنعات الإنسانية التي تفتقد بنْيَتها الجوانية إلى درجات ومراتب، بالرغم من كونه منطقاً حساساً دقيقا حاسماً، في حين أن منطق الدرجات وسُلّميته الراتوبية لا خطي عمائي مُراعٍ ـ التبعية الحساسة للظروف الأولية ـ في حين يتأسس منطق الدرجات الراتوبية على مبدأ؛ هو «**كل شيء يتصل بكل شيء**»، وإن مبدأ الاتصال يجعل من وجود نسقي ينتمي إلى نسق أكبر كبّار، وأن هذا التصور النسقي طبيعي فطري في كينونة الكائن البشري، ومن ثمة، فهو قديم قدم الفكر الإنساني الفطري؛ مثله مثل التفكير بالتشابه والاختلاف، والتشاكل والتمايز، والتضارع والتغاير، والتضاهي والتضاد، والتماثل والتقابل، والتجاور والتطابق، والتناظر والتناقض، والتطابق والمزايلة.

المستقرئ لأدبيات الفكر الفلسفي والعرفاني والصوفي يجد أن فكرة النسق مستهلكة ومستغرقة ومستجمعة في بؤرة فلسفة انتظام الكون القديمة، وفي العهود الوسيطة، ثم في الأزمنة الحديثة والمعاصرة؛ ومقتضى هذه الفلسفة النسقية الكونية أن الكون مؤلف من عَوالِم يتصل بعضها ببعض، بحيث يشكل سلسلة متوالية ومترابطة الحلقات العرضية والطولية، ويُدعى هذا النسق الكوني بتسميات مختلفة حسب العدسات الرؤيوية، التي ينظر من خلالها بنيَة وتركيبة هذا النظام النسقي وموضوعاته. فيُسمِّيه أصحاب البلاغة والأدب «**بوجه الشبه**»، والأصوليون يطلقون عليه «**العلّة**»، وعلماء الرياضيات «**بالمجموعات المتداخلة أو المتقاطعة**»، وبعض فلاسفة اللغة «**بالتشابه العائلي**»، ويطلق عليه علماء الأعصاب «**الوصلات**»، والسيمائيون «**التشاكل**».

ومهما تعددت الأسماء وتنوعت العناوين والمسميات والمصطلحات، فإنها جميعاً تعني شيئاً واحداً، وهو مركّب نسق مؤلف من مكونات وعناصر مترابطة متواصلة متفاعلة ومتساوقة منسجمة متحاقلة في بنْيَته الكبروية الكبّارة، وإن بان وظهر، أحياناً، أنه شتات وفوضى، وتبعثر وتنافر، وتباعد وفواصل، ومسافات وجزر أرخبيلية، إلا أن الحفر الجينيالوجي والتنقير الأركيولوجي والتشريح الأيكيولوجي والتفسير والتأويل البنْيوي الكبّار، يدل على التشابه والتشاكل والتضارع والتضاهي والتماثل والتناظر والتطابق في مستوياته ومراتبه، ذلك تبعاً لتموضعات مكوناته وعناصره في نظام الكون العرضي والطولي.

والمستقرئ لأدبيات المنطق والفكر الفلسفي وبالأخص فكر المنطق المتداخل، يستشف بجلاء ووضوح مدى التركيز الكبير والاهتمام والعناية البالغة للمناطقة الجدد في توظيف واستثمار مبدأ (كل شيء قابل للتدريج) في حقول المعرفة والوجود العلمي والفكري والأخلاقي العملي والذوق الجمالي والفني لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي، وذلك في عدة سياقات أو أنساق منها ما يتم الربط بين بداية ونهاية في صوَرنتهما التراتبية والتدرجية.

ففي منظومة النص والتناص أي التداخل بين نصوص السؤال وكينوناتها المختلفة تم تشييد مفهومين أحدهما التعضيد والآخر المناقضة، وكل واحد منهما يتضمن درجات عديدة يمكن حصرها في ثماني درجات تراتبية، وهي بالنسبة لمفهوم التعضيد التنازلي: المطابقة والمناظرة والمحاذاة والمماثلة والمضاهاة والمضارعة والمشاكلة والمشابهة، أما بالنسبة لمفهوم المناقضة التصاعدية وهي أيضا ثمانٍ منها: الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة، وفي حين تم رسم منطقة محايدة بينهما متمثلة في الصفر أو البرزخ المعرفي والوجودي والقيمي والجمالي، منها ينطلق الإيجاب أو التعضيد ومنها يبدأ السلب أو المناقضة، وذلك كما هي موضحة في الخطاطة الموضحة أدناه.

**الخطاطة الرقمية لقيم المضاعفات الإجمالية «المباشرة وغير المباشرة» الناتجة عن تغيير وحدة واحدة في مكونات أو عناصر دوال الوحدات الوجودية المعرفية لمنظومة عالم الوجود المعرفي والوجودي للكائن البشري**

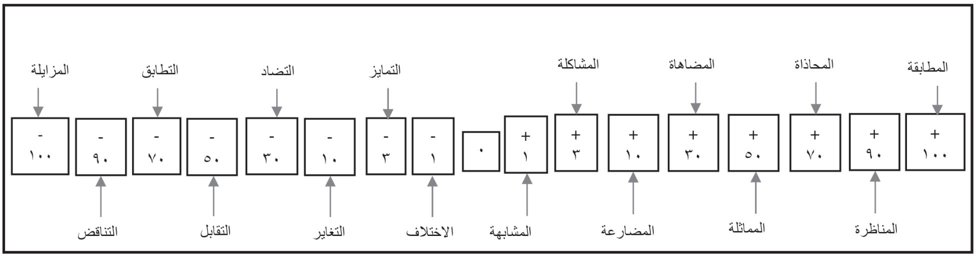


وهناك منظور آخر ينظر من خلاله الى تراتبية المفاهيم من حيث تصنيف الأقوال والأسئلة إلى قول وسؤال علمي وطبيعي واصطناعي وقول وسؤال فلسفي وعرفاني وأدبي. ويتم ترتيبها وتصنيفها وفقا لدرجات الانكشاف والوضوح والإضمار والاشتباه كطرفين متباينين للأقوال والأسئلة الإنسانية: أحدهما يتموضع في أقصى اليمين وهو القول العرفاني أو الاتصاف الصوفي المعقّلن والمشرّعن، والثاني يتموضع في أقصى اليسار ممثلاً بالقول المنطقي أو الانتطاق المنطقي،

بينهما مقاطع متباينة ومواقع مختلفة تنزلها أقوال وأسئلة فيها من العبارة نصيب ومن الإشارة حظ. والعبارة هنا تتموضع مقام الند والضد للإشارة، وبينهما من الفروق الأساسية، ولكل منهما خصائصهما وقواعدهما وبنياتهما البنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية الخاصة مع وحدة المقصد والغاية في نهاية المطاف.

حيث إن القول العباري يتضمن مبادئ أساسية تتشكل من مبدأ الحقيقة ومبدأ الإحكام ومبدأ التصريح، في حين يحتوي القول الإشاري من المبادئ الثلاثة التالية: مبدأ المجاز ومبدأ الاشتباه ومبدأ الإضمار. وتتشكل التدرجية أو التراتبية في هذه المنظومة والنموذج الإبدالي «**البارديمي**» شكلاً بحيث كلما انتقل القول درجة إلى اليسار، تناقص نصيبه العباري، والعكس بالعكس، وكلما انتقل القول درجة إلى اليمين، تزايد نصيبه الإشاري وتناقص نصيبه العباري، الأمر الذي يستلزم بموجبه تواسط القول الطبيعي في هذا النسق الترتيبي.

وخلاصة القول، إن الأفعال والأقوال والأسئلة والتساؤلات والإشكالات هي مفاهيم تراتبية، ولها مستويات تتعدد بتعدد تقلباتها بين مراتب الفعل ومراتب القول صعودا ونزولا، إذ كل حكم يدعو، بعد التحقق به، إلى حكم فيه يعلوه رتبة، والتحقق من هذا الحكم الثاني يدعو إلى ثالث فوقه، وهكذا دواليك، الأمر الذي يستلزم من كل باحث عن حقيقة وماهية أي قول أو فعل أو سؤال وحمولاتها القيمية المعرفية والوجودية، أنّ يحفر حفرياتها الأركيولوجية الطبقية وينقب مكنوناتها الجينيولوجية الوراثية والبنيوية وينقر أيكيولوجيتها البيئية الجوانية والبرانية، ويرتب ويقيم كينوناتها الأكسيولوجية القيمية والاستطيقية الجمالية من جهة، وضرورة الانشغال بتعيين رتبها وتعقيب كيفياتها المتنقلة ورصد علائقها التداخلية وتفاعلاتها البرانية وتوالداتها الذاتية، فيما بين مكنونات كينوناتها المتحاقلة أو فيما بين حقولها المتحاقلة والمجايلة والمجاورة والمتماسة أو القريبة والبعيدة في أنساقها مع كينوناتها المطابقة والمناظرة والمحاذاة

والمماثلة والمضاهاة والمضارعة والمشاكلة والمشابهة في منظومتها التعضيدية أو مع كينوناتها المناقضة حسب مراتب الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة، وذلك في العوالم الممكنة من عالم الدنيا والبرزخ والآخرة.

### 11.3.2 منطق ومعنى علاقة كينونة السؤال الحقيقي بكينونة الكائن البشري:

إذا كان وجود الكائن البشري وجوداً سؤالياً تساؤلياً، يحقق بواسطة كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب كينونته الذاتية المكتسبة أنطولوجيا وجوديا وأبستيمولوجيا معرفيا وأكسيولوجيا قيميا وأخلاقيا واستطيقيا جماليا وفنّيا كائنيا، ويتدرج بدرجات ومراتب السؤال في سلّم التكامل المعرفي والوجودي لكينونته، وإنه الشيء الوحيد الذي يملأ وجوده وحياته ولا يفارقه أبداً ولا يغيب عنه طرفة عين، وأنه الوجه الآخر والصورة المرآوية الأولى لكينونته، والمعبر والمنعكس مرآوياً لشخصيته وماهيته وهويته، أليس مثل هذا الكائن الكينوني «**كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب**» يستحق كل الاحترام والتقدير والاجتهاد والمجاهدة والجهاد والجهد والمحبة والصبر عن الابتلاء بمكارهه والصبر على الابتلاء بمكارمه حتى يُنجز السؤال الكبروي والكبّار الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي ومن ثم أسئلته وتساؤلاته ومشكلاته وإشكالاته الصغروية والصغّارة، في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي ليتموضع في مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا داخل مجرى العالم والكون والوجود.

وحقيقة الاحترام ومعناه وماهيته وكينونته هي في الواقع التقيد والالتزام بواجب الاحترام وسلطته ومقتضياته وآدابه وعلومه ورسومه و... أولاً لكينونته الجوانية الإنسانية الفطرية وثانياً لكينونته البرانية المنطوقة والممثلة والكاشفة والمبيّنة

والواصفة والمحيطة والمستديرة والمفسرة والمؤولة لكينونته الإنسانية وشخصيتها وهويتها وماهيتها الوجودية والمعرفية، وأن يكون الكائن على مستوى وقدر وقامة هذا الاحترام الذي يتبوأ في مراكز متقدمة من منظومة وسُلّمية راتوبية القيم الإنسانية، ولها من التشميلية تلازم كافة القيم الأخرى، حيث مجرد الإقرار بقيم العدل والصدق والأمانة والإيثار و... يستلزم احترامها.

وانطلاقاً من المبدأ والقانون والمعادلة المنطقية والعقلانية والفطرية، إن هذه الانطلاقة والبدئية تبدأ من احترام الذات التي أنتجت وأبدعت وصاغت السؤال الوجودي الإنساني، وثانياً استحكام بنيَة كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية، وثالثاً ضمان صحة ومصداقية وجدية وتشميلية ويقينية وضرورة ووضوحية وسببية وعلّية وحتمية ووحدة تكوثرية في عين وحدتها لحمولات كينونة السؤال السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و... إلخ، رابعاً ضمان سير ومسار وسيرورة وصيرورة كينونة السؤال وفق إحداثيات وزوايا واتجاهات مِمّيلته ومَكّيلته ومنّقلته وموازينه ومساطره وبوصلته نحو الحقيقة والحق والكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى تعالى، وخامساً صيانة وحفظ حرمة وكرامة الغير سواء كان هذا الغير كينونات ذاتية بشرية أو كينونات طبيعية تكوينية أو كينونات ملكوتية، ذلك بطرح السؤال الملائم والمتساوق والمتماهي مع الحقائق الثاوية في بنْيَتها العميقة من الأسماء الحسنى والصفات العليا الفاعلية والتي يحاول أن يستفهمها ويستنطقها السؤال، لتخرج من صمتها وصومتتها، متلفظة بقوانينها ونواميسها وسننها وأحكامها المختلفة.

حرمة واحترام كينونة السؤال تتطلب اختيار الكائن الذي يريد توجيه السؤال له، وتتطلب رعايته وحفظ كرامته باتباع سلسلة آداب وأحكام وممارسات نظرية وعملية

تليق بكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي الكبروي الكبّار والصغروي الصغّار، وسؤال ومساءلة مشكلاتها وإشكالاتها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية.

ويتطلب واجب الاحترام إضافة إلى حمل حمولاته بالمفاهيم والأفكار والبيانات والمعلومات والمعارف والحِكم الصحيحة والصادقة والحقيقية والحقة المتساوقة والمتماهية مع مستويات ومراتب كينونة السؤال، كذلك رعاية حروفه وكلماته وعباراته وإشاراته التي تحافظ على كينونته، وتستظهرها في صورتها الكائنية الحقيقية والحقة، وأن لا يحمِّله المعارف والأفكار الشبحية والموهومة والسقيمة والعليلة والموبوءة وبفيروساتها المرضية ومكروباتها الوبائية المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنيّة، أو يحمِّله مفاهيم وأفكار متغايرة ومتضادة ومتقابلة ومتناقضة، أو أن يحمِّله من الأسماء النكرة والغريبة والمستهجنة والمثقوبة والمعطوبة والمعوقة والمخرّفة والهزلية والشكيّة والظنيّة.

وأن تعرف متى يسرِّح عن ذاته، ومتى يلتزم الصمت أو الصومتة التي هي أفضل من الذهب.

وخير مثال ودليل على مدى الالتزام والتضحية وبذل الجهد والمجاهدة والجهاد والاجتهاد في الحفاظ على واجب الاحترام والتقدير لكينونة السؤال، هو ما قام به أبو الأنبياء والرسل «**السؤال الإبراهيمي**» ودفع ثمنه أن ألقي في النار، وجزاء رب العالمين هو أن تكون النار برداً وسلاماً لإبراهيم عليه السلام ولأمته ومن يحافظ على كينونة «**السؤال الإبراهيمي**»، وكذلك ما قام به خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم طوال عمره الشريف على إحياء السؤال الإبراهيمي الفطري التوحيدي وتأصيله وتأثيله وتجذيره الجذري في شتى تساؤلات وإشكالات الحياة وتموضعاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية والعلمية والفلسفية والعرفانية والفقهية، في المجرى الحدثي والمشهدي

والمرآوي والحقيقي الواقعي وفق مجرى الحق الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا داخل مجرى العالم والكون والوجود، بله، في كل شاردة وواردة تحضر إلى ذهن وعقل وقلب الكائن البشري، وكذلك ما قام به أوصياؤه وخلفاؤه وأمناؤه عليهم السلام بالصبر الجميل والإيثار والتضحية في تقديم كينونة «**السؤال الإبراهيمي**» على كافة الأسئلة الأخرى، وما موقف الإمام علي عليه السلام طوال مدة خمسة وعشرين عاما إلا خير شاهد ودليل على ذلك، أليس إصرار الإمام علي عليه السلام على احترام سؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب لكينونة العدل والعدالة والتقوى هو شعاره الوحيد طيلة حكمه؟ وهو نفس الاحترام والتقدير والتضحية التي قام بها الأئمة عليهم السلام، والصالحون التابعون من الفقهاء والعلماء والأحرار من الأمة الإسلامية، وعلى رأسهم في الزمن المعاصر الإمام الخميني قدس سره، الذي حافظ على كرامة السؤال وسؤال السؤال «**ميتا سؤال**» وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب للأمة الذي كان قابعاً ومتوارياً ومنسياً ومسجوناً في النفوس التي بلغت الحناجر، ولم يستطع أحد أن ينطق ببنت شفه! فالسؤال الذي يستحق واجب الاحترام والتضحية هو السؤال الإبراهيمي والمحمدي والعلوي والحسني والحسيني والخميني والولائي...... الذي تستغرق وتستهلك وتستجمع وتتبأر في بؤرته كافة أسئلة العصر المتزامنة والمتساكنة، التي تكون دالة في ذلك السؤال الأم والآدم.

وهذا يعني أن الكائن البشري الفطري الواعي والحي، يتطلب منه دائماً وأبداً استحضار أم وآدم السؤال الإنساني والكوني الكبير والكبّار، كبنيَة كبروية كبّارة، وهو السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي الكبير والكبّار، الذي هو السؤال الناظر والواصف والشارح والكاشف والمبيّن والمحيط والمستدير والمفسر والمؤول والقيوم والقائم والمقوِّم لمنظومة الأسئلة الصغيرة والصغّارة ولمنظومة سيرورة وصيرورة الكائن البشري، وهو كينونة سؤال تحتضن وتستغرق وتستوعب كافة الأسئلة الجانبية والفرعية الصغيرة والصغّارة بحمولاتها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية في مركز بؤرتها، مقابل السؤال الشبحي والسطحي

والهامشي والسوقي والأمي والفرجوي والسيركي والذي لا تحركه إلا الرمال النفسية والذهنية الشاردة والفارغة، التي لا يحضر فيها إلا السراب والوهم والخداع والمكر، والذي أول ما يخدع ويمكر في السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب ذاته، لينفذ داخل كينونة الكائن البشري وفطرته الإنساني بسرعة وخفة كدبيب النمل، ليمكر به ويخدعه ويغير زوايا مِمْيلته وإحداثيات منْقلته وتعيرات مَكْيلته واتجاهات بوصلته لمسار وسير وسيرورة وصيرورة الحركة الجوهرية للنفس نحو الفطرة والنفس الشبيهية والموهومة والشبحية، لتقود مصنع توليد وابتكار ومأسسة وصياغة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب إلى الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة فيما بين مكوناته البِنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية والقصدية له، ولكينونته الإنسانية والفطرية لتصبح كينونة شبحية موهومة وفطرة محجوبة شبيهية.

### 11.3.3 منطق البنيَة التأسيسية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب:

النظرية المعرفية والنماذج الرؤيوية والقرائية التي تُوَظَّفُ في معرفة نص كينونة السؤال وحمولاته المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والجمالية والاجتمعرفية والنفسمعرفية والجغرمعرفية والزمكانية له، لا بد أن تُبنى على أساس مفاهيم محددة له غاية الارتباط الحميمي والاتصال الوثيقي الصميمي والتعالق التفاعلي الدينامي والديمومي مع البنيَة الكبروية الكبّارة لكينونة الفطرة البشرية والكينونات الطبيعية التكوينية والملكوتية المجردة والكون بأكمله؛ أي التناسق والتناغم والتلاقح والتعانق والتساوق والتماهي والتشابه والتشاكل والتناظر والتطابق بين كينونة الكائن البشري الأنفسي التي انطوى فيها العالم الأكبر، وبين كينونة الطبيعة التكوينية الآفاقية التسبيحية التي لا نشعر بها، وبين كينونة كلمات الله القرآنية الأبستيمولوجية

المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والجلالية والفنيّة، إنّ تناظر وتطابق هذه الأضلاع الثلاثة هو الذي يحقق الانتظام والاتساق والتناغم الإجمالي والتفصيلي بين كافة الكينونات الكائنية المعرفية والوجودية والكينونات الممكنة والمحتملة، وبالتالي سينعكس على الانتظام والتساوق والتماهي لكينونات منظومات السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الاستخلافية الإنسانية المعهودة الميثاقية، والخاتمية المحمدية ﷺ الرسالية الكونية الخالدة، والانتظارية المهدوية عجل الله فرجه الشريف الموعودة، والاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية والعامة والممهدة للولاية العصموية المنتظرة، أي مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية في الفاعلية في الكون والوجود «V1» ما سينعكس ذلك أيضاً على التساوق والانتظام والتماهي لحمولات المجرى الحدثي«V5» والمشهدي «V4» والمرآوي«V3» والحقيقي الواقعي القائم «V2».

وغير ذلك ستكون التصورات والعدسات الرؤيوية والقرائية الاستكشافية والاستبصارية والاسترجاعية التغذوية والاستشرافية المستقبلية والبرزخية والملكوتية والجبروتية أو التفكيكية والتركيبية والتراكبية والتكوينية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية للحمولات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، منتقاة وأشباه نظريات مجتزأة تتخللها مساحات من الفراغ والخواء والهباء، وتبقى فاقدة الجاذبية والتوازن والتعادل والتواصل والتعالق مع مركزها، فتصبح عائمة ومعلقة تسيح وتسبح وتتسوح في فضائه الفارغ والخاوي.

إذاً لا بد من التمسك بنواة النواة «**ميتا نواة**»، وبؤرة البؤر «**ميتا بؤرة**»، التي تستجمع فيها التشعبات، وتستهلك فيها التفرعات، وتستغرق فيها المتنافرات، وتشد وتربط الهوامش والحواشي، وتجذب فيها المتباعدات والمتشظيات، وتتبأر فيها الأطراف والتخوم، فتتحقق التشميلية والكلّيانية والضرورة والسببية والعلّية والوضوحية واليقينية والحتمية والوحدة في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها الأبستيمولوجية المعرفية

والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية، وكذلك يتحقق النظام والانتظام، والنسق والاتساق، والحركة والصيرورة، والنغم والتناغم، واللحن والموسيقى، والربط والترابط، والعلاقة والتعالق، والفعل والتفاعل، والصوت والسكوت والصومتة، والدينامية الحيوية والديمومة والاستمرارية في بنْيَته الكبروية الكبّارة لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الفطري الإنساني الكوني، والذي يتساوق ويتماهى مع البنيَة الكبّارة لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الكلماتي القرآني المجيد، وكذلك يتساوق ويتماهى مع البنيَة الكبّارة لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب الطبيعي التكويني للكون بعوالمه وأجرامه الممكنة، وهذان العالمان قد انطويا واستغرقا واستهلكا وتبأرا في هذا الجرم الصغير «**الإنسان**» المستخلَف في الأرض، والمختوم بالخاتمية المحمدية ﷺ الرسالية الكونية الخالدة، والمنتظر للانتظارية المهدوية الموعودة ﷺ والإتمامية الرسالية، والمتبوع للاتباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة الناظرة والواصفة والشارحة والمحيطة والمستديرة والمفسرة والمؤولة والقائمة والمقوِّمة لسيرورة وصيروة الفرد والمجتمع تمهيداً وتأهيلاً للاتباعية الولائية العصموية المنتظرة.

فهذه النواة ونواة النواة «**ميتا نواة**» هي في الحقيقة بؤرة المنظار التلومايسكتروسكوبي والمرآة التي تكشف الوحدة والتكامل الجذري، والتشميلي والكلي، والسببي والضروري، والعلّي والحتمي، واليقيني والوضوحي، والبنْيوي والبنائي، والغائي والوظيفي، والنسقي والنظْمي بين الأجرام الممتلئة في سماء الأديان السماوية من جهة، وبين الأجرام المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنية الممتلئة في كينونة السؤال سؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، من جهة أخرى، وما الاختلاف والتباين والتمايز الشكلي والسطحي والهامشي بينها، أو مشاهدات ظاهرة التشابه والاختلاف، والانتظام والانفصال، والانفتاح والانغلاق، الظاهرة للعيان عبر تاريخ الكائن البشري وتاريخ منظومة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب له، إلا ظاهرة تخفي

في بنْيَتها العميقة نواة وحدتها المتشككة ونسقها ونظْمها وسيرها ومسارها ومسيرتها المتسقة والمنسجمة والمتناغمة.

### 11.3.4 منطق حرية تصور وتخييل وتفكير وطرح السؤال:

صحيح هناك حرية اعتقاد وحرية تصور وتخييل وتفكير وطرح السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، وهذه الحرية من أبده البديهيات وأسلم المسلّمات وأوضح البيّنات، سواء كان في الكفريات أو الإيمانيات، وسواء كان بشكل مضمر ومستتر أو منطوق ومعلن، وذلك على المستوى الأبستيمولوجي المعرفي، أما على المستوى الأنطولوجي الوجودي والفعلي والفاعلي فنجد أن الأمر يختلف حد التمايز والتغاير أو التقابل والتضاد والتناقض.

فمن يذهب إلى القول بمطلق الحرية في العقيدة وفي طرح السؤال الأبستيمولوجي المعرفي، أي التنظيري أو النظري المعلن والمسكوت عنه، أو المنقول إلى الخارج أو المخزون الجواني، ما دام الأمر لم ينزل منزلة الفعل والتبليغ والتداول والتواصل داخل المجتمع، وهناك من يستصحب حرية الاعتقاد والسؤال الأبستيمي المعرفي على وجودها وإنّيتها الأنطولوجية الوجودية القولية والفعلية في الواقع الاجتماعي في سياق العقد الاجتماعي أو القانوني أو التشريعي سواء عن طريق الموضعة والمجعولة من قبل البشرية كما هي في الأنظمة العلمانية أو الإلهية كما هي في الأديان السماوية.

إذاً بِمَكْنتنا تصنيف منطق حرية الاعتقاد ومنطق السؤال وفق الصنافات التالية:

- حرية الاعتقاد والسؤال الذاتي الجواني والذهني النظري من دون النطق والقول والبوح بهما في الخارج، أو الممارسة العملية والتبليغية والتداولية والتواصلية لهما في المجتمع.

- حرية الاعتقاد والسؤال الذاتي الجواني والذهني النظري والنطق والقول والبوح

بهما في الخارج، من دون الممارسة العملية والتبليغية والتداولية والتواصلية لهما في المجتمع.

- حرية الاعتقاد والسؤال الذاتي الجواني والذهني النظري وحرية النطق والقول والبوح بهما في الخارج، والممارسة العملية والتبليغية والتداولية والتواصلية لهما في المجتمع، وفق العقد الاجتماعي أو القانوني أو التشريعي الوضعي أو الإلهي.

### 11.3.5 تأثير السؤال الإرادي الواعي الحر اللامسؤول على المنظومة المعرفية والوجودية:

يمكننا استخلاص نتيجة في غاية الأهمية ومنتهى الخطورة التي تمتح وتنتج من ترك حبل السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال السؤال وسؤال سؤال الجواب على غاربه، ليمرح ويسوح ويسرح في فضائه وساحاته الفسيحة وبساتينه من دون عناية بثمارها ورعاية بمزروعاتها ومراعاة بحياتها. بالتأكيد ستكون النتيجة كارثية على السؤال والجواب، أي على البيت والأثاث ومسكوناته، تُهان وتُخدش وتُضرب وتُهتك وتُدنس كرامة وقدسية وحرمة كينونة الجواب التي تنعكس مرآوياً على السؤال حين ولوج الجواب، وبالتالي تنعكس طردياً ومرآوياً على كينونة الذات الإنسانية، فتنخر تأسيساتها وقواعدها البنِّيوية والبنائية التي بدورها تؤثر طردياً وسلبياً على كينونة السؤال والجواب التي بدورها تنعكس سلبياً على كينونة الذات، وهكذا دواليك، إلى أنّ توجه بوصلة سيرورة وصيرورة كينونة الذات إلى الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق السلبي والتناقض والمزايلة بينها وبين حمولات كينونتها الفطرية الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا الفاعلية. والعكس صحيح عندما تتفاعل كينونة السؤال التأسيسي والتأصيلي والتأثيلي مع كينونة إجاباتها المتشابهة والمتشاكلة والمتضارعة والمتضاهية والمتماثلة والمتجاورة والمتناظرة والمتطابقة تعاضدياً وتكاملياً وتوافقياً مع الأسماء الحسنى والصفات العليا الفاعلية الثاوية بالقوة والإمكان

في كينونة وفطرة الكائن البشري.

ولهذا الأمر، قلنا إنَّ السؤال ليس حراً، وليس لقيطاً يُلتقط من الشارع، وليس جاهزاً للاستهلاك من دون فحص لماهيته، وليس قابلاً للاستيراد من الخارج من دون مروره على مراقب الجمارك، وليس السؤال جملة تركيبية من حروف وكلمات فحسب، بله، هو عملية بناء وإقامة بحاجة إلى هندسة البناء والمعمار المعرفي، وليس سؤالاً حراً، بله، مقيد ومسؤول ومحاسب. والأمر يقتضي إلى علْمنة وعقْلنة وعرْفنة ووحْينة السؤال في سياق منظومة قيم أخلاقية وجمالية وفنّية، التي تمنع السؤال الطفراوي والعشوائي والفجائي والعبثي والسطحي والقشري والخوائي والهبائي.

### 11.3.6 موقفنا ورأينا من منطق حرية الاعتقاد والسؤال:

لسنا بصدد مناقشة أصناف حرية الاعتقاد أو السؤال المذكورة أعلاه، ولكن ما نريد هو أنْ نسجل رأينا وموقفنا المتساوق والمتماهي مع ثيمات وأطروحات فقه فلسفة وعلْمنة وعرْفنة ووحْيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، خاصة فيما يتعلق بحرية الاعتقاد والسؤال الذاتي الجواني والذهني النظري من دون النطق والقول والبوح بهما في الخارج، أو الممارسة العملية والتبليغية والتداولية والتواصلية لهما في المجتمع، أي يعني انحصار وقوقعة حرية الاعتقاد وحرية السؤال في الذهن والنفس والقلب فحسب. وبتعبير آخر أو بسؤال واضح وجلي:

- هل يحق للكائن البشري أنْ يعتقد بأي اعتقاد أو أنْ يسأل بأي سؤال منولوجي جواني بين نفسه أو مع نفسه وذاته فحسب حتى لو لم ينطق به للغير أو لم يَبُح عنه لأحد؟!
- أليس هذا سؤالا غريبا مجرد طرحه والتفكير فيه بغض النظر عن الجواب بنعم أو لا أو بتحفظ ما؟
- أليس السؤال سؤالا إمبرياليا تفوح منه رائحة الإكراه والإقصاء والاستبعاد؟!

- أليس سؤالا يضاد أصل حرية الإنسان الذي يُميَّز عن بقية الكائنات في الكون؟!
- أليس سؤالا استفزازيا واستنكاريا لكينونة الكائن البشري الحر؟!
- أليس الجواب على السؤال بنعم أو بتحفظ ما أولى أنّ ينسحب كذلك على الاعتقاد والسؤال المنطوق والمعلن، والأولى على السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب المعمول به الفاعل به؟!

نحن نميز بين صنافتين من الاعتقاد والسؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب لكينونة الكائن البشري، وهما الاعتقاد المنولوجي الجواني الذاتي الإرادي والواعي، والسؤال والاعتقاد المنولوجي الجواني اللاإرادي واللاواعي. وحديثنا ليس مع الاعتقاد والسؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب اللإرادي واللاواعي بمقتضى غياب كينونة الكائن وعدمية الحضور والنّية والمقصد اللإرادي واللاواعي، حيث لا يوجد أصلاً كائن أو كينونة أو ذات حقيقة يوجه إليها السؤال أو الحديث أو النقد أو الالتفات إليه وتقويمه وتقييمه ناهيك عن معتقداته وتساؤلاته المشروعة واللامشروعة، نعم، هناك سؤال أثيري شبحي موهوم وعبثي لا علاقة له بكينونة الكائن الإنساني الفطري والإلهي المستخلَف والخاتمي والانتظاري والاتباعي، وهذه الصنافة من الأسئلة تمت بالفطرة والكينونة الشبحية والشبيهية والموهومة والسرابية التي تتقدم لتحجب الفطرة السليمة والكينونة الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا للمرء.

إذاً حديثنا هو الحديث حول حرية الاعتقاد وخاصة حرية السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب الإرادي والواعي لكونه حقيقة وحقاً يصبح موضع البحث والتساؤل في هذا الكتاب. لذا نقول بضرس قاطع ولسان صريح وبيان واضح، إنَّ الإجابة عن السؤال السابق لدينا هي «**بلا نعم**»، ليس من حق الكائن البشري أنّ يعتقد بأي اعتقاد أو أنّ يسأل بأي سؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، وإنّ كان منولوجياً جوانياً ذاتياً غير معلن أو وغير مصرح به إلا لذاته، أي هو سؤال الهمسسة أو المهسوس

الذي لا صوت ولا صدى له في الخارج. أليس هذا جواباً غريباً ومتطرفاً وخلافاً للعرف والمعروف؟!

نقول «**بلا نعم**» وهو كذلك، ولكن من يتابع ثيمات وموضوعات فقه فلسفة وعلّمنة وعرّفنة ووحّيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، وبارايدمها «**إبدالها**» أو نموذجها ومنهاجيتها وعدساتها الرؤيوية المركبة الاستكشافية والاستبصارية والاسترجاعية التغذوية والاستشرافية المستقبلية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية من جهة، وتلك المتعلقة بأصل وتأسيس وتأثيل كينونة الكائن البشري وهويته وشخصيته وماهيته الأنطولوجية الوجودية والمعرفية والقيمية والتخلُّقية والجمالية والفنيّة، من جهة أخرى، قد لا يستغرب من الجواب.

هذه العدسة الرؤيوية الاستكشافية الجوانية «**المنولوجية**» «Monologe» التي تموضع بؤرة إشعاعاتها التنويرية التشخيصية والتحاورية والنقدية والتأملية والتقويمية في ونحو مركز كينونة الكائن وفطرته التكوينية الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا الفاعلية بالقوة والإمكان والاحتمال، تفتح آفاقاً مستطيلة واسعة، وتشيِّد مجاري وقنوات أنطولوجية وأبستيمولوجية وأكسيولوجية واستطيقية تواصلية دقيقة، وتفتح علائق ترابطية حميمية وتعالقية صميمية مع أدق مفاصل كينونة النفس البشرية وأجهزتها الإدراكية وأدواتها ومجاريها الحسية والعقلية والقلبية والتخيلية والوحّيَانية المسددة والمؤيدة و...، وتكشف إشاراتها السرية والرمزية ومعانيها التسبيحية التنزيهية والذكرية التوحيدية، فهي عدسة تلومايسكتروسكوبية ثلاثية الأبعاد والمستويات والأزمنة والأمكنة تتوغل بطريقة عمودية شاقولية وأفقية عرضية، تُكبّر الجزئيات الصغيرة والصغّارة لمكونات الذات وعناصرها وعلائقها بصورة كبيرة كبّارة، قبالة العدسات البرانية الأفقية الدايلوكية التي تستطيل وتمتد لترى الأشياء والكينونات البعيدة بأحجامها الطبيعية؛ أي تقوم بتقريب البعيد وتبعيد القريب وتوسيط البعيد والقريب.

لذا يستلزم الأمر نقاوة وصفاءً وقوة ومتانة لهذه العدسات المنولوجية الجوانية والدايلوكية البرانية، وصيانتها وحفظها من الخربشات والانكسارات والشروخ والأوساخ العالقة على سطحها، وذلك بصفة ديمومية دائمة لكي تتفادى التعقر والتحوّدب والانكسار في بنْيَتها الجوانية والبرانية وبناءاتها التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية الاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية.

إنّ نتاج تفاعل وفاعلية العدسات الجوانية «**المنولوجية**» والعدسات البرانية «**الدايلوكية**» «Dialoge»، تكشف لنا عمق أعماق وبعد أبعاد وسعة توسعات ومستطيل مستطيلات ودائرة دوائر كينونة النفس البشرية التسبيحية التنزيهية والذكرية التوحيدية الصمدية الواحدية. وهذه الحقيقة الأنطولوجية هي تحقيق للمطابقة الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنيّة التي تتجسد بكل معانيها: «**من عرف نفسه عرف ربه**». ولا يتحقق انوجاد وإنّية هذه الحقيقة الذاتية إلا من خلال التحاور والتفكير والتأمل المنولوجي الجواني والديالوكي البراني الراتوبي، الذي يتدرج في سيرورة أنطولوجية وجودية وأبستيمولوجية معرفة يتعرف بمقتضاها الكائن البشري إلى بنيَة كينونة الأشياء والوجودات وتراتبيتها الحسية والعقلية والعرفانية والوحْيانية المسددة والمؤيدة.

الحوار التساؤلي المنولوجي الجواني بين الإنسان وكينونته الذاتية يهدف إلى أن يتعرف الكائن البشري إلى كينونته الحقيقية من الأسئلة والتساؤلات والإشكالات وثيماتها الوجودية والمعرفية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، التي يفكر فيها عن طريق سلسلة متواليات طرح السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب عليها، ليستعلمها ويستنطقها عن تلك الأسماء الحسنى والصفات العليا الفاعلية الثاوية في بنْيَتها العميقة وفطرتها المركوزة. فالوعي بالهدف (أي القصد والاتجاه) وحضور النّية البنائية والمآسسة والمنتجة الصادقة هو في الواقع حضور للوعي بالذات والكينونة، أما حضور القصد والنية التركيبية أو المستوردة أو العابرة التي تُلقى من دون وعي بالذات

والكينونة لا تتموضع في القلب والعقل ولا تمس ولا تحاقل ولا تجاور كينونة النّية البنائية التأسيسية، بله، تتموضع على سطح اللسان المقلقل. فنحن نعرف الإنسان بموضوعه وبمفهومه ومعقولاته وعرفانياته المتجلية في أقواله وتصرفاته وسلوكاته الحركية والصامتة أي تساؤلاته وإشكالاته المعرفية والوجودية وأفعاله وأقواله وممارساته.

وفي هذا الموضوع ثيمات وحمولات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية متجلية في كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، الذي تتضح طبيعته الظاهرة، والأنا الموضوعية الحقيقية وكينونته الجوانية الإنسانية وشخصيته وهويته وماهيته وحقيقته الوجودية. وهذا لا ينطبق على منظومة كينونات السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب لثيمات وموضوعات روحانية فقط، وإنما على منظومة كينونات السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب ولثيمات وموضوعات حسية وعقلية وقلبية ووحَيَانية مسددة ومؤيدة محاقلة ومجايلة ومجاورة ومماسة أيضا، وكذلك يشمل منظومة كينونات السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب ولثيمات وموضوعات قريبة وبعيدة عن الإنسان تكشف النقاب عن طبيعة الإنسان ذاته وكينونته وهويته وماهيته وشخصيته لأنها موضوعات بالنسبة له، وبقدر ما هي موضوعات بالنسبة للسؤال أيضاً، فإنها تفعل، أي تكشف النقاب عن طبيعتها.

إذاً من الأهمية بمكان، قبل أن نستطرد في تعليل وتفسير الإجابة «**بلا نعم**» في السؤال عن حرية الاعتقاد والسؤال سؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب المنولوجي الجواني الذاتي، نشير بإيجاز شديد الى طبيعة الحوار المنولوجي الجواني الذاتي أو حوار النفس مع النفس من خلال إلقاء الضوء على بعض المسائل المتعلقة بالنفس وأنواعها وحالاتها وسيروراتها وكينونتها البنِّيوية والبنائية التكوينية.

إنّ فهم وتفهيم وإفهام وانفهام كنه حقيقة الحوار المنولوجي الجواني بين النفس والنفس أي «**البيْنَفسية**» والحوار الدايلوكي البراني «**حوار الذات مع الغير**» يتطلب

فهم ومعرفة آلياتهما واستراتيجياتهما وأدواتهما وأساليبهما، ومعانيهما ومفاهيمهما الدلالية والاستدلالية، وتركيبتهما البِنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية، ووظائفهما الغائية والتداولية والتواصلية الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**القيمية والجمالية**»، السوسيوتاريخية والسوسيولوجية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوعقائدية والسوسيوثقافية والسوسيومعرفية و...، وذلك حتى نتمكن من تعريف كينونة الذات الحقيقية وكينونة الذات الشبيهية والشبحية للكائن البشري، وتبيان البيْنونة البنْيوية والبنائية والتكوينية والتراكبية والتركيبية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية بينهما.

لقد بيّنا في كتاب «**فقه فلسفة كينونة الكائن الإنساني**» أنّ نتيجة تشكّل كينونة شبيهية وشبحية بجوار كينونة الكائن الأصلي والأصلاني الفطري والتكويني، تحجب أنواره، وتقوم بخداع الذات لذاتها، ومن ثم حجب الذات الحقيقية وإبدالها بالذات الشبيهية أو الشبحية التي تشكل الوجه الآخر لنفس الذات البشرية. حيث إن الذات الشبيهية ليست غريبة وشاذة عن الذات الحقيقية وخاصة في بدئياتها الصبيحية الباكرة، وإن الغرابة والشذوذ أو درجات ومراقي المناقضة من حيث الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة بينهما، تظهر فيما بعد، وفي شكل تدريجي شعوري ولا شعوري حتى درجة المسخ والفسخ عن إنسانيته. فكنه الذات الشبيهية في بدئياتها التكوينية الأولى ينتمي إلى كنه الذات الحقيقية، وينتسب إليه، ويتمسك ويحتمي به، مثلما ينتمي الظل إلى النور والظلمة إلى الضياء. والأدهى والأمرّ من كل ذلك، هو انتحال الذات الشبيهية شخصية وهوية الذات الحقيقية وتقدمها على كينونته الحقيقية الجوّانيّة أولاً، وعلى الكينونات الذاتية البرّانية ثانياً. والنتيجة النهائية انتحال السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب الشبيهي والموهوم والسرابي شخصية وهوية وماهية السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب الحقيقي والحق.

حيث تقدم نفسها ممثلاً ووكيلاً شرعياً وقانونياً وأنطولوجياً لكُنه ذاته الحقيقي، وذلك بعدما تقوم بإخفاء واستتار كنه الذات الحقيقي وإبقائه متوارياً لا مرئياً ومضمراً مستتراً، إلى أقصى حدود إمكانيات الاستتار والاسترار والانحجاب والتواري. وعليه، تتقدم في كل مناسبة، وتستعرض ذاتها على كافة مسارح الحياة، وتتبادر في كل المبادرات قولاً وفعلاً وتخيلاً، وذلك نكاية بكنه الذات الإنسانية الحقيقية، لكي تعمّي عليها الإبصار والتبصر، وتلتبس عليها الأمور، ومن ثم إقصائها وعزلها وتجميدها تماماً بعد هيمنتها وسلطتها التامة عليها، هذه الذات الشبيهية والموهومة والسرابية لا ترى حقائق الأمور إلا في صورتها التجزيئية والتفكيكية والتشتتيىة والمتشظية، ولا تراها إلا مختلفة ومتمايزة ومتغايرة ومتضادة ومتقابلة ومتناقضة ومزايلة، على عكس كينونة الذات التحقيقية والأسمائية الحسنى والصفاتية العليا التي ترى الأشياء والموضوعات والأمور في صورتها ومرئياتها المُلْكية والملكوتية والبرزخية والجبروتية، ومن حيث تكوثراتها في عين وحدتها ووحدتها في عين تكوثراتها، لكونها تشاهد حقائقها الكلية والتشميلية والضرورة والحتمية والسببية والعلّية واليقينية والوحدة، في صورتها المتشابهة أو المتشاكلة أو المتضارعة أو المتضاهية أو المتماثلة أو المتجاورة أو المتناظرة أو المتطابقة تعاضدياً وتكاملياً ووفاقياً.

وتأسيساً على ذلك، في حال تقدم الذات الشبيهية والشبحية والسرابية، تضطرب العلاقة البيْنيّة بين الذات وكينونتها وتسودها الريبة والشك والخيانة والخداع، بله، تصبح الذات الحقيقية مهدَّدَة في ذاتها ممتحَنة وفي وضع مُشْكَل ملتبس. وعليه، إذا كان كنه الكائن الإنساني الحق والحقيقي أن يشاهد ويراقب ويحافظ على الكينونة، فإن كنهه الشبيهي على عكس ذلك؛ أي يهملها ويهمشها ويقلل من شأنها الأنطولوجي والأبستيمولوجي والأكسيولوجي والاستطيقي وينساها ويغفلها، فإنها تنسيها نفسها وتغفلها ذاتها، فتعيش كلتاهما في قواقع التّيه والتواء المسير والسير والمسار، وتقيمان علاقات وروابط مضطربة تتخللها القسوة واللجاجة وحالات من الانفصالية والاعتزالية

فيما بينهما، وتؤسسان حالة الاغتراب والاستلاب وغياب «**التمالك**» و«الانتماء المتبادل» أو «**التنامي**». فتصيبها آفات التجريد والإهمال والانحطاط والجمود والانفصال وعبودية الذات والشهوات البهيمية والنزوات الحيوانية.

فكنه الإنسان الحق تسبيح وتنزيه وذكر وشكر ودعاء وتعالق وخوف ورجاء، وصيرورة تكامل وارتقاء وتنامٍ وتعالٍ، وكنه الشبه غفلة وعمى وصمم وبُكم ونسيان وكثير الطنطنة والجعجعة وقليل الجِدوى والطحين، كنه آخذ بالظنة والشبهة، لوّام بأشد اللوّم، فاقد للحس، ميال إلى التذوق القبيح، واستلذاذ المر والحموضة، واستطابة الفاسد، وتفكيره أسوأ أنحاء التفكير، ألمحيته مفقودة أو ضعيفة باهتة، ورائيته سطحية هامشية، وطريقة تفكيره معتلة فاسدة، ولغته مريضة سقيمة، وإنه دائم السعي إلى الترفيه والاستسهال والإسكار، ومستغرق أشد الاستغراق بالشأن اليومي والجزئي والهامشي والوصفي والآني واللحظي، والمفتن بالمجريات والجائزات والحوادث، أسير الساعة وعبدتها لا ساداتها، وإلى تأليه الشأن اليومي والجزئي، ومدح الأمر الواقع الحاصل، وخدمة اللحظة الحاضرة، وجعل الواقع المعيشي معيار المعقولية، والنجاح بأي شكل من الأشكال وخاصة الاقتصادي مقياس الحق، وتبجيل كل أمر معقول، وتقديس كل أمر واقع حاصل، فبئس الوارث وبئس الموروث.

فعندما يفقد الحس حسيّته، وحينما يصبح النطق بُكماً والسمع صمماً والنظر عمى بسبب خلو الحس من العقل، وحينما يصبح العقل متآلهاً وعابداً ذاته، فهو العابد والمعبود، والعاشق والمعشوق، والعبد والسيد في آن واحد، يخرج القلب والعرفان والوحي من حيز دائرته، ما لا يفقد العقل الإيمان والاعتقاد بالغيبيات فحسب، بله، سيفقد الإيمان والاعتقاد بذاته كعقل يعقل به الأشياء، ما يفقده اليقين في نتائجه، هنا يبدأ تأسيس وتأصيل الذات الشبيهية والسرابية الموهومة وتتقدم على الذات الحقيقية والحقة المؤمنة والمعتقدة بكونها أشرف وأتم وأكمل مخلوق خُلق بالقوة والإمكان.

فأجهزة الذات الإنسانية الإدراكية كالعقل والقلب والتخييل وأدواتها وأعضاؤها الحسية كالسمع والبصر واللمس والذوق والطعم وغيرها، يمكن أن تساهم في تحقيق مآبه ومآله إبانة الحق وإظهار الحقيقة وإجلاء البيّنة، أو الإنصات والإصغاء والاستفهام والاستعلام من جانب، إذا ما تضمن في الحواس العقل، وفي العقل الإيمان والاعتقاد القلبي والعرفاني المشرْعن والمعقْلن، وفي القلب والعرفان الوحي المسدد والمؤيد، وفي حال غياب ذلك سيشكل حالة العمى والصمِّ والبكم والإعجام والاستتار والإخفاء والاجتنان والغفلة والإهمال، من جانب آخر.

### 11.3.7 تنوع وتعدد الأوجه الشبيهية والشبحية للذات:

لقد ذكرنا أن بدئية وأولية فعل وعمل المكر مآبها ومرجعها كانت من الكائن البشري باتجاه ذاته الجوّانية، وإن الفعل الانعكاسي أو المكر الانعكاسي الارتدادي نتيجة طبيعية لسنن وأحكام وقوانين النفس وتكويناتها البنْيوية وبناءاتها التركيبية والتراكبية والتكوينية، وذلك بعدما استنفدت كافة المحاولات الإرشادية والممارسات الردعية والرسائل التحذيرية لها وإقامة بعض الحدود والقصاص عليها. وما كان رد فعل الكائن الذاتي لتلك الرسائل والمحاولات إلا مزيداً من الصمت والبكم والصمم والعمى والتنفر من كنه ذاته الحقيقي من جهة، شدة واستغراقاً وانغماساً في التعصب والتقوقع في كينونته الشبيهية من جهة ثانية، والأكثر مراوغة ومخادعة لذاتها من جهة ثالثة، والأسرع نسياناً وهجراً وغفلاً من جهة رابعة، والأفضل تفنناً وبراعة وابتكاراً في التلوّن والتلبّس لثوبها البراني وألبستها الجوّانيّة، والتغيُّر، فضلاً عن التبدُّل لمظهرها وقيافتها وقوامها البرّانية الخارجية كالحرباء من جهة أخرى. ومآلات كل ذلك، هي هذا التنوع والتعدد والتبدل والتغير في كنه الذات الشبيهية الشبحية، والتي تنتحل الهويات والشخصيات المتعددة. وحينما نقف عند مجمل الآيات القرآنية المجيدة والسنة النبوية الشريفة والقول المأثور الواردة في النفس الإنسانية، يمكن صنافة

النفس إلى ثلاث صنافات رئيسة وتقسيمات تفريعية أخرى، هي[1]:

1 - النفس المطمئنة.

2 - النفس اللوامة.

3 - النفس الأمارة بالسوء.

4 - الروح: النفس الملهمة.

5 - النفس الشّيطانية الذاتية.

6 - النفس اللّجوجة العنيدة.

7 - النفس أو الذات العجولة.

8 - ظلم النفس أو الذات لكينونتها الإنسانية الإلهية.

9 - النفس الجاهلة والظلومة والفاسدة والبخيلة و...

لذا نعتقد أنّ كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب المنولوجي الجواني الذاتي وما يحمل من حمولات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية سوسيوكونية وسوسيوحضارية وسوسيوتاريخية وسوسيواجتماعية وسوسيوسياسية وسوسيواقتصادية وسوسيوثقافية وسوسيوعقائدية وسوسيوسيكولوجية، هي انعكاس وانقلاب ارتدادي للذات على الذات، وانكشاف انعكاسي مرآوي لحقيقة وكنه كينونة الذات، وكشف وبيان وتقديم أو بطاقة هوية لكينونة الذات وشخصيتها وماهيتها التعريفية. وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤلات يمكن ذكرها على النحو التالي:

(1) - لمزيد من التفصيل راجع: جعفر عباس حاجي:» الكتاب الثاني — الجزء الثاني.العدسات الرؤيوية الاستكشافية الاستبصارية المركبة في المنهاجية التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية « الفصل الثاني.وكذلك كتابنا: «فقه وفلسفة كينونة الكائن البشري من منظور إسلامي» تحت الطبع.

- ماهي هذه الهوية والشخصية والماهوية الأنطولوجية الوجودية والأبستيمولوجية المعرفية؟

- هل هي تلك الأسماء الحسنى والصفات العليا الفاعلية الثاوية بالقوة والإمكان والاحتمال التي تنتظر من يستعلمها ويستفهمها ويستنطقها بواسطة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب المنولوجي الذاتي إلى الفعل والانوجاد والتثبت والتحقق والإنّية الحضورية لكينونة الذات نفسها ؟

- هل هي تلك الغرائز البهيمية والنزوات الحيوانية والشهوات الشيطانية والطموحات الواهية والأحلام الغثة التي تشكل البنيَة البنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية للذات الشبيهة والشبحية الموهومة والفطرة المحجوبة والمظلمة بظلمات حمولاتها الشهوانية والبهيمية والشيطانية الطاغية؟

- أم هل هي الذات المركبة من الأسماء الحسنى والصفات العليا الفاعلية ومن النزوات والشهوات والبهيمية والحيوانية والشيطانية؟

- أم هل هي تلك الذات التي تغلب عليها إحدى كفتي ميزان العدالة والتوازن من الأسماء الحسنى أو الشهوات البهيمية والشيطانية؟

أياً كان وضع كينونة الكائن البشري من الاحتمالات السابقة، فإنّ كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب هي التي تظهرها وتكشفها للذات الجوانية إذا كان السؤال سؤالاً منولوجياً، وتكشفها للعيان البراني في مسرح الحياة إذا كان السؤال سؤالاً ديالوكياً «Diologe»

إذاً السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب هو بالدرجة الأولى كشف لحقيقة كينونة الذات الجوانية وامتيازاتها وسلبياتها وعوراتها، أي عرض لهويتها وماهيتها وشخصيتها ووجودها الأنطولوجي والأبستيمولوجي المعرفي والأكسيولوجي القيمي

والأخلاقي والاستطيقي والجمالي والفني، لذا قلنا إنّ كرامة وصدق وقوة وإحسان و... كل القيم المتعالية المحمولة في بنْيَة وبناءات تركيبية وتراكبية وتكوينية ودلالية واستدلالية وتداولية وتواصلية ووظيفية وغائية كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، هي حقيقة مرآوية انعكاسية لقيم وحقيقة كينونة الذات، والعكس صحيح أيضاً. حيث إن قيم السؤال دالة على قيم الذات وتابعة لها وهي متبوعة لكينونة الذات.

إنّ لكل من السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب مسؤولية وحملاً وعبئاً وثقلاً معرفياً ووجودياً وقيمياً وأخلاقياً وجمالياً وفنياً، قد لا يطيق الكائن البشري أو كينونة سؤاله تحملها أو تقبل كلفتها. قد يجعل سؤال الكائن البشري اللامسؤول أو المستعجل أو المتهور أو الفرجوي أو الهروبي أو المستهان أو الفضولي أو التحجج اللامنظور واللامدروس واللامتعين واللامتحين واللامناسب زمكانياً، أن يدفع الكائن البشري ثمناً غالياً أو يتحمل عبئاً وثقلاً ليس مؤهلاً ولا قادراً على تحمله، ما يسوؤه ويوقعه في حرج وضيق من جانب أو في بعض الأحيان في مساءلة عقلية وقانونية ووجدانية وأخلاقية ووجودية واجتماعية ونفسية وشرعية و... الأمر الذي يصبح مصداقاً لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ × قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾**[1].

هناك عدة تفاسير وأسباب لنزول الآية، ومنها ما جاء في تفسير مجمع البيان عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: خطب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنّ اللّه كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن وقيل سراقة بن مالك فقال: أفي كل عام يا رسول اللّه؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا، فقال رسول اللّه: ويحك ما يؤمنك أنْ أقول: نعم، واللّه لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم لكفرتم، فاتركوني كما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فاذا

(1) – المرجع القرآن المجيد، سورة المائدة، الآيتان 101 – 102.

أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، واذا نهيتكم عن شيء ء فاجتنبوه»، فنزلت الآية.

وروي عن ابن عباس أنهم: «**كانوا يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل: تضل ناقته: أين ناقتي**»؛ فأنزل الله سبحانه فيهم هذه الآية. وروي أيضاً أنه، لما نزلت: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً**﴾قالوا يا رسول الله أفي كل عام؟ قال: لا. ولو قلت: نعم لوجبت». فأنزل الله تبارك وتعالى: «**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**». وقد تقدم في سورة آل عمران بعضه.

وروي كذلك أن أم السائل قالت له: يا بني ; أرأيت أمك لو قارفت بعض ما كان يقارفه أهل الجاهلية، أكنت تفضحها؟ فكان الستر أفضل. ويعضده أيضا رواية من روى عن تفسير فرض الحج ; فإن تكراره مستثنى لعظيم المشقة فيه، وعظيم الاستطاعة عليه. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله أمركم بأشياء فامتثلوها، ونهاكم عن أشياء فاجتنبوها، وسكت لكم عن أشياء رحمة منه، فلا تسألوا عنها**».

لذا قد نهى الله عباده المؤمنين عن سؤال الأشياء التي إذا بينت لهم ساءتهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول الله ﷺ عن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو النار، فهذا ربما أنه لو بين للسائل لم يكن له فيه خير، وكسؤالهم للأمور غير الواقعة. وكالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربما أحرجت الأمة، وكالسؤال عما لا يعني، فهذه الأسئلة، وما أشبهها هي المنهي عنها، وأما السؤال الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فهذا مأمور به، كما قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ**﴾ أي: وإذا وافق سؤالكم محله فسألتم عنها حين ينزل عليكم القرآن، فتسألون عن آية أشكلت، أو حكم خفي وجهه عليكم، في وقت يمكن فيه نزول الوحي من السماء، تبد لكم، أي: تبين لكم وتظهر، وإلا فاسكتوا عمّا سكت الله عنه أو «**وعَفَا اللَّهُ عَنْهَا**» أي: سكت معافيا لعباده منها، فكل ما سكت الله عنه فهو مما أباحه وعفا عنه. «**وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**» أي: لم يزل بالمغفرة موصوفا،

وبالحلم والإحسان معروفا، فتعرضوا لمغفرته وإحسانه، واطلبوه من رحمته ورضوانه.

ينبغي ألا يظن أحد بأن سبب نزول هاتين الآيتين يعني غلق باب السؤال وباب تفهم الأمور بوجوه الناس، لأن القرآن في آياته يأمر الناس صراحة بالرجوع إلى أصحاب الخبرة في فهم الأمور: «**فاسالوا أهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمون**»، بله، المقصود هو الأسئلة التافهة والتحجج، والإلحاح المؤدي غالبا إلى تشويش أفكار الناس وتشويه الحقائق وتشكيك الناس، وإيجاد العلل والتبريرات للتسويف والهروب فيما بعد من المسؤولية.

ومن المعروف أنَّ السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب هي مفاتح لفتح أقفال المعرفة، والآيات القرآنية المجيدة والروايات النبوية الشريفة لا تحصى ولا تُعد في التوكيد على الناس أنْ يسألوا عما لا يعرفون، ولكن لكل قاعدة استثناء، ولهذا المبدأ التربوي الأساس استثناءاته أيضا، منها أنّ هناك أحيانا بعض المسائل التي يكون إخفاؤها أفضل لحفظ النظام الاجتماعي ولمصلحة أفراد المجتمع، ففي أمثال هذه الحالات لا يكون الإلحاح في السؤال عنها والسعي لكشف النقاب عن حقيقتها بعيدا عن الفضيلة فحسب، بله، يكون مذموما أيضا مثلا: يرى معظم الأطباء ضرورة كتمان الأمراض الصعبة الشفاء عن المريض نفسه، وقد يخبرون أهله شريطة أنْ يلتزموا كتمان الأمر عن المريض، والسبب هو أنّ التجارب قد دلت على أنَّ المريض إذا عرف أنَّ مرضه لا يشفى بسرعة انتابه الرعب والهلع وقد يؤخر ذلك شفاءه، إنْ لم يكن مرضه مهلكا فعلى المريض أنْ لا يلح في إلقاء الأسئلة على طبيبه العطوف، لأن هذا الإلحاح قد يحرج الطبيب، فيصرح للمريض بما لا ينبغي أنْ يصارحه به تخلصا من هذا الإصرار واللجاج.

كذلك الناس عموما، فهم في التعامل فيما بينهم يحتاجون إلى أنْ يحسن بعضهم الظن ببعض، فللحفاظ على هذا الرصيد الهام، خير لهم ألا يعرفوا خفايا الآخرين، إذ إنَّ لكل امرئ نقاط ضعفه، فانكشاف نقاط ضعف الناس يضرب التعاون فيما بينهم، فقد يكون امرؤ ذا شخصية مؤثرة قد ولد في عائلة واطئة ومنحطة، وإذا انكشف هذا

فقد تتزلزل آثاره الوجودية في المجتمع، لذلك ينبغي على الناس ألا يلحوا في السؤال والتفتيش في هذا المجال. كما إنَّ الكثير من الخطط والمناهج الاجتماعية يلزمها الكتمان حتى يتم تنفيذها، فالإعلان عنها يعتبر ضربة تؤخر سرعة إنجاز العمل.

هذه وأمثالها نماذج لما لا يصح فيه الإلحاح في السؤال، وعلى القادة أنّ لا يفشوا أمثال هذه الأسرار ما لم يقعوا تحت ضغط شديد. والقرآن في هذه الآية يشير إلى الموضوع نفسه ويقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إنْ تبد لكم تسؤكم**﴾ ولكن إلحاح بعض الناس بالسؤال من جهة، وعدم الإجابة عن أسئلتهم من جهة أخرى، قد يثير الشكوك والريب عند الآخرين بحيث يؤدي الأمر إلى مفاسد أكثر، لذلك تقول الآية: ﴿**وإنْ تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم**﴾ فيشق عليكم الأمر.

أما قصر إفشائها على وقت نزول القرآن، فذلك لأن تلك التساؤلات كانت متعلقة بمسائل ينبغي أنّ تنزل أجوبتها عن طريق الوحي.ثم لا تحسبوا الله غافلا عن ذكر بعض الأمور إنّ سكت عنها، فقد «**عفا الله عنها والله غفور حليم**». يقول الإمام علي عليه السلام: «**إنَّ الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدودا فلا تعتدوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها**».

صحيح إنَّ إفشاء بعض الأمور يتعارض مع مصلحة الناس، ولكن بسبب هذا الإلحاح قد يضطر المرء أنّ يميط اللثام عنها على أثر الإلحاح. والسبب هو أنَّ لزوم الصمت رغم الإلحاح بالسؤال، فقد تنجم عن ذلك مفاسد أخطر، ويثار سوء ظن يشوب أذهان الناس، مثل صمت الطبيب إزاء إلحاح المريض في السؤال عن مرضه، فإنَّ ذلك يثير شكوك المريض، وقد يحمله على الظن بأنَّ الطبيب لم يشخص مرضه بعد، فيهمل استعمال ما يصفه له من علاج، عندئذ لا يسع الطبيب إلا أنّ يفشي له سر مرضه، ولو سبب له ذلك بعض المشاكل.

الآيات والروايات التي تشير إلى هذا المفهوم الحقيقي والواقعي، وتبين أنَّ أقواما سابقين كانت لهم أسئلة كهذه، وبعد أنّ سمعوا أجوبتها خالفوها وعصوا: «**لقد سألها**

**قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين»** وللمفسرين أقوال مختلفة بشأن تلك الأقوام، منهم من ذهب إلى أنَّ الأمر يخص تلامذة النبي عيسى عليه السلام عندما طلبوا مائدة من السماء، فعندما تحقق لهم ما أرادوا عصوا، ويقول بعض: إنها حكاية مطالبة النبي صالح عليه السلام بمعجزة، ولكن الظاهر أنّ هذه الاحتمالات بعيدة عن الصواب، لان الآية تتحدث عن سؤال عن مجهول يراد الكشف عنه، لا عن طلب شيء، ولعل استعمال كلمة سؤال في كلا الحالين هو سبب هذا الخطأ.

وتريد هذه الآيات والروايات أنّ تنطق وتقول لنا إنَّ مثل هذه المسائل التي نهيتم عنها ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: جنسها وشبهها، سؤال تعنت لا استرشاد. فلما بينت لهم وجاءتهم ﴿أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الشريف: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم**».

القرآن المجيد والروايات الشريفة تحكي لنا عن حالة السؤال المستعجل أو المتهور أو الفرجوي أو الهروبي أو المستهان أو الفضولي أو الإلحاحي اللامنظور واللامدروس واللامتعين واللامتحين واللامناسب زمكانياً في قصة بقرة بني إسرائيل في القرآن المجيد في سورة البقرة [1] وقد تعني الآية السابقة هذا الحدث. حيث يقول عزّ وجل: **﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ، قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا**

(1) – كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثم احتمله ليلاً، فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض. فقال ذوو الرأي منهم والنهي: علام يقتل بعضكم بعضا، وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى عليه السلام، فذكروا ذلك له، فقال ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ قال: فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا، فشدد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهباً، فأخذوها بملء جلدها ذهباً، فذبحوها، فضربوه ببعضها، فقام: فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا لابن أخيه.

**قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ، وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[1].

كان الأمر بذبح البقرة دون غيرها من الحيوان لأنها من جنس ما عبدوه وهو العجل ليُهَوِّن عندهم أمر تعظيمه. فراحوا يمطرون موسى بالأسئلة عن خصائص البقرة ومميزاتها مما لم يكن قد نزل بشأنها أي شيء، ولكنهم بسؤالاتهم المتكررة التي لم تكن ضرورية اخذوا يشقون على انفسهم، بحيث أنَّ العثور على تلك البقرة الموصوفة اصبح من الصعوبة بمكان وتحملوا الكثير من النفقات في سبيل ذلك، حتى كادوا أنْ ينصرفوا عن التنفيذ. واضح أنّ بني إسرائيل أكثروا من الأسئلة وشددوا فشدد الله عليهم ولو أنهم امتثلوا الأمر في البداية وذبحوا أية بقرة لأجزأتهم. لأجل ذلك حذّر رسول الله ﷺ أمته من كثرة الأسئلة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**»

ففي تفسير قوله تعالى ﴿**واصبحوا بها كافرين**﴾ احتمالان: الأول: إنّ المقصود بالكفر هو العصيان، كما سبقت الإشارة إليه.والثاني: هو إنّ الكفر قصد بمعناه المعروف، وذلك لأن سماع الإجابات المزعجة التي تثقل على السامع قد تدفع به إلى إنكار أصل الموضوع وصلاحية المجيب، كان يسمع مريض جوابا لا يروقه من طبيبه، فيؤدي رد الفعل به إلى إنكار صلاحية الطبيب واتهامه بعدم الفهم مثلا أو بالهرم ونسيان المعلومات. وكذلك الأسئلة المنهي عنها: مثل السؤال عما أخفاه الله عن عباده كالسؤال عن قيام الساعة وعن حقيقة الروح، وعن القضاء والقدر، والسؤال على سبيل التعنت والعبث والاستهزاء، وسؤال المعجزات، والسؤال عن الأغاليط والسؤال عما لا يحتاج إليه، والسؤال عما سكت عنه الشرع من الحلال والحرام وما نحو ذلك. وهذه الآيات لا تمنع أبدا طرح الأسئلة المنطقية التربوية والبناءة، بله، تتحدد بالأسئلة التي لا لزوم لها، وبالتعمق في أمور لا ضرورة للتعمق فيها والتي من الأفضل، بله، من اللازم - أحيانا - بقاؤها في طي الكتمان.

(1) - المرجع القرآن المجيد، سورة البقرة، الآيات: 67 – 73.

الفصل الثاني عشر

# مرجعية كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب

## 12.1 مرجعية كينونة الكائن والسؤال وسؤال السؤال:

إنّ فقه فلسفة وعلْمنة وعقْلنة وعرْفنة ووحْيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب، وبنْياته وبناءاته البنائية التركيبية والتراكبية والتكوينة، والدلالية والاستدلالية والاستنطاقية والاستنتاجية، والتداولية والتواصلية والتبليغية، والتفهيمية والفهمية والانفهامية والإفهامية، والتعليمية والتعلّمية والتدريسية البيداغوجية، وثيماته وموضوعاته وأسسه وقواعده وأحكامه وسننه وقوانينه الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية، وحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ؛ أي كافة القبليات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية الثاوية في كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، الاستخلافية الإنسانية والخاتمية المحمدية ﷺ الرسالية الكونية والانتظارية المهدوية الموعودة عجل الله فرجه الشريف والاتباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة في المجرى الحدثي «V5» والمشهدي «V4» والمرآوي«V3» والحقيقي الواقعي القائم «V2»، ذلك حسب طبيعة وماهية كل مجرى وسيرورته الفعلية والبرزخية التي تنقله إلى مجرى مجاور آخر، وذلك داخل المجرى الأنطولوجي والأبستيمولوجي والأكسيولوجي والاستطيقي للكون أو العالم أو الوجود «V»، يفترض أن يسبر ويصير متماهياً أو متناظراً أو مطابقاً لمجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية. وبهذا السير والمسار تحقق سيرورة وصيرورة الكائن البشري والسؤال والجواب كينونتهما الأسمائية

والصفاتية الفطرية والإنسانية الإلهية التي تتجاوز التشتت والتبعثر والتشظي إلى التمركز والتمحور والتبأور، ومن الاختلاف والتضاد والتناقض إلى التشابه والتناظر والتطابق، ومن الفردانية والتجزيئية والعشوائية والطفراوية والفجائية والعبثية إلى التشميلية والكلّيانية والسببية والعلّية والضرورة واليقينية والحتمية والوحدة في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة.

وقد تسير وتصير كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب باتجاه التشظي والتنفر والتبعثر والانتشار والاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق السلبي والتناقض والمزايلة التناقضية والترقيعية والتهجينية والسلبية، فتفقد كينونة السؤال وكينونة الجواب وكينونة الكائن البشري وكينوناته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية والحقوقية الفرادة والأصالة والأثالة، وتفقد التشميلية والكلّيانية والضرورة والسببية والوضوحية والعلّية واليقينية والحتمية والوحدة في عين كثرتها وكثرتها في عين وحدتها، فتخضع كينونة السؤال وكينونة الجواب وكينونة مسار وسير وسيرورة الكائن البشري لإرادة السلطة والقوة النيتشوية المآسسة على القوة البهيمية والنزوات الشيطانية والحيوانية والدنِّيوية المادية الآنية.

لذا نقول ونؤكد أنّ كينونة السؤال كينونة بنِّيوية وبنائية تركيبية وتراكبية وتكوينية ودلالية واستدلالية ووظيفية وغائية، تتطلب البناء والانبناء والإقامة والتشييد، وتقتضي الأصالة والأثالة، وهي ليست جاهزة أو قابلة للاستيراد الاستهلاكي التلقائي، من دون تفكيك بنِّيوي وبنائي وتنقير أركيولوجي وتشريح أيكيولوجي وتحفير جينيولوجي لكينونة السؤال الجاهز أو المستورد أو المستنسخ أو المستفسخ المكرور أو المتداول.

إذاً هناك ضرورة تجريبية عمَلانية ووجوب منطقي وعقلي وعرفاني وعلمي وأخلاقي وإنساني وشرعي لمعاينة السؤال الجاهز والمستورد والمنقول أو المتصور العابر والتلقائي، وذلك من خلال توظيف أوّليات وإوَاليات وآليات وآلات وسائل

واستراتيجيات التنقير لبناءاته الأركيولوجية الطبقاتية التأسيسية وركماتها الترسبية، وتفكيك معاجم رموزه الجينيالوجية ومكوناته الجينية وجذوره التأصيلية والتأثيلية، وتشريح علائقه الأيكيولوجية البيئية البنّيوية والبنائية الجوانية والبرانية التي نشأ فيها السؤال وأنبتت شجرته، وتحليل وتفسير عناصره ومكوناته المختلفة، ومن ثم إعادة بنائه وتركيبه وفق البيئة الأيكيولوجية الحاضنة للمتلقي، وتبعاً لباراديم «**إبدال**» ونموذج السؤال الاستخلافي الإنساني والخاتمي المحمدي ﷺ والانتظاري المهدوي الموعود عجل الله فرجه الشريف والاتباعي الولائي الفقهي التقوائي العام. وكل ذلك يتطلب وجود مرجعية، بله، مرجعيات تحكمها مرجعية المرجعية «**ميتا المرجعية**» لها قوة تجاذبية وتبأورية مستحكمة ومستكملة وتامة ومتعالية تتموضع في أعلى قمة برج بابل لتكون هي الناظرة والواصفة والشارحة والكاشفة والمحيطة والمستديرة، وهي المفسرة والمؤولة والقائمة والقيّومة والمقوِّمة، وهي الحاملة والحاضنة والمستقطبة لسير ومسار وسيرورة وصيرورة كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب.

ومن أشد البديهيات وضوحاً وقبولاً وإقراراً وتفعيلاً التي تسكن في كينونة الكائن البشري ويتفاعل معها الكائن الإنساني، هي المرجعية والسلطة والحاكمية النهائية والمطلقة التي يستند إليها الكائن في كافة أقواله وأفعاله وتصوراته وتخيّلاته المعرفية والوجودية. فأي موقف أو فعل أو قرار أو فكرة إيجابا أو سلبا أو انتظارية، صامتا أو ناطقا، لا بد أن يحيله الكائن إليه ليضفي عليه حكم المقبولية والصلاحية والمصداقية، والخيّرية والنفعية، والقدسية والحاكمية، والقناعية والإقناعية، وكذلك التشميلية والكلّيانية والوضوحية والضرورية والسببية واليقينية والعلّية والصدقية والحتمية والوحدة في عين تكوثراتها، وتكوثراتها في عين وحدتها، بحيث يقنع بها كينونته الذاتية الجوانية أولاً، ويقنع بها الكينونات الذاتية الأخرى، آخراً.

وبحكم العقل والمنطق من جهة، والتجربة العلمية والاجتماعية والسيكولوجية والممارسات المعيشية من جهة أخرى، لا بد أن تكون هذه المرجعية العامة للكائن

البشري ولكينونة السؤال وسؤال السؤال ومساءلة مشكلاته وإشكالاته الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والسسيولوجية «**الاجتمعرفية**» والسيكولوجية «**النفسمعرفية**» والتيولوجية «**الغائية**»، لها كل السلطة والحاكمية الكبّارة، والرأي والحكم القاطع، والنظر والقول النهائي، وأنْ تكون مقبولة ومشتركة، وأنْ تكون معتمدة ومقررة، ومقتنعة وقانعة، وبديهية وواضحة، ومطلقة وثابتة، وكلية وتشميلية، وإنسانية وكونية.

وهذا الأمر بهذه الصفات النعتية والسمات البنْيوية والبنائية والدلالية التي لا يختلف عليها اثنان، لا بد أن يكون أمراً تكوينياً له كينونتان، كينونة جوانيّة وكينونة برانيّة، كينونة باطنية مجردة، وكينونة ظاهرية مجسدة، يتم تعيينهما وتحديدهما وتحيينهما من جنس خالق وفاعل وحاكم خارج عن الأجناس المفعول بها والمخلوقة والمحكومة بحكمها وسلطتها الكلية والنهائية، التي لو تمسكنا بهما لن نضلّ ولا نشكّ أبداً، بله، هي سفينة النجاة، ونور الأنوار، وحق الحق، وحقيقة الحقيقة، ومِميِّلة المِميِّلات، ومنقِّلة المنقَّلات، ومَكِيلة المَكِيلات، وميزان الموازين، ومسطرة المساطر، وبوصلة البوصلات، الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنية.

ولكينونة الكائن البشري نبّيٌّ باطنيٌّ عصمويٌّ وهو الفطرة المخمورة التي فطرها الله عليه ولا تبديل ولا تحويل ولا تغير لها البتة، إحدى أجهزتها الإدراكية الجوانية هي «**العقل الفطري**»، والأخرى هي «**القلب المعقْلن والمشرعْن**». وهذا النبي الباطني معطى من الحكيم والخالق الرحيم بالقوة والإمكان والاحتمال، وما على الكائن البشري إلا أن يستخرجه من حالة الكمون إلى حالة الفعل والتحقق والتثبت والانوجاد والإنّية، من خلال السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي ومن خلال الفعل القولي والعملي الصالح والخيِّر.

## 12.2 المفارقة الإشكالية لكينونة المرجعية العصموية للسؤال:

تكمن الإشكالية في مرجعية المسار والسير والسيرورة والصيرورة من القوة إلى الفعل والإمكان إلى التحقق والانوجاد والتثبت، في حالة القلق والحيرة والدهشة، والشك والظن والارتباك في التعامل مع المبادئ الكبرى، وفهم طبائع الأشياء، واستيعاب وتفهيم وانفهام وإفهام المدلولات العميقة للكينونات الذاتية والأنفسية والكينونات الطبيعية التكوينية والكينونات الملكوتية المجردة... عملية التفكير تشبه عملية السقاية لنبتة عزيزة، فكما أن الماء يُحيي النبتة لتصبح شجرة نافعة مزهرة مورقة مثمرة، فإنه يتسبب في إحياء الأعشاب الضارّة من حولها، وهكذا فنحن إذ نفكر ننمي أدمغتنا فزيولوجياً، ونصقل مفاهيمنا، ونجعلها أكثر وضوحاً...

وإلى جانب هذا فإن عقولنا حينما تجري في مجرى التفكر والتعقل والتأمل والنظر المُلْكي والملكوتي، تولّد سحب كثيفة من الأفكار والمفاهيم والمعاني الخاطئة، بله، القاتلة، وهي أشكال وأنواع، لكن أكثرها خطورة تلك التي تتعلق بـ (الأطر العامة) أو المرجعيات الكبّارة التي ينطلق منها العقل والقلب، ويستند إليهما خلال عمليات الحفر والتنقير والتشريح والتفكير والاستدلال والاستشراف والتزكية؛ إذ إنَّ الإطار حين يكون خاطئاً، فإنَّ حركة العقل والقلب تشبه بوصلة وخريطة اتجاهات السير التي لو كانت مخطئة وتعاني من خلل تركيبي فني، قد تشير إلى مؤشرات وعلامات باتجاهات معاكسة لجهة السير والمكان المنشود. فما بال القوم حينما يكون الغراب دليلهم؟ أو خريطة مخلوطة ومغلوطة خاطئة موجهة للسير والحركة؟، أو بوصلة وضعت اتجاهاتها الجغرافية بشكل متعاكس؟.

ولذلك علينا العناية، بدءاً وأصلاً وسلفاً وسبقاً، بالبوصلة والمِميلة والمَكيلة والمنقلة والميزان والمسطرة والخارطة الجغرمعرفية والجغرانطولوجية والجغرقيمية والجغرأخلاقية والجغرجمالية والجغرفنية الجوانيّة الفطرية، وذلك لمعرفة كينونتها

وماهيتها وشروطها وآليات العمل لديها. ونحن في هذا الصدد، بسبب مقتضيات البحث وغايات الموضوع، نقوم باختزال كافة الشروط والمتطلبات اللازمة لديناميه وديمومة فعاليات النبي الباطني النفس البشرية التي إحدى أدواتها «**العقل المشرْعن**» في أمرين رئيسين هما:

1 – أن أداة النبّي الباطني العصموي؛ أي العقل لا يستطيع العمل كمرجعية عصموية إلا من خلال أجهزة إدراكية وأدوات وأساليب ووسائل وآليات واستراتيجيات معرفية ووجودية، حاله حال أصحاب المهن مثل المعلّم والطبيب والمزارع والنجّار و.....، وأدوات وأساليب النبّي الجواني «**العقل**» هي شبكة التعريفات والأفكار والمفاهيم والمعارف والمعلومات والبيانات والحقائق والمقدمات الفطرية واليقينية الأولية والنظرية والمشهورات...

ويتطلب تكوين شبكة المفاهيم في الذهن تقطيع الوجود، أولا، إلى قطع أو مكونات مفردة، بحيث تمثل كل قطعة مفهوما يعبّر الناس عنه بمصطلح أو رمز. ولكن تقطيع الوجود في الذهن لتكوين المفاهيم المنفصلة لا يعني أن مكونات الوجود منفصلة فعلاً بعضها عن بعض في مجرى الوجود الأنطولوجي البراني، فهي، في حقيقة الأمر، متصلة ومترابطة. فالنور وحدة وجودية واحدة وإنْ كان متشككاً له سُلّمية راتوبية وجودية تدرجية. وكذلك البقرة، مثلا، ذات علاقة وثيقة بالثور، وبالعجل، ولا يمكن تصور الحليب بدونها.

ولما كانت موضوعات الوجود، في الواقع، مترابطة يتصل بعضها ببعض، فإن المفاهيم التي تعكس هذه الموضوعات في الذهن، تدخل، هي الأخرى في علاقات بعضها مع بعض. وهكذا تتكون في الذهن حقول مفهومية متعددة، يشترك أفراد كل حقل في بعض الخصائص ويتباينون من حيث الخصائص الأخرى. كما تتصل هذه الحقول بعضها ببعض لتشكل شبكات مفهومية ترتبط فيما بينها بعلاقات منطقية

ووجودية أو ماهوية أو قانونية وتشريعية أو وجدانية متعددة، أشبه ما تكون بالمجموعات الفلكية المتقاربة التي تشغل فضاءات متجاورة في الكون. فمفهوم الغربة البسيطة، مثلا، يتجاور مع مفهوم السفر وينتج عنه، كما يتجاور مع مفهوم الحنين ويؤدي إليه.

2 - الإطار المرجعي البراني: بالرغم من أنَّ الفطرة البشرية أو النفس الإنسانية وكافة منظومة أجهزتها الإدراكية كالحواس والعقل والقلب تعمل كمجارٍ وروافد تصب مياهها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية في مركز وبؤرة كينونة النفس الإنسانية، إلا إنها فقيرة تحتاج إلى من يرشدها، وضالة تنتظر من يوجّهها، وقد يصيبها المرض والضعف والسبات فتحتاج إلى من يستقيظها، أو يشوبها الانحراف والانحدار والخلل المعيب، الأمر الذي يقتضي إعمال بوصلتها المرجعية الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والسسيولوجية والسيكولوجية والتيولوجية، من خلال إضاءات وأنوار البديهيات والمسلّمات اليقينية والمعقولات والمفاهيم الكلية التشميلية التراتبية التوحيدية من جهة، وتوجيهات وإرشادات بوصلة ومِمّيلة ومَكّيلة ومسطرة الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتباعية، من جهة أخرى.

إن حال كينونة الكائن البشري وكينونة سؤاله وسؤال سؤاله ومساءلة جوابه ومشكلاته وإشكالاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، هي حال كينونة يعتريها قلق ودهشة وحيرة وإحراج بصورة دائمة وأبدية، وحال انتقال بين الحقيقة والوهم، والعلم والخرافة، والجزم والشك، والتغير والثابت، والنسبي والإطلاق، والظاهر والباطن، والجزئي والكل، والهامش والمركز، والماضي والمستقبل، والكثرة والوحدة، والشاهد والغيب، والذاتية والغيرية، والتذويتية والتذاوتية، والنطق والصمت، والاسم والفعل، والقول والعمل، والبداية والنهاية ،... إلخ.

وهي حالات محايثة ومتحاقلة ومماسة ومجاورة لكينونته الكائنية، وإنها حالة دينامية ديمومية تشكل جزءاً لا يتجزأ من واقع الكائن المعيش، ويجد نفسه باستمرار

مفتقراً إلى المزيد من المعرفة التي تساعده على رؤية الأشياء على ما هي عليها، وتمكنه من السير في صيرورته الارتقائية التكاملية باتجاه غاياته وأهدافه المنشودة. فطبيعة وماهية الكائن البشري التكوينية والفطرية الداعية إلى الجمال والكمال المطلق في القدرة والعلم والمعرفة والحكمة والعرفان والوحي و.... هذه الأمور تحتاج إلى مرجعيات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية تمثل خير تمثيل الصفات العليا والأسماء الحسنى الذاتية والفاعلية الثاوية في الطبيعة والإنسان والكلمات القرآنية، التي يكون مرجعها التأسيسي والتأصيلي والتأثيلي هو النبي الباطني العقلي والفطري بمعية الثقلين العصمويين كتاب الله والعترة الطاهرة في سياق وإطار الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية.

إذاً الإطار المرجعي العصموي التشميلي والكلي أو المثل الأعلى ذات السلطة التامة والحاكمية المطلقة، وذات البوصلة والخارطة الاسترشادية والاستهدافية الكاملة والمعتمدة، هي ديدن كافة الكائنات البشرية، ولكن الاختلاف والتمايز والتضاد والتناقض يقع في مصاديقها الخارجية التي قد يخطئ الكائن، فيعتقد بأن المرجعية الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية العصموية تكمن في إحدى هذه المرجعيات الجوانية وحدها: إما الذات بمفردها، أو الغرائز والأهواء والشهوات، أو الحواس، أو العقل، أو في القلب أو التخييل. أو تكمن في المرجعيات العصموية البرانية في إحدى المرجعيات التالية منفردة: إما الواقع المعيش، وإما مجلس الشورى، وإما البرلمان، وإما التاريخ، وأما الجغرافيا، وإما الجنس، وإما الحاكم المطلق، وإما الكتاب المقدس، وإما الدستور والقانون، وإما النبي المعصوم ﷺ وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام والقرآن المنطوق أو ولاية الفقيه التقوائية العامة. هذه هي المرجعيات الكبروية الكبّارة التي قد يصيب سهم الكائن البشري إحداها في الواقع الخارجي. وهناك أُطر صغرى متعددة، والفاصل بينهما ذو وسط متراتب متدرج، تنبثق عن الإطار المرجعي العصموي الكبروي الكبّار، والتي تتماهى وتتساوق وتنسجم معه.

### 12.2.1 المرجعية العصموية الكونية خارج جنس الكائن البشري:

المثل الأعلى والمرجعية والحاكمية والضابطية والتقويمية والواصفية والشارحية والناظرية والمحيطية والمستديرية والتفسيرية والتأويلية والقيومية والقائمية والمقومية لأي شيء أو لأي موضوع لا بد من أن تكون من خارج جنسه، وأنّ تكون أكمل وأشرف وأقدس وأتم منها، ولا يمكن أن تكون من نتاجها ومن رحمها العقلية الفلسفية والتجريبية العلمية والعرفانية القلبية والوحي المسدد والمؤيد المحدود والناقص والفقير. وهذا لا يعني التضاد والتناقض بينها في الحقيقة الواقعية الصادقة والحقة، بله، الحديث هنا عن التشميلية والتكاملية والتصديقية والحقيقة الكاملة والتامة. فالمحدود مهما كان تاماً وكاملاً لا يمكن أن يكون معياراً وحاكماً ومقوِّماً وضابطاً ومرجعاً لما فوقه أو للمحدود على مستواه، بله، يمكن أنْ يكون كذلك لما دونه. كما لا يمكن أن يكون الناقص والفقير والضعيف والجاهل حاكماً ومقوِّماً ومرجعاً لشيء نطلبه وهو كامل وغني وقوي وعالم، إلا أن يكون هذا المرجع متعالياً وكاملاً وغنياً وقوياً وعالماً له الحكم والقوة والسلطة المطلقة أو على الأقل متعالية.

وعليه، فإن المرجعية الإنسانية الكونية العصموية الكمالية وفق الرؤية والمنظور الإسلامي بشكل عام هي كتاب الله وصحيح السنة النبوية الشريفة المدونة والناطقة والمنطوقة والفاعلة والمفعولة، أي مرجعية الثقلين: مرجعية كتاب الله والسنة الكلامية اللفظية الصومتة ومرجعية العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام القرآن والسنة الناطقة عند المذهب الشيعي الاثني عشري.

فالمرجعية القرآنية هي قلب وروح وبنيَة وبناء تركيبي وتراكبي وتكويني، ودلالي وتداولي وتبليغي، وتعليمي وتعلّمي وتدريسي بيداغوجي، وتفهيمي وإفهامي وانفهامي، وهي مرجعية تدوينية كلماتية ولفظية شارحة وواصفة، وكاشفة ومبيّنة، وناظرة وحاكمة، ومفسرة ومؤولة، ومحيطة ومستديرة، وقائمة وقيّومة ومقوِّمة لكينونة سؤال وسؤال

السؤال، والجواب وسؤال الجواب، وسؤال سؤال الجواب وسؤال جواب الجواب، وهكذا دواليك، تستمر السيرورة والصيرورة في سلسلة تعاضدية توافقية تكاملية لا متناهية، تتكامل وتتعاضد وتتطابق فيها كينونة السؤال وتتسع بؤرتها الاستكشافية والاستبصارية والاسترجاعية التغذوية والاستشرافية المستقبلية، والتفكيكية والتركيبية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية لحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوحية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ، وذلك تبعاً لتحقيق التشابه والتشاكل والتضارع والتضاهي والتماثل والتجاور والتناظر والتطابق التعاضدي التوافقي التكاملي بينها وبين مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية الواردة في القرآن المجيد، والمتمثلة في تلك الكلمات التي علّمها الله سبحانه وتعالى آدم وورثها الأنبياء والمرسلون والأئمة عليهم السلام.

ولقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه المرجعية حينما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**القرآن هدى من الضلال وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار**».[1] وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيام وفاته - فيما أوصى به إلى أصحابه: «**كتاب الله وأهل بيتي، فان الكتاب هو القرآن، وفيه الحجة والنور والبرهان، كلام الله غض جديد، طري شاهد، وحكم عادل، قائد بحلاله وحرامه وأحكامه، بصير به، قاض به، مضموم فيه، يقوم غداً، فيحاج به أقواماً، فتزل أقدامهم عن الصراط**».[2]

ويقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في صفة القرآن: «**ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً**

(1) - الكافي ج2 ص600 ح 8.
(2) - مستدرك الوسائل ج4 ص237 باب2 ح 4588.

لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاءً لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجَّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتَمَّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجَّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلَامَ، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى». [1]

وقال عليه السلام: «إن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلاّ به». [2] وقال عليه السلام: «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، ونقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على دوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والعمى والضلال، اسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توحد العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنه شافع مشفّع، وقائل مصدّق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه

(1) – نهج البلاغة الخطبة 198.

(2) – بحار الأنوار ج2 ص284 باب34 ح1.

**ينادي منادٍ يوم القيامة، ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آرائكم، واستغشوا فيه أهواءكم»**. [1]

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فانه شافع مشفع، وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفى، فليُجل جالٍ بصره، وليبلغ الصفى نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فان التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص**». [2]

ويقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**فَانْظُرْ أَيُّهَا اَلسَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ اَلْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَمَا كَلَّفَكَ اَلشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي اَلْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلاَ فِي سُنَّةِ اَلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَأَئِمَّةِ اَلْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اَللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اَللَّهِ عَلَيْكَ....**»

### 12.2.2 مفارقات المرجعية القرآنية لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب:

أما فيما يتعلق بمرجعية القرآن الكريم العصموية، فيقتضي الأمر توضيح بعض الأمور التي لم تراع عبر التأريخ الإسلامي، حيث أصبحت مرجعية القرآن العصموية بدلاً من توحد وتجمع وتمركز المسلمين إلى المركز الاستجماعي والمحور الاستقطابي

(1) – مستدرك الوسائل ج4 ص239 باب3 ح4594.

(2) – وسائل الشيعة ج4 ص 828 ب3 ح3 والأصول ص590.

والبؤرة التبئيرية، حول وحدة السلطة الولائية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفقهية أو الاعتقادية أو الثقافية، سواء النظرية والفلسفية والفقهية أو العملية التطبيقية، صارت مصدر التفرقة والتشتت والتشظي والاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل، وفقدت هذه المرجعية العصموية مركزيتها ومحوريتها وبؤرتها التشميلية والكلّيانية والوضوحية والضرورية والسببية والعلّية واليقينية والحتمية والوحدة في تكوثراتها وتكوثراتها في وحدتها.

لذا نجد أنّ المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم لأمتنا اليوم كما كان بالأمس القريب والبعيد، يحمل حمولات التفرقة والتشتت والتشظي والاختلاف والتغاير من جهة، والتصالح والتقارب والتصاهر والتجاذب والتزاوج والتصاحب مع المنافقين والكفار والاستكبار والظالمين الذين حذرتنا المرجعية القرآنية المجيدة والسنة النبوية الشريفة منهم، من جهة أخرى. والأدهى والأمرّ، والمصيبة العظمى والكارثة الكبّارة هي أنْ تتم كل تلك المزاوجات والمصاحبات والمصاهرات والمقاربات باسم الإسلام والمرجعية القرآنية ومصلحة المسلمين وحاكمية ولي الأمر الذي لا يجوز الخروج عليه بأي حال من الأحوال، وكل ما هو واجب هو النصح والنصيحة الصامتة والصائتة والمَهْسوسة، وهذا ما جنت الأمة التي كانت خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، من أن يتصدر الصدارة ويتولى الولاية حفنة من فقهاء وعلماء ومفكري ومثقفي ومتفلسفي بلاط السلطة والملوك والحكام الذين لا يفقهون شيئاً عن حمولات حاكمية هذه المرجعية الإلهية الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتّباعية. وما الفرق الضّالة كالخوارج وفرق السلفية الإفراطية والتفريطية المتولدة من المذاهب الإسلامية كافة من دون استثناء، إلا دليل على تضاد وتناقض فهم وتفهيم وإفهام وانفهام حقيقة مرجعية القرآن العصموية الجامعة والاستخلافية المعقودة للإنسان الكامل، والخاتمية المحمدية ﷺ الكونية الخالدة، والانتظارية المهدوية عجل الله فرجه الشريف الموعودة، والاتّباعية الولائية لولاية الفقيه الجامع للشرائط

التقوائية العامة والممهدة للولاية والمرجعية العصموية المنتظرة. لذا لمّا بعث علي عليه السلام عنه عبد الله بن عباس للاحتجاج على الخوارج قال له «**لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال أوجه، ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسُّنة، فانهم لن يجدوا عنها محيصا**».

والسؤال الذي يُطرح هنا بوضوح وجلاء، هل المشكلة والإشكالية في القرآن وآياته وكلماته ونصوصه التي هي من أشد المبينات والبيّنات والمستبينات والوضوحات؟ كما وردت فيه أكثر من مئة آية تؤكد ذلك. أم أنّ المشكلة والإشكالية تكمن في العدسات الرؤيوية الاستكشافية والاستبصارية والاسترجاعية التغذوية والاستشرافية المستقبلية والاستدلالية الدلالية والاستنباطية، أو في العدسات الرؤيوية التفكيكية والتركيبية والتراكبية والتكوينية أو التحليلية والتفسيرية والتأويلية، أم المشكلة والإشكالية تكمن في أنَّ المرجعية العصموية التدوينية واللفظية والكلماتية القرآنية بحاجة إلى مرجعية عصموية ناطقة ملازمة لها، لتكون هي الناطق الشرعي لها وهي المرجعية المفسرة والمؤولة، والناظرة والواصفة، والشارحة والكاشفة، والمحيطة والمستديرة، والمفسرة والمؤولة، والقيّومة والقائمة، والمقوِّمة والحاكمة، على ثيماتها وأحكامها وقوانينها وسننها، ومتشابهاتها ومحكماتها، ومتغيراتها وثوابتها، وظواهرها وبواطنها، ونسبانيتها ومطلقاتها، وشواهدها وغيبياتها، ودنّيوينها ودِيْنويتها، وبرزخيتها وجبروتها، وخاصّها وعامّها، و...؟

لذا تعتبر المرجعية العصموية الناطقة للقطب أو الكفة الثانية من ميزان الثقلين وميزان التوازن والتعادل الكوني والوجودي والأبستيمي والأكسويولوجي والاستطيقي؛ أي أهل البيت المعصومون عليهم السلام، والاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة والممهدة للولاية العصموية المنتظرة في عهد الغيبة الكبرى، هي صمام الأمان وميزان الاعتدال والوسطية التوازنية الديمومية والدينامية العام، للتشميلية والكلّيانية والضرورة والوضوحية والسببية والعلية واليقينية والحتمية الاحتمالية الكبرى والصدقية

والوحدة والتمركز والتبأور للحقيقة والحق داخل المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم، المشابه والمشاكل والمضارع والمضاهي والمماثل والمجاور والمناظر والمطابق لمجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية في المجرى الأنطولوجي في الكون والعالم والوجود.

### 12.3 مرجعية السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب الأمثل والأعلى من منظور الإسلام:

إنّ مرجعية كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب في نهاية الأمر، مآلها الأسماء الحسنى والصفات العليا الفاعلية والمتجلية في كل ذرة صغّارة وجرم كبّار، في كينونات الطبيعة التكوينية الآفاقية وكينونات الذات البشرية الأنفسية وكينونات الكلماتية القرآنية المجيدة. أي في المثل الأعلى المطلق وليس المثل الأعلى التكراري، كما هو حال المذاهب الغربية التي تموضعت في قواقع النزعة الحسية أو العلمية أو الفلسفية أو العرفانية على حدة، أو في النزعة الاجتماعية أو النزعة التاريخية أو النزعة الاقتصادية أو النزعة العرقية أو النزعة الجنسية واللاشعورية.

لذا لا يمكن تصور مرجعية كينونتها البنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينة ودلالتها الاستدلالية ووظائفها الغائية لسيرورة وصيرورة كينونة الإنسان وكينونة السؤال وحركتهما الجوهرية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية أو المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، ضمن مُثل عليا من إنتاجها، أي من إنتاج فكر محدود ومشروط بالظروف الاجتماعية والتاريخية، أو محدود بحدود العقل البشري. لذا بحكم المنطق والعقل والوجدان يقتضي أنْ تكون مرجعية متعالية وكاملة ومطلقة، وعلمه وقدرته وسلطته وحكمته مستطيلة ومستديرة محاطة بكل شيء في الكون. أليس هو الرحمن والرحيم؟ أليست الرحمانية هي الرحم المحيطة والمستديرة في شكل دائرة مغلقة ومحكمة للطبيعة والكون والوجود بحمولاته الطبيعية والإنسانية

والملكوتية، كما أنَّ رحم الأم مستديرة ودائرية محكمة محيطة بالجنين بكل اتجاهاته.

المرجعية الأولى التي هي محدودة وناقصة وفقيرة تتضاد منطقياً مع طبيعتها وماهيتها وبناءاتها ودلالاتها وغاياتها ووظائفها، حيث تنتج ظاهرة الدور المرجعي اللامتناهي، حيث إنّ كل مرجعية بحاجة إلى مرجعية متعالية عليها، وهذه الأخيرة بحاجة أيضاً إلى مرجعية متعالية عليها وهكذا دواليك. إذاً لا بد أنْ ننهي إشكالية الدور والتناقض التسلسلي بين مرجعية ومرجعية، وهذا غير ممكن إلا في التمسك بالمرجعية المطلقة والكاملة والمتعالية والمثالية المحايثة للواقع والحقيقة والحق، ليست غريبة ودخيلة خارجية مجهولة تماماً، بله، هي كامنة بالقوة والإمكان في الفطرة والكينونة الإنسانية فضلاً عن العقلانية المسددة والمؤيدة والعرفانية المتعقّلنة والمتشرّعنة التي ترشدنا إلى التمسك بالثقلين.

المرجعية العصموية الدالة والتابعة للكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى وقدسيتها وحاكميتها وناظريتها، أي تلك التي مصدرها إلهي عن طريق الاستخلاف الخاتمي المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم والتابعية الإمامية المتعينة والاتّباعية الانتظارية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة الممهدة للولاية العصموية المنتظرة، هي أم وآدم وأس وجذر كل المرجعيات البشرية التي لا بد أن تسير وتصير في طولها وليس في عرضها. وبهذه المرجعية المنظومية والمنظورية التراتبية الطولية الإلهية، تكون مرجع المرجعيات كافة، ومنها مرجع مرجعيات كينونة الكائن وكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب ومساءلة مشكلاته وإشكالاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، ومرجع مرجعيات باراديماتهما «**إبدالاتهما**» ونماذجهما ومنهاجهما ومنهاجيتهما ونظرياتهما وبرمجياتهما في الحياة. هذا ما لا يمكن للعقل الذي ينشط داخل النموذج المعرفي والفلسفي للعلوم الإنسانية الغربية أن يتصوره. فكلّ المثل العليا المتضمنة في فلسفات التاريخ الغربية هي مثل عليا نسبية تحولت إلى مطلقات وهمية وإيديولوجية مزيفة وشبحية.

إذاً هذه المحدودية في المثل الأعلى لمرجعية كينونة الإنسان وكينونة السؤال، تشكل البنيَة التأسيسية والتأصيلية وبناءاتها التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية لكينونات الأديان البشرية التي تفرزها. فالأديان التي تفرزها هذه المُثل أو بتعبير آخر الأديان، التي يفرزها الإنسان من خلال صنع هذه المُثل، ومن خلال عملقتها وتضخيمها والنفخ في هبائها وفراغها وخوائها بحمولات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية نسبية ومتغيرة وجزئية وظاهراتية ومتشابهة وسكونية وسطحية ومختلة ومختلفة ومتمايزة ومتغايرة ومتضادة ومتقابلة ومتناقضة ومتزايلة، تفتقد إلى المطلق والثابت والمحكم والباطن والعمق والدينامية والديمومة والتوازن العام والتشابه والتشاكل والتضارع والتضاهي والتماثل والتجاور والتناظر والمطابقة التعاضدية والتكاملية والتوافقية، وتفتقد إلى التشميلية والكلّيانية والوضوحية والضرورية والسببية والعلّية واليقينية والحتمية والوحدة في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها. هذه المرجعيات المثالية التي تقدمها وتطرحها تلك المثل كمطلقات هي تزييف وتبديل وتحريف للحقيقة والحق. فهذه الأديان تكون أدياناً محدودة ضئيلة، أديان التجزئة، في مقابل دين التوحيد...

المجتمعات والأمم التي تعيش هذا المثل الأعلى المنخفض المستمد من واقع الحياة، قلنا بأنها تعيش حالة تكرارية مهما بلغت من القوة والتوسع والاستطالة والتقدم. يعني أن نماذجه ونمذجاته ونظرياته وحركة التاريخ لديها تصبح حركة تماثلية وتكرارية وليست ارتقائية وتكاملية لكينونة الإنسان وكينونة السؤال.

لذا تأخذ كينونة السؤال لأي أمة بيدها، ماضيها إلى الحاضر، وحاضرها إلى المستقبل، ليس لها مستقبل في الحقيقة، وإنما مستقبلها هو ماضيها. وعلى العكس من ذلك المثل الأعلى الذي يطرحه الإسلام كهدف لتطلع الإنسان، يؤدي إلى صيرورة مستمرة بحكم إطلاقية المثل الأعلى. أنظروا إلى منظومات الأسئلة المطروحة منذ القدم لدى هؤلاء القوم وكذلك لدينا أيضاً، فكم منها أجيبت بشكل يناسب كينونة

الإنسان الذي ماهيته وشخصيته وهويته ووجوده الأنطولوجي والأبستيمولوجي المعرفي والأكسيولوجي القيمي والأخلاقي والاستطيقي الجمالي والفني، هي تجليات الأسماء الحسنى والصفات العليا الفاعلية الثاوية بالقوة والإمكان والاحتمال، والتي لا تنطق ولا تجيب ولا تحضر إلى الواقع إلا بحضور السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي، الذي يستعلمه ويستفسره ويستنطقه ويستخرجه من حاله الكمون إلى حال الفعل والتحقق والإنّية والتثبت والانوجاد في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي في العالم أو الكون أو الوجود، بكل أبعاده واستطالاته وامتداداته وأعماقه السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعلمية والسوسيوفلسفية والسوسيوعرفانية والسوسيووحْيَانية المسددة والمؤيدة و... إلخ.

لذا نقول بصريح العبارة، إنّ دالة كينونة الإنسان أو الجواب هي دالة تبعية لدالة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، وليس في الجواب ذاته فحسب، وإنّ العلاقة النسقية والبنْيوية والبنائية التراكبية والتكوينية والتركيبية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية بين دالّة كينونة السؤال ودالّة كينونة الجواب ودالّة كينونة الذات الإنساني هي دوالّ انعكاسية ومرآوية متبادلة ومتداخلة ومتفاعلة ومتعالقة. صحيح أنَّ دالّة الجواب تابعة لدالّة السؤال، أي إنَّ السؤال متغير مستقل والجواب متغير تابع للسؤال، يعني أنَّ السؤال وحمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعلمية والسوسيوفلسفية والسوسيوعرفانية والسوسيووحْيَانية المسددة والمؤيدة و...إلخ هي التي تحدد طبيعة وماهية وشخصية وهوية كينونة الجواب واستطالته وامتداده وأعماقه المعرفية والوجودية والقيمية

والأخلاقية والجمالية والفنّية و...إلخ. وبتعبير رياضي الجواب دالة في السؤال «ج = د (س)» وإنّ الجواب في المرحلة التالية يتموضع موضوع المتغير المستقل لكينونة سؤال الجواب الذي هو سؤال متعالٍ ومتكامل وغني بشكل أكبر عن كينونة السؤال الأولي. أي «س ج = د(ج)»، بحيث كلما تغير الجواب يتغير سؤال الجواب. لذا يصبح سؤال الجواب متغيراً ودالة تابعة للجواب كمتغير مستقل هنا، ولكن نتاج سؤال الجواب هو سؤال أكبر من السؤال القبلي، ويصبح في هذه الحال متغيراً مستقلاً ودالة في الجواب الجديد الذي أصبح متغيراً تابعاً لسؤال سؤال الجواب، وهكذا دواليك، يكون السؤال دالة مستقلة تارة ودالة متغيرة تابعة، تارة أخرى، ويصبح الجواب متغيراً تابعاً تارة ومتغيراً مستقلاً تارة أخرى، وكينونة الذات هي الواسطة بين الاثنين تكاملاً وتعالياً وتعاضداً وتنامياً أو دنواً وانحداراً وانحطاطاً وسلبية.

لذا إنَّ لكل مظروف ظرفاً يناسبه، ولكل ثوب جسداً يطابقه، ولكل محمول حاملاً يجاريه، ولكل بيت سوراً يحيطه، ولكل غرفة حائطاً يحوطها، ولكل سؤال جواباً يساوقه ويجاريه. إذاً هناك تناسب وتناغم وتساوق وتماهٍ من حيث السعة والطول والامتداد والعمق والقوة والصلابة بينهما. فالجواب بدون بيت وظرف وقلعة وسور ـ أي السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب ـ لا يوجد من يحميه ويحتويه ويحافظ عليه ويصونه ويقيه من رياح عاتية وفيروسات فتاكة وميكروبات قاتلة مصدرها المنظومات العلمية والمعرفية والفلسفية والعرفانية والوجودية التي تولدها وتنتجها وتبتكرها وتبتدعها وتصيغها مرجعيات فقيرة وناقصة ومحدودة أو معتلّة وضعيفة، غير قادرة على حماية نفسها من يد التلاعب والتزوير والتحريف في بنْيَتها وبناءاتها التركيبية والتراكبية والتكوينية، والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والتبليغية والتعليمية والتعلّمية، والوظيفية والغائية، فكيف بها لتكون هي مرجع المرجعيات الأخرى في كل شيء مادي ومعنوي، ودنْيوي وديْنوي، وعلمي وفلسفي، وعرفاني ووحْيَاني؟!

إذاً المرجعية العصموية الإنسانية الكونية أو المثل الأعلى الحقيقي وهو الله

سبحانه وتعالى، وفي هذا المثل الأعلى لا يوجد أي تناقض أو يعتريها أي إشكالية منطقية كالدور الذي وجدناه في المُثل العليا الأخرى. وحاصل هذا التناقض هو أنّ الوجود الذهني للإنسان محدود، والمثل يجب أن يكون غير محدود، فكيف يمكن توفير المحدود وغير المحدود؟ وكيف يمكن التنسيق بين المحدود وغير المحدود؟ هذا التنسيق بين المحدود وغير المحدود سوف تجده في المثل الأعلى الذي هو اللّه سبحانه وتعالى. لماذا؟ لأنّ هذا المثل الأعلى ليس من نتاج الإنسان، ليس إفرازاً ذهنياً للإنسان أو إفرازاً اجتماعياً أو سياسياً أو تاريخياً، بله، هو مثل أعلى عيني له واقع عيني، هو مرجع مطلق في الخارج، له قدرته المطلقة وله عدله المطلق ونظامه الطولي التراتبي المحكم الذي يحفظ حضور المرجعيات التابعة والاتّباعية في طول المرجعية الإلهية المطلقة وليس في عرضها.

### 12.4 مسلّمات ومباني المرجعية العصموية الكائنية لكينونة السؤال:

هناك عدة مسلّمات ومبانٍ منطقية وعقلانية وعرفانية وغيبية وحسية تجريبية تجعل الكائن البشري يضفي صفة الكلية والكونية والإنسانية والصلاحية والمصداقية والعصموية والملائمية والديمومية للمرجعية الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والسسيولوجية والسيكولوجية و.... وقلنا إن هذا الأصل لا خلاف عليه من حيث المبدأ والثبوت، ولكن تأصيل وتأثيل هذا المبدأ في الواقع الموضوعي وإثبات مصاديقه الخارجية في العالم الجواني والعالم البراني لكينونة الإنسان، هي موضع تباين وتمايز وتضاد وتناقض بين الكائنات البشرية.

التحليل الجينيالوجي والتنقير الأركيولوجي والتشريح الأيكيولوجي لكينونة المرجعية العصموية الإنسانية الكونية يكشف لنا، أن هناك عدة اعتبارات منها تكوينية وفطرية وعقلية وقلبية جوانية، وأخرى حسية تجربانية معيشية، تجعل الكائن البشري يبحث دائماً وأبداً عن مرجعية إنسانية كلية كونية عصموية، يحيل إليها مفاهيمه وأفكاره

ومواقفه وقراراته، التي يعتقد بأنها من الصلاحية والصدقية والخيرية والنفعية لعامة البشر، وإنه يسعى جاهداً بكل ما أُوتي من سلطة علم وحكمة وعقل ومعرفة أو سلطة ثروة ومقام ومقال وقوة سياسية واجتماعية وإعلامية لتعميمها وتطبيقها على كافة المجتمعات والأفراد البشرية. فالمريض مرجعيته الطبيب الحاذق والمعتمد، والرياضي مرجعيته المدرب، والبناء مرجعيته المهندس، والجاهل مرجعيته العالِم، و...

### 12.4.1 المسلّمة الفطرية:

إنَّ مصدر هذا الشعور جواني يرجع إلى الفطرة البشرية المخمورة التي فطرها الله عليها، ولا تبديل ولا تغيير ولا تحويل لهذه الفطرة الإلهية. وإن جذور هذه المرجعية الإنسانية الكلية الكونية العصموية الكمالية عند كافة أفراد البشر، ترجع إلى الدافع والحافز الجواني الفطري إلى الكمال والجمال المطلق لدى الكائن البشري. وإن هذا الشعور والدافع هو حقيقة مطلقة وعامة وشاملة لكافة أفراد النوع البشري، مهما تباينت تموضعاتهم الجغرافية والمعرفية والجنسية، ومهما تموقعت مقاماتهم العلمية والاجتماعية والسياسية؛ أي لا فرق بين عالم وجاهل، وغني وفقير، ومدني ووحشي، وحضري وبدوي، وفيلسوف وفقهي وعارف وعامي بسيط، ومهما تباينت الأهواء والنزوات والمألوفات والعادات والتقاليد والآراء والمفاهيم والأعمار والأزمنة والأمكنة، وهذا الحكم البديهي الباحث عن الجمال والكمال المطلق في العلم والمعرفة والحكمة والسلطة والقدرة والمقام والمقال والثروة من أشد وأكثر البديهيات والمسلّمات والمقبولات والمعقولات، من دون أن نجد أحداً في جميع الأزمنة والأمكنة يختلف عليه، ولكن التغاير والتمايز والتضاد والتناقض هو في مصاديقه وتعيّناته الموضوعية الخارجية.

إذا كان الكائن البشري يسعى جاهداً لتحقيق هذا الهدف والدافع «**الكمال**» ويعشق الكمال والجمال المطلق، الذي هو أساس وحافز كل حركاته ومساراته وجهوده وأفعاله

وأقواله، فإن المنطق والعقل والعلم والتجربة تؤكد أن المرجعية الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والسسيولوجية «**الاجتمعرفية**» والسيكولوجية «**النفسمعرفية**» والتيولوجية «**الغائية**»، لا بد من أن تكون هذه المرجعية المعرفية والوجودية كلية إنسانية كونية وترتقي إلى مستوى الجمال والكمال المطلق، ولكونها مقوِّمة لها وحاكمة وقاضية وضابطة لا بد أن تكون من جنس ما لها جنس وماهية، بله، هي وجود كمالي وجمالي وجلالي مطلق، وإن من يجسد بالفعل هذه المرجعية أنْ يكون من نفس الجنس ولكنه كمال وجمال وجلال وجودي مطلق لموجود ممكن. وفي العموم هي مرجعية مصدرها من خارج كينونة الذات البشرية وإنْ كانت متناظرة ومتطابقة معها من حيث القوة والإمكان. لذا لا يمكننا استنطاق كينونة الإنسان الفطرية إلا بمرجعية السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الفطري.

### 12.4.2 المسلّمة التكوينية:

أما العامل والدافع الثاني الذي يدعو إلى مرجعية إنسانية كونية عصموية كمالية، هو الأمر التكويني الذي جعل الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن صوره. ولقد ورد التعبير في القرآن الكريم عن خلقة الإنسان تارةً بقوله تعالى: ﴿**وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**﴾[1]، وتارةً أخرى بقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[2].

والمقصود هنا: أنّ الله تعالى جعل صورة الإنسان صورة حسنة، وخَلَقه في أحسن تقويم، والتقويم معناه جعل الإنسان ذا قوام، وقوام الشيء هو ما يقوم به الشيء ويثبت، فالآيات تريد أن تبيّن أن صورة الإنسان بشكل عامّ صورة حسنة، وأنّ هذا النوع من الكائنات الحيّة يمتلك أحسن قوام بحسب الخلقة. والتساؤل هنا يتمحور حول ما هي الصورة الحسنة؟ وما هو أحسن قوام؟ الجواب عن الصورة الحسنة هو أنّه ليس

(1) – المرجع: القرآن المجيد، سورة غافر، الآية 64.
(2) – المرجع: القرآن المجيد، سورة التين، الآية 4.

المقصود بها صباحة المنظر وملاحته؛ إذ ليس جميع البشر كذلك، بل المقصود تناسب أجزاء الإنسان بعضها مع بعض، وتناسب مجموعها مع الغاية التي خُلق من أجلها، فالأجهزة الفعّالة في جسم الإنسان فيها غاية التناسب والانسجام، وتفاعل بعضها مع البعض الآخر حتّى في جسم الإنسان الذي له يد زائده، أو رجل، أو غير ذلك. فجسم كلّ إنسانٍ ـ حتّى الإنسان الناقص الخلقة ـ نراه متناسب الأجزاء والأجهزة، بمعنى انسجام بعضها مع البعض الآخر.

ونراه أيضاً متناسب الأجزاء بمعنى انسجامها مع الغاية والهدف من خلقه، حيث إنّ مجموع هذا التركيب الخاصّ من الجسم والروح يعتبر منسجماً مع درجة الكمال التي ينبغي للإنسان الوصول إليها من خلال هذه التركيبة الخاصة المكوّنة من الجسم والروح. والجواب عن أحسن قوام هو أنّ نوع الإنسان، وجنس هذا الكائن الحيّ صالح بحسب الخلقة للعروج إلى الرفيع الأعلى، وتعيين وتحيين مرجعيته الإنسانية الكونية العصموية الكمالية، وتعيير بوصلته وتحديد خرائطه ونماذجه المعرفية والوجودية باتجاه الكمال والجمال المطلق، بغية تحقيق غاياته القصوى وأهدافه الأسمى التي يضحي من أجلها بكل ما يمتلك من سلطة وقوة وثروة وعلم ومعرفة، والفوز بحياة خالدة عند ربّه، سعيدة لا شقاء فيها، وذلك بما جهّزه الله به من العقل، والعلم النافع، ومكّنه منه من العمل الصالح، فكلّ إنسان مهما بلغ مبلغ الجهل أو العلم، أو القوة أو الضعف، ومهما تباينت الأزمنة والأمكنة، والمقامات والمقالات، فإنه يبحث عن الكمال وعن مرجعية هذا الكمال في خارج كمالاته.

وإن كافة البشرية بحكم هذا الدافع والحافز نحو الكمال المطلق التكويني الذي قد عُجن بالقوة والإمكان في النفس البشرية، يسعى إلى مرجعية إنسانية كونية عصموية كمالية تكون هي مرآة للمرجعية الإلهية الكمالية والجلالية والجمالية المطلقة والتامة. لذا بدافع وحافز تكويني جواني، تتماهى وتتساوق وتنسجم هذه المرجعية مع الصفات العليا والأسماء الحسنى تعالى سبحانه، التي انطوت في هذا الكائن البشري. هذا

الجرم الصغير الذي انطوى فيه العالم الأكبر، وهذا الظل والصورة المرآوية الإلهية التي تجسدت في الإنسان بالقوة والإمكان، والتي مصاديقها الحقيقية تتحقق في الإنسان الكامل، من خلال فعل النيّة والإيمان والقول والعمل الصالح. من الواضح أنَّ الأمر الذي يوجه ويحدد إحداثيات واتجاهات سير صيرورته المعرفية والوجودية، ويقوِّم اعوجاجاته وانحرافاته، هو المرجعية الإنسانية الكونية الفطرية والتكوينية العصموية الكمالية، سواء الجوانية أو البرانية. وعليه، يفترض أن يتساوق ويتماهى السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب مع حقيقة هذه المرجعية الأنطولوجية الوجودية والأبستيمولوجية المعرفية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية الفنّية لكينونة الإنسان ولكينونة الجواب المنتظر من السؤال الذي يحمل كل تصورات هذه الكينونة المخلوقة في أحسن صورة.

### 12.4.3 المسلّمة الحسية الاجتماعية والتاريخية التجربانية:

التجربة الحسية المعيشية والوضعية للكائن البشري دائماً وأبداً، تدفعه إلى البحث عن مرجعية كلية شاملة ذات صلاحية ونفعية عامة، والالتزام والتمسك بها، والسعي إلى تطبيقها في الحياة. فهي مرجعية كلية يتمنى أن تكون إنسانية كونية عصموية تكاملية. وما النماذج المعرفية والوجودية والنظريات والتطبيقات الواقعية، وما عمليات المراجعة الدورية، والتقويمات الديمومية، والتصحيحات والتعديلات والتحسينات الدينامية المستمرة على المرجعيات الوضعية في جميع المجتمعات البشرية، وفي كافة الأزمنة والأمكنة، وفي كافة المجالات المعرفية والعلمية والعرفانية في الحياة، إلا بحث عن مرجعية كلية إنسانية كونية عصموية كمالية تامة ترتقي مرقى الميزان والمسطرة الواحدة والثابتة والحاكمة والناظرة والقائمة والمقوِّمة لكافة الأوزان والأبعاد والاستطالات في مجرى حياة الفرد والمجتمع. فنحن حينما نتحدث عن وحدات المرجعيات القانونية والنظِّمية للمعرفة والوجود والقيم والجمال والأخلاق لا نتحدث عن الفردانية والأناوية والذواتانية كوحدة، بله، عن المجتمعية والتاريخانية

التي تتجاوز الفردانية والأناوية والتذويتية، مع حفظ مقاماتها وهويتها وماهيتها التي تجد نفسها متكاملة ومتعالية في الكلية والتشميلية والعامة والمشتركة بين الأفراد في المجتمع، لذا لا بد أن تكون مرجعية من نوع وجنس خارج الذاتانية والذواتانية والفردانية والأناوية، ولكن ليست متضادة ومتناقضة، بله، هي محايثة في الوقت الذي تكون متعالية ومحيطة وحاكمة ومقوِّمة على مرجعيات الأفراد.

وعليه، فإن البحث عن مرجعية كلية إنسانية كونية عصموية تكاملية تعاضدية توافقية وتشميلية كلية، بالرغم من كونها حقيقة تكوينية فطرية، إلا أنها أمر طبيعي حسي يفرضه الواقع المعيش للكائن البشري، وإن الاختلاف والتمايز والتضاد والتناقض فيما بين هذه المرجعيات راجع بالأساس إلى مجانبة الصواب من حيث مصاديقها الخارجية التي يخطئ الكائن البشري في إصابة سهمه المعرفي والوجودي تلك المرجعية الحقيقة والحقة، فيعتقد أنه قد أصابها، وبذلك يعتمدها ويبني عليها نموذجه ونظرياته وأحكامه ومفاهيمه المعرفية والوجودية.

ومن حيث مصاديق المرجعية المعرفية والوجودية المثالية الإنسانية الكونية العصموية في الواقع الموضوعي، نجد أنها اختزلت تارة في المرجعية الوجوبية القانونية المتواطئة والمتواضعة، وتارة في المرجعية الوجوبية الأخلاقية، وتارة المرجعية الاجتماعية المتواضعة، وتارة تتجسد في المرجعية العقلية، وتارة في مرجعية كتاب الله «**القرآن**»، وتارة أخرى تتموضع في المثلث الذي أحد أضلاعه وقاعدته التأسيسية هو الفطرة الإنسانية المعقّلنة، والضلعان الآخران اللذان أوصى بهما الرسول الأعظم ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى بل هو وحي إلهي يوحى إليه، هما الثقلان: «**كتاب الله**» والعترة الطاهرة من «**أهل البيت**» عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، لو أنّنا تمسكنا بهما لن نضل أبداً، وهما لا يفترقان حتى يردا الحوض، وهم الحق الناطق والقرآن الناطق بنص نبوي شريف صحيح متواتر عند المسلمين: «**عليٌّ مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع عليٍّ، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**

«**أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد**[1]»، وأخرجه الجويني الشافعي[2]، وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين[3]». قال: قال رسول الله – ﷺ –: «**رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار**». والحديث أخرجه بالألفاظ المذكورة أو باختلاف يسير لا يخل بالمقصود كل من الحافظ الطبراني[4] في المعجم الأوسط ، والصغير[5]، والصالحي الشامي[6] في سبل الهدى والرّشاد، والسيوطي في تاريخ الخلفاء[7]، والخوارزمي في المناقب [8]، والهيتمي في مجمع الزّوائد[9]، والسيوطي في الجامع الصغير [10]، والمناوي في فيض القدير[11]، وابن حجر في الصواعق المحرقة[12]، والمتقي الهندي في كنز العمّال [13]، والعلائي في إجمال الإصابة في أقوال الصحابة[14]، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة [15]، وآخرون.

(1)- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 322/14.
(2)- الجويني الشافعي: «فرائد السمطين: 1/ 177 برقم: 140».
(3)- «الحاكم النيسابوري:» المستدرك على الصحيحين 134/3 برقم: 4629».
(4)- الحافظ الطبراني: «المعجم الأوسط 135/5 برقم: 4880».
(5)- الحافظ الطبراني: «المعجم الصغير 28/2 برقم: 720 «.
(6)- الصالحي الشامي: «سبل الهدى والرشاد 297/11».
(7)- السيوطي: «تاريخ الخلفاء للسيوطي 173 «.
(8)- الخوارزمي: «المناقب للخوارزمي 176 «.
(9)- الهيثمي: «مجمع الزوائد 134/9 «.
(10)- السيوطي: «الجامع الصغير للسيوطي 177/2 برقم: 5594».
(11)- المناوي: «فيض القدير للمناوي 470/4 «.
(12)- ابن الحجر: «الصواعق المحرقة 361/2، وانظر أيضاً 369/2».
(13)- المتقي الهندي: «كنز العمال 355/11 برقم: 32912».
(14) – العلائي: «إجمال الإصابة 55 «.
(15)- القندوزي الحنفي: «ينابيع المودة 124/1، 96/2 و 396 و 403».

الفصل الثالث عشر

# هوية كينونة وكائنية السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب

### 13.1 مقدمة:

السؤال كينونة معرفية ووجودية قائمة بذاتها لها شخصيتها وهويتها وجوهرها الكينونية وحمولاتها المعرفية والأخلاقية والقيمية، ولها غايات متعددة وقيم متعالية وفق تدرج زمكاني تعاضدي وتكاملي وشمولي توحيدي، أو قيم تناقضية سلبية تنازلية، وذلك تبعاً لدرجات ومسافات البعد والقرب والتماس والتجاور والمجايلة والمحاقلة لحقيقة كينونة السؤال مع الحقائق الكينونية الثاوية في الكائنات الذاتية والطبيعية والملكوتية وموضوعاتها التي هي موضع السؤال والمساءلة. تتعين قيمتها الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» التعاضدية الإيجابية تبعاً لمراتب ومراقي سلّميتها الراتوبية، بدءاً من المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة والمطابقة بين قيم كينونة السؤال الصورية أو التصورية وحقيقتها الواقعية الوجودية، أو وفقاً لدرجات سُلّميتها التناقضية السلبية بدءاً من الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة.

ففقه فلسفة وعلْمنة وعقْلنة وعرْفنة ووحْيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، ببراديمه ونموذجه ومنهاجه ومنهاجيته ونظرياته وبرمجياته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيوسيكولوجية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ، يعالج انحرافات واعوجاجات كينونة السؤال عن الجادة والسير والمسار والسيرورة الاستخلافية الإنسانية والخاتمية المحمدية ﷺ والانتظارية الغيبية المهدوية عجل الله فرجه الشريف

والاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة والممهدة للولاية العصموية المنتظرة، أو محاولة منع وقوع كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب في شباك ووحل وشراك مكر وحيل وخداع قبليات وأوليات وإواليات وآليات وآلات ومنهاجيات وباراديمات السؤال وحمولاته المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنية.

لذا نقول إنَّ:

- السؤال الذي لا يؤدي إلى إضاءة وتنوير كينونة الكائن البشري الجواني من ظلمات الجهل والإبهام، هو سؤال يدخل الكائن الإنساني في التيه والضلال واللا معلوم.
- والسؤال الذي لا تنفذ سلطته حواجز وسدود الكينونات المعرفية والوجودية ليكشف ما وراء الاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء من حقائق ومعارف مُلْكية وملكوتية بغية التعالق والتطابق معها، بدءاً من المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة والمطابقة الأبستمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية، فهو سؤال هزيل وسطحي ومستسلم للواقع.
- والسؤال الذي لا يخترق أبصار القلوب بضياء حمولاته الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية حجب النور لتصل بالكائن والسؤال إلى معدن العظمة، ولتصير روحه معلقة بعزِّ قدسه تعالى، هو سؤال فاقد لروح الحياة والوجود، ولحقيقة كينونة الكائن وغاية السير والمسار والسيرورة والصيرورة المتعالية له في مجرى الوجود.
- والسؤال الذي لا يمكّن كينونة الكائن البشري من التوصل إلى كمال الانقطاع والتوصل إلى الكمال والجمال والنور المطلق، فهو سؤال ناقص ومخروم وأجوف.
- والسؤال الذي لا يجعل من سلطة حمولاته المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والجمالية قوة إلزامية وسلطة مرجعية مدركة وطاعة بشكل كامل تام لكينونة

العقل والقلب والوحي وللأسماء الحسنى والصفات العليا التي علمها الله آدم عليه السلام، وللكلمات التي تلقاها عليه السلام وورثها الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام، هو سؤال فاقد للسلطة المركزية والتماسك البنْيوي والبنائي، وسؤال منغلق ومحدود لا تنفذ سلطته وقوّتها السموات وعوالم الملكوت.

- والسؤال الذي لا يكشف التشوهات والتعرجات المعرفية المرسومة والمطبوعة في جسد منظومته المعرفية والوجودية والقيمية، فهو ليس سؤالاً صحياً ومعافىً ومستقيماً يمكن الاتكال عليه والاطمئنان إليه والتزود به في السير والبحث عن الجواب.
- والسؤال الذي يولِّد أو ينتج معرفة لا تؤدي إلى مزيد من أسئلة تمتد آفاقها المستطيلة والشاقولية المتعامدة إلى أبعد وأعمق من السؤال الأم أو السؤال السابق زمانياً، فهو سؤال لا أفق له ولا ظرف وعائياً ذا سعة ممتدة له.
- والسؤال الذي لا يُعيِّر مؤشرات بوصلته المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والجمالية، ولا يوزن متغيرات معادلاته المعرفية والوجودية، هو سؤال فاقد اتجاهات بوصلته وإحداثيات منْقلته وتوجيهات مِمْيلته، فهو سؤال فاقد غاياته وأهدافه المتعالية.
- والسؤال الذي لا تَثوي في بنْيته ونواته حركةٌ ديناميةٌ وديمومية من حالات التوتر والقلق الإيجابي والمتعالي، فهو سؤال فاقد الحياة والروح والحركة.
- والسؤال الذي لا يكون نبراساً وهادياً ومنيراً إلى الصراط المستقيم، فهو سؤال فاقد صواب الطريق ومضيع لعلاماته ومعلماته التنويرية والترشيدية.
- والسؤال الفاقد للتواضع والوقار والحكمة، هو سؤال استكباري يؤدي بصاحبه وبحمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية إلى التقحم في الذنوب والوقوع في الهلاك والجهل والسقوط في الوحل.

- والسؤال الذي لا يكشف الماورائيات المعرفية والقيمية المستترة والمضمرة، والذي لا يتمحور حول الأسئلة الكبيرة والكبّارة، فهو سؤال يبعد ويخلي كينونة الجواب عن الحقائق الكبيرة والكبّارة في الكون والوجود.
- والسؤال الذي لا يزيد مرتبة الكائن الارتقائية نحو التكامل، فهو سؤال ساكن وفاقد للجدوى الاقتصادية المعرفية والوجودية له.

وخلاصة القول، إنه ما لم تحرك وتوجه مِمْيلة ومَكْيلة ومنْقلة وبوصلة ومسطرة وميزان السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب صيرورة حركة النفس الجوهرية لكينونة الكائن البشري معرفياً ووجودياً وأخلاقياً وقيمياً وجمالياً وفنّياً، باتجاه درجاتها التشميلية الشاملة ومراتبها التكاملية المتعالية ومراقيها الارتقائية التوحيدية، وما لم يقم بإجراء الحصر الوجودي الأنطولوجي ويزيل تشتتات وانتشارات وتشظيات حمولات السؤال ذاته نتيجة لتمركز وتبأور وتشميل كينونة الكائن البشري الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية، لا يمكننا الحصول على جواب تبأوري وتمركزي وتشميلي وتكاملي، حيث إنَّ كينونة السؤال ما هي إلا بيت وظرف ورحم وقصر لكينونة الجواب التي ستسكن وتستقر فيه كينونة الذات الإنسانية التي هي بدورها بيت البيت ورحم الرحم وحصن الحصن وظرف الظرف للوجود الكينوني للإنسان.

الدورة الثلاثية المنطلقة من كينونة السؤال إلى كينونة الجواب ومن ثم إلى كينونة الذات الإنسانية هي التي تسمى بالحركة الجوهرية للنفس التكاملية الارتقائية أو الانحدارية السفلية. وهذا الأمر لا يتحقق إلا بعد إمحاء حمولات كينونة السؤال واختلافاتها وتمايزاتها وتغايراتها وتضاداتها وتقابلاتها وتطابقاتها السلبية وتناقضاتها ومزايلاتها السلبية والترقيعية والانحدارية لها، وتثبيت مركزيتها المركزية وبؤرتها التبئيرية بغية تحقيق كينونة التشابه والتشاكل والتضارع والتضاهي والتماثل والتجاور

والتناظر والتطابق الإيجابي والتوافقي والتكاملي والتوحيدي لحمولاتها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنيّة، التي تنعكس في كينونة الجواب المتلقية من قبل كينونة الذات، ما يؤدي في نهاية المطاف إلى أنْ تسمو وتتعالى كينونة السؤال وكينونة الجواب وكينونة الكائن البشري بتشميلية وكلّيانة وضرورية ووضوحية وسببية ويقينية وعلّية وحتمية ووحدة في تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها. إنَّ السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، سؤال يحمل في طياته الخواء والهباء والفراغ المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي، أو سؤال هامشي جانبي وسطحي قشري، أو سؤال جزئي متفتت ومتشظٍّ ومنتشر ومتنافر لا مركزَ استجماعياً له ولا قطبَ استقطابياً له ولا بؤرةَ تبئيريةً له، أو سؤال مسرحي فرجوي وتسلوي يفتقد إلى الجدّة والصدقية والعزم والرغبة والغرض والهدف والغاية المتعالية والمتسامية التكاملية والتقاربية له، وبالتالي سيكون الجواب إما مشابهاً ومشاكلاً ومضارعاً أو مضاهياً ومماثلاً ومجاوراً أو مناظراً ومطابقاً لحمولات كينونة السؤال، حيث إنَّ الجواب دالة في كينونة السؤال، كما إنَّ السؤال دالّة متبادلة في حمولات كينونة الكائن البشري.

## 13.2 هوية كينونة وكائنية السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب:

من دون تعريف وتحديد هوية وماهية وشخصية كينونة أو كائنية السؤال، وسؤال السؤال، والجواب، وسؤال الجواب، وسؤال سؤال الجواب، يصعب فهم ثيمات وموضوعات فقه فلسفة وعلْمنة وعرْفنة وحْيَنة أصل السؤال، لذا نبتدئ في توضيح المقصود الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي لكينونة السؤال، وذلك على النحو الإيجازي التالي المدعّم والمرتكز على بعض الأمثلة التي تقرب مفهوم هوية كينونة السؤال إلى الذهن.

إذاً نبتدئ بالأمثلة التوضيحية التمهيدية التي تنقلنا إلى معرفة هوية وشخصية

وماهية كينونة السؤال، ونشرع بعرض هوية القطار والشارع والجامعة، فنقول إنّ الهويات هي النقيض المقابل لضروب الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتناقض والمزايلة. فمسألة الهويات شائعة منتشرة في كل الأمكنة، غير أنها من ناحية ثانية قد تختلط في بعض أجزائها مع مسألة الكيانات والكينونات والوحدات. وليست هاتان الثيمتان أو المسألتان الأخيرتان إلا مرتبة ودرجة من التعقيد منه، إلا أنه تعقيد خصيب وغني ومرتع. وتتضح هذه الصفة من مقارنة بعض الظواهر في المجرى الحدثي «V5» والمشهدي«V4» والمرآوي«V3» والحقيقي الواقعي القائم «V2» داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي في العالم أو الكون أو الوجود «V». دعونا نرجع إلى موضوع الهوية بالنسبة لقطارين: «**الكويت ـ البحرين: ساعة: 12 ظهراً**».

وفي ذهننا واعتقادنا أنَّ القطار هو عينه لا يتغير، مع أنَّ ذلك على وجه الإمكان والاحتمال قد يكون مختلفاً: عرباته وركابه وقاطراته وديكوراته وطاقمه وسرعته ومحطات التوقف أثناء السير و... إلخ. أما مثال الشارع، وهو أنه قد يحدث إزالة أو ترميم أو هدم الشارع عينه ثم إعادة بنائه وترصيفه تماماً من أوله إلى آخره. وكذلك مثال ثالث، قد يحدث ترميم أو هدم كامل للجامعة المعينة كجامعة الكويت، حيث تُزال كافة مبانيها وطرقها الداخلية ومختبراتها ويتغير أساتذتها وطلابها وكتبها التدريسية و...إلخ.

ففي كل الأمثلة الثلاثة «**القطار والشارع والجامعة**» لم تنفك ولم تزل وتفنَ في رأينا، ومحتفظة بهويتها القارية والشارعية والجامعية. لأن الكيان الذي يقوم عليه الشارع والقطار والجامعة ليس مكوناً من شيء عيني مادي، بله، يُمأسس الشارع والقطار والجامعة على بعض الشروط التي تكون فيها مادة بنائها أمراً غير ذي بال مثلما هو موقعه بالنسبة للمواقع الأخرى لثيمة الشارع أو القطار أو الجامعة؛ فالذي يشخص كيان هذه الثيمات أو الوجودات العينية الثلاثة، إنما هو وقت ذهاب القطار وخط سيره. وبوجه عام كل الظروف والملابسات التي تميزه عن سائر القطارات الأخرى، وبالنسبة

للشارع هو موقعه ومبدئه ومنتهاه الذي يجرى السير والانتقال من مكان محدد إلى مكان آخر محدد، وبوجه عام كل الظروف والملابسات والقيمة الخاصة به وعمره الزماني وتزامن وتعاقب وتوالي الشخصيات التي كانت تمر فيه أو الساكنة فيه والتي تميزه عن سائر الشوارع الأخرى، وكذلك الحال مع الجامعة التي موقعها ومكانتها وقيمتها العلمية والتدريسية وشروطها الموضوعية وملابساتها الخاصة بها كأسلوب التدريس أو الأساتذة والعلماء الكبار الذين درسوا ودرّسوا فيها والطلبة المتميزين الذين تخرجوا منها والتخصصات المتميزة والفريدة لديها التي تميزها عن بقية الجامعات الأخرى. فكلما توافرت نفس الشروط حصلنا على نفس الكينونات أو الكيانات. وبالرغم من ذلك فليست هذه الكيانات مطلقة التجريد ما دام القطار والشارع والجامعة لا يمكن أن نتصور أحدها خارجاً عن كل تحقيق مادي.

ولتقريب الصورة البنِّيوية والتركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية، نقابل الأمثلة الثلاثة الآنفة الذكر، بمثال أو حالة متغايرة تمام التغاير. ولتكن ثيمة أو موضوع ثوب سرق لفتاة في يوم زفافها، فوجدته معروضاً في معرض بيع أزياء الأعراس المستخدمة أو الملبوسة. إذاً هنا الثيمة أو الأمر يتعلق بكيان بتمايز «**ثوب**» عياني مادي يقوم بكامله في مادة خام: من قماش الحرير المطعم بالأحجار الكريمة والمزركش بالرسومات الجميلة، فهو ثوب ومادة قابلة للانتقال والتبادل... وثوب آخر، مهما كان متشابهاً أو متشاكلاً أو متضارعاً أو متضاهياً أو مماثلاً أو مناظراً، أي قريب الشبه بالأول لا يصح أنْ يكون للعروس الفاقدة لثوبها. هذه الهوية «**هوية الثوب**» مختلفة عن هوية الشارع والقطار والجامعة.

### 13.2.1 تداخل وتعالق مفهوم الهوية مع مفهوم القيمة:

ولتقريب الفكرة أكثر لحقيقة الكيان والكينونة نلقي الضوء على العلاقة البنِّيوية والدلالية والوظيفية والغائية لقطعة الفرس في لعبة الشطرنج. هل هو وحده «**الفرس**»

عنصر في اللعب؟ بالتأكيد إنه ليس كذلك، إذ إنه في ماديته الخالصة، وخارجاً عن موقعه وعن شروط أخرى في اللعب، لا يمثل هذا البيدق شيئاً بالنسبة للاعب، ولا يصبح الفرس عنصراً واقعياً وحسياً إلا أنَّ هذه القطعة لها قيمة والتحمت بها. هنا يصبح للفرس فائدة ومعنى. ولنفترض أنَّ هذه القطعة أو البيدق قد تلف أو انكسر أثناء اللعب؛ فهل يمكن أو نعوضه ببيدق آخر مكافئ له؟ بالتأكيد نعم يمكننا ذلك من دون تأثير على اللعب وعلى اللاعب. أي بِمَكنتنا تعويض الفرس التالف والمنكسر لا بفرس آخر، بله، تعويضه بأي شكل آخر. وقد يكون هذا الشكل لا يشبه في شيء فرسنا أو بيدقنا المعوض عنه، ومع ذلك فنحن نعتبر بكل يقين واطمئنان بأنَّ هذا الشكل الأخير مماثل للأول وذلك بشرط أنْ نعطيه نفس القيمة ونفس المعنى. وعلى هذا، ففي الأنساق الدلالية «**السيميولوجية**» التي تترابط فيها العناصر وتتماسك بسبب التأثير المتبادل والمتوازن وحسب قواعد مقررة، قد يحدث أو يختلط مفهوم الهوية مع مفهوم القيمية والعكس صحيح[1].

### 13.2.2 القيمة التساؤلية لكينونة السؤال في المنظومة المعرفية والوجودية للكائن البشري:

لقد ذكرنا فيما مضى بأنَّ السُلّمية التراتبية للقيمة تؤدي دوراً كبيراً في عملية دحض اللامبالاة واللاموقف أو التساوي الحسابي أو السوائية أو السواسية أو الحيادية أو اللاتفريقية أو اللاتحيزية، وإنها تساهم في عملية إزالة التشتت والتبعثر والتنفر والانتشار والتشظي لحمولات مجرى كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، وكذلك تمحو الاختلافات والتمايزات والتغايرات والتضادات والتقابلات والتطابقات والتناقضات والمزايلات السلبية والترقيعية والهجينة والانحدارية لكينونة السؤال من جهة، وتساهم مساهمة فعّالة في تثبيت التمركز والتمحور والتبأور

(1) – فرديناند دي سوسير: «محاضرات في علم اللسان العام»، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق – المغرب، 2006، ص 164–165.

للحمولات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ، وكذلك تساهم منظومة القيمة بجانب المنظومة الفلسفية والمنطقية والعرفانية في تحقيق التشابه والتشاكل والتضارع والتضاهي والتماثل والتجاور والتناظر والتطابق الإيجابي والتعاضدي والتكاملي والتوافقي لحمولات وغايات كينونة السؤال، وذلك في إطار التشميلية والكلّيانية والضرورة والسببية والوضوحية واليقينية والعلّية والحتمية والصدقية والواقعية والحقيّة والوحدة في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها الوجودية والمعرفية والأخلاقية والجمالية لكينونة السؤال.

ومن المعروف أنّ القيمة هي من أهم ثيمات علم الاقتصاد الذي يبحث عن الثمن أو السعر التوازني للسلع والخدمات المنتجة في الاقتصاد، وذلك وفق دالة الطلب والعرض ومكوناتهما وعناصرهما الدالية، وسوف نستعير بعض مفاهيم القيمة في الاقتصاد لتبيان قيمة السؤال في بحثنا هنا، وذلك بإيجاز وإجمال من دون الخوض في نظريات القيمة التي يمكن للقارئ إذا ما أراد التوسع والاستطالة والتعمق أنْ يراجع كتب الاقتصاد ونظريات القيمة(1).

نعتقد أنَّ السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب مهما كان يحمل من حمولات بحد ذاته لا أهمية معرفية ووجودية له، ما لم نمأسس للسؤال كينونة كائنية، وبتعبير آخر ما لم نمأسس لكينونة السؤال قيمة معرفية ووجودية وأخلاقية وجمالية لحمولاته المختلفة يبقى سؤالاً فاقداً لقيمته الحقيقية وهويته الكائنية وشخصيته التعارفية. وهذا يعني بالضرورة ما أشرنا إليه آنفاً أنَّ قيمة السؤال تتعالى وترتقي وتزداد في سوق المعرفة والوجود بقدر ما تتصف حمولاته من التشميلية

(1) – لمزيد من التفصيل يمكن مراجعة: جعفر عباس حاجي: «كتاب المذهب الاقتصادي في الإسلام – دراسة مذهبية فلسفية مقارنة للرأسمالية والاشتراكية والإسلام»، مكتبة الألفين – الكويت –1987 الجزء الثاني، الفصل السابع ص 165–248.

والكلّيانية و... والتمركز والتبأور و.... والتشابه والتشاكل و...، وإلا أصبحت حمولات كينونة السؤال وغاياته ليست فكراً ومعرفة، بله، هي كتلة عديمة المحتوى والمضمون والغاية، وهو سؤال من حيث الشكل فقط، ولذا لا يمكن تمييزه تمييزاً حقيقياً عن الجمل اللفظية والكلماتية الأخرى.

لذا نعتقد أنّ تمييز كينونة السؤال عن بقية كينونات خطاب الكائن البشري بكيفية واضحة جلية وثابتة متماسكة في غاية الأهمية ومنتهى الفائدة. هذا التمايز يمكننا من تجاوز كينونة السؤال الهباء والخواء، وكذلك تجاوز الحالة السديمية والعماء الضبابي والوجودي والمعرفي الذي ليس فيه شيء محدد من المعاني والأفكار والغايات تشبه جعجعة الآلة التي نسمع ألفاظها الجهورية والمهسوسة وصدى أصواتها العالية والصاخبة من دون أنْ تنتج معنى وفكراً ومفهوماً، ومن دون أنْ نتلمس قصداً وحياة أو كينونة وجودية معرفية للسؤال ضمن منظومة خطابات الكائن البشري المميزة عن أصوات الحيوانات والبهائم.

والخطورة هنا أنَّ مثل هذا السؤال سيكون هو الظرف الذي يحتوي مظروف الجواب، وهو الثوب الذي يلبسه الجسد، وهو الوعاء والرحم والخزانة والمحفظة التي تحافظ على الجواب، حيث إنَّ الجواب مهما كان يحمل من حمولات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنيّة سوسيوكونية وسوسيوحضارية وسوسيوتاريخية وسوسيواجتماعية وسوسيوسيكولوجية وسوسيوسياسية وسوسيواقتصادية وسوسيوثقافية وسوسيوعقائدية و...إلخ صحيحة ودقيقية ومتكاملة ومتعاضدة ومتوافقة ومتعالية، ومهما كان له مركز ومحور وبؤرة تبئيرية ومركزية ومحورية، ومهما كان له بنِية وكينونة تشميلية وكلّيانية وضرورة ووضوحية وسببية ويقينية وعلّية وصدقية وحتمية ووحدة في تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها، إلا أنَّ الجواب بهذه الحمولات القيمة والمتعالية يلج إلى ظرفه وبيته ورحمه «**السؤال**» ليسكن فيه ويتحصن به وينمو ويتكامل فيه من جهة، وليستجيب لشدة الرغبة وكثافة الشوق وقوة الحب والعشق

للمعرفة المطلوبة والمتوقعة من حمولاته من جهة ثانية، وليزيل غربة الاستغراب ودهشة الاندهاش وإثارة الإثارة وحيرة الحيرة وحرج الإحراج الثاوية في كينونة السؤال الداعية أساساً إلى السؤال ذاته من جهة ثالثة.

الجواب يتشكل على منوال وشاكلة السؤال بكل سلبياته وإيجابياته، واختلافاته وتشابهاته، وتمايزاته وتشاكلاته، وتغايراته وتضارعاته، وتضاداته وتضاهياته، وتقابلاته وتماثلاته، وتطابقاته السلبية وتجاوراته، وتناقضاته وتناظراته، ومزايلاته السلبية وتطابقاته التعاضدية التكاملية الإيجابية، حيث إنَّ السؤال هو قالب الجواب الذي يتقولب فيه، وظرفه الذي يحتوى مظروفه، وبيته الذي يتموضع فيه أثاثه. وفي حال السؤال الهباء والخواء ـ البيت الخراب والمهدوم، أو الظرف الممزق والمخروق، أو القالب المتآكل والمثقوب ـ تتحول كل الإيجابيات المشار إليها آنفاً إلى سلبيات متراكمة؛ أي تفقد حمولات الجواب المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ مركزيتها ومحورتها وبؤرتها وشموليتها وكلّياتها وضرورياتها وسببياتها ووضوحاتها وعلّياتها وصدقياتها ويقينياتها وحتمياتها ووحدتها، ليلج الجواب بحمولاته المختلفة متشتتاً ومتبعثراً ومتنافراً ومتشظياً ومختلفاً ومتمايزاً ومتغايراً ومتضاداً ومتقابلاً ومتطابقاً سلبياً ومتناقضاً ومتزايلاً.

لذا يصبح الجواب ضحية السؤال، ويصبح العالِم والفقيه والفيلسوف والعارف ضحية السؤال الفارغ من المعنى والفكر والبنيَة والبناء والدلالة والوظيفة والغاية. وبتعبير آخر، يقع العالم والفقيه والفيلسوف والمفكر والعارف فريسة السؤال الهزيل والمشوه والمعلول، ما يُوقعهم في وحل وشباك مكر وحيل وخداع السؤال الشكلي بغض النظر عمن صدر من جاهل أو عالم. لذا يقتضي على المجيب عن السؤال أنْ يسأل السائل أو السؤال وأن يخضعه للمساءلة حتى يميز بين السؤال الجهولي والعبثي واللاغائي واللامضمون واللامعنى وبين السؤال العلمي والفلسفي والعرفاني والوحيَاني حتى لا يقع كلاهما ضحية الآخر بوعي أو

بدون وعي، حيث لكل سؤال جواب، وإنَّ لكل جواب سؤالاً، وإنَّ الجواب دالة تابعة للسؤال الذي هو دالة مستقلة يتبعها الجواب. فعدم مراعاة ذلك من قبل السؤال والجواب، فإنَّ كلاً منهما يصبح ضحية الآخر، أي ضحية مكر وخداع وحيل السؤال والجواب الذي يفتك بالسؤال ذاته قبل الجواب. ومن هنا قلنا إنَّ مسألة حرية السؤال تستلزم مساءلتها ومقاضاتها ووضع قيود وحدود ومعايير وموازين تحكم حريتها من جانب، وتُمأسس لهذه الحرية المقدسة أوّلياتها وإوَالياتها وآلياتها وتنظم آلاتها وأدواتها ووسائلها واستراتيجياتها في اختيار واصطفاء أسئلة وتساؤلات وإشكالات الكائن البشري، من جانب آخر.

وهكذا يتضح لنا في نهاية المطاف السبب الذي من أجله يشمل مفهوم السؤال القيمة، أي قيمة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب في بحثنا هنا ولجميع المفاهيم والكينونات الأخرى. إنَّ التشميلية والكلّيانية والضرورة والوضوحية والسببية والعلّية واليقينية والحتمية والوحدة المتكوثرة والكثرة في عين الوحدة والكيان العيني والحقيقة الواقعية القائمة ضرورة وجوبية معرفية ووجودية لكينونة السؤال والجواب. وكذلك وجود ميزان ومسطرة ومِمْيلة ومَكِيلة دقيقة وحساسة لقياس قيمة كينونة السؤال وفق سُلّميتها التراتبية من قيم تشابهية وتشاكلية وتضارعية وتضاهية وتماثلية وتجاورية وتناظرية وتطابقية مع الحمولات والغايات القصوى لمجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفات العليا الفاعلية المتجلية والثاوية في البنيَة البنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والتبليغية والوظيفية والغائية للمفهوم بشكل عام ومفهوم كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب بشكل خاص، هو أيضاً أمر ضروري ووجوبي.

لذا حينما نتناول موضوع السؤال ودالّته وقيمه وموازينه وأوّلياته وإوَالياته وآلياته وآلاته وأدواته ووسائله واستراتيجياته البنائية والبنْيوية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والتبليغية والتعليمية والتعلّمية والتدريسية البيداغوجية والفهمية والتفهيمية والانفهامية والإفهامية و...، لا بد من إطار علمي فلسفي متماسك عام

يحيط بثيمات وموضوعات السؤال المتحاقلة والمجايلة والمجاورة والمماسة والقريبة والبعيدة، ويتضمنها كوحدة نسقية وبنّيوية وبنائية وغائية ووظيفية ديمومية وديناميةتوازنية وتعادلية متساوقة ومتناغمة ومتماهية، وفي خطاطة ترسيمية تعكس مرآوياً بنيَة حمولات السؤال، ولم نجد أفضل من خطاطة بيت العنكبوت ونسقيته ونظّميته وعلائقه الشجرية والحلزونية والهرمية المتداخلة كما هي موضحة في الخطاطة التالية. وهذا هو ما نطلق عليه فقه فلسفة وعلّمنة وعقّلنة وعرّفنة ووحّيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

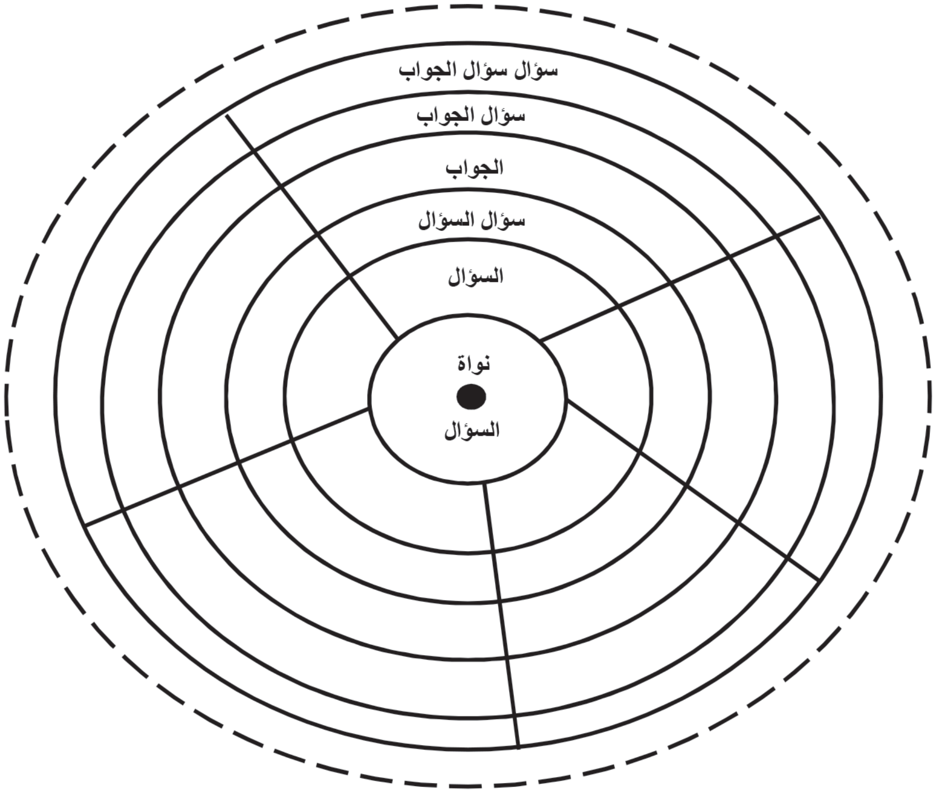


الخطاطة العنكبوتية لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

### 13.2.3 تعريف هوية وماهية كينونة السؤال:

دعونا الآن نرجع إلى أصل موضوعنا وهو هوية كينونة وكائنية السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب. نعلم أنَّ هناك سؤالا لنفترض «X» تتغير موضوعاته وثيماته وزمكانيته وحمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، وتتغير شخوصه الذين يطرحون السؤال، أو تتغير شخوصه الموجه إليهم السؤال، ولكن الصفات والخصائص الأخرى باقية وثابتة وليست دالة متغيرة وتابعة، بله، هي دالّة مستقلة تحدد ماهية وشخصية وكينونة وكائنية السؤال مهما تغيرت موضوعاته وثيماته وكلماته وألفاظه وحمولاته الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية.

فما هي تلك الخصائص والسمات البنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية الثابتة والمحددة والدالة في تشخيص هوية وماهية وشخصية كينونته وتميزها عن بقية الأسئلة الأخرى، أو تميزها عن الكلام والحديث والألفاظ والكلمات الأخرى، حيث إنَّ جميع ما هو فكري ومفاهيمي يعبر عنه اللسان ناطقاً بكلمات وحروف وألفاظ منطوقة، أو إشارات ورموز وأيقونات و... معروفة ، حيث نجد جملاً كثيرة متعددة ومتنوعة قد تشكل فصلاً كاملاً لثيمة أو لموضوع أو لفكرة أو لسؤال واحد، وجميعها توحي وتشير إلى حقيقة أو مفهوم واحد ولكن بكلمات وألفاظ أو لغات ولهجات وإشارات ورموز مختلفة. إذاً العبرة والاعتبار ليس في الكلمات والألفاظ والحروف ذاتها، بله، في بنْيات وبناءات ودلالات واستدلالات وتداولات وتواصلات ووظائف وغايات الكلمات التي تركبت وشكلت هذه الجمل، والتي قد تطرح في شكل جملة اسمية أو فعلية أو في صيغة سؤال استفساري أو استعلامي أو استنكاري أو توبيخي أو... فتتمايز كل واحدة عن الأخرى، أو تختلف في النسق والعلاقات البنْيوية والبنائية الجوانية والبرانية.

### 13.2.4 دالّة كينونة السؤال:

لقد أشرنا آنفاً، الى أن مفهوم السؤال والاستفسار والطلب والاستخبار والاستعلام والتساؤل يبدو لنا أنها كينونات معرفية وأنطولوجية وجودية قريبة ومتداخلة ومتشابهة ومتشاكلة، وكأنها مرادفات لكلمة واحدة ومعنى واحد وخاصة عند عامة الناس، ولكن التحليل الجينيالوجي والأركيولوجي الذي يتقلقل بين أطباق طبقات ومستوى مستويات تاريخانيتها وتأصيلاتها وتأسيساتها البنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية يكشف لنا بيْنونة واضحة بينها من ناحية وتشابهاً وتداخلاً بينها من ناحية أخرى.

ولقد بيّنا أنَّ السؤال عند علماء اللغة هو المطلب، وعند البيداغوجيين يعني الموضوع. السؤال يعني استدعاء المعرفة(1). ومعلوم أن فعل الطلب هو الشرط الضروري لحصول المعرفة. وعليه، فإن حقيقة كينونة السؤال هي أنه طلب السائل معرفة المسؤول عنه. وبذلك بِمَكّنتنا القول بأنه لا معرفة بغير طلب أو بغير سؤال أو بغير تعقل وتفكر فلسفي وعرفاني معقّلن. وإن الاستزادة بالعلم والمعرفة والفلسفة والبرهان والبيان لا تكون إلا طلباً، وإن السؤال لا يتحدد إلا بالطلب. أما المفهوم الآخر الذي بِمَكّنتنا تضمينه في بنيَة كينونة السؤال وخاصة السؤال المتعالي والعقلاني والعرفاني والفلسفي هو «**التداعي**»، حيث لكينونة السؤال قوة مركزية وكثيفة تثوي في بنيَة كينونة السؤال قلّ نظيرها في غيره من أساليب الكلام، إلا في لغة الصمت أو الصومتة العرفانية المعقّلنة والمشرّعنة.

وغني عن البيان أن السؤال كان ولا يزال أحد أشكال الاستفهام وفعلا يقود إلى ممارسة الفهم والاستعلام وطلب المجهول من المعلوم أو طلب الغائب من الشاهد والأدنى من الأعلى، أما الاستفهام فهو طلب الفهم من الذات ومن الغير بعد الشعور

(1)- المعجم الفلسفي لجميل صليبا.

بسوء الفهم وانعدامه، وهو كذلك استنجاد بالواضح والجلي من أجل فك رموز المعقد الغامض.

والذي نريد أن نقول هنا ونضيفه على ما سبق من القول هو: إنّ كينونة السؤال هي دالة في طلب استكمال المعرفة الثاوية فيها بواسطة الجواب، أي الجواب أنَّ حمولات الجواب الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنية، بأبعادها واستطالاتها وامتداداتها وأعماقها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ دالة تابعة لمثيلاتها في كينونة السؤال. لذا يفترض أنْ لا تكون حمولات الجواب غريبة وشاذة ومختلفة عن حمولات السؤال الثاوية إلا من حيث الاستطالة والامتداد والعمق والإضافة المعرفية، وأنْ تكون حمولات الجواب متناغمة ومتساوقة ومتماهية مع حمولات السؤال الثاوية فيه، أنْ تكون حمولات الجواب سكناً للدهشة والاندهاش والغربة والاستغراب والحيرة الكامنة في كينونة السؤال، وأنْ تحقق الرغبة والحب والشوق والعشق المعرفي والوجودي الكمالي الثاوي في كينونة السؤال والدافع لسيرورته وصيرورته اللامتناهية.

وعليه، بِمَكْنتنا تعريف وصورنة دالة كينونة السؤال على النحو التالي:

دالّة كينونة الطلب تساوي $f\ (\text{Q1})$

$$f\ (\text{Q1}) = a_0 + \sum\ (a_1 + a_2\ +\ a_3 + a_4\ +\ldots\ a_N)$$

حيث إنَّ: $a_0\ a_0$ يساوي منظومة المعرفة الأولية السطحية الشعورية واللاشعورية الثاوية والمحمولة لأي سؤال ومن أي كائن ما كان، وهي معرفة بسيطة ومحدودة مشتركة وثابتة بين كافة المتسائلين أو بين كافة كينونات السؤال.

$a_1$ يساوي الحمولة المعرفية الثاوية أو المؤسسة لكينونة السؤال (Q1) بأبعادها واستطالاتها وامتداداتها وأعماقها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ والتي تختلف باختلاف السائل إذا ما كان عالماً أو فقيهاً أو فيلسوفاً أو عارفاً أو نصف متعلم، وهذا المقدار المعرفي دالّة في مستوى السائل المعرفي الذي يريد أن يمأسس كينونة سؤاله.

$a_2$ يساوي المعرفة الوجودية الأنطولوجية لكينونة السؤال أو المؤسسة لكينونة السؤال (Q1) بأبعادها واستطالاتها وامتداداتها وأعماقها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ والتي تختلف باختلاف السائل حسب درجاته ومستوياته التكاملية الوجودية المتحققة، وهذا المقدار المعرفي الوجودي دالّة في المستوى الأنطولوجي الوجودي للسائل الذي يريد أن يمأسس كينونة سؤاله.

$a_3$ يساوي المعرفة الأكسيولوجية القيمية والأخلاقية المؤسسة لكينونة السؤال (Q1) بأبعادها واستطالاتها وامتداداتها وأعماقها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ والتي تختلف باختلاف السائل حسب درجاته ومستوياته التكاملية الأخلاقية الثاوية في كينونته الإنسانية، وهذا المقدار المعرفي الأخلاقي والقيمي دالّة في المستوى الأكسيولوجي القيمي

للسائل الذي يريد أن يمأسس كينونة سؤاله.

$a_4$ يساوي المعرفة الاستطيقية الجمالية والفنّية المؤسسة لكينونة السؤال (Q1) بأبعادها واستطالاتها وامتداداتها وأعماقها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ والتي تختلف باختلاف السائل حسب درجاته ومستوياته التكاملية الجمالية والذوقية والفنّية الثاوية في كينونته الإنسانية، وهذا المقدار المعرفي الجمالي والذوقي والفني دالّة في المستوى الأكسيولوجي الاستطيقي للسائل الذي يريد أن يمأسس كينونة سؤاله.

$a_4$ يساوي المعارف الأخرى.

ولتوضيح مقصدنا من دالّة تعريف كينونة السؤال بأنه استكمال للمعرفة التي تمأسست عليها، هي أثاث بيت السؤال، فكل سؤال يشكل إما غرفة أو جناحاً في أحد أدوار القصر الذي يسعى الجواب أن يسكنه، والذي ينتظر مزيداً من التوسعة والاستطالة والامتداد ومزيداً من الأثاث التي يستكملها الجواب بحيث يتساوق ويتناغم ويتماهى أثاث الجواب مع أثاث السؤال الذي هو نصف كافة الأثاث المطلوب لاستكمال طلبات السؤال حتى يسكن الجواب باطمئنان وثقة داخل كينونة السؤال ويخفف أو يزيل اضطراب واستغراب واندهاش وحيرة كينونة السؤال، وبالتالي تعيش كينونة السؤال وكينونة الجواب في تآلف وتعاون وتزاوج لتوليد السؤال الابن الرشيد الذي يحمل حمولات جينية وجنينية معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية مزدوجة من الأم السؤال والأب الجواب، فتشكل كينونة السؤال الثاني لثيماته أو موضوعاته، فيصمم الجواب بناءً على كينونة السؤال الجديدة، التي تتزاوج مع الجواب ويسكنان في نفس البيت السابق، ولكن بعد توسعة سعته ومساحاته وامتداداته وإضافات جديدة لأثاثه

المنزلي، وذلك استعداداً لابتكار وتوليد وإنتاج ومأسسة وصياغة سؤال جديد، وهكذا دواليك. الخطاطة التالية توضح دالة كينونة السؤال وآليات تأسيس بيت الجواب في المنظومة المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية والفنية للكائن الإنساني.

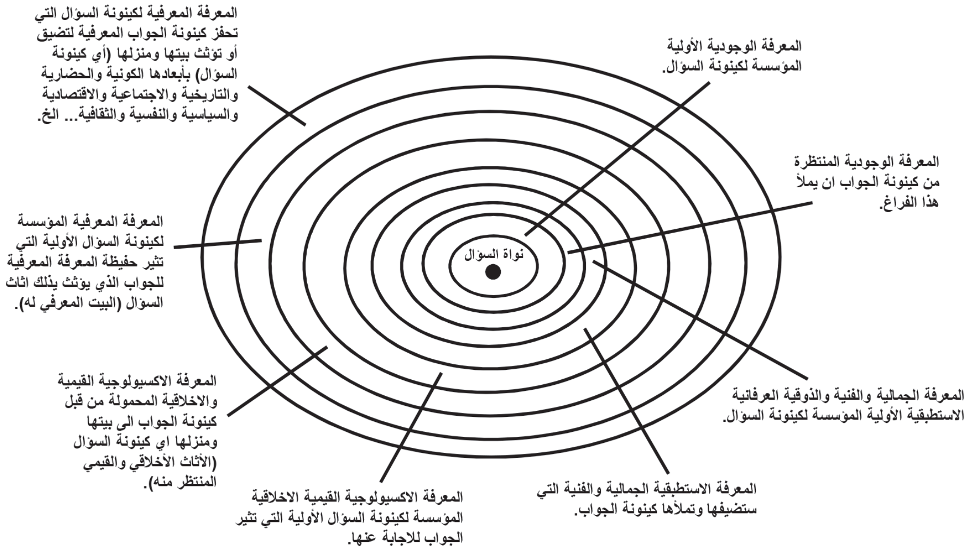


**خطاطة دالة تعريف كينونة السؤال للمنظومة المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنية للكائن الإنساني.**

وبِمَكّنتنا توضيح ماهية ودالة تعريف كينونة السؤال للمنظومة المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنّية، ضمن الباراديم «**الإبدال**» والنموذج والمنهج والمنهاج والمنهاجية التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية، من خلال توظيف الكأس نصف الممتلئ ونصف الفارغ المعروف. فنعتبر أنَّ الكأس هي الظرف والثوب والقلعة والقصر والمنزل «**السؤال**» للمظروف والجسد والعسكر وحاشية الملك وأفراد الشعب على التوالي «**الجواب**»، وإنَّ النصف الممتلئ من الكأس أو المنزل أو السؤال هو كينونة السؤال بحمولاته المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ، التي بمقتضاها تتحدد كينونة السؤال وكينونة الجواب، وإنَّ النصف الفارغ سوف يمتلئ بحمولات الجواب المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ، إما المتشابهة والمتشاكلة والمتضارعة والمتضاهية والمتماثلة والمتجاورة والمتناظرة والمتطابقة تعاضدياً وتكاملياً وتوافقياً وإيجابياً مع النصف الممتلئة بالأصل، فيحصل التقارب والتصاهر والتزاوج والتصاحب بينهما فيشكلان كينونة متماسكة ومتساوقة ومتناغمة ومتماهية، فتتسع سعة الكأس وتمتد وتستطيل وتزداد غوراً وعمقاً وسعة وحجماً للكأس ولنصف حمولاتها الممتلئة، ما يجعل كينونة الجواب تجاري وتوازي السعة المتضخمة للكأس وحمولاتها الأولية النصفية.

أما إذا كان النصف الممتلئ في الكأس «**السؤال**» يحتوي على حمولات معرفية ووجودية وقيمية أخلاقية وجمالية فنّية بأبعادها واستطالاتها وأغوارها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية

والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ مختلفة أو متمايزة أو متغايرة أو متضادة أو متقابلة أو متطابقة سلبية أو متناقضة أو مزايلة سلبية انحدارية وترقيعية، فإنَّ الجواب بحمولاته المتعددة التي ستملأ النصف الفارغ، سيكون مشابهاً ومتناغماً ومتماهياً مع حمولات كينونة السؤال، الأمر الذي يوجد تزاوجاً وتصاهراً وتصاحباً بينهما على شاكلة قوله تعالى: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ، وكذا الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات. أو قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

صحيح الآية تشير إلى أن الزاني إذا اشتهر منه الزنى وأقيم عليه الحد ولم تتبين منه التوبة يحرم عليه نكاح غير الزانية والمشركة، والزانية إذا اشتهر منها الزنى وأقيم عليها الحد ولم يتبين منها التوبة يحرم أن ينكحها إلا زان أو مشرك، كما هو مذكور في تفسير الميزان، إلا أنّ بعض المفسرين يقولون: إن الأمر أعم من ذلك، وإن الخبيثات، يعني الأعمال الخبيثة إنما تكثر من أهل الخبث، وأما الأعمال الطيبة إنما تكون من أهل الطيب الذين هم أهل الصلاح. يعني: الكلمات الطيبة تكثر من أهل الطيب، والكلمات الخبيثة تكثر من أهل الخبث، فهؤلاء الذين تكلموا بهذه الكلمات الخبيثة التي فيها الريب وفيها القذف وفيها الرمي تدل على أنهم خبيثون حيث صدرت منهم هذه الكلمات الخبيثة، وأما

(1) – المرجع القرآن المجيد، سورة النور، الآية 3. والمحصل من معناها بتفسير من السنة من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام أن الزاني إذا اشتهر منه الزنى وأقيم عليه الحد ولم تتبين منه التوبة يحرم عليه نكاح غير الزانية والمشركة، والزانية إذا اشتهر منها الزنى وأقيم عليها الحد ولم يتبين منها التوبة يحرم أن ينكحها إلا زان أو مشرك.فالآية محكمة باقية على إحكامها من غير نسخ ولا تأويل، وتقييدها بإقامة الحد وتبين التوبة مما يمكن أن يستفاد من السياق، فإن وقوع الحكم بتحريم النكاح بعد الأمر بإقامة الحد يلوّح إلى أن المراد به الزاني والزانية المجلودان، وكذا إطلاق الزاني والزانية على من ابتلي بذلك ثم تاب توبة نصوحا وتبين منه ذلك، بعيد من دأب القرآن وأدبه.وللمفسرين في معنى الآية تشاجرات طويلة وأقوال شتى:منها: أن الكلام مسوق للإخبار عما من شأن مرتكبي هذه الفاحشة أن يقصدوه وذلك أن من خبثت فطرته لا يميل إلا إلى من يشابهه في الخباثة ويجانسه في الفساد، والزاني لا يميل إلا إلى الزانية المشاركة له في الفحشاء ومن هو أفسد منها وهي المشركة، والزانية كذلك لا تميل إلا إلى مثلها وهو الزاني ومن هو أفسد منه وهو المشرك، فالحكم وارد مورد الأعم الأغلب كما قيل في قوله تعالى: «الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات «(الآية: 26 من السورة). ومنها: أن المراد بالآية التقبيح، والمعنى: أن اللائق بحال الزاني أن لا ينكح إلا زانية أو من هي دونها وهي المشركة، واللائق بحال الزانية أن لا ينكحها إلا زان أو من هو دونه وهو المشرك، والمراد بالنكاح العقد، وقوله: «وحرّم ذلك على المؤمنين» معطوف على أول الآية، والمراد وحرّم الزنى على المؤمنين. تفسير الميزان ـ العلامة الطباطبائي.

المؤمنون فإنه لا يصدر منهم إلا كلمات طيبة فلأجل ذلك قال -تعالى- ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾. يعني المؤمنون لم يخوضوا في ذلك وقالوا: لا نظن إلا خيرا بهذا الرجل وبهذه المرأة، فهذا قول أهل الطيب، أن الطيبين ما تكلموا إلا بكلام طيب، وأنهم ما ظنوا إلا ظنا طيبا.

فلعل الآية عامة للرجال والنساء ﴿الطَّيِّبُونَ والطَّيِّبَات وَالْخَبِيثُونَ والْخَبِيثَات﴾ وعامة أيضا للأعمال وعامة للأقوال، أن الأعمال الطيبة تكون من أهل الطيب، ومن أهل العقيدة الطيبة والأعمال الطيبة، وكذلك الأقوال الطيبة تكون من أهل الطيب الذين لا ينطقون ولا يتكلمون إلا بكلام طيب، وأما الكلمات الخبيثة كالقذف والعيب وما أشبه ذلك؛ إنما تكون من أهل الخبث الذين عقائدهم وأعمالهم خبيثة، الآية محتملة.

تأسيساً على ذلك نقول السؤال الفرجوي التسلوي والمسرحي الاستعراضي أو السؤال الفارغ والهباء والخواء لا يستقر الجواب في مهد السؤال ومنزله مهما كان، إلا على شاكلته وجنسه من الخبث والضحالة أو الهباء والفراغ والخواء، وإنّ كان الجواب طيباً أو محمولاً بحمولات معرفية ووجودية وقيمية أخلاقية وجمالية فنّية أصيلة وأثيلة وصحيحة، فإنَّ الجواب يستقر في بيته ويتصاهر ويتزاوج مع حمولاته، والعكس هو استثناء وليس القاعدة، أي لا يحدث أي تزاوج وتجاذب أو طلاق وتنافر، بله، يبقيان في الكأس وبينهما برزخ لا يلتقيان، ما لم يتغير أحدهما فيجذب الآخر ويحصل التلاقح والتقارب والتصاهر والتزاوج، فينتج عنه سؤال جنيني ومولود يحمل جينات الحمولتين الأم.

فإذا كان النصف الممتلئ ماءً نقياً زلالاً صافياً، والجواب أيضاً زلالاً صافياً، فيمزجان معاً ويشكلان كياناً واحداً متساوقاً ومتناغماً، أما إذا كان الجواب عبارة عن ماء خابط ممزوج بالأوساخ المعرفية والقيمية والجمالية والفنّية، إما يبقى مفصولاً ومقطوعاً عن الجزء الممتلئ ولا يمتزج معه إلى حين تغير النصف الفارغ الذي امتلأ بالجواب ومن خلال سؤال الجواب بواسطة النصف الممتلئ فيحصل التقارب والتصاهر

والتزاوج، ثم ولادة سؤال جديد وبامتلاء مضاعف من حمولات السؤال والجواب، أو أنّ يتزاوج الجواب بحمولاته الموسومة بالضعف والخروق والأمراض المعرفية التي تورث النصف الممتلئ، فيقضي عليه أو يسبب في ولادة جنين مشوه وضعيف وهجين، وأما السؤال الذي يحمل نصف وجوده الكينوني من المعارف الضعيفة والمشكوكة والضحلة أو المختلفة والمتغايرة والمتضادة والمتقابلة والمتناقضة.

فإنَّ الجواب مهما كان مآله إما مضاعفة الوهن والضعف والتناقض والتغاير لحمولات الجواب الممتلئ للجزء أو النصف الآخر من الكأس، أو يبقى الجواب عالقاً لا يمتزج ولا يلامس النصف الآخر التابع للسؤال، ويرسم بينهما برزخاً لا يتقابلان إلا حينما تتغير طبيعة وماهية الحمولات المعرفية للجزء أو النصف الممتلئ أو التابع لكينونة السؤال، وذلك من خلال سؤال السؤال، فيتقاربان ويتلامسان ويتزاوجان بعد انتظار طويل، فينتجان سؤالاً جديداً يحمل جينات حمولات السؤال والجواب. والخطاطات التالية توضح الحالات المختلفة للعلاقة بين كينونة السؤال وكينونة الجواب.

وتجدر الإشارة الى أنَّ كأس السؤال الفارغة من أي حمولات معرفية ووجودية وقيمية أخلاقية وجمالية فنّية أو أي واحدة منها، فإنها تقبل أي جواب صحيح أو خاطئ، سليم أو فاسد، مستقيم أو معوج، ضار أو نافع، بسيط أو عميق، جزئي أو كلي، متغير أو ثابت، نسبي أو مطلق، متشابه أو محكم، مختلف أو متشابه، متمايز أو متشاكل، متغاير أو متضارع، متضاد أو متضاهٍ، متقابل أو متماثل، ومتطابق سلبي أو متجاور، ومتناقض أو متناظر، ومزايل أو متطابق تعاضدي توافقي تكاملي، طفراوي وعشوائي أو سببي، فجائي أو علّي، عبثي أو غائي، و...إلخ. كأس السؤال الفارغة لا تميز بين هذه الثنائيات، وقبول الكأس باحتوائهما مؤقت وزائل في أحسن الأحوال، وإلا مجرد امتلائها بالجواب سيترك أثراً سلبياً سواء كان الجواب صحيحاً أو خاطئاً، حيث إن الجواب الخاطئ معروف بسلبياته على الكأس السؤال الفارغة، أما كيف يكون الجواب الصحيح ذا أثر سلبي أيضاً؟ نقول إنَّ الجواب الصحيح له ثقل ومسؤولية وعبء الحفاظ عليه وصيانته، وإنَّ الجزء الممتلئ من

كأس السؤال أو بيته أو رحمه هو الحافظ للجواب، وفي غياب هذا الجزء الممتلئ سيكون الجواب من غير إطار يشمل شتات الجواب ويجمع متفرقاته ومتشظياته، فضلاً عن كون الجواب سيكون مجزأً ومشوهاً ومبعثراً فيقع السؤال التالي الذي يمأسس في ضوئها الكائن البشري في شباك ومكر وحيل هذا الجواب المتطاير والمتجزئ والمتشظي.

وهنا لو استرشد الكائن البشري العقل والتجربة والقلب والمنطق لما أجازوا له أصلاً السؤال، لكونه ليس سؤالاً بالمعنى الأبستيمولوجي المعرفي أو الأنطولوجي الوجودي أو الأكسيولوجي القيمي والأخلاقي أو الاستطيقي الجمالي والفنّي، بله، سؤال فرجوي تسلوي أو مسرحي استعراضي، أو سؤال بالأصل يجهل موضوعه وثيماته وماهيته وغاياته ووظائفه البنّيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينة، والدلالية والاستدلالية، والتداولية والتواصلية، والتبليغية والتعليمية والتعلّمية والتدريسية البيداغوجية، أو التفهيمية والفهامية والانفهامية والإفهامية له.

كينونة السؤال

كينونة السؤال غير المتجانس
مع كينونة الجواب

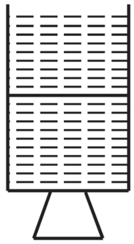

كينونة السؤال المتجانس
مع كينونة الجواب

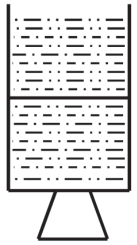

كينونة السؤال المختلط
أو المتشابه جزئيا لكينونة الجواب

## الفصل الرابع عشر

# فقه فلسفة دوالّ كينونة السؤال

## 14.1 نيّة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب:

مهما بلغ السؤال من الصغر الصغّار أو الكبر الكبّار فإنه قيمته النظرية والعملية مرهونة ودالّة بطبيعة النّية[1] والغرض والهدف والغاية من السؤال، ومدى قربه وبعده من غاياته القصوى المتمثلة في سيرورته التكاملية والتقاربية إلى الكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى تعالى. وتتصاعد قيمة النية الخالصة إلى الحد الذي تختزل وتغيب في عقل وقلب الإنسان كافة الدواعي المنفعية والبواعث المصلحية وفوائد ومزايا نتاجات السؤال في الواقع الموضوعي الخارجي وتموضعاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ما يملأ فراغ مساحة الدواعي والبواحث ليمثل فقط الوجود النوراني الرباني والحياة والتعالق بالمطلق والمثل الأعلى له.

فمنهج عزل النيّة عن بناء وتأسيس السؤال هو من الأمور الفاسدة والبعيدة عن النهج والفلسفة والرؤية الإسلامية العقدية لكينونة السؤال والعمل به، هو منهج تقطيعي انعزالي وانغلاقي، ومنهج تفكيكي وتجزيئي تتشكل عدسته من بعد واحد فقط لا تكشف

(1) – القصد في اصطلاح الفقهاء هو: «العزم المتجه نحو إنشاء فعل»، «معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية» (96/3).. والنية هي كما يقول القرافي «قصد الإنسان بقلبه ما يريده بفعله»، «الذخيرة» (20/1). وعرفها النووي بأنها «عزم القلب على عمل فرض أو غيره»، «المجموع» (310/1). ومن تعريف القرافي يتبين أن النية والقصد متقاربان، ولهذا عرف النية بالقصد، لكن ذهب ابن القيم إلى أن بينهما فرقا، قال: «فالنية هي القصد بعينه ولكن بينها وبين القصد فرقان: أحدهما: أن القصد معلق بفعل الفاعل نفسه وبفعل غيره. والنية لا تتعلق إلا بفعله نفسه، فلا يتصور أن ينوي الرجل فعل غيره، ويُتصور أن يقصده ويريده. الفرق الثاني: أن القصد لا يكون إلا بفعل مقدور يقصده الفاعل. وأما النية فينوي الإنسان ما يقدِر عليه وما يعجز عنه»، ولهذا في حديث أبي كبشة الأنماري الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن النبي ﷺ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَة نَفَر: عَبْد رَزَقَهُ اللَّه مَالاً وَعلمًا، فَهُوَ يَتَّقي في مَاله رَبَّهُ، وَيَصلُ فيه رَحمَهُ، وَيَعْلَمُ للَّه فيه حَقًّا، فَهَذَا بأَفْضَل الْمَنَازل عند اللَّه، وَعَبْد رَزَقَهُ اللَّه علمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ يَقُول: لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَملْتُ فيه بِعَمَل فُلَان، فَهُوَ بنيَّته، وَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْد رَزَقَهُ اللَّه مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ علمًا، فذلك شَرُّ مَنْزلَة عنْدَ اللَّه. ثم قال: وَعَبْد لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّه مَالاً وَلاَ علمًا فَهُوَ يَقُول: لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَملْتُ فيه بعَمَل فُلَان، فَهُوَ بنيَّته، وَهُمَا في الوزْر سَوَاءٌ) فالنية تتعلق بالمقدور عليه والمعجوز عنه، بخلاف القصد والإرادة فإنهما لا يتعلقان بالمعجوز عنه، لا من فعله ولا من فعل غيره بدائع الفوائد» (190/3)، وانظر: «القواعد الكلية والضوابط الفقهية» للدكتور محمد عثمان شبير ص 93، 94.

إلا زاوية معينة واحدة من زوايا وأبعاد السؤال والعمل به، الذي تتسع وتمتد نتائجه وثماره وتتجذر جذوره وتتشامخ أغصانه الشجرية حتى يصبح أصله ثابتاً وفرعه في السماء تؤتي أكله وتثمر ثماره الثمير، وتزهر أزهاره الزهير، ويتظلل بظله الظليل ويتزكى برائحته الزكية في كل حين وكل موضع.

فهذه الأصالة والأثالة في السؤال والعمل به، تجعل من المستحيل عزل تمظهرات ثماره وتشظيات فوائده، وتمفصلات مزاياه، وتجليات طاقاته وإمكاناته التكاملية من الانقطاع والعزلة من جانب، وتحقق استمراريته التدفقية الدينامية لفيوضاته وآلائه الخيرية والبركية في جميع الأزمنة والأمكنة وشتى التموقعات والتموضعات سواء في فضاءات النفس والروح الداخلية أو فضاءات الاجتماع والسياسة والاقتصاد الخارجية وجميع تمفصلات الحياة الاجتماعية والثقافية والمعرفية البرانية للإنسان، من جانب آخر.

فبمجرد مأسسه ملكة النيّة الخالصة الصادقة والبواعث والدوافع المتعالقة بجذر ينبوع كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب المطلق ومنبعه الأصيل ووجوده الأنطولوجي الأثيل والمقدس، كفيل ببقاء نبض روح السؤال دفاقة تضخ في عروق شبكة السؤال العنكبوتية وشرايين كينونات السؤال الأنطولوجية الوجودية المرئية واللامرئية في عوالم الوجوديات وكينونات الجواب من جانب، والمنظورة واللامنظورة في عوالم الذات الداخلية للفرد والمجتمع من جانب آخر.

إذاً القراءة التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية بعدساتها المركبة الرؤيوية الاستكشافية والاستبصارية والاسترجاعية التغذوية والاستشرافية والتفكيكية والتركيبية والتراكبية والتكوينية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية، المصحوبة بالعزم والإرادة والنيّة الصالحة، وبأبعادها واستطالاتها وآفاقها وأعماقها الثمانية وبمستوياتها الثلاثة وبعوالمها الستة، قادرة على القيام بعملية وإجراء الحصر الأنطولوجي للمجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي لكينونة السؤال وسؤال السؤال

وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، وذلك من خلال إزالة التشتت والتبعثر والتنفر والانتشار والتشظي لمكونات السؤال المعرفية والوجودية والقيمية الأخلاقية والجمالية الفنّية، ومكنونات النّية والغرض والهدف والغاية منه، وإمحاء التناقضية السلبية من الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق السلبي والتناقض والمزايلة، وتثبيت المركز والمحور والبؤرة، وتحقيق التكاملية التعضيدية التوافقية من المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمجاورة والمناظرة والمطابقة لمكوناته وعناصره، وبذلك محققة الوحدة والتشميلية والكلية والضرورة والوضوحية والسببية والعلّية واليقينية والصدقية داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي لسيرورة وصيرورة كينونة السؤال.

المنظورات الغربية وعدستها الرؤيوية لقيمة العمل الحقيقية تتباين بين نتائج الفعل ونيته. فنظرية الأخلاق الكانطية التي تمثل إحدى المرجعيات الكبرى والأساسية للأخلاق الفلسفية في العصر الحديث، تعتبر قيمة العمل في قيمة النيّة المآسسة عليها العمل وليست في نتائجها، في حين يذهب فلاسفة آخرون إلى القول إن قيمة العمل هي في نتائجها العملية. ومن هذا المنطلق وجد الفيلسوف الساخر نيتشه «Nietzsche F». مدخلاً واسعاً لنقد وسخرية مفهوم «**الآمر المطلق**» أو «**الآمر القطعي**» الأساس البنيوي الذي بنى عليه كانط نظريته وفلسفته في الأخلاق. فيقول نيتشه في كتابه «**العلم والمرح**» إن مقولات وأقوال كانط المتمثلة في أن ما يكون مقبولا أخلاقيا هو ما يكون مقبولا للجميع هو زيف أو خطأ، لأنه بالنسبة لنيتشه، لا يمكن أن توجد أخلاق مطلقة إلا إذا كان البشر من طبيعة واحدة، وهذا شيء غير صحيح.

والحقيقة أن وراء الآمر المطلق تختبئ في نظر نيتشه، «**ديكتاتورية أخلاقية**»، وتختبئ رغبة كانط في تحويل البشر إلى قطيع، وتدجينهم. وبتعبير عسكري، يصبح الآمر المطلق الكانطي هو القائد العسكري الديكتاتوري الذي يبحث من خلال ممارسته عن سلطة وقوة قهرية تخضع البشرية لها على حساب الإنسانية. ومن حيث نقده لقيمة

العمل من المنظور الكانطي، يعتبر كانط من وجهة نظر نيتشه، مسؤولا عن انقلاب خطير في القيم الأخلاقية من خلال عملية تحويل وتبديل القيمة الأساسية والبنيوية للعمل من نتائجه إلى أسبابه؛ أي إحلال قيمة العمل إلى قيمة النيّة.

ويستطرد نيتشه في نقده وسخريته من كانط قائلاً[1]: «**خلال أطول مرحلة في التاريخ الإنساني، أي مرحلة ما قبل التاريخ، كانت قيمة – أو عدم قيمة – عمل تأتي من نتائج هذا العمل.... وكانت تلك هب الفضيلة، فضيلة النجاح أو الفشل التي تجعل الناس يحكمون على عمل ما بالجودة أو بالرداءة..... ولكن ودفعة واحدة، بدت تباشير سيطرة خرافة جديدة وقاتلة، سيطرة تأويل ضيق تشرق في الأفق: إن انتساب أصل العمل إلى النيّة المنبثق عنها العمل، وإنَّ قيمة العمل تكمن في قيمة النيّة، الأمر الذي أصبحت النيّة من منظور نيتشه تشمل سبب العمل وما قبل تاريخه**[2]**. ويستطرد، زاعما أنه فضح حقيقة النيّة قائلا: «نظن اليوم نحن اللاأخلاقيين، أن القيمة الأساسية لعمل ما تكمن خارج النيّة تحديدا، وأن نيّة العمل بكاملها، وكما تظهر لنا، تنتمي إلى قشرتها أو بشرتها التي تكشف كأي بشرة عن شيء ما، ولكنها تخفي، شيئا أعظم. إننا نعتقد، وباختصار، أن النيّة ليست أكثر من علامة ودلالة تتطلب تفسيرا بالدرجة الأولى، وعلامة، محملة بالمعاني، وبالتالي ليس لها أي معنى خاص بها وحدها، ونعتقد . والقول لنيتشه . أن أخلاق النيات كانت..... شيئا ما يشبه علم التنجيم، أو علم الكيمياء، وهي شيء ينبغي على أي حال، أن يتم تجاوزه**[3] **نظرا لأهمية موضوع القصْديّة أو الغائية أو الهدفية في فعل وقول الإنسان التكاملي الارتقائي، وخاصة في إبعاده العرفانيّة والنفسية والسيكولوجية وبمقتضياته ومشروطاته الفردية والاجتماعية من جهة وبتعالقاته**

(1) – جمال مفرج، الإرادة والتأويل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2009، الجزائر، ص 36.
(2) – جمال مفرج، الإرادة والتأويل، مرجع سابق، ص 37.
(3) – نيتشه (فريدريك)، أصل الأخلاق وفصلها، تعريب حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1981، البحث الثالث.

**وتبعياته وارتباطاته بكينونات عالم الملك والدنيا وانفتاحاته واتصالاته بعالم البرزخ وعالم الملكوت والآخرة من جهة أخرى، أنه يستوجب أن يعطي موضوع النيّة والقصْديّة النصيب الأوفر والمساحة الأكبر في البحث والتحليل، وهذا ما سنقوم به إن شاء الله.**

وباعتقادنا، إن فعل انبناء النيّة أو إقامة القصْديّة لدى الإنسان هو من أدق الأمور وأكثرها لطفا وشفافية وأخطرها حدة وأوسعها أثرا وأعظمها عمقا وأطولها امتدادا وأفضلها ثمارا. حيث، إنها قاعدة القواعد التقعيدية «**ميتا قاعدة**»، وأس أسسها التأسيسية «**ميتا أس**»، لانبناء وإقامة الفعل أو القول القلبي الجوانيّ من جهة، وإنها دالة الدوال «**ميتا دالة**»، ومعنى المعنى «**ميتا معنى**» وجوهرة ومضمون المضمون «**ميتا جوهر ومضمون**» لمعالم إنباءاتها وآثار مقاماتها البرانيّة من جهة أخرى. وهي العروة الوثقى والحبل المتين والطريق المستقيم والمنهج القويم في تجسير وربط وتواصل واتصال بين مراتب ودرجات القصْديّة والتيلوجية «**الغائية**» في عالمها الدنيا بعوالمها الدنيوية والبرزخية الملكوتية الأخروية. فحقيقة قصديه وغائية الفعل أو القول العرفاني العقلاني تكمن في ماهية تكوّثراتها العقلية والقلبية وشدة قنواتها الاتصالية، ووثوق علاقاتها التجسيدية وقوة متانة عروتها الوثقى مع كينونات عالم البرزخ وعالم الملكوت والآخرة.

### 14.2 نيّة فعل أو قول خطاب السؤال خير من السؤال ذاته:

الاستقصاء التحليلي والبحث الموضوعي الشامل، لماهية وحقيقة النيّة أو القصْديّة وبنياتها التحتية وشروطها وقواعدها في سياق القول القرآني والروائي المثبت، يؤكد أن، القصْديّة أو النيّة خير وأهم وأفضل من جميع حمولاتها من الأعمال أو الأقوال أو الثواب والحسنات المتراكمة عليها في أفق زمانها الممتد في العوالم المختلفة الممكنة. والبحث فيه تفصيلات فلسفية وعرفانيّة وفقهية وهو بالتأكيد خارج نطاق وهدف هذا

الكتاب، حيث إن البحث المتكامل والشامل لنيّة السؤال، يستوجب توجيه عدساتنا الرؤيوية وأدواتها التشريحية واستراتيجياتها التحليلية إلى ذلك الكم الهائل من الدراسات والبحوث والتقريرات الفقهية والعرفانيّة أو الكلامية أو الفلسفية أو القيمية الأخلاقية أو الجمالية الفنّية، لذا نرجئ ذلك لمقام آخر لبحث تفصيلي وتحليلي نتابع فيه تأريخانيّة ميلاد نواة النيّة والقصْديّة وكرونولوجيتها التأسيسية ومراحل ومدارج نموها وتنميتها ومآلاتها من جهة، وتشريح بنياتها الأركيولوجية وحفر حفرياتها الجينيولوجية وتنقير قيمها الأكسيولوجية الأخلاقية وتحليل تربتها الجيولوجية وقياس مدياتها الآفاقية وأعماقها الشاقولية العمودية من جهة ثانيّة، وشرح وتتبع تشكلاتها وأطوارها وأدوارها، بدءاً من خواطرها اللاإرادية وخيالاتها الوميضة مرورا بالتثبت والانبناء والإقامة، فضلا عن اتجاهاتها التنازلية والتصاعدية وتفاعلاتها وتعالقاتها مع عناصر المنظومات المعرفية والوجودية المتحاقلة والمتجاورة والمماسة أو القريبة والبعيدة من جهة ثالثة، وتعاليها وتساميها من خلال التوسل والتوصل أو التداخل والتفاعل مع عناصرها التكاملية في منظومة مدارجها أو سلّمها التراتبي التصاعدي وفقا لكينوناتها المتشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة والمطابقة في عوالمها الثلاثة الدنيا والبرزخ والآخرة، أو في منظومة شملها التنازلي المتناقص الانحطاطي، بدءا من الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض وانتهاءً بالمزايلة.

ولكن ما نريد قوله هنا، هو إنَّ نيّة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب حالها حال السؤال وتوابعها من الأسئلة والتساؤلات والإشكالات، ليست معطاة أو جاهزة أو مستوردة أو إنها تتطاير في فضاء الذهن أو التخيّل حتى تلتقطها كينونة الذهن أو الذات وتبني عليها كينونة السؤال، بله، هي عملية في غاية الصعوبة والتعقيد، وتحتاج إلى اجتهاد ومجاهدة عقلية وقلبية ووحْيَانية مؤيدة ومسددة، لكون عدستها تسقط الأنوار والأضواء على عدسة كينونة السؤال فتجعلها نقيّة صافية

من جهة، وتؤثر تأثيراً كبّاراً على درجات منّقلة وزوايا ممِّيلة وإحداثيات واتجاهات بوصلة وامتدادات واستطالات مسطرة وأوزان مَكّيلة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب من جهة أخرى، وبالتالي التأثير الكبّار على الحمولات الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية لكينونة الجواب، ومِمّيلته ومنّقلته ومَكّيلته ومسطرته وموازينه وبوصلته.

وتأسيساً على ذلك نقول إنَّ كينونة السؤال وتوابعها وتواليها دالّة تابعة لكينونة نيّة السؤال ذاته، أو على الأقل أحد دوال كينونة السؤال الهامة والأساسية والتقعيدية والتأسيسية والتأصيلية والتأثيلية لها. ومن هنا علينا تجشم العناء ومزيد من الاجتهاد والمجاهدة النفسية والعرفانية المعقّلنة والمشرّعنة لفعل وسيرورة النّية. ولقد ناقشنا بشكل مستفيض في كتاب فلسفة فقه كينونة العمل من منظور إسلامي هذا الموضوع يمكن للقارئ الرجوع إليه[1].

## 14.3 هندسة نيّة النيّة وبنْيتها التشييدية:

يجب التمييز بين الترسيمات والخطاطات أو الخرائط الهندسية لبنية النيّة «**ميتا النيّة**» والنيّة نفسها من جهة، ومسألة تخيّلات وحضور النيّة لدى ذهن وقلب الإنسان في السؤال من جهة أخرى. فهناك تمايز واضح وفرق شاسع بينها، سواء من حيث بنياتها ومكوناتها ومعالمها الأركيولوجية «**مستوياتها وتكويناتها الطبقية**» أو تأسيساتها وتاريخانيتها الجينيولوجية والأركيولوجية، أو فعّاليتها الأكسيولوجية «**الأخلاقية**»، أو كوزمولوجيتها الأفقية، أو امتداداتها الكرونولوجية «**الزمانيّة**»، أو ديمومتها الدينامية

(1) – جعفر عباس حاجي: «فقه فلسفة كينونة العمل – من منظور إسلامي»، كتاب قيد النشر.

لتفاعلات كيميائيتها الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» في شتى تشعيبات الحياة التربوية والعرفانيّة والفقهية والعبادية والعبودية والعبودة، وتفريعاتها المعاشية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية.

وهذا بحد ذاته موضوع موسع وعميق، جدير بأن يُفرد له بحث مستقل يتناول فيه جميع جوانبه الفلسفية والعرفانيّة والفقهية والتجريبية بأبعادها ومستوياتها المذكورة أعلاه. ونسأل اللّه عزَّ وجلّ أن يوفقنا الى ذلك في أسرع فرصة ممكنة. وفي هذا المقام سوف نشير إلى نقطة جوهرية واحدة، من دون أن نخوض في تفاصيلها وتشعباتها، وهي أن أغلب الناس يتصورون أن النيّة هي حضور شيء أو حالة في مخيلة الإنسان أو في القلب لها ارتباط وثيق أو دافع وحافز إلى فعل القول أو العمل المنظور، وحال إضمار أو انقطاع أو غياب النيّة قبل وأثناء وبعد فعل القول أو العمل المنجز عن الذهن والقلب، يكفي استرجاعها واستحضارها في الذهن أو القلب، حين يتموضع الإنسان في موضع تساؤل جوانيّ من قبل النفس أو برانيّ من قبل الأشخاص الخارجين. أكثر ما يقال في هذا الشأن، هو إن هذه مرتبة من النيّة تندرج تحت أدنى مستوى من مراتب النيّة أو قيمتها الجينيولوجية والأكسيولوجية والأركيولوجية والكوزمولوجية.

السؤال الأنطولوجي «**الوجودي**» والأبستيمولوجي «**المعرفي**» الذي يتبادر إلى الذهن والقلب، هو أن هذا الشيء أو الكينونة هي جاهزة مصنوعة ومعلّبة تقدم وتستحضر بمجرد تخيل الرغبة والشوق لها وبالتالي تطلب، أم إنها كينونة تستلزم إعداد خطاطاتها وترسيماتها الهندسية البنائية المعرفية على صفحات الذهن والقلب، ثم تحقق إرادة الإنباء والإقامة والبنيان الأنطولوجي الوجودي لها أولا في بنيّة كينونة الكينونات المستجمعة والمتكوّرة، أي الروح الإنساني، ثم انعكاساتها المرآوية والأنطولوجية في شتى تشعبات كينونة القول أو العمل المنظور ذاته ثانيا، ومن ثم تمظهراتها وتفاعلاتها وارتباطاتها وتأثيراتها في شتى الكينونات الأبستيمولوجية والأنطولوجية المتحاقلة والمتماسة والمتجاورة والقريبة والبعيدة وفي عوالمها

المختلفة الممكنة وتفريعاتها التربوية والعقائدية والشرعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية و...الخ ثالثا، وهذه من المراتب العليا والدرجات العظمى للنيّة التي حقا هي مصداق لقول الرسول الأكرم «**النيّة خير من العمل نفسه**» والذي نفهمه بالصورة التالية: أن النيّة الصالحة والصادقة واليقينيّة، حقا إما هي العمل الصالح والخير، أو أن من مستلزمات ومشترطات اللزومية والوجوبية غير المنفكّة عن العمل نفسه. أي إن خيّرية النيّة أو عندما تتكامل خيرية النيّة مقارنة بالعمل نفسه، يتحقق العمل بصورة لزومية وجوبية، إما من باب السببية والعليّة للعمل أو من جانب الاشتراطات اللزومية التي لا تتحقق أنطولوجية العمل إلا بها.

وهناك تفسير آخر له اعتبار وجيه، ألا وهو أن قيمة النيّة أفضل وأخيَر من قيمة ذات العمل نفسه، لكون متطلبات واشتراطات تأسيس بنيّة النيّة «**ميتا النيّة**» أو النيّة نفسها كبنيَة فوقيّة مرتكزة على «**ميتا النيّة**» تستلزم سعة أبستيمولوجية «**معرفية**» أوسع أفقا، ودقة في المعايير التعبيريّة والموازين القيميّة، وأكثر اجتهادا وتأملا ذهنيا عقليا وحسيا تجريبيا، وأصقل شفافية قلبية، فضلا عن ممارسات مضنية وشاقة لمحيط بيئة بنية النيّة «**ميتا النيّة**» وفضاء النيّة تصب في تنقية البيئة وتصفية محيطها وفضائها من بكتيريات وفيروسات وبائية، ليست تلك المتحاقلة مع بنية النيّة أو النيّة نفسها، بله، حتى تلك في الحقول الأبستيمية والأنطولوجية المتماسة والمجاورة وحتى القريبة والبعيدة، حيث إن كمونات كينونة بنية البنية أو النيّة عظيمة تحمل في طياتها قوة نووية جبّارة، وطاقة إنتاجية هائلة، ودوافع وحوافز معنوية لا متناهية، وذلك لكونها في أعلى مراتبها الراتوبية، ليست مرتبطة ومتعالقة بالأسماء الحسنى والصفات العليا التكوثرية للّه جلّ وعلا فقط، بله، بوحدتها في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها في الدائرة القريبة والمحيطة بذات مطلق المطلقات وغيب الغيوب وكمال الكمال وتمام التمام عزّ وجلّ.

فكما إن الأعمال الإنشائية لها خرائط هندسية وترسيمات وخططات تتعلق بإنشاء

وتصميم وترميم وصيانة وإعمار وتشييد بنائها الجواني والبراني، كذلك لبنية وهيكل النيّة خرائط وخطاطات وترسيمات هندسية تتعلق بكينوناتها وكيفية حياتها الديناميةو الديمومية وعلائقها وارتباطاتها وتفاعلاتها الوجودية الذاتية أو البينْوجودية «Interexistence»، أي ما يربط بين الوجوديات.

وباعتقادنا، هذا هو مكمن الأفضلية والخيرية لبنية نيّة النيّة «**ميتا النيّة**»؛ أي النّية الناظرة والواصفة والشارحة والكاشفة والقيّومة والقائمة والمقوِّمة على قيمة ذات النّية المنظورة، وإن قيمة النّية ذاتها دالّة تابعة لكينونة نيّة النيّة التي تنعكس مرآوياً في نيّة فعل العمل والعمل ذاته، وهما دالتان تابعتان لدالّة النّية التي هي دالّة تابعة لدالّة النّية التي تتعلق بالعبادة والعبودية والعبودة لسلطة السيادة « **الخوف من النار**» أو التجارة «**الطمع في الجنة**» وهي بدورها تابعة لنيّة النّية المستقلة التي تتبعها الدوال الأخرى، ومعتمدة عليها، وهي التي تمنحها قوة وسعة وعمقا وديمومة وديناميةو استطالة وامتداداً واتجاهاً وقيمة، لكونها متعلقة بالعبادة والعبودة والعبودة الخالصة والمستحقة ذات الأهلية المتعالية المطلقة، وهي البنْية التحتية والتأسيسية والتأصيلية والتأثيلية لكينونة فعل السؤال والعمل والجواب. ولتوضيح دوال قيمة فعل نيّة النّية «**ميتا النّية** « أو «**ما بعد النّية**» ونيّة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب وتبيان خيريتها، جدير أن نهندس لترسيمة وخطاطة قيمة فعل عمل نيّة النّية والنيّة الراتوبية أو التراتبية وقيم دوالّها على النحو التالي:

1 - قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» المنفعة المادية والمعنوية الفردية والذاتية والدينوية التي تحملها كينونة الجواب.

2 - قيمة كينونة السؤال في «**النيّة**» المنفعة المادية الفردية والاجتماعية الدنيوية التي تحملها كينونة الجواب.

3 - قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» المنفعة المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية الدنيوية التي تحملها كينونة الجواب.

4 – قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» المنفعة المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية والتاريخية الدنيوية التي تحملها كينونة الجواب.

5 – قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» المنفعة المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية والتاريخية الدنيوية والدينوية التي تحملها كينونة الجواب.

أما نيّة النيّة «**ميتا النيّة**» أو ما وراء تلك النيات الخمس المذكورة أعلاه لكينونة السؤال، فإنها تتجاوزها لتشكل دوالّ جديدة ومتعالية وفوقية من حيث القيمة الكاشفية والشارحية والواصفية والتقييمية والتقويمية، وبنْيَة تحتية لتأسيساتها وتقعيداتها وتأصيلاتها وتأثيلاتها البرانية المعْلمية، وهي ما يلي[1]:

### 23.4 دالّة كينونة السؤال:

1 – قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» السعادة المادية الفردية والذاتية الدنيويّة.

2 – قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» السعادة المادية والمعنوية الفردية والذاتية والدينوية.

3 – قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» السعادة المادية الفردية والاجتماعية الدنيوية.

4 – قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» السعادة المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية الدنيوية.

5 – قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» السعادة المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية والتاريخية الدنيوية.

6 – قيمة كينونة السؤال دالّة في «**النيّة**» السعادة المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية والتاريخية الدنيوية والدينوية.

(1)– جعفر عباس حاجي: «فلسفة وفقه كينونة العمل من منظور إسلامي»، كتاب تحت الطبع.

### 14.4.1 دالّة نيّة كينونة السؤال:

نعتقد أن دالّة الدالّة «**ميتا الدالّة**» أو نيّة النيّة «**ميتا النيّة**» لدوال قيم كينونة السؤال والنّية التراتبية الست المذكورة أعلاه، هي السعادة العقلية والعرفانيّة والجمال والأخلاق. وبتعبير قرآني وعرفاني التجلي والذوبان في الأسماء والصفات الربانيّة الحسنى. وكذلك نعتقد أن البنية التحتية والقاعدة التقعيدية لميتا النيّة ولميتا الدالّة أعلى، هي الكمال المطلق لكلمات الله عزَّ وجلَّ وأسمائه الحسنى وصفاته الكمالية، أي تمظهرات الله سبحانه وتعالى في عالم التكوين والآفاق والأنفسية واللفظية القرآنيّة، وذلك مصداقا لقول الإمام علي عليه السلام بما مضمونه: الناس على ثلاثة أصناف من العبادة «**النيّة**»: عبادة التجّار شوقا لنعيم الجنة، وعبادة العبيد خوفا من عذاب النار، وعبادة الأحرار، كونه هو الواحد الأحد أهل للعبادة. وحمل النيّة على قيم حمولات الأفعال والأقوال والنيات. الخطاطة التالية توضح السُلّمية الراتوبية لمراقي قيمة فعل النّية وفعل العمل وفعل السؤال وفعل الجواب في المنظومة والباراديم «**الإبدال**» والنموذج والمنهاجية والنظريات والبرمجيات الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية وحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ للمجرى الحدثي «V5» والمشهدي «V4» والمرآوي «V3» والحقيقي الواقعي القائم «V2» لكينونة السؤال وتوابعه وتواليه من مختلف الأسئلة والتساؤلات والإشكالات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، داخل المجرى الأنطولوجي الوجودي في العالم أو الكون أو الوجود «V».

### 14.4.2 دوال قيم كينونة السؤال وموضوعاته:

من العناصر والمكونات الدالية التي تحدد قيم كينونة السؤال، وتقدر أثمانها المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والاجتمعرفية والنفسمعرفية، هي حمولاتها من موضوعات الكينونات الكائنية في الكون. فقيمة جواب السؤال مرهونة بقيمة كينونة السؤال المرهونة بنيَة السؤال التي بدورها مرهونة ودالّة في نّية النّية «**ما بعد النّية**»؛ أي بحجم وسعة وقطر وعمق وعاء «**نّية النّية**» و«نّية» السؤال وحمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، الذي يغرف بواسطته حمولات ثيمات وموضوعات كينونات الجواب، فكلما اتسع حجم وسعة وقطر الوعاء، بِمَكْنة الكائن البشري أن يغرف الكينونات المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والاجتمعرفية والنفسمعرفية باستطالاتها وأعماقها التي تملء وعاء السؤال، وذلك بشرط أن لا يكون وعاء السؤال الحافظ للجواب قاعدته أو اسطحه الجانبية مثقوبة كالمشغال الذي لا يحتوى أي شيء مهما استمرت عملية امتلاءه بالماء.

فكينونة السؤال قد تتشكل من عناصر ومكونات جزئية محسوسة، وقد تتشكل من موضوعات وثيمات ذات طابع عقلي وفلسفي أو علمي أو عرفاني قلبي أو شرعي فقهي أو غيبي وحيّ. فالسؤال الفلسفي لا يستوعبه إلا الوعاء الفلسفي، والفقهي إلا الوعاء الفقهي، والتجريبي إلا الوعاء التجريبي العلمي، والعرفاني إلا وعاء القلب والعرفان، والغيبي إلا الوعاء الغيبي والوحيَاني الأنبائي المسدد والمؤيد ، وكل وعاء من أوعية كينونة السؤال له قيمة معرفية ووجودية وأخلاقية وقيمية وجمالية وفنّية واجتمعرفية ونفسمعرفية. والخطاطة التالية توضح قيم كينونة السؤال تبعاً لمراتب ومراقي موضوعاتها المصدرية.

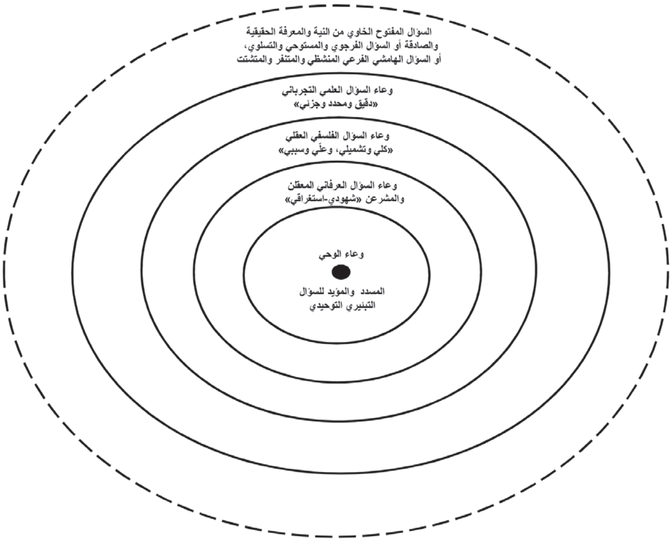


خطاطة مراتب وقيم وسعة وعاء السؤال والجواب الإنساني

إذاً قبل أن يقوم الكائن البشري بغرف واحتواء حمولات ثيمات وموضوعات الجواب، عليه أن يصنع وعاء كينونة السؤال وسعته وعمقه واستطالته من حمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، من حيث ماهياته وغاياته وأبعاده وآفاقه وأزمانه وعوالمه وأماكنه المستهدفة من قبل كينونة السؤال، والتي يتقولب الجواب فيها أو يسكن الجواب فيها. ليس معقولاً منطقياً ولا عقلياً ولا شرعياً أن يمتلك الشخص وعاءً لسؤال جزئي مادي علمي صرف، ويريد أن يغترف أو يستوعب جواباً عرفانياً أو فلسفياً أو فقهياً أو غيبياً، والعكس صحيح، مع وجود بعض التقاطعات والاشتراكات والتداخلات المعرفية بينها، إلا أن الأصل هو تماهي وتساوق وانسجام ماهية موضوعات كينونة السؤال مع ماهية الإجابات والردود المتوقعة التي تغرفها وتستوعبها كينونة وعاء السؤال. وإن وجدت هذه التضمينات والاستغراقات والاستهلاكات فيما بين أوعية كينونة السؤال المختلفة بالقوة والإمكان، إلا أن الأوعية المناسبة والمتماهية جديرة بتميزها وتفريقها والاستفادة منها.

فقَد رَوَى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أَنَّهُ دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم الْمَسْجِدَ فَإِذَا

جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا [1] بِرَجُلٍ فَقَالَ: «**مَا هَذَا**»؟ فَقِيلَ: عَلَّامَةٌ فَقَالَ: «**وَمَا الْعَلَّامَةُ**»؟ فَقَالُوا لَهُ: أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهَا وَأَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْأَشْعَارِ الْعَرَبِيَّةِ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ذَاكَ عِلْمٌ لَا يَضُرُّ مَنْ جَهِلَهُ، وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ**» ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ**» [2].

فالكائن البشري عليه قبل أن يطرح السؤال ويعرضه للبيع والعرض والمبادلة بالجواب أن يضع قيمة وثمناً له حتى يجد المشتري أو المجيب المناسب والقادر على ذلك، كما يسأل عن قيمة وثمن بضاعة معينة مطلوبة بحيث قيمتها تعكس أهميتها وجودتها وفائدتها الاستعمالية الاستهلاكية وتوظيفاتها الاستثمارية.

من الذي يحدد قيمة وثمن بضاعة الجواب؟ أليس السؤال والطلب؛ أي السائل، أصلاً وأولاً وسلفاً وقبلاً، وليس المجيب أو المنتج. من الذي يحدد ثمن بضاعة ما في السوق، المستهلك «**الطالب**» أم البائع «**المنتج**»؟ من أبجديات علم الاقتصاد أن المنتج يستشرف سؤال «**طلب**» المستهلك، وهذا الطلب دالّة في الثمن والدخل والذوق وأسعار المنتجات البديلة والمكملة وعوامل اجتماعية وسياسية ونفسية و... أخرى، وفي ضوء هذه الدالة المتوقعة يبدأ المنتج إنتاج البضاعة أو المنتجات «**الجواب**». وإنَّ دالة الثمن مرهونة بتقابل وتقاطع دالة الطلب «**السؤال**» ودالة العرض «**الجواب**»، وهذا بالنسبة للسلع والمنتجات والخدمات العادية أو الأسئلة العادية، أما السلع والمنتجات الخاصة أو الأسئلة الخاصة فإنّ طالب السلعة أو السائل يدفع أعلى قيمة ممكنة ومتاحة لديه بغية اغتناء السلعة أو الخدمة أو الجواب بالنسبة للسؤال. فالذي يحدد قيمة وثمن البضاعة في الواقع الفعلي وإن كان مستتراً، هو المستهلك «**الطالب**» أو السائل؛ أي كينونة «**السؤال**». وعندما يتم إنتاج البضاعة أو الجواب حسب طلب وسؤال المستهلك

(1)- أي أحاطوا.
(2)- الكافي: 1/ 32.

أو السائل، يتم تعيين قيمة وثمن كل من السؤال والجواب معاً. وباصطلاح الاقتصاديين تقابل الطلب والعرض، أو السؤال والجواب، وذلك كما هو موضح في الرسم البياني التالي:

الخطاطة التوازنية والتعادلية للوحدات الوجودية المعرفية للكائن البشري

الخطاطة التوازنية والتعادلية للوحدات الوجودية المعرفية للكائن البشري

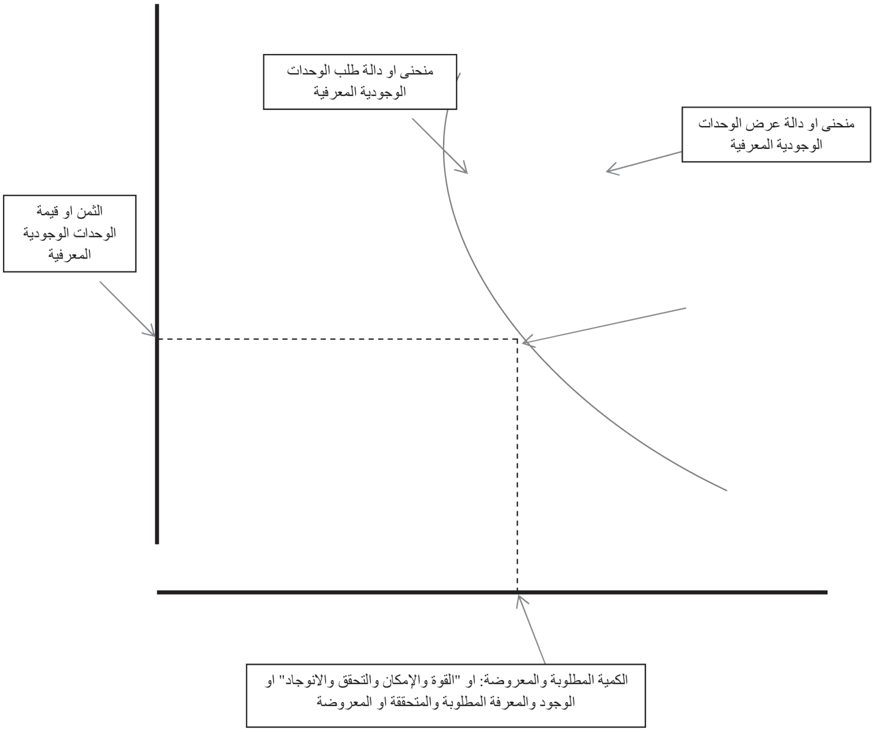


وقد يقع الغبن في العملية التبادلية بين الطلب والعرض أو البائع والمشتري أو السائل والمجيب، وذلك عندما يحصل اختلال من أحد الطرفين، فقد ينتج المنتج جواباً أو بضاعة قيمتها الاستهلاكية والاستعمالية والاستثمارية أو «**معرفية**» جداً أكبر مما هو مطلوب من حيث الجودة والتعقيد والصلابة والسرعة والقدرة والحجم والسعة من قبل المستهلك أو الطالب أو السائل، مما لا يستوعبها وعاء الطالب والسائل أو «**كينونة**

«**الطلب والسؤال**» وإن اشتراها المستهلك بثمن أقل، فإن وعاء الطلب «**السؤال**» لا يستوعب تلك البضاعة أو «**الجواب**» ولا يستفيد منها، لمحدودية وعاء السؤال بالأساس، ما يوقع المنتج أو المجيب إما بغبن بيع بضاعة وجواب بثمن بخس، أو إنه أهدر المال والجهد وعناصر إنتاج البضاعة أو «**الجواب**»، ما يناقض قوانين الاقتصاد وقوانين اقتصاديات المعرفة. أو أن يقع المستهلك أو «**الطالب**» و«السائل» أو كينونة السؤال» في الغبن، فاشترى بضاعة أو «**جواباً**» أقل قيمة وسعة وحجماً لكينونة السؤال بنفس الثمن المعلن في السوق البضاعة والمعرفة. والشيء الذي يحقق الامتياز والفائدة والجدوى لكل من السؤال والجواب أو المستهلك والمنتج هو التوازن والتعادل والتساوق والتماهي بين وعاء السؤال والطلب والبضاعة والجواب. الأمر الذي يدعي أولاً وآخراً الاهتمام بكينونة الطلب والسؤال وتوضيح غاياته وتوظيفاته بشكل واضح وجلي ودقيق، حتى يقوم المنتج والمجيب بأن ينتج البضاعة والجواب تبعاً لدالة الطلب والسؤال، أو أن يقوم المنتج والجواب بطرح بضاعته وجوابه بشكل يثير المستهلك والسائل والسؤال دهشة واستغراباً وحيرة وإحراجاً ليولد منظومة تساؤلات من كينونة الجواب والبضاعة المنتجة، لكي يتسع وعاء السؤال، ويمكنه من احتواء واستيعاب كينونة الجواب. وهذا ما نؤكده، أن المحرك الأساس هو السؤال وليس الجواب بالرغم من أهميته وضرورته، لأن الجواب هو نتاج السؤال، وهو انعكاس مرآوي له.

إذاً عظمة كينونة السؤال وقيمتها مرهونة بعظمة موضوعه الذي يضفي قيمة على الجواب والمعرفة والعلم وبالتالي يمنح قيمة للتواضع. وعلى الكائن البشري إذا ما أراد أن يعظّم قيمة السؤال والجواب والتواضع أن يختار موضوعاً تثوي في بنْيَته أعلى قيمة معرفية وعلمية، لا يوجد موضوع يتصدر قائمة الموضوعات والكائنات والموجودات بشكل مطلق ولا متناهٍ، إلا الله سبحانه وتعالى، ومن ثم يليه نسبياً ذات كينونة الكائن البشري، والكينونات الطبيعية والملكوتية الأخرى. وعليه، فمن لم يجعل، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا بصورتها التكوثرية

والتوحيدية مركزاً وبؤرة ومحوراً تتمركز وتتبأر وتتمحور كافة الموضوعات والمفاهيم والأفكار والرؤى المعرفية والوجودية، فإن كينونة ومنظومة السؤال وسؤال السؤال وكذلك المشكل والإشكال وحمولاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والسسيولوجية والسيكولوجية إما أن تكون ناقصة أو مشوهة متبعثرة ومتنافرة، أو تحمل قيماً سلبية وتناقضية تبتعد عن دائرة الحق والحقيقة، وفقاً لسلّميتها الراتوبية التي تتدرج من الاختلاف والتمايز والتغاير مروراً بالتضاد والتقابل والتطابق والتناقض ومتموضعاً في دائرة المزايلة. والعكس هو الصحيح، فحينما تتبأور وتتمركز وتتمحور منظومة السؤال وسؤال السؤال حول موضوع أسماء وصفات الله تعالى وموضوعاته من «**التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد**»، هي التي تضفي عظمة مقام وشأن مقال كينونة السؤال والجواب وما يترتب عليه من معرفة وعلم للحق والحقيقة، وذلك وفق سلّميته الراتوبية التي تتدرج من المشابهة والمشاكلة والمضارعة مروراً بالمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة ومتموضعاً في دائرة المطابقة. وعليه، يتم إسدال الستار والاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء لعظمة دائرة وطول قطر دائرة جهل الكائن البشري أمام عظمة وكبرياء وعلم وقدرة الله سبحانه وتعالى المطلقة واللامتناهية، ما يزيد الكائن البشري تواضعاً وذلاً وعبودية وحقارة وضعفاً ونقصاً، ما يملي على الكائن البشري مزيداً من طلب العلم والمعرفة؛ أي مزيداً من السؤال وسؤال السؤال، الذي يمنحه مزيداً من العلم والمعرفة، فينكشف له ما كان مخفياً ومستتراً من الجهل والنقص، فيزداد تواضعاً وحقارة وعبودية، وهكذا دواليك.

فالسؤال وسؤال السؤال المتحور والمتمركز حول ذاته وربه يمنحه الجواب والعلم والمعرفة لذاته وربه. ولعظمة وإطلاقية وكمال وجمال الله التي اندكت وعُجنت تكوينياً وفطرياً أسماؤه الحسنى وصفاته العليا في بنيَة كينونة الكائن البشري بالقوة والإمكان، فإن معرفة ذاته النسبية موصولة لمعرفة ربه المطلقة، ما يتجلى له أنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذلّ من كل ذليل، وأقلّ من كل قليل بذاته، وأنه لا يليق به إلا

التواضع والذلة والمهانة، وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله... فهذا هو منشأ ومصنع وابتكار وإبداع وصياغة منظومة السؤال وسؤال السؤال الكبروي والكبّار الذي يليق بعظمة وشأن الكائن البشري.

### 14.4.3 الغاية ودوالّ قيم كينونة السؤال:

بادئ ذي بدء، نود التنبيه إلى ملحوظة في غاية الأهمية والخطورة مفادها، أن بحثنا حول المقاصد الشرعية هنا ليس المقصود بها كما هي مبحوثة في بحوث الفقه والأصول لمعرفة علة أو ملاك الحكم الشرعي من المصالح والمقاصد الثاوية في النصوص والأحكام الشرعية، بغية استنباط أحكامها من حيث الحلال والحرام أو المستحب والمكروه أو المباح. البحث في هذا المجال خارج عن موضوعنا تماما، وهو بحث في غاية الدقة والخطورة والأهمية. وبالرغم من أن البحوث الفقهية والأصولية منذ القدم قد تناولت هذا الموضوع بحثا وتنظيرا وتطبيقا.

إنَّ لكينونة السؤال حياة وهوية وجوهر وشخصية وغايات وأهداف متميزة، تستلزم مراعاة خصوصيتها الحيوية المعرفية والوجودية الدينامية عند التعامل معها، بغية تحقيق غاياتها التوسطية والتفاعلية والترابطية والتواصلية والتداولية بين كينونة الكائن البشري وذاتها أو بينها وبين الكينونات الكائنية الطبيعية والملكوتية في الكون، وهذه العلائق والروابط لا بد أن تكون حميمية وصميمية مبنية على الاحترام والتقدير المتبادل في سياق آداب متميزة يقتضي حضورها الدينامي والديمومي القوي في أي حوار استعلامي واستفساري واستنطاقي بين الكينونات الوجودية المختلفة، ومما لا شك فيه أن الالتزام بشروط وآداب السؤال والجواب له نتائج إيجابية في غاية العظمة والأهمية القصوى والتأثير البليغ على السائل والمُجيب، ومن هذه الآداب والشروط ولوازمها المنطقية والعقلية والشرعية والنفسية والمعرفية والوجودية والأخلاقية.

ويمكن لغاية كينونة السؤال أن تحمل حمولات غائية متجهة إلى مختلف كينونات

الكائنات الوجودية في الكون. وتزداد قيم وأوزان وأثقال كينونة السؤال، تبعاً للغايات المرسومة في سهم كينونة السؤال ومحاور ومناطق الاستهداف. وهذه الدالة القيمية تخضع لسُلمية راتوبية تتدرج القيم من غاية السؤال على النحو الذي موضوح في الخطاطة الأولى:

غاية فردانية ذاتية - غاية مجتمعية تشميلية ـ غاية تاريخية صيرورية - غاية إنسانية عالمية - غاية كونية كلية - غاية إلهية صرفة.

فعلم فلسفة كينونة السؤال أو «**فقه السؤال**» غايته استعلام واستفسار واستبيان واستنطاق كينونة الذات الجوانية والموضوعات البرانية، بغية إسدال الستار والاستررار والاستتار والانحجاب والانوراء عن مجهولاته ومطلوباته. ولكن هذه المطالب والطلبات ليست متناهية ولا محدودة بحدود معينة، إلا إذا قام نفس السؤال بوعي أو بلا وعي أو بجهل أو بعلم بتعيين حدودها ورسم محيطها وسياج حقولها المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والاجتمعرفية والنفسمعرفية، وبالتالي تعيين وتثمين وتقويم وتقييم قيمتها.

إذاً تتدرج قيم دوال كينونة السؤال تبعاً لغاياتها وفق سلّميتها الراتوبية التكاملية والتشميلية والتوحيدية، تبدأ قيمتها من غاياتها الفردية والذاتية الحقيقية، وتتدرج تعالياً وتسامياً وتكاملاً إلى مرتبتها المجتمعية المستهلكة فيها غاياتها الذاتية والفردانية، ومن ثم تسمو لتتضمن كينوناتها التاريخية المجتمعة فيها الكينونات الاجتماعية، وتتعالى درجة ومرتبة فوق كينوناتها التاريخية لتتضمن كينوناتها الإنسانية، وترتفع علواً كبيراً حين تثوي كينونتها الإنسانية في كينونتها الكونية، وتتكامل تكاملاً كبّاراً حينما تتجه غايات كافة الكينونات المستهدفة في السؤال باتجاه كينونة واجب الوجود ومطلق الكمال والجمال والمثل الأعلى اللامتناهي.

كينونة السؤال الحقيقي والموضوعي والفطري والإنساني والعقلاني والعرفاني

والشرعي، هي كينونة تحمل في بِنْيَتها العميقة حمولات تحفيزية وتوجيهية ودافعية وإرشادية معرفية متعالية، ووجودية تكاملية وأخلاقية جمالية جوّانية بالقوة والإمكان والاحتمال، التواق للتعالق والتجاور مع مطلق المطلقات وكمال الكمالات الوجودية، وهي كينونة لا مساماتية ولا فارغة، بل ممتلئة بعلاقات حميمية وصميمية، تربط عناصرها ومكوناتها المختلفة والمتباعدة والمتشتتة بعروة التوتر، وانبساط القلق، وبمحطات وجسور الانتظار الإيجابي، وبتمدد الطموحات، واستطالة الآمال المستقبلية والماورائية المتعالية على الواقعيات الراهنة، التي لا يستقر لها مقام، ولا يسكن لها سكون، ولا يسكت لها سكوت، بله هي في كل لحظة زمانية في شأن آخر، وفي حالة صومتة «**نطق وصمت**» ديناميكية ديمومية مدوّية تجري في مجراها الأبستيمولوجي والأنطولوجي والأكسيولوجي التكاملي التطابقي، وفق مراتب ومراقٍ سُلَّمية راتوبية تتدرج من المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة والمطابقة، بين كينونة السؤال وحمولاتها الثاوية بالقوة، وبين كينونة جوابها وردها الفعلي والانوجادي والتحققي والإنّي. وخلاصة القول، السائل الصائب هو من لا يسأل إلا بغرض تنمية المعرفة وزيادة العلم النافع والعمل الصالح، وجلب المنفعة والمصلحة والخير الفردي والمجتمعي والتاريخي والإنساني والكوني، ويتجنَّب طرح الأسئلة السخيفة، أو التي ليست لها قيمة علمية أو معرفية، أو قيمتها العلمية والمعرفية والخيرية لا تتناسب ولا تتساوق مع قوانين وسنن وأحكام اقتصاديات المعرفة والعلم النافع والعمل الصالح، فقد قَالَ أمير المؤمنين علي عليه السلام لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ مُعْضِلَةٍ: «**سَلْ تَفَقُّهاً وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً**[1]، **فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ**[2]**شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ**».[3] وَسَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّه الإمام جعفراً الصادق عليه السلام عَنْ طَعْمِ الْمَاءِ؟!

(1)- أي لا تسأل لغير الوجه الذي ينبغي طلب العلم له كالمغالبة والمجادلة.

(2)- التعَسُّف: الأخذ على غير الطريق، والظلم.

(3) - نهج البلاغة: 531، طبعة صبحي الصالح.

فَقَالَ: «**سَلْ تَفَقُّهاً وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً، طَعْمُ الْمَاءِ طَعْمُ الْحَيَاةِ**»[1] فلذلك ينبغي على السائل أن يتوخى النفع والفائدة من سؤاله، كما ينبغي عليه تجنب طرح الأسئلة التي لا أثر لها في حياته الدنْيوية والديْنوية ، ولا تجلب له نفعاً معنوياً أو مادياً.

### 14.4.4 دوالّ قيم كينونة السؤال وسؤال السؤال:

إن قيمة الأشياء والأقوال والأفعال دالة في عدة متغيرات وعناصر منها مادية وأخرى معنوية، ومنها فردية وسيكولوجية وأخرى اجتماعية تاريخية، ومنها ذاتية طبيعية وأخرى مكتسبة مصطنعة مثل الخصائص الفيزيائية والكيمائية والهندسية، أي سمة الأشياء التي تشبع غرضا معينا وقابلا للتداول، ومنها حسية وأخرى عقلية وعرفانيّة غيبية مثل السعادة والجمال والكمال، ومنها دنيوية وأخرى دينويّة، وبلغة الاقتصاد منها تبادلية وأخرى استعمالية كالمنفعة والخيرية والتي تتطابق لشيء ما مع الحالة التي يحددها الفرد لهذا الشيء، ويمكن أن تكون شيئا مختلفا عن الجدوى في آفاقهما الزمكانيّة، ومنها تتعلق بالعرض والطلب والندرة ورغبات وحاجات الإنسان المختلفة سواء المادية أو المعنوية منها، وبمختلف مستوياتها ومراتبها المقاصدية من الواجب والمندوب أو المستحب والمباح أو الحرام والمكروه والمباح تركه، أو في صوْرنة حفظ الدين والنفس والمال والنسب والعقل، ومنها كمية ونوعية عناصر الانتهاج المكونة منها الأشياء المصنوعة أو الأفعال والأقوال المنتجة مثل العمل ورأس المال والأرض والتنظيم والمعرفة التي أضيفت أخيرا إلى العناصر التقليدية الرابعة. هذه جملة من العوامل والعناصر الكمية والنوعية التي قد تتداخل بعضها مع بعض وتشكل بنية قيمة الأشياء والأفعال والأقوال.

وعليه، نستنتج أن مكونات وعناصر القيمة «Value»، وكذلك عملية التقويم نفسها «Valuation»، أي اكتساب قيمة أو إكساب قيمة، عملية مركّبة ومعقدة، وديمومة دينامية

---

(1) – الكافي: 6 / 381.

متحركة، ونسبية متغيرة، وتشميلية كلية، ولها آفاق شاقولية عميقة وعرضية ممتدة في صورنتها الزمكانيّة، الأمر الذي يستلزم أن يتم تبيان بنيتها التحتية والفوقية في صور خطاطات نسقيه أو شجرية أو عنكبوتيه «**كواين**» متكاملة تتضح ترسيماتها ومساراتها وسماتها وعلائقها وتفاعلاتها سواء في دائرتها الخاصة أو المتحاقلة أو المتماسة أو المجاورة أو القريبة أو البعيدة منها وفي جميع عوالمها الممكنة.

إذاً، لكل شيء أو موضوع أو كائن ما كان ثمن وقيمة تقدّر، وفق حمولات دوالّها الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والسسيولوجية «**الاجتمعرفية**» والسيكولوجية «**النفسمعرفية**»، وتبعاً لأهميتها الاستهلاكية والاستعمالية والتيلوجية «**الغائية**». فما هي قيمة كينونة السؤال؟ وما هي دوالها وعواملها وعناصرها المحددة لها؟ وما هي موازين ومقاييس قياسها وتقديرها؟ وماهي سُلّميتها الراتوبية؟

## 14.4.5 السُلَّمية الراتوبية لقيم كينونة السؤال وسؤال السؤال:

تتموضع كينونة السؤال من حيث قيمتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والسسيولوجية والسيكولوجية في خمسة تموضعات كما هي موضحة في الخطاطة التالية.

توضح الخطاطة أعلاه السُلمية الراتوبية لدرجات وقيم كينونة السؤال الثماني، وهي: إما أن تتموضع كينونة السؤال في قاع درجات سلّميته الراتوبية التشميلية والتكاملية والتوحيدية، أي لها قيمة تعاضدية إيجابية تأخذ درجة المشابهة «+10» والمشاكلة «+20» والمضارعة «+30» بين قيمتها الصورية وحمولاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والسسيولوجية والسيكولوجية الحقيقية والحقة نظرياً وعملياً، وبالتالي تصبح قيمتها المعرفية والوجودية جد متواضعة وجد هابطة نسبة إلى الإمكانات والطاقات التي سخرها سبحانه وتعالى للكائن البشري، وإما تزيد

قيمتها بشكل تتدرج من المضاهاة «+40» والمماثلة «+50» والمجاورة «+60» والمناظرة «+70» و.... والمطابقة «+100» بينهما، وهي أعلى درجات قيمة كينونة السؤال، وإما لها قيمة صفرية «0» أي لا قيمة موجبة ولا سالبة لها، وإما لها قيمة سلبية وتناقضية منخفضة تأخذ قيمة الاختلاف « – 10» والتمايز «– 20» والتغاير«– 30» بينهما، أو قيم تناقضية سلبية كبيرة كبّارة تتدرج من التضاد «– 40» والتقابل «– 50» والتطابق «– 60» والتناقض «70–» و.... والمزايلة «– 100» بينهما، وهذا أخطر الفيروسات المعرفية والأنطولوجية التي تنخر في نسيج وكيان ووجود كينونة السؤال وكينونة الكائن البشري معرفياً ووجودياً وأخلاقياً وقيمياً، والتي مآلاتها سكون النفس وعلتها وجنونها أو موت كينونة القلب والعقل والحواس. وبِمَكْنتنا توضيح هذه الدرجات التطابقية والمزايلة لقيم حمولات كينونة السؤال المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والاجتمعرفية والنفسمعرفية و.... في الرسم البياني التالي:

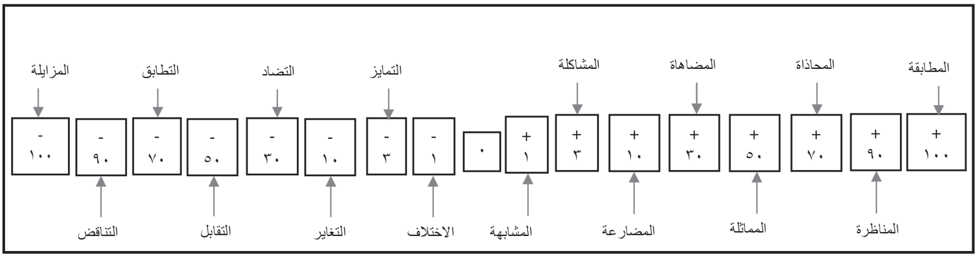


## 14.4.6 السُلَّمية الراتوبية لقيم كينونة السؤال وسؤال السؤال اللاواعي:

عندما يدخل عنصر اللاوعي على السُلَّمية الراتوبية لقيم كينونة السؤال وسؤال السؤال، إما ينقص من قيم مراتبها ومراقيها التعاضدية الموجبة أو يغير القيم الموجبة ومراتبها التعاضدية لتصبح قيماً سالبة من جهة، ويضاعف القيم السالبة لمراتبها التناقضية قيمة وخطورة وضعفاً وتشتتاً وتباعداً عن الحقيقة والحق، من جهة أخرى، وذلك كما هي موضحة في الخطاطة التالية:

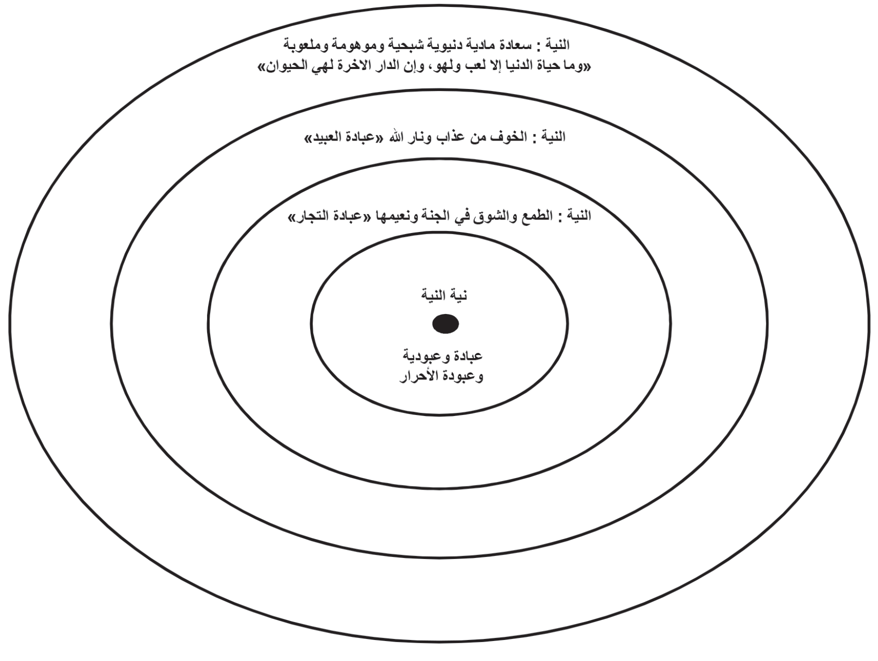


**السلمية الراتوبية التي تبنى عليها مراتب ودرجات فعل النية وفعل العمل وفعل السؤال وفعل الجواب.**

إن ولوج عنصر اللاوعي في كينونة السؤال يؤثر سلباً ويقلب الموازين والمعايير سواء في كينونة السؤال أو مساءلته وتساؤلاته الاستفسارية والاستنطاقية لسؤال السؤال ولمشكلاته وإشكالاته المختلفة، وخطورته أشد فتكاً وأبعد استطالة وأعمق تجذراً وأكثر انحرافاً وتشتتاً وتباعداً وتضاداً وتناقضاً لحمولات كينونة السؤال الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والسسيولوجية والسيكولوجية الثاوية في بنّيتها العميقة عن الجهل والجهالة في كينونته، فيتطابق الحال مع مصداقية الآية القرآنية الكريمة: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾**.(1)

(1)– المرجع: القرآن المجيد، سورة البقرة، الآية 11 ـ 13.

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن جملة ﴿**وإذا قيل لهم**﴾ عطف على جملة «**في قلوبهم مرض**»؛ لأن قوله: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**﴾ إخبار عن بعض عجيب أحوالهم، ومن تلك الأحوال أنهم قالوا ﴿**إنما نحن مصلحون**﴾ في حين أنهم مفسدون فيكون معطوفاً على أقرب الجمل الملزمة لأحوالهم وإن كان ذلك آيلاً في المعنى إلى كونه معطوفاً على الصلة في قوله: «**من يقول آمنا بالله**» و(إذا) هنا لمجرد الظرفية وليس تم تضمنه معنى الشرط كما أنها هنا للماضي وليست للمستقبل وذلك كثير فيها كقوله تعالى: «**حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر**»[1]. ومن نكت القرآن المغفول عنها تقييد هذا الفعل بالظرف فإن الذي يتبادر إلى الذهن أن محل المذمة هو أنهم يقولون ﴿**إنما نحن مصلحون**﴾ مع كونهم مفسدين، ولكن عند التأمل يظهر أن هذا القول يكون قائلوه أجدر بالمذمة حين يقولونه في جواب من يقول لهم «**لا تفسدوا في الأرض**» فإن هذا الجواب الصادر من المفسدين لا ينشأ إلا عن مرض القلب وأفن الرأي وفساد السريرة والغفلة والنسيان وانطفاء جذوة الفطرة، لأن شأن الفساد أن لا يخفى، ولئن خفي فالتصميم عليه واعتقاد أنه صلاح بعد الإيقاظ إليه والموعظة إفراط في الغباوة أو المكابرة وجهل فوق جهل «**جهل مركب**» أو «**ميتا جهل**» ونسيان فوق نسيان «**ميتا نسيان**» ولا شعور فوق لا شعور، وهو حالة مرضية نفسية أشد من الجهل والجهل المركب، لكونها حالة نفسية جوانية مخفية لا عن الشعور فحسب، بله عن اللاشعور أيضاً !. ولذلك اعتبر بعض المفسرين أن هذا هو المقتضى لتقديم الظرف على جملة «**قالوا... **»، لأنه أهم إذ هو محل التعجيب من حالهم، ونكت الإعجاز لا تتناهى.

وقد تعبر هذه الآية الكريمة «**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض.....**». أن هؤلاء القوم لا يقفون عند حد الكذب والخداع، بل يضيفون إليهما السفه والادعاء، ولم يكتفوا بأن ينفوا عن أنفسهم الإفساد، بل تجاوزوه إلى التبجح والتبرير: «**قالوا: إنما نحن مصلحون**» إما عن علم أو جهل أو لا شعور، وهو أشد عصيّاً وإخفاءً واستتاراً واستراراً

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة آل عمران، الآية 152

وانحجابا وانوراءً عن الذات والشعور.

والذين يفسدون أشنع الفساد، ويقولون: إنهم مصلحون، لا نحتاج إلى كثير جهد وتجشم ناء لمشاهدة مصاديق هؤلاء في عصرنا الحاضر الذين كثر من أمثالهم انكشافا بسبب تطورات وسائل الاتصال والنقل، هؤلاء اليوم لهم شأن عظيم وسلطة واسعة ومال وفير ومقام محمود عند حكام وسلاطين الكفر والباطل والزور والنفاق والظلم، رافعين راية الاستخلاف والدعوة والإسلام دفاعاً مستميتاً بكل ما أوتوا من قلوب مصفوفة العلم والإيمان والشعور والإدراك والوعي والتقوى والنور والحكمة والعدالة، وذلك بحكم تقلب واختلال وتعاكس موازينهم، وتضاد وتناقض مقاييسهم ومعاييرهم وتمايز وتقابل مؤشرات بوصلة صيرورتهم. ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد وتعششت فيروسات الذاتية والأنا وحب الدنيا والجبن والخوف والنسيان والغفلة في بنيَة النّية والغاية الثاوية في كينونة السؤال والمساءلة لدى كينونة الكائن البشري، اختلت سائر الموازين والمعايير والمساطر وقيمها المعرفية والوجودية والأخلاقية والاجتمعرفية والنفسمعرفية. والذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم، لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يتوب إلى قاعدة ربانية.

لقد استجمعت واستغرقت كافة مآلات حالات التدرجية السابقة في بؤرة ظلمات كينونة الكائن البشري لتنطق بأنهم ليسوا بمفسدين، بل إنهم مصلحون، في حين هم عين الفساد والظلم ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فساداً[1]، أي لا يعلمون أنهم مفسدون لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح. وقيل لا يعلمون ما أعد الله لهم من العقاب الشديد والمصير البائس. فهم مصابون بمرض موت الحياة والقلب والعقل والحس، نتيجة اختلال وانقلاب وتضاد وتناقض موازينهم ومقاييسهم،

(1)- جعفر عباس حاجي: «سلسلة موانع المعرفة» اللاشعور وأثره في تحريف الحقيقة والحق، مطبعة كويت تايمز، 1985، الكويت.

وهذا أشد أنواع العقاب والجهل والظلم والفساد الذي يُبتلى به المنافقون في الدنيا وفي الآخرة، وجزاؤهم الخلود في قعر جهنم وبئس المصير.

لو تُؤمل حق التأمل في استنطاقات الآيات القرآنية المجيدة التي تتناول حالات الشعور واللاشعور والعلم والجهل، نجد أنها تبين الكثير من الحقائق ذات سُلَّمية راتوبية لدرجات ومراقي العلم والجهل والشعور واللاشعور تبدأ من درجة الجهل والشعور البسيط من حيث الاختلاف والتمايز عن العلم والشعور الواقعي والحقيقي لتتعمق وتتسع درجة الجهل واللاشعور إلى حالات التغاير والتضاد والتقابل والتطابق بينهما، ومن ثم تزداد درجاتهما السلبية والتناقضية إلى حد التناقض والمزايلة. وهذه أخطر حالات الجهل واللاشعور إذا ما استحكمت قواها وتموضوعاتها في كينونة الكائن البشري، حيث إنها تقلب الموازين والمعايير والحقائق وتُبدل الخيط الأبيض بالأسود، الديْنوي بالدنْيوي، المطلق بالنسبية، والبؤرة بالأطراف، والكل بالأجزاء، والغيب بالشهود، والثابت بالمتغير، والباطن بالظاهر، والمحكم بالمتشابه، والمركز بالمحيط و....إلخ، وما مآلات هذه الحقائق منفردة أو مجتمعة إلا أن ترى الظلام نوراً، والجهل علماً ، والباطل حقاً، والكذب حقيقة، والخطأ صواباً، والفساد صلاحاً والعكس أيضاً صحيح عند هؤلاء القوم.

### 14.5 دوال الوحدة والتكامل بين العمل والنيّة والغاية والهدف والغرض:

إن القيمة المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية والفنّية لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، تُقدَّر وتُقوَّم بمقدار ما تحمل في طياتها وثناياها من التكوثرات المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية في عين وحدتها ووحدتها في عين تكوثراتها، وما تحمل من قيمة للغرض والهدف والغاية المنشودة إليها، وكذلك ما تحمل من نيّة وإيمان بالعمل بالسؤال وفق سياقاتها الزمكانية المختلفة وعوالمها المتعالية والوعي والإدراك بالمسؤولية الاستخلافية الإنسانية المعقودة والمعهودة

والخاتمية المحمدية ﷺ الكونية الخالدة والانتظارية المهدوية الموعودة ﷺ والاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة والجامعة للشرائط الممهدة للولاية العصموية المنتظرة.

هذه القراءة التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية لكينونة السؤال وتأسيساتها وتأصيلاتها وتأثيلاتها الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية هي دالّة في تشكيل وتكوين بنيَة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، ودالّة في سعة واستطالة وعمق وامتداد السؤال. فهذ القراءة هي مقدمة تنظيرية لبناء النيّة التي تؤسس بمقتضاها أصالة وأثالة السؤال الخيّر والمفيد والصالح الأصيل والأثيل والحقيقي والحق، التي تشكل مكونات وسياج وبيت وظرف ورحم الجواب، وتحدد طبيعة وماهية استكانة الجواب المنتظر؛ أي المظروف والجنين والأثاث والمولود للسكن والتموضع في كينونة السؤال لعناية ورعاية الجواب والتصاهر والتزاوج معه وتوليد السؤال المتعالي التالي الذي يخضع لنفس معادلة الفيوضات الإلهية والآلاء الربانية اللامتناهية، وذلك لكونه مرتبطاً ارتباطاً عضوياً ولزومياً مع مصدر الفيوضات ومنبع الآلاء اللامتناهية والمطلقة من حيث العطاء والاستفاضة، وفي جميع الأزمنة والأمكنة وبصورة دينامية مستمرة وبوتيرة متواليات هندسية ربانية قد يعادل العمل الواحد البسيط للسؤال البسيط في نظر الإنسان ولكنه كبير وكبّار من حيث حمولاته من النّية الصادقة والمخلصة والغرض النبيل والهدف العظيم والغاية السامية، فتتجلى من السؤال فيوضات معرفية ووجودية تحيي منظومة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، بله، تحيي كينونة الذات وتحيي أمة بكاملها.

فالمسألة كلها تتعلق من يمأسس ويؤصل ويؤثل فقه فلسفة وعلِمنة وعرّفنة ووحينة كينونة السؤال وقراءتها قراءة نقدية واعية ومخلصة للسؤال. وهذا الأمر، يتطلب بناء العزم والإرادة والنيّة وتحديد وتعيين وتحيين الغرض والهدف والغاية من السؤال، لكي

تقوم عدسات القراءة النقدية في حفر حفريات كتاب السؤال الكبّار الذي يعكس مرآوياً كتاب الذات والكون الكبّار جينيولوجياً وأيكيولوجياً وأركيولوجياً.

فالقراءة التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية بعدساتها الرؤيوية الاستكشافية والاستبصارية والاسترجاعية التغذوية والاستشرافية والتفكيكية والتركيبية والتراكبية والتكوينية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية، المصحوبة بالعزم والإرادة والنيّة الصالحة والغرض والهدف والغاية هي مصداق حقيقي لوحدة كينونة السؤال وكينونة الجواب وكينونة الذات وكينونة العمل الصالح وتكوثرات منافع السؤال وفوائده المتبأورة في نواة ذلك السؤال بالقوة والمتحققة بالفعل والعمل بالسؤال، التي بمجرد تثوير نواة السؤال تشظي منها تلك المنافع والفوائد الأصيلة في صورة سلسلة متوالية هندسية سواء مباشرة أو غير مباشرة أو مرئية ولا مرئية، والتي تعتمد على الرؤية التبصيرية والنظرة العقلانية والمشاهدة العرفانية والقراءة التجريبية التلومايسكترسكوبية لها، وتطابقاتها وتساوقاتها مع المعرفة الوجدانية والوحيَانية المعقّلنة والمشرْعنة الثاوية في كينونة السؤال.

الفصل الخامس عشر

# التأثيل والتأسيس والاستكشاف والتهجين والاستيراد لكينونة السؤال

## 15.1 مقدمة :

إن عملية تجسير وتوصيل حمولات كينونة السؤال المعرفية والوجودية، من مفاهيم ومضامين وأفكار ونظريات وحقائق، سواء المنقولة والمستوردة خارجياً، أو المنقولة والمستورد تراثياً داخلياً، أو المأصولة عقائدياً ودينياً وفقهياً وتشريعياً، الغرض منها وصل المنقول أو الفروع والجذع والجذر. وهذا الوصل والترابط والتوشج له مسميات متعددة وإن تباينت بنِّياتها وغاياتها ووظائفها ودلالاتها واستدلالاتها وتركيباتها وبناءاتها المعرفية والوجودية، إلا أنها جميعاً تبتغي الوصل والاتصال والاستقطاب والاستجماع والتحاقل والتبأور لها في البؤرة والمركز والقطب المنسوبة إليه.

هذه المنظومة المفاهيمية تشكل إطاراً وفهماً في غاية الأهمية ومنتهي الخطورة، عندما يتعامل المفكر والمثقف والفيلسوف والفقيه والعارف والعالم مع الفكر والثقافة، وخاصة فيما يتعلق بالمثاقفة والمعاصرة والحداثة، وهي مصطلحات ومفاهيم تحمل حمولات أبستيمولوجية «**معرفية**» وأنطولوجية «**وجودية**» وأكسيولوجية «**أخلاقية وقيمية**» وسسيولوجية «**اجتمعرفية**» وسيكولوجية «**نفسمعرفية**» وتيولوجية «**غائية**»، لها دلالات مضامينية ومعنوية، واستدلالية وتداولية وتواصلية وتركيبية بنائية، وتمتلك من الأدوات والوسائل والأساليب والسياسات والاستراتيجيات الأبستيمولوجية والأنطولوجية، وبينهما نقاط الائتلاف والتقاطع والتحاقل والتجاور والتماس من جهة، ونقاط الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتعاكس والقلب، ونقاط التقارب والتباعد بينها، من جهة أخرى. وفيما يلي تبيين بعض هذه التقاطعات والاختلافات والتقاربات والتحاقلات بينها.

## 15.2 آليات توليد السؤال والتساؤل:

نلقي نظرة على الدلالات التأسيسية لبعض ممارسات السؤال والتساؤل لأنها تكشف الآليات التي اعتمد عليها السائل ومنهاجية تفكيره في توليد السؤال في لحظة ميلاده.

- المنهج السقراطي في طرح السؤال: إضافة إلى أفكاره السالفة الذكر، تميز سقراط بمنهج خاص في البحث عن الحقيقة أثناء المحاورة، ويعتمد هذا المنهج على مرحلتين:

**التهكم**: حيث يصطنع سقراط الجهل بداية، ليدفع محاوره إلى إلقاء وعرض معارفه وأجوبته التي لا يلبث سقراط أن يخضعها لامتحان دقيق وأسئلة محرجة تظهر تناقضها أو عدم كفايتها وملاءمتها، فلا يجد المحاور بعد عدة محاولات بداً من الإقرار بجهله.

**التوليد**: بعد المرحلة السلبية الهادفة إلى تحطيم الاعتقاد البديهي بامتلاك المعرفة، تصبح النفس قابلة لاكتشاف المعرفة التي يكون مصدرها الذات نفسها، وبعبارة أخرى لم يكن سقراط يلقن المعرفة بقدر ما كان يساعد المحاور بواسطة أسئلة مرتبة بعناية على استخراج المعرفة الكامنة في نفسه. فإذا كانت أمه تساعد الناس على وضع حملهن، فهو يساعد العقول على إخراج معرفتها الكامنة !!

المحاورة كشكل للممارسة السؤال الفلسفية: لم يترك سقراط عملا مكتوبا، وقد خلد تلميذه أفلاطون أفكاره في محاورات تحمل كل واحدة منها اسم محاور سقراط مثل هيبياس، فيدروس، ليزيس... ومن مميزات الشكل الحواري أن الحقيقة لا تغدو تلقينا بل نتيجة لبحث مشترك نعترف فيه للمحاور بدور في بنائها.

### 15.2.1 بِمَكْنتنا اختزال سؤال السؤال وإجابة الجواب في المسلكين التالين:

**أولاً**: مسلك الشك المعرفي اللحظي المؤدى إلى اليقين التدريجي التكاملي، وليس الشك اللاأدري المستمر السفسطائي، أو مآلات حالة ما بعد الحداثة من اللامعنى

واللانص واللامفكر واللاثابت واللامطلق واللامحكم واللايقين واللاحقيقة واللامركز واللاأيديولوجيا واللادين واللاإله.

إذاً ليس هناك مانع معرفي ووجودي من أن تؤسس كينونة الكائن السؤالي والإشكالي وكينونة الكائن الذاتي على قاعدة الشك واللايقين البدئي السابق وليس اللاحق.

**ثانياً**: إن سلسلة اللايقين والشك المسترسلة السابقة لا بد أن تنتهي إلى معرفة يقينية لاحقة واحدة على الأقل من حيث عدم الشك بكينونة الشك، وإقرار كينونة اليقين بانتهاء سلسلة اللايقين. فمهما حاولنا الهروب أو إقصاء اليقين فإنه كينونة حاضرة أبدية ديمومية ثاوية في ادعاءات اللايقين والشك المطلق. فالشك واللايقين اللاحق يمكن اعتباره مسلكاً جدلياً لتوليد وصياغة السؤال الإشكالي التساؤلي وطرحه واستثارته معرفياً وزعزعة مركزيته ويقينيته الساذجة أو الواهية والشبيهية في أفقه العرضي للتوصل إلى ذلك السؤال بحمولاته المعرفية اليقينية التطابقية الراتوبية والتدرجية التشميلية والتكاملية التوحيدية في سلّميته ونسقيته ونظْميّته الطولية. فمنظومة السؤال والمساءلة والمشكلات والإشكالات التصورية بحمولاتها المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية لها بعد تثبيت بنْيَة السؤال وتحديد نسقيته وتعيين نظْميّته التأسيسية، وتبيان معالمه النسبية والمتغيرة والشهودية والدنْيوية، وتشابهاته وهوامشه وأطرافه وأجزائه المآسسة على مرتكزاته اليقينية والثبوتية والمطلقية والكلية والمركزية والمحكمية والدِّينوية والغيبية، لا مانع البتة، بل قد يكون ضرورة منطقية ومعرفية عقلانية ووجودية من إعمال الشك واللايقين في حمولات السؤال والمساءلة والمشكلات والإشكالات فضلاً عن الإجابات المتمخضة عنها وتباعاً الأسئلة اللاحقة منها. فمن غير أن يبقى الكائن البشري مستفهماً ومستعلماً ومتسائلاً يجد نفسه وقد تلاشى في فراغات الحطام والعدم أو السكون والسبوت، أو يجد نفسه سادراً في خدَر العبودية والاستلاب، إنه لا يقدر إلا أن يبقى في مدارات السؤال حاضراً ومشككاً وقاهراً ومفكراً وناقداً ومجرباً ومستنتجاً ومخطئاً ومتعلماً، بل وجاهلاً أيضاً، (علينا بشكل دائم أن نكون مستعدين

لاكتشاف أننا قد أخطأنا)، ولكن هذا بالنسبة للبنى المعرفية والوجودية والقيمية الفوقية للسؤال والتساؤل والمشكلات والإشكالات أو لكينونة الكائن البشري، لمرحلة زمكانية محددة إلى أن تتطابق هي مع البنيَة التحتية لها، وبالتالي تتحول من بنيَة فوقية إلى بنيَة تحتية للطابق والمرتبة الأعلى والتي تصبح هي موضع الشك واللايقين حتى تتكامل حمولاته المعرفية والوجودية ويتحقق اليقين والثبات ومطلقاته ونسبانيته، لتشكل بنيَة تحتية يقينية للبِّنية الفوقية لها وهكذا دواليك، يتكامل السؤال الكبروي وتُستجمع وتُستهلك وتُستغرق كافة الأسئلة والتساؤلات والمشكلات والإشكالات في كينونته، كما تُستجمع وتتبأر وتتمحور كافة الإجابات في بنيتها العميقة، وكذلك تُستجمع وتُستهلك وتتبأر كافة الحقائق المعرفية والوجودية في كينونة الكائن المتكامل الذي هو أشرف المخلوقات، وهو الذي انطوى فيه العالم الأكبر، وهو الاسم الأعظم المالك لإرادة الكون بإذن الله ومعيته. ونحن هنا لا شأن لنا مع الفلاسفة والمفكرين الحداثيين وما بعد الحداثيين أو غيرهم ممن أوقعوا أنفسهم في الشكية اللاأدرية والسفسطة من خلال الادعاء بأن كينونة الكائن البشري المعرفي والوجودي والقيمي أصبحَ يعي أن اليقيني والحتمي والمطلق والنهائي اغتيال مبرمج للمعرفة كينونة السؤال وكينونة الكائن البشري ، ولذلك كان عليه أن يتخلق معرفياً في هجير الشك والقلق والنقد والتفكير، لكي يكون السؤال حضوراً فعلياً وتفاعلياً في حضرة المعرفة، إنه بمعنى أدق يستوجب تفعيل حضوره الأنطولوجي الذي يتعالق فكرياً مع رحابة اللايقين واحتمالاته وتفسيراته ومنطوقاته، ويتعالق انفتاحاً وتصالحاً وتوافقاً مع ذاته المفكرة والمتسائلة والناقدة..

وذلك بتأطير هذا الشك واللايقين وتوابعهما المعرفية والوجودية والقيمية في نظرية يقينية وحقائق ثابتة لا يمسها الشك واللايقين البتة، حيث إن كينونة الكائن الإنساني موجود معرفي معنيٌ أصلاً بصناعة الحياة التواقة إلى الخلق والتوثب والتجدد والفعل الإبداعي، أصبحت المعرفة لديه في تمثلاتها الواقعية وفي تعالقاتها المكانية والزمانية، تعني التأسيس الفكري لعقلية الانفتاح على الحياة بشتى ألوانها وتنويعاتها وتشعباتها،

فهي المعرفة التي تتقصد صناعة وصياغة سؤال وتساؤل ومشكلات وإشكالات الحياة الحرة الدافعة إلى التنوع والاختلاف والتكامل، لأنها معرفة مفعمة بالحيوية تنتفض على الاقتصاد والجمود، ولأنها أيضاً معرفة ناطقة تواقة للكمال، تستنطق المعاني والأعماق الثاوية خلف الأشياء وليست خرساء تتلقى حُقن التلقين الديني والوراثي باستسلام وبلادة، ولأنها كذلك معرفة محفزة تتوثب فكرياً في حلبة السؤال والنقد والتفكر، ترفض الخمول والتكلس والارتداد، ولأنها في الجوهر معرفة ترتقي إلى مدارج الاكتشاف بالمجازفة والإقدام والجرأة (وحدهم الذين يقومون بالمجازفة يمكن أن يكتشفوا إلى أي مدى يمكنهم البلوغ)، وهنا مربط الفرس، الوصول والبلوغ لحالة وجودية ومعرفية وقيمية يقينية أو لا يقينية تخضع للشك واللاأدرية والسفسطة؟ إذا قلنا البلوغ هو لحالة لا يقينية ولا محكمة ولا مطلقة البتة فإن قيمتها المعرفية والوجودية محدودة وهامشية ولا تستحق كل هذه الجهود المضنية عبر التاريخ البشري لكي يعيش في دوامة وسلسلة لا يقينيات. أما إذا كان البلوغ لليقين المطلق والثبات التام فإننا أوقعنا أنفسنا في وحل الجمود والتقوقع والركود والسبوت، وهذا يناقض جوهر وماهية كينونة الكائن البشري الساعي إلى الكمال عبر تراكمات درجات ومراتب اليقين المعرفي والوجودي بغية التقرب إلى الكمال المطلق. والحقيقة التي تستوعب المتغيرات والمتشابهات والنسبانية والشكية والهوامش والأطراف والأجزاء، هي تأسيس قواعدها وتأسيساتها الثابتة والمطلقة والمحكمة وعلى بؤرتها المركزية والمحورية التي تستوعب كل منهما وتستجمعها في بنِيَتها ونسقيتها ونظْميتها التشميلية التوحيدية والتكاملية التدرجية. وهي قبل ذلك في الأصل معرفة تنويرية تكاملية وجودية تحمي كينونة الكائن البشري من الجهل بذاته، أي تجعله في عمق ذاته متوازناً معها ومتيقناً من أنها هي التي تفكر بمعية المطلق وهي التي تتعالق موضوعياً وفكرياً مع كمال مسارات الحياة، وليست نهباً للنزعة الجماعية أو الجمعية أو المادية الفردانية، إنها الذات المقتنعة إدراكا حراً بقدرتها التفكيرية والتساؤلية، بها يواجه الإنسان المعرفي الحقائق وعوالم الأشياء، رافضاً ثقافة الاستلاب والوصاية والاستعباد...

من ذلك يتبيّن لنا أن الإنسان المعرفي هو ذلك الكائن الذي يبني عالمه المعرفي استحضاراً فعلياً ودائماً لتجربته الذاتية التفاعلية في اشتباكاتها الفكرية الأولى مع تموجات الشك والسؤال والقلق، بعد أن يكون قد استوعبَ تشبعاً بوعي جمالي مختلف المعارف الإنسانية السابقة، إنه حينها يصبح مفعماً بالاستعداد الذاتي نحو بناء عالمه المعرفي، انطلاقاً من ذاته في تجربتها وعوالمها الخاصة، يستلهم منها طاقة الوعي أساساً جديداً ومتجدداً للمعرفة الخلاقة، مؤسساً بها كيانه المعرفي سبيلاً يعتمد عليه في فهم واجتراح طرائق التفاعل المعرفي مع ما يريد ومع ما يفكر فيه، ومع ما لا بد من التفكير فيه، ومع ما يمور في أعماقه، ومع ما يوجد وما لا يوجد من حوله، إنه بذلك يحقق كينونته العقلية الساعية دوماً إلى امتلاك إرادة المعرفة والحقائق أساساً يتجذر في ذاته، معززاً بها فهمه لأهمية أن يكون كائناً معرفياً ووجودياً ينهض بمهامه وتكليفاته الاستخلافية في الكون.

### 15.3 كينونة المساءلة والتساؤل أي سؤال السؤال:

فكينونة السؤال والتساؤل وسؤال السؤال «**ميتا سؤال**» تشكل ضمانة وديمومة وديناميةمستدامة لفحص ونقد الحمولات الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية في بنيَة كينونة السؤال والمساءلة ومشكلاتهما وإشكالاتهما وكينونة الإجابات والردود لها والأسئلة المشتقة منها. وبذلك يتسلح الكائن البشري بسلاح النقد والفحص ويتموضع في موضع الرافض والشاك منهجياً أن يأخذ المعرفة الشائعة المتداولة مأخذ التسليم والاعتقاد من دون جدل أو نقاش أو تساؤل ومساءلة لها. والنقد لغة يفيد التقويم. فنقول نقد العملة أي فحصها ليتأكد من صلاحيتها. وبذلك يتضح أن الموقف النقدي يقوم أولا على تعليق الحكم (الشك المنهجي) فالفحص والتحليل، انتهاءً بإصدار الحكم. ولأن فحص الأشياء والقضايا عن قرب يكشف بعض ما ورائيات الاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء لطبيعة وماهية الصعوبات وعيوب الاستدلال المتخفية، فإن النقد لا يخلو من إزعاج «**التساؤل والمساءلة وسؤال السؤال يسبب الإزعاج ويوقظ من**

**النوم العميق**»، بله، إن النقد يتضمن قدراً من المخاطرة الفكرية: إذ قد يفضي إلى إظهار أوهام المعرفة وتهافتها محدثا فراغا معرفيا رهيبا، ومع ذلك فإن كينونة السؤال وكينونة الكائن البشري المتعالي والمتعالق بالكمال والمثل الأعلى يفضل ألم وقلق وتوتر واضطراب الإخفاق على الشعور بسعادة الوهم»!! كتلك السعادة التي يمنحها الموقف الدوغمائي لصاحبه... بينما كينونة السؤال والتساؤل لا تنحصر في دعوة للتخلص ولو مؤقتا من التيار الجارف لليومي والمباشر بهدف مساءلته وتقويمه بروح نقدية، فإنها ليست أبدا دعوة للانسحاب من الحياة إلى أبراج التأمل الخالص!! كيف ذلك؟ لنذكر أولا بأن الفلسفة محبة للحكمة، وأن الحكمة لا تقتصر على العلم والمعرفة لتشمل الفضيلة الأخلاقية أيضا. وعليه فكينونة السؤال والتساؤل لا تنشد الكمال النظري المعرفي بل والكمال العملي الأخلاقي حسب عبارة ابن مسكويه؛ ولقد فهم الرواقيون الفلسفة على أنها «**فن الحياة**» الهادف إلى تحقيق سكينة النفس وسط الاضطراب المحموم اللامنتهي للرغبات والأهواء والانفعالات. هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الاجتماعي فالروح النقدية المميزة للسؤال والتساؤل تكسب الفرد استقلالية الشخصية وتنأى به عن الامتثالية والخضوع للوصاية والدوغمائية التي تميز أولئك الذين لم يسافروا قط إلى منطقة الشك المحررة. وإذا كانت الدوغمائية طريقا معبّدا إلى التعصب وإقصاء الآخر وإلغاء الاختلاف، فإن عقلانية ونقدية كينونة السؤال والتساؤل دعوة دائمة للحوار والإنصات والاعتراف بالآخر المختلف... أي التسامح. وإذا كان التسامح فضيلة أخلاقية فإنه لا يوجد من دون قاعدة فكرية تتيح التجرد والنزاهة والقدرة على تصور العوالم الأخرى والأصوات المخالفة. ألا نرى ذلك الود والاهتمام الذي ما فتئ إسبينوزا يعبر عنهما تجاه بوكسيل رغم اختلافهما في الرأي!! وللنظر إلى قولة فولتير التي تعبر عن الدفاع المستميت عن الاختلاف وحرية الرأي حين يقول: «**إنك تختلف معي في الرأي لكني مستعد لتقديم حياتي دفاعا عن حقك في التعبير عن رأيك هذا بحرية**». لقد قيل بأن العنف هو التصرف كما لو كنا وحدنا في ميدان الفعل وأن الآخر لا يوجد إلا ليتقبل

فعلنا، بيد أن كينونة السؤال لا يمكنها إلا أن تحث على الاعتراف بوجود الآخر بحقه في الاختلاف لأنها أصلا مسكونة في داخلها بالاختلاف في النظريات والمذاهب والمناهج، وليس أي اختلاف، بل الاختلاف الذي يؤدي إلى المصالحة والتموضع في نهاية المطاف في الطريق المستقيم والاختلاق الذي يؤدي إلى تقارب تناظر وتطابق الغايات الكبرى على الأقل والقيم العظمى باتجاه الكينونات الذاتية والطبيعية والملكوتية المآسسة على وحدة الوجود والكون والغاية والخالق والمصير والبداية والنهاية، مع الإقرار بسُلَّمية راتوبية تعاضدية تكاملية تنطلق من درجة المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة والمطابقة. أما الاختلاف الذي يؤسس للتناقص والتناقض والسلبية من التمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة، فهو اختلاف يرفضه العقل والوجدان والقلب والفطرة وكينونة الوجود !![1]

**15.4 كينونة الوضع والمسألة:**

والوضع هو رأي مبدَع لبعض المشهورين بالفلسفة، فالوضع أيضا مسألة، وليس كل مسألة وضعا، لأن بعض المسائل يجري مجرى ما لا يعتقد فيها أن الأمر فيها كذا أو كذا»[2]. ولكينونة السؤال موضع متميز في الفكر البشري الغائي والقاصد نحو الكمال والجمال المطلق، وكذلك لها أهمية خاصة ومضاعفة في العرفان والفلسفة، فهي مفتاح قفل أقفال أبواب صناديق المعرفة والوجود، ومفتاح التعالق والتواصل مع ماهية كينونات الكون والخالق المطلق، وهي المدخل الأساسي إلى الحكمة، «**ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**»[3]. وكينونة السؤال هي مصدر ومنشأ كينونة المشكلة، وهي التي تشكل بنْيَتها الجينيالوجية والأركيولوجية، وحمولاتها هي التي تشكل بنْيَتها ونسقيتها ونظْميتها المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية؛ فكينونة المشكلة في نهاية المطاف

(1)- (نص: « الفلسفة بحث عن الحقيقة» ص: 15)

(2) _ أ ب ت أرسطو: كتاب الطوبيقا، نقل أبي عثمان الدمشقي، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي في كتاب: منطق أرسطو، ج 2، الكويت 1980، ص 506.

(3)- المرجع: القرآن المجيد، سورة البقرة، الآية 269.

كينونة سؤال تبحث عن إجابات وردود. وقد حظي مفهوم «**كينونة السؤال**» بأهمية فوق العادة في الفلسفة الوجودية، وبوجه خاص لدى هيدجر الذي ذهب إلى تأويله على أنه سؤال عن الكينونة (بالألمانية: Seinsfrage) أو سؤال عن معنى الكينونة (بالألمانية: Sinn von Sein) يعود إلى ماهية الوجود.[1]

## 15.5 كينونة السؤال والمساءلة «سؤال السؤال» والمشكلات والإشكالات:

بيد أنه لا قيام لكينونة السؤال والمساءلة من دون أن نجعل من نقطة انطلاقنا كينونة الكائن البشري ذاتها، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، بكونها أولاً انعكاساً تقابلياً وتماثلياً مرآوياً أو وجهاً آخر لعملة الوجود الكائني للإنسان، وثانياً لكونه ذلك الموجود الذي لا يكف عن تموضع كينونته الذاتية في مركز دائرة السؤال والتساؤل ولا حياة لكينونة الكائن ما لم يحاول الإنسان أن يسأل ويتساءل ويشكل ويتشاكل كينونته الذاتية، حيث إن السؤال والمساءلة الواعية والعقلانية هي يقظة وتبصر وقلق وتوتر إيجابي متعالٍ، وإنها تعلمنا ألا ننخدع وأن نعترف بغرابة وجودنا من جهة كوننا كائنات ملقية على عرض العالم وقادرة على تجاوز هذه المنزلة الهامشية والتعالي نحو الحق. كما أن السؤال والمساءلة الحقيقية تسمح لنا بأن نحتفظ بثقتنا في معرفة أسس الأشياء التي يستعصي فهمها وبقدرتنا على حل كل الإشكاليات المستبهمة وإيجاد مخارج لكل الطرق المتشعبة ما دام السؤال والمساءلة تحمل حمولات معرفية وغائية وطاقات وإمكانات قادرة على إصلاح منهاجيتنا في التأمل والتبصر والتفكير والتحول إلى عامل خلاص وأداة انعتاق بأن تقنع كينونات البشر الكائنية بسداد رأيها وصيانة كرامتهم عندما يتدحرجون من قممهم نحو المنحدر الخطر وتتكلم بأفواههم وتعلمهم مواجهة الكارثة المحتملة.

ربما يكون السائل والمُسائل هو الإنسان المتجرب والمتعقّلن والمتعرّفن والمتشرعن والمتأمل والمتدبر الذي يثير القلق في صميم طمأنينة كينونات العالم ويتطلع إلى

(1)- المرجع السابق، ص 506.

الكينونات الوجودية ويسبر أغوارها وينبش أعماقها بأسرها ويستوعب أزمنتها وأمكنتها كلها، يندرج في العالم بالكلمة والفعل يقترن قدومه للعالم مع ولادة شيء فريد في جده وجدته، ويجعل من كينونة السؤال والمساءلة تخطياً لمحدوديته وتناهيه ويبدع أشكالاً جديدة من الحياة ويبتكر نظرة كلية للأشياء، يربط بين النظر والعمل ويقترن عنده الوفاء للحقيقة بالالتزام والمغامرة وتحمل المسؤولية في كل حالة.

وأخطر ما يواجه كينونة السؤال والمساءلة اليوم من خطر التهميش والتركين والتطريف والإقصاء والانزياح والإبعاد هو تداعيات ومآلات تقنيات وميتا تقنيات عولمة الإعلام والاتصالات التي غدت تعدم السؤال والمساءلة تحت أكوام هائلة من الإجابات والردود والعلاجات والمعالجات الفورية السريعة والوجبات السريعة والفورية والآنية للعلاجات والمعالجات التي تسلب زمانية التفكير والتأمل والتعقل، وتحجب عنا براءة «**الما يحدث**» وتسرق منا «**خامية**» حوادث العالم الأصلية بأن تأسر الإنسانية بين فكي السؤال والجواب وبين الباثّ والمتقبل وبين العين والعالم وبين الصورة والمادة، فإن السؤال والمساءلة هما مَدافع تدمير الأسوار والجدران الغليظة والمحيطة بهما، وهما عربة اختراق لهذا الحصار وتنشيط للفكر والذاكرة حول حوافي الوجود وداخل مناطق الصمت وغياهب النسيان لانتشال المعنى والحقيقة والحق من الضياع على قارعة الطريق وللفوز بغنيمة من الأسئلة الكينونية.

ألا ينبغي في هذه الحالة أن نوثن الجواب ونعتصم بالسؤال؟ وألا يجب أن نعرف كيف يجب أن نتساءل؟ ومتى يجب أن نتساءل؟ ولماذا ينبغي علينا أن نتساءل؟ ولمن يجب توجيه السؤال؟ وما غاية السؤال ونهايته وبدايته؟

إن كان السؤال علماً ومعرفة وفناً في طرح المشكل، ألا ينبغي أن نستعلم ونتعلم ونستفسر ونقيم منزلة المشكل في كينونة السؤال وأن نتساءل: لماذا ينبغي إثارة مشكلات جديدة دائما وفي ظل أي ضرورة ولأي استعمال؟ ومن أجل ماذا؟ فماذا يفيد

هذا النشاط الخاص بطرح الإشكاليات الذي يختلف فيه النشاط التفكيري والتأملي السؤالي عن النشاط السؤالي العلمي وعن السؤال الإبداعي الفني؟ ما الفرق بين السؤال والمشكل والإشكال؟ ولماذا ينبغي أن نميز بين السؤال والتساؤل والتسآل؟

كيف يقع المرور من الطرف الأول إلى الثاني ثم إلى الثالث؟ هل هناك سؤال وتساؤل ومشكل أفضل من كل الأسئلة والتساؤلات والمشاكل الأخرى؟ وكيف توجد أسئلة وتساؤلات ومشاكل تفرض نفسها ضد أسئلة وتساؤلات ومشاكل أخرى؟ هل من المحتم علينا أن نميز بين مشكلات علمية ومشكلات فلسفية أم من المستحسن أن نبذل الجهد للتفريق بين أسئلة وتساؤلات ومشكلات زائفة وأسئلة وتساؤلات ومشكلات حقيقية؟ وإذا كان السؤال بداية العلم والتفكير والتأمل والتفلسف والتعرّفن والتشرّعن وكانت له مكانة بارزة في تحديد ماهية كل علم وتجربة وفلسفة وعرفان وتشرّعن وتفقه، إنه من الضروري أن نجيب عن هذه الأسئلة والتساؤلات والمشكلات والإشكاليات: بأي معنى يستطيع سؤال الفلسفة أن يكون فلسفياً؟ والعلمي علمياً والعرفاني عرفانياً والحسي حسياً والشرعي شرعياً والفقهي فقهياً، وهل المعرفة بماهية كينونة السؤال الفلسفي والعرفاني والفقهي والشرعي والغيبي والحسي وبطبيعته تكون ضرورية لكل من يريد التفلسف والتعلم والتعرّفن والتشرّعن والتفقه؟ وما هي نماذج الأسئلة والمساءلات الفلسفية والعلمية والشرعية والفقهية والتجريبية الممكنة التي تشكل نواة الاستفهام والاستعلام والاستنطاق الفلسفي والعلمي والتجريبي والفقهي والشرعي والغيبي والعرفاني؟ وما الفرق بين السؤال العامي والعلمي والفلسفي والعرفاني والشرعي التعبدي والغيبي الميتافيزيقي؟ كيف يمكن أن نميز بين التساؤل والاستشكال وبين الاستفهام والاستجواب؟

وإن كان تاريخ الفلسفة والعلم والشرع والفقه والعرفان هو تاريخ الأسئلة والأجوبة والتساؤلات والإشكالات، وكانت الأسئلة والمساءلة في الفلسفة والعلم والفقه والشرع والعرفان والتجربة أولى وأهم كرونولوجياً «**زمانياً**» وأبستيمولوجياً «**معرفياً**» وأنطولوجياً «**وجودياً**» وإجرائياً عملانياً من الإجابات والردود والعلاجات والمعالجات، وذلك لكون

أولاً أن مفتاح قفل أقفال الأبواب المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية هو كينونة السؤال التي تفتح بمقتضاها قفل أقفال الأبواب المعرفية، وثانياً لأن كل سؤال يفترض جوابا وكل جواب يتحول إلى سؤال جديد وذلك في سلسلة متواليات هندسية لا متناهية بين السؤال والجواب والسؤال وهكذا دواليك. وعليه يستلزم الأمر أن نعرف كيف نخلق الحاجة إلى الجواب بقدر معرفتنا كيف نخلق الحاجة إلى سؤال ونتجاوز العوائق التي تقف دوننا وابتكار حلول لمشاكلنا. فهل هناك وضع يكون فيه الإنسان مكتفياً بطرح السؤال وإثارة المشكل من دون الحاجة إلى حل وجواب؟ أي وضع هذا؟ وما قيمة التفكير الذي لا يدفع الإشكاليات إلى حدودها القصوى ويعثر على أجوبة؟ فما السبيل إلى التغلب على أكبر عائق أمام المعرفة والفهم وهو عدم الاكتفاء باليقينيات وممارسة التظنن والارتياب لخلق وضعية للجواب؟ وكيف نجعل السؤال بكل صنافاته ينتقل من مجرد فن في طرح المشكل إلى قدرة على ابتكار جواب له؟ فأي مسألة في الفلسفة والعلم والعرفان والشريعة والفقه والدين والحياة هي ملكة كل المسائل والجواب عنها هو أمير الأجوبة؟

إن ما نراهن عليه في هذا المجال وما هو في ميزان قيم الفكر ومسطرة مسافات التفكير هو أن نخلص السؤال والمساءلة من العدمية التي ارتبطت بالنزعة الريبية التي تطلق حركة التساؤل دون توقف ومن الوثوقية التي جعلت من الأجوبة نواة جوهرية للروح المذهبية والتصور العقائدي للعالم من أجل خلق سؤال نقدي يستيقظ عن الإشكالي ويؤول الحياة ضمن قراءة متواصلة وتشميلية وتكاملية تراتبية متعالية لنص الوجود تكرس حق الاختلاف وتضمن التآنس والتعايش بين الذوات والأمم في طريقها المستقيم وصراطها القويم في البحث عن حقيقة السؤال والجواب، وحقيقة سؤال السؤال وجواب الجواب، وهكذا دواليك، تكون كينونة السؤال والجواب تتدحرج من مسافاتها البعيدة ليقتربا ويتماسا ويتجاورا ويتحاقلا ويماجلا بؤرة ومركز الوجود المطلق والمثل الأعلى في الكون.

## 15.6 مفهوم ميتا سؤال «سؤال السؤال لكينونة الذات والكينونات الأخرى في الكون:

الخطاطة العنكبوتية تعكس صورة مرآوية تقريبية لبنِّية كينونة السؤال البنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية، والدلالية والاستدلالية، والنسقية والنظمية العلائقية، والتداولية والتواصلية والتبليغية، والتعليمية والتعلّمية والبيداغوجية والديداكتيكية، والتفهيمية والفهامية والانفهامية والإفهامية، بأبعادها واستطالاتها وآفاقها وأعماقها وحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيوسيكولوجية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ، التي في النهاية هي انعكاس مرآوي وجودي ومعرفي وقيمي وأخلاقي وجمالي وفنّي لكينونة الذات الإنسانية ومراتبها التكاملية أو الانحدارية.

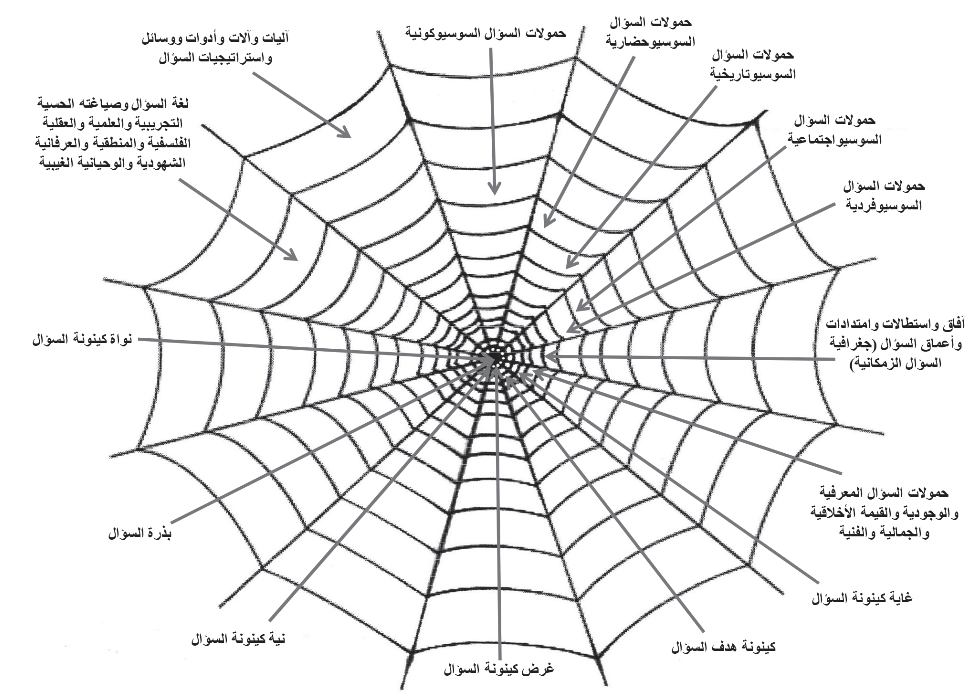


خطاطة كينونة السؤال البنيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستبدالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية.

فالسؤال ليس مجرد استفهام واستعلام وعلامة «؟»، بله، هو كينونة أو شجرة متكاملة لها بذرة ونواة وجذور وجذوع وفروع وأغصان وأفنان وأوراق وأزهار وثمار. فهو كينونة وجودية معرفية لها بنْيَة وبناءات تركيبية وتراكبية وتكوينية، وتمتلك نيّة وغرض وهدف وغاية، وتغتني أوّليات وإوَاليات وآليات وآلات وأدوات ووسائل واستراتيجيات، ولها لغة وحروف ورموز وإشارات خاصة، ولها حمولات حسية تجاربية وعلمية تجريبية وفلسفية عقلية وعرفانية شهودية معقّلنة ومشرّعنة وغيبية وحَيَانية مسددة ومؤيدة، تتصاهر وتتزاوج بين مكوناتها البيانية الشرعية والبيانية البرهانية الانتطاقية العقلية والمنطقية والتجربة العلمية التجريبية والعرفانية الشهودية والاتصافية الصوفية المعقّلنة والمشرّعنة، بأبعادها واستطالاتها وآفاقها وامتداداتها وأعماقها وعوالمها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيوسيكولوجية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ.

لذا سؤال السؤال هو مساءلة السؤال وطرح منظومة متكاملة من الأسئلة النقدية الاستنطاقية التفكيكية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية التي تشكل سيرورة حفر جينيولوجي وتشريح أيكيولوجي وتنقير أركيولوجي لكينونة السؤال المطروح في الوجود الذهني الجواني قبل طرحه في الوجود البراني. ويتم مساءلة السؤال من حيث صلابة نواته ومتانة بذرته وسلامة نيته ومصداقية غرضه الآني وهدفه التوسطي وغايته القصوى، والتأكد من حقيقة وحقيّة حمولاته السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيوسيكولوجية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية و...إلخ، والتحقق من ملاءمة ومواءمة آلياته وآلاته وأدواته ووسائله واستراتيجياته الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية، والتأكد من سلامة منطقه الثنائي والمتعدد والمتدرج، وتبيان نظامه العرضي

والطولي وتثبيت أنساقه المفتوحة ـ المغلقة. وخلاصة الكلام أنَّ سؤال السؤال هو بمثابة مساءلة الخريطة الهندسية والمعمارية والبنائية والجغرافية والزمكانية لكينونة السؤال، بغية التحقق من سلامتها وصحتها ومصداقيتها ومواءمتها وملاءمتها لكافة مكونات كينونة السؤال الموضحة في الخطاطة أعلاه.

إذاً سؤال السؤال «**ميتا سؤال**» أو ما بعد السؤال هو بمثابة السؤال الكاشف والشارح والواصف والناظر والقيم والقيوم والمقوِّم لكينونة السؤال. فهو بحكم عدسة عين معرفته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية في سياقها الاستخلافي الإنساني المعقود، والخاتمية المحمدية ﷺ الكونية الخالدة، والانتظارية المهدوية عجل الله فرجه الشريف الموعودة، والاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة الممهدة للولاية العصموية المنتظرة، والتي تدل عليها وجوبية المنطق والعقل، والقلب والوحي، والأخلاق والوجدان، وضرورية وحتمية التجربة البشرية، والقانون والتشريع الكوني والاجتماعي، وحقيقة وحقية روح الدين والإسلام.

والعلاقة المنطقية والعقلية بين السؤال وسؤال السؤال وسؤال سؤال الجواب تستلزم استقصاء قدرتها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، وهذه القدرة لا تستطيع كينونة الكائن البشري الوصول إلى ما تبتغي الوصول إليه، لأنها هي ذاتها سؤال ومعرفة لذات الشيء التي تبتغيها كينونة الكائن. وهذا ما يوقعنا منذ البداية في الحلقة المفرغة، وهي لا تخرج عن أن سؤال السؤال ينطلق من شروط تبدو مؤقتاً غير إشكالية، غير أنها في الأساس قابلة لأن تُشحن بالإشكالات. فإذا كان سؤال السؤال «**ميتا سؤال**» هو ذاتاً إشكالاً، فكيف نبني إشكالات على بنْيَته أساساً هي مبنية على إشكال أو عدم يقينية صدقيته وصحته المعرفية والأنطولوجية؟. وهذا الدور في الحلقة المفرغة لا يمكن تجاوزه كلياً البتة، وعليه يستلزم وجود كينونات معرفية عصموية تضفي على إشكالاته سؤال السؤال «**ميتا سؤال**» مصداقية يقينية، تمكننا من مساءلة السؤال بجدارة واطمئنان وثقة عالية، وتمكننا من الرد المنطقي والعقلاني على ما

يحتج به السؤال على مساءلته ومحاكمته من قبل «**ميتا سؤال**». وهنا تتبأور كينونة الحقائق المعرفية الصادقة واليقينية والمطلقة والثابتة لا مبدل ولا مغير لها، التي تقدمها كينونة النبي الباطني الجواني «**العقل**» بمعية كينونة الوحي والنبوة والعصمة وامتداداتها الطبيعية والشرعية والعقدية البرانية والغيبية. والمنطق النظري والعملي الفيزيقي والميتافيزيقي هو نظرية الحقيقة التي تطرح قواعد ومبادئ وأسس وقوانين وأحكام متقنة متماسكة متساوقة ميتافيزيقية تشكل بنيَة ونسقية ونظْميّة تحتية لكينونة سؤال السؤال «**ميتا سؤال**» تعصم كينونات الأسئلة من التشتت والتبعثر والتباعد والتنافر من جهة، وتحقق التمركز والتبأور والتمحور لها من جهة ثانية، وتعصمها من الخطأ والزلل، وتسد الفجوات والمسافات الفارغة، تمنع التشوهات والتوترات والاضطرابات التي تظهر عادة عند إبداع وابتكار وصناعة وصياغة الأسئلة وخاصة الكبرى والوسطى منها، لكونها استندت إلى بداية مطلقة وتأسست على قاعدة صلبة متماسكة غير مزعزعة.

حينما نتجاوز السؤال كقيمة أبستيمولوجية، فإننا نصل إلى حلقة من الصعب الحسم في إحداثياتها المكانية وشروطها الزمانية. يتعلق الأمر بطبيعة المساحة التي يمكن أن تأخذها علاقة كينونة الكائن البشري الأنطولوجي بالسؤال ثم ارتباطه بالكينونة الإلهية المطلقة.

وبهذه التماثلات تتمأسس كينونة الذات بالسؤال في حمولته المطلقة وغائيته اللامتناهية وانفتاحه وتعالقه الميتافيزيقي، فإن كينونة الذات الفطرية الإلهية بالقوة والإمكان تستحضر وقائعيته التحققية والتثبتية والإنّية والانوجادية من خلال متواليات السؤال. الوصول إذاً إلى العلاقة التالية: [السؤال كينونة الكائن الغائب، والكينونة سؤال تم تحيينه ]. بقدر ما تدفعنا إلى الكشف عن حدود وممكنات وكذا آليات هذا الاشتغال الأنطولوجي الفذ، والذي سيجد حتما في الأسئلة الكبروية والوسطية مداراً أولّياً، لمسألة مقصودة – لحظة القبض على الوجود بما هو موجود.

الذات الإنسانية الفطرية الإلهية هي كينونة معرفية وجودية مؤجلة. والسؤال الفلسفي والعقلائي والعرفاني المشرّعن والمعقّلن له القدرة المعرفية والنظرية على تحويل هذا المؤجل بالقوة إلى إمكانية بالفعل والإنّية والتحقق. تعالق كينونة الذات للكائن التوحيدي بالسؤال يقود إلى تعديم للتعددية الفالتة والتشتت والتباعد والتنافر من المركز والبؤرة.

فنواة كينونة الذات التوحيدية الإلهية تختزل كافة تشعيبات حمولاتها الأبستيمولوجية وتفريعاتها الأنطولوجية في كينونة السؤال عن الواحد الأحد المطلق، حيث يشكل كينونة الواحد الأحد ماهيته.

بالسؤال نكتشف أن لا شيء يجمعنا بالوجود إلا الصمت وحضور هذا الواحد الأحد. والسؤال عن كنه ماهية وحقيقة وجوهر كينونة الذات والكينونات الأخرى فإننا نستحضر المطلق والكمال والغيب، ليس كلعبة للصمت ولكن كأفق للتأسيس. سنتجاوز هنا المناخ اللغوي للبيولوجيا والفيزيقا والشعائر والطقوس والقدر والمصير.... من أجل تمثل قيمة الفراغات الوجودية لدينا باعتبارها إمكانات مضمرة، حيث نطرح على ضوء ذلك التساؤلات التالية: أين توجد حقيقة كينونة العالم وكينوناته المختلفة في الموجود أو اللا ـ موجود أو فيهما معا.

## 15.7 مُساءلة واستنطاق سؤال السؤال «ميتا سؤال» لكينونة الذات الإنسانية:

المقصود من مساءلة سؤال السؤال «**ميتا سؤال**» هو البحث الجينيالوجي والأركيولوجي للإطار العام والقواعد التأسيسية والبنيَة التحتية والتقعيدية لاستراتيجيات وآليات ومعايير وموازين ومساطر مساءلة السؤال، لسؤال ومعرفة كنه كينونة الذات أو النفس البشرية.

الحديث عن سؤال السؤال «**ميتا سؤال**» الذات والماهية أو الكينونة الإنسانية أو إنسانية الإنسان ووعي الذات لنفسها أو التوجيه الذهني الذاتي، أي حضور وتوجيه

وشعور الذهن أو الذات أو النفس لنفسها كوحدة وكينونة واحدة متماسكة موحدة، وطبيعة استقلاليتها عن بقية الكينونات الوجودية وعدم التفكيك والانفصال بين الذات ومختلف قواها الإدراكية، وفضاءات حريتها المتميزة في الإرادة والعزم والاختيار والقرار والمشيئة وعلاقاتها البِّنيوية المتداخلة، وأدواتها وأساليبها وقيمها ومعاييرها جميعاً كمقدمات تمهيدية أبستيمولوجية وأنطولوجية للتعرف الى جينيالوجية وأركيولوجية وأكسيولوجية وسيسولوجية وسيكولوجية فعل القول والعمل أو الإيمان والعمل.

الحديث والسؤال عن فعل القول والعمل، هو بالأساس حديث في بادئ ذي بدء، عن الحرية والمشيئة والإرادة والعزم، وجميعها مرتبطة بالدرجة الأولى بسؤال الذات أو النفس أو الكينونة أو الماهية أو إنسانية الإنسان.

الحياة الذاتية الجوّانيّة بين الذات ونفسها من جهة، وبين الذات والكينونات الوجودية الذاتية الأخرى وغير الذاتية، من جهة أخرى، تجعلنا منطقياً وعقلياً وسيكولوجياً وسيسيولوجياً نطرح سؤال الذات نفسها قبل أي شيء آخر. فحينما يتعامل الشخص مع نفسه أو ذاته، فمع أي نفس أو ذات متعين أو موضع حضور أنطولوجي لها، وعندما يتعامل الفرد مع كينونة ذاتية أخرى كفرد (س)، التوجيه الحضوري والتعامل الفعلي مع من يكون بالدقة التشخيصية والتعيينية؟ وأي جهة، أو من هو المسؤول الأول عن إتمام المعاملة، ومن كان يفترض بالأساس التعامل معه ومن كان يفترض ألا أتعامل معه؟، ومن يحاسب من؟ وما هي أدوات المحاسبة؟ وفي أي محكمة قضائية إنسانية يتم ذلك؟

فعادة نسمع إجابات لشيء واحد ذات مترادفات متعددة، ولكن التعيين والتوجيه والحضور الأنطولوجي الوجودي هو للذات أو النفس أو الماهية والكينونة الإنسانية، وبتعبير آخر يكون المقصود: الأنا والهو والهي والمرء والإنسان والفرد والشخص،

وغيرها من الكيانات المنسوبة إليها الأسماء والصفات والأفعال والأقوال والإشارات والإيماءات والاستعارات والكنايات والرموز والافاقات والوعود و...الخ عامة غير محددة أو متعيّنة متشخصة تتعلق بكافة جوانب وحيثيات صيرورة فعل وقول الإنسان. فأين كل ذلك من «**الذات**» و«النفس» أو «**كينونة الإنسان** »، **وأين** «**الذات**» ومرادفاتها المختلفة من كل ذلك؟

البحث الجينيالوجي التأسيسي والأركيولوجي والكوزمولوجي التأثيلي أو التأصيلي لبنيَة وماهية صيرورة فعل القول والعمل الإنساني، وفق مدياتهما المستطيلة والشاقولية في هذه الدنيا وتعالقاتها الانبنائية في العوالم المختلفة «**عالم البرزخ**» و«عالم الآخرة»، يتجاوز تحدي مفهوم ماهية النفس أو الذات الإنسانية في سياق حقيقة الحرية والفعل، ليشمل تأصيل أو تأثيل ماهية مفاهيم حقوقية فردية ذاتية واجتماعية كونية، وقيم أكسيولوجية أخلاقية خيِّرية فطرية إلهية مقدسة وكونية عليا تتمحور حول ماهية الكرامة الحاضنة والمثابة والمآبة والمرجع لكل القيم الأخلاقية الأخرى كقيمة فعل القول والعمل نفسهما، وكذلك قيم الصحة والحقيقة والعدل والجمال والمحبة والرحمة والصدق والأمانة و....الخ. ومن دون ذلك، لا يمكننا تعيين الذات وكنه حقيقتها الكينونية، ولا ترسيم حدودها ورسومها، ولا التعرف الى جغرافية معالمها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والعلائق الجوّانيّة والبرّانيّة مع الذات نفسها أو مع الكينونات الذاتية والمجتمعية وغير الذاتية الأخرى في عوالمها الممكنة.

وحريّ بِنَا أن ندرك حق الإدراك والمعرفة اليقينية، أن التعرف الى الذات الحقيقية والنفس الإنسانية أو كينونة الإنسان الفطرية ذات التجليات والتمظهرات المرآوية للصفات الربانية والأسماء القدسية الحسنى له عزّ وجلّ، هو بذاته مطلب أساسي مجرد عن سياق التقعيدات والتأسيسات التأثيلية أو التأصيلية للحرية وفعل القول والعمل وقيمها الأكسيولوجية الأخلاقية والتكاملية العليا، وبالخصوص في هذا العصر الذى طغى عليه طغيان المادة والشهوات الخفيّة والظاهرة، فضلاً عن هيمنة عالم

«**ميتا التقنية**» وهو عالم «**مُعَوْلم**».

عالم أضحى من السطحية والهامشية والهشاشة والرخاوة والخلاء والخواء إلى حد التلاشي التام لحدود وفواصل جغرافية الأخلاق والمعرفة والفن والقيم التي كانت إلى الأمس القريب تشكل حدوداً مانعة وسدوداً منيعة يصعب اختراقها بسهولة ويسر، إنه عالم الانزياح التام أو عالم الانهيار الكامل للمركز المبني للمعلوم ليحل إلى مبني للمجهول للذات الإنسانية، فلا لافتات مرورية توجيهية لصيرورة الذات، ولا اتجاه حقيقياً ارتقائياً تكاملياً لبوصلة سيرورة الإنسان الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية، وذلك لغياب حدود ومصفيات أخلاقية وسيكولوجية وسسيولوجية ومعرفية تحمي المركز من الهوامش والسطحية أو من فيروساتها الفتاكة التي تنخر في كينونة الذات لتصبح ذواتاً متعددة وإنيات متكوثرة تبتعد عن مركز جوهرها المتعالي لتعيش مستغربة ومستغرقة في متون مستنقعات اللاإنسانية واللامعنى واللاعقلانية واللاأخلاقية واللافطرية واللادين... والخ.

حقاً الذات اليوم هي رهينة «**ميتا التقنية**» و«العولمة» المآسسة على ذاتية تُتخذ من استراتيجيات وأساليب القوة الخفية والظاهرة، لتستوطن في شباك الخداع وأفخاخ قوانين وأحكام مكر التقنية وميتا التقنية الثاوية في بنْيَتها الجوانيّة تجليات معالمها البرانيّة، متشكلاً عالماً وإنساناً من ذوات عرية إلى حد فقدان جوهر ماهيتها وكينونتها الإنسانية والعلائق الحميمية بين مكنوناتها الذاتية والروابط الصميمية مع بقية الكينونات الذاتية وغير الذاتية الأخرى. حيث إن مكر التقنية وما تحمل من ميتا مفاهيم وقوة وسلطة ثاوية خفية وناعمة الملمس ومرهفة الحس، وذلك لازدواجية الطابع من حيث صفة الإرضاء والإشباع من جانب، وحالة الإفقاد والإتلاف من جانب آخر، فهي تشبع حاجات الإنسان المادية وغيرها، بتحقيق الوفرة الإنتاجية من السلع والخدمات عبر التحكم في بنيَة الامتلاء، وإفقاد القوة التي تجعل منه تلك العلة التأسيسية القادرة على الانفصال واستعادة البيْنونة والاختلاف.

وما كان مآل ذلك إلا أن يصبح الوجود الذاتي ليس وجوداً فطرياً وإنسانياً وإلهياً، ولا وجوداً عقلياً فكرياً أو قلبياً، بله، وجوداً مُعوْلماً، حتى لم يعد في الغرب إثبات الوجود مرتكزاً على كوجيتو التفكير، «**أنا أفكر إذاً أنا موجود**»، بله، إنما على التعوْلم بميتا تقنيته، «**أنا أتعولم إذاً أنا موجود**»، إنها لحظة أخرى من تشميل الوجود، تجعل من الموجود والذات أن تواجه قدراً جديداً مصطنعاً غريباً عن كنه حقيقتها ومن نوع خاص هو قدر التقنية المُعوْلمة بما هي قوة وميتا قوة اختزال ليس فقط للذات، بله، للعالم إلى أقصى درجة التناهي، يثوي في بنياته تحيزٌ خاصٌّ أشبه بالتحيز داخل متاهة الكهف، فبقدر ما يتقلص في الزمان والمكان، وبقدر ما يغدو محدوداً أو عارياً حتى من ورقة التوت، تتسع فراغاته وفجواته وتزداد هواته وتمتد مستطيلاته، وتتشابك دروبه وتتعدد ممكناته حد الهيمنة والبسط الكامل على كينونات الوجودية وذواتها ونفوسها بحيث يغدو الموجود ذاته موضوعاً لها وللكلية «Totality».

أصبحت حياة الإنسان ومكنونات ذاته تخضع لقانون وسنن الشيئية، أي تشيُّؤ ذات الإنسان بأبعادها المعنوية والروحية والعلائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيما بين الكينونات الذاتية مع نفسها أو مع الكينونات الأخرى، فضلاً عن تشيُّؤ غايات الإنسان وقيمه وأخلاقياته وعلائقه. وعليه، أصبح ديدن الإنسان المُعَوْلم هو الضياع والتيه داخل متاهة الوجود التقني وفضاءاته الفوضوية والسديمية المغذية لكينونة الوجود الإنساني. إنها بحق واقتدار مشكلة تمس مباشرة بزمانية الكائن الإنساني ذاته، ليُنعت بانتهاء زمانه كما نُعت بنهاية الإنسان والأخلاق والتاريخ والأيديولوجيا والدين.

ولقد تجاوزت التقنية كتقنية أداتية ووسائلية تخدم الوجود الإنساني إلى حالة تيولوجيا تعلي من التقنية وميتا السلطة الخفية والثاوية في طياتها البنْيوية، كقوة ووجود حضوري دائم وكلي ينتشر بشكل يشكل زمانية هذا الإنسان، ليعيد تشكيل بنيَة الإنسان والوجود الأنطولوجي داخل جوف التقنية، أي من خلال وحدة وجود تقنية — تغدو بمثابة نهاية للزمان أي الوجود الأنطولوجي للإنسان، فالإله التقني غدا محايثاً

لهذا الوجود، وهذه المحايثة تشكل حالة الانفصال الروحي والمعنوي للذات، وبالتالي الوقوع في الأسر داخل متاهة وحدة الوجود التقنية بما هي نهاية الزمان. وما مآل ذلك إلا نسيان للوجود الذاتي أو للكينونة الإنسانية والغفلة عن ماهيتها الفطرية وكنه حقيقتها الإلهية. ولهذه الأسباب جميعاً، لا بد من طرح شمولي وتفصيلي لماهية الإنسان وكينونته الوجودية ومعالمها وأبعادها واستراتيجياتها وعلائقها وزمانيتها وعوالمها ومكنوناتها وقيمها وحضورها الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي في نظرية فعل القول والعمل.

تأسيساً على ما قلناه أعلاه بِمَكْنة الكائن البشري حقاً صياغة أسئلته الكبروية، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، من كينونته الذاتية الجوانية ومن ثم صياغة الأسئلة المختلفة البرانية ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة علة الكينونة الجوانية للنفس. ولذلك ، بادئ ذي بدء، على كينونة الكائن الإنساني أن يؤسس منظومة من الأسئلة الكبروية والوسطية والصغروية ويصيغها صياغة فلسفية وعلمية وعرفانية وعقلية تتمحور حول السؤال الكبّار، وهو سؤال من أين، وفي أين، وإلى أين؟ والذي بدوره يستطيع أن يحدد تموضعاته الأبستيمولوجية وتموقعاته الأنطولوجية بدقّةٍ على خريطة الوجود، لكي يوصل نفسه إلى المنزلة السامية التي تليق به.

إنّ سعادة كينونة الكائن الإنساني تكمن في كمالاته المعرفية والوجودية من خلال مُساءلة الذات أو النفس البشرية الحقيقية وليست الشبيهية الزائفة التي تولدها القوى البهيمية والشهوانية الحيوانية، وكذلك معرفة كمالات الكينونات الذاتية الغيرية والطبيعية التكوينية والملكوتية اللاهوتية في الكون، فضلاً عن معرفة الكينونات والكلمات اللفظية الإلهية في القرآن والحاكية عن حقيقة كينونات الكائن البشري وكينونات طبيعية تكونية وكينونات ملكوتية في صورتها اللفظية المعبرة عن حقيقتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية، وكلّ من كينونات المعارف والحقائق الثلاث متطابقة من حيث الإمكان والاحتمال بالقوة، والسؤال الصحيح المبني على بنيَة نسقية ونظْميّة

من جانب والإجابات المتساوقة والمتماهية والمتماثلة هي كفيلة وضامنة لتحقق التطابق الثالوثي لكينونات الكون، كل من المنظومات والأضلاع الثلاثة حائزة درجةً من الأهمية، لكن أيهما أهم من الآخر؟

هنا يكمن الصراع مع الفلسفات والمدنية الغربية، حيث أعطت درجةً كبيرةً من الاهتمام لمساءلة ومعرفة كينونة العالم الطبيعي التكويني ما أدى إلى نسيان مساءلة كينونة الذات والنفس وتهميش كينونة الكائن البشري وإزاحته من مركز وبؤرة الأسئلة الكبروية إلى أسئلة فرعية وجزئية تتموضع في محاور وأطراف هامشية تحوم في أقصى محيط دائرة المعرفة البشرية، فآلت كينونة الكائن الإنساني إلى انهيار وتدهور وإسقاط في الحضارات المادية وخاصة المعاصرة. وهذه الحال هي التي دعت على سبيل المثال زعيم الهند «**المهاتما غاندي**» بعد ما آلت إليه الحضارة الغربية من نسيان النفس، متسائلاً «**ما فائدة فتح العالم بجوار فقدان الذات**» [(1)] .

ومن المحتمل أن يكون أحد وجوه الاختلاف هو أسلوب التفكير الشرقي وأسلوب التفكير الغربي، كما أن أحد وجوه اختلاف العلم والإيمان، هو أن العلم أداة ونور ومشكاة للاطلاع على كينونات العالم، بينما الإيمان التوجيه والتقويم والاتجاه وبوصلة صيرورة الكائن البشري وتعيين غاياته وأهدافه المختلفة ورأس ماله الاطلاع على كينونة النفس.

ولو أُعطيت مُساءلة كينونة النفس أو الذات ومعرفتها حق المعرفة الأولية الأبستيمولوجية والأسبقية الأنطولوجية أو بشكل متوازٍ مع مساءلة كينونات العالم، ومع مساءلة واستنطاق كينونتهما اللفظية القرآنية، فإن المتيقّن هو اتساع سعة العدسات الرؤيوية الاستفسارية والاستفهامية والاستعلامية لكينونة الكائن البشري واستطالتها الأفقية، وتعميقها الشاقولي، وشموليتها للأطراف والأجزاء والمطلقات والنسبانيات

(1)- راجع مقدمة كتاب «هذا مذهبي».

والمحكمات والمتشابهات والثوابت والمتغيرات والمراكز والهوامش، التي ستنعكس على سعة وعمق وامتداد واستطالة الحقائق والمعارف والمفاهيم في حياة الكائن البشري. وإنَّ مآلات تلك لها تداعيات وانعكاسات على مستويات الوعي والإدراك الكينوني للكائن وتسامي كينونة روحه المتعالية، ما يولِّد طاقة ديناميّة وديمومية تُفجّر بنيَة النواة المعرفية لتتشظى الحقائق الثاوية فيها وتتموضع كل حسب تموقعاتها الموضوعية في الشبكة العنكبوتية المعرفية والوجودية لكينونة الكائن البشري، ولتنير مسار صيرورة الحركة الجوهرية للنفس وحقيقتها المشككة وفق تموضعاتها الراتوبية في سُلَّمية مراقي التكامل والتقرب إلى الله تعالى.

وليس المراد من مساءلة واستنطاق واستعلام واستفهام ومعرفة كينونة النفس الإنسانية هو مساءلة ومعرفة كينونة النفس الشبيهية أو كينونتها الروتينية الرتيبة، والتي حركتها الجوهرية متعرجة ومتذبذبة شمالاً وجنوباً تارة وشرقاً وغرباً تارة أخرى، أو المرتدة إلى الانحدار والدرك الأسفل، ولا النفس البيولوجية التي لا يفترق فيها عن الحيوانات إلا باستقامة القامة، بل هي كينونة «**الروح الإلهية**» والذات الزكية والمطمئنة التي تشعر بالشرف والكرامة والعزة والإباء، والتواقة لملاقاة خالقها وربها وإلهها، وهي كينونتها أسمى من أن تخضع للرذائل والشهوات البهيمية، أو النظر إلى جزئيات هامشية في الحياة على حساب الكليات وروح الحياة والدين والنفس والكون، وعندئذٍ يدرك الإنسان قدسيّتها، ويفهم للمقدّسات الأخلاقيّة والاجتماعية معنىً وقيمة. وعليه، تصبح هذه الكينونة الذاتية للنفس حاضرة لديها كينونة الله عزّ وجلّ في كل الأزمنة والأمكنة، ودائماً وأبداً. وهي النفس التي لا تغفل أبداً ولا تكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[1].

إذاً، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، يشرع الكائن البشري بمساءلة كينونة النفس أو

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الحشر، الآية 19.

الذات، وذلك بصورة استبطانيه جوانية. فالإنسان يتساءل ويتعرف الى كينونة نفسه بالذات، وهو قبل أن يعرف أي شيء غير نفسه، يدرك كينونة نفسه بالوجدان وبالعلم الحضوري المباشر على حدّ تعبير المناطقة، وهذا النوع من الإدراك والمعرفة لا مجال للشك فيه لأن الواعي والوعي وموضوع الوعي شيء واحد، وظهور الذات عين ظهور الوعي، وكذلك العاقل والمعقول والعقل، والعارف و«**المعروف والمعرف**»، و«**السؤال والسائل وموضوع السؤال**» شيء واحد. نعم، بعد أن يدرك الأمور الخارجية يجد نفسه شيئاً من هذه الأشياء، فهو يدرك في هذه المرحلة ذاته بالعلم الحصولي وعلى نحو صورة مرتسمة في الذهن، فيكون الواعي وهو الذات غير الوعي وهو الصورة المرتسمة في الذهن، وفي هذه المرحلة يمكن حصول الشك بل والخطأ، وبهذا البيان يظهر بوضوح خطأ ديكارت لأن «**أنا موجود**» لا يقبل الشك لنحاول رفعه عن طريق «**أنا أفكر**».

والمساءلة عن كنه حقيقة ذاته الجوّانية إدراكاً ووعياً مباشراً وعرفانياً وشهودياً وحضورياً من دون وسيط وعامل براني. فالسؤال الصامت الصبيحي الأول وكذلك الناطق والملفوظ الأول هو سؤال كينونة الكائن البشري لذاته الجوانية، وذلك بغية الإحاطة التامة والكاملة بها أولاً، وبالتالي سؤال بقية الكينونات الأنطولوجية والأبستيمولوجية والأكسيولوجية من خلال عدساتها الرؤيوية الذاتية المركبة والتشميلية والتكاملية والتراتبية والتوحيدية.

فمساءلة ومعرفة كينونة الكائن البشري لكينونته الذاتية من حيث ماهيتها وكنهها الحقيقي ببعديه الأبستيمولوجي والأنطولوجي والأكسيولوجي وعلائقها البيْنيّة مع مكوناتها وعناصرها الفطرية الإلهية، وأعضائها وأجهزتها المختلفة، وكذلك سيرورة صيرورتها الغائية، وجينيالوجية تكويناتها التأسيسية والنشوئية والبدئية، وأركيولوجية معالمها، وجغرافية مساراتها، وإحداثيات بوصلتها الأنطولوجية، وفسيولوجية تغيرات وتحولات أحوالها، واستراتيجيات وآليات وظائفها، وخرائط وخطاطات علائقها وروابطها مع الكينونات الذاتية والبشرية الأخرى، ومع الكينونات الطبيعية من الجمادات

والنباتات والحيوانات، ومع الكينونات الملكوتية، التي تُستهلك وتُستجمع وتُستغرق في نهاية الأمر في سؤال ومساءلة ومعرفة وعلم بالذات الإلهية المقدسة وصفاته الحسنى وأسمائه العليا.

ولا يخفى بأن الهدف والغاية الوسائلية والوسائطية والتوصيلية لهذه المعارف هي التكامل والسعادة الدنيوية والدينوية، بغية تحقيق غاية غاياته المتمثلة في العبودية الخالصة لله والتقرب إليه عزّ وعلا. وإنَّ سؤال ومساءلة ومشكلة وإشكالات معرفة كينونة الكائن البشري تخضع لسنن وقوانين وأحكام صيرورة التكامل التراتبي التدريجي التوحيدي لها، وبذلك يقتضي منطق واستراتيجيات السؤال والمساءلة الكينونية لكائنية الكائن البشري أن نحفر حفرياتها الجينيالوجية والأركيولوجية الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية لها، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً.

### 15.7.1 كينونة سؤال السؤال «ميتا سؤال» المساءلة:

إن البحث عن كينونة السؤال وحقيقته الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، لا يتحقق انوجاده وإنّيته إلا من خلال مساءلته «**سؤال السؤال**» وذلك بغية استيلاد لمعنى وحقيقة الغائب/ الداخلي/ المخفي/ المكبوت/ المتواري/ المنفي/ الباطني/ الميتافيزيقي/ الثابت/ المطلق/ النواة/ المركز/ الوجود... في بنيَة كينونة السؤال ونصه المكتوب والملفوظ والمنطوق أو نصه الصامت أو نصه الصومتي أي الصومتة «**صمت يتخلله نطق**» و«سكوت ممزوج بكلام» أو نصه الهسهسي «**الهسهسة**» الباحث عن شرعية وجوده، وشرعية حجبه للمعاني السابقة.. شرعية بناء سلطته وتوسيع الرقعة الخاضعة لها.

إن سؤال السؤال «**ميتا سؤال**» أو مساءلة السؤال هي عملية معرفية ضمنية جوانية أي تواصل ممارس ابتغاء فهم حمولات كينونة السؤال الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية، إذ ليس مقبولاً البتة من كائن بشري غايته الكمال

والجمال والعلم والحقيقة المطلقة إغفال أو تهميش أو إقصاء كينونة السؤال الحقيقي ، وخاصة إذا ما كان السؤال سؤالاً كونياً أو إنسانياً أو تاريخياً أو مجتمعياً يتجاوز آفاقه وآماده واستطالاته وغاياته وحمولاته دائرته الدنْيوية الزمكانية ليتموضع في دائرته الديْنوية وعوالمه الأخرى الممكنة كافة، والتركيز فقط على دراسة فضائه وألفاظه البرانية، أو مساءلة سؤال كينونته الشبيهية المصطنعة من نزوات شيطانية وبهيمية وشهوات حيوانية تتموضع بجوار كينونة السؤال الحقيقية وتحاقلها أو إنها تزيحها وتقصيها إقصاءً شبه تام.

مساءلة كينونة السؤال أو التساؤل وسؤال السؤال «**ميتا سؤال**» يعني استعلام واستفهام واستفسار واستنطاق ما هو ظاهر وباطن من حمولاته المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية الثاوية في بنْيتها، لتكشف عن استرارها واستتارها وانحجابها وانوراءها لتتمثل حضورياً أمام الذات. فكينونة السؤال حال مساءلتها وسؤال سؤالها وإيراد مشكلاتها وإشكالاتها هي كحال عالم النبات البيولوجي الذي يخضع كينونة بذرة الشجرة للمساءلة العلمية والمعرفية لكافة حمولات نواة البذرة المستترة والمضمرة في نواة نواتها «**ميتا نواة**» من الجذور والجذع والأغصان والأفنان والأوراق والأزهار والثمار والألوان والرائحة و...إلخ، وذلك بالإجمال التصوري وليس بالتفصيل التحققي الذي هو من مسؤولية كينونة الجواب.

فكلما كانت هذه الحمولات الصورية والتشميلية الأولية حاضرة بحقائقها الكينونية في بنيَة كينونة السؤال، تمكن السائل من ترتيب وتنظيم وتقويم وتقديم وتأخير وتركيز وتأجيل وتوجيه مسار وصيرورة السؤال وغاياته المختلفة في معقولية وعقلانية متعالية وفي سياق قوانين وسنن وأحكام اقتصاديات صناعة وابتكار وإبداع وصياغة السؤال، وبالتالي تسهيل وتيسير الأمر أولاً على كينونة السائل في سرعة وسعة وعمق ودقة استيعاب حمولات كينونة جواب السؤال الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية، وذلك وفق اقتصاديات الفهم والتفهيم من جهة، وتيسير وتسهيل الأمر على مجيب

السؤال تبعاً لاستراتيجيات وقوانين اقتصاديات كينونة الجواب، من جهة ثانية، وكذلك مساءلة سؤال كينونة الجواب للسؤال الأول من جهة ثالثة، وهكذا دواليك تؤسس العلاقة التبادلية والتواصلية والاستدلالية والدلالية والتيلوجية «**الغائية**» والانبنائية بين كينونة السؤال وكينونة الجواب وكينونة سؤال الجواب. فسؤال السؤال أو المساءلة هي في الحقيقة قراءة نقدية واعية وغائية للسؤال قبل طرحه أو إدراجه في مصنع إنتاج المعرفة والحقيقة.

وبِمَكُنتنا أن نطلق على عملية سؤال السؤال «**ميتا سؤال**» أو مساءلة كينونة السؤال ومساءلة سؤال كينونة الجواب لحمولاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية، مصطلح اجتهاد فقه كينونة السؤال وفلسفته. فكما إن الاجتهاد الفقهي يصطلح على استفراغ الجهد لاستنباط الأحكام الشرعية التفصيلية من أصولها الكلية، كذلك اجتهاد فقه السؤال هو عملية استفراغ جهد السائل لإبداع وابتكار وصناعة وصياغة السؤال التفصيلي والتفريعي اليومي المعيشي وتجلياته الاجتماعية والاقتصادية التاريخية من حمولاته المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية الكلية التشميلية التوحيدية، وذلك بجعل السؤال كينونة وجودية حقيقية أو مجازية، نتعامل معه على أساس شخصيته الماهوية وكينونته الوجودية، من حيث إن لكينونة السؤال حياة ومماتاً ونمواً وحركةً وجسداً وروحاً وماهيةً وجوهراً وعرَضاً ولوازمَ وغيباً وشهوداً وعقلاً وقلباً وإحساساً، وله صيرورة تكاملية تشميلية تراتبية توحيدية وفق سُلَّمية راتوبية تتسامى وتتعالى فيه كينونته بالتطابق التعاضدي مع الحقيقة والحق.

وتتدرج هذه الراتوبية بدءاً من درجة المشابهة ومن ثم تتدرج تعالياً بمراتبها التكاملية إلى المشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة وأخيراً المطابقة، لتتموضع كينونة السؤال الكبروي والكبّار مستجمعة ومستهلكة ومستغرقة في بؤرتها كافة كينونات الأسئلة الفرعية والجزئية على المستوى العرضي والطولي لها، مجاورة أو مجايلة أو محاقلة لكينونة السؤال الأسمائي العليا والصفاتي الحسنى

ومراتبه التوحيدية المختلفة. وإما أن تهوي بكينونة السؤال إلى منحدر واطٍ ودرك أسفل من التناقضية والسلبية وفق تدرج تراتبي تنازلي بدءاً من درجة الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة، ما ستكون مآلاتها الطفروية والعبثية والفجائية، والتشتت والتبعثر والتنافر والتباعد عن مركز الحق والحقيقة وبؤرة الواقع والوجود، والوقوع في مكر وحيل وخداع كينونة السؤال وكينونة الجواب، وبالتالي التموضع في حقل اللامعنى واللاسؤال واللاجواب واللادين واللاعقل واللانص واللاغاية واللاإله واللاتاريخ واللاحقيقة واللاحق واللاواقع، وهذا هو حق خسارة الدنيا والآخرة.

وتأسيساً على ذلك، ينبغي بناء منهاجية بعدساتها الرؤيوية والتحليلية والاستنطاقية والاستشرافية التلومايسكتروسكوبية المركبة بخصائصها البنِّيوية التشميلية والتكاملية والتراتبية والتوحيدية، وكذلك بناء منطق وأدوات وأساليب واستراتيجيات استدلالية ودلالية وتداولية تواصلية ، وبنِّية نسقية نظميّة وغائية وانبنائية، ومعايير وموازين ومساطر تعبيرية وتوزينية وتقييسية، تمكننا من بناء وصناعة وابتكار وإبداع وتأطير وصياغة كينونة السؤال الصحيح الغائي والصالح والنافع والخيّر ومساءلة السؤال والتعامل مع مشكلاتهم وإشكالاتهم الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية

عند مساءلة السؤال أو بناء كينونة السؤال هناك دائماً وأبداً، ولعلّ ختام الآية الكريمة يوضح هذا أكثر، إذ يشير إلى أن كلاً من المحكم والمتشابه من عند الله، والإيمان بهما قائم، ولكن يبقى تفسير هذه الآيات وتأويلها محصوراً بأولي الألباب.. لا بأولي الأسباب! وشتان ما بين أولي الألباب وأولي الأسباب!

إن جدل بناء كينونة السؤال أو مساءلة السؤال أو مساءلة جواب السؤال تصاحبه دائماً وأبداً سلطات جهلية أو وهمية أو ظنية أو شبيهية أو جانبية تقام في فضاء كينونة السؤال وتتموضع في البدء في هوامش ومحيط دائرتها ثم تشرع بتغطيتها متبرقعة بحقائق سطحية قشرية لامعة تصدر حولها ضجيجاً وأنواراً تتلون وتتشكل حسب ناظريها وذلك من أجل إخفاء واستترار حقيقتها المبرقعة لتنفذ خطوة خطوة إلى الأمام من خلال إقامة علاقات حلزونية مع مركزها لتتموضع في نهاية الأمر في عمق بِنْيَتها، فيتيسّر لها الهيمنة فتمارس تسلطاً ووصاية يوديان بماهية وغائية كينونة السؤال، ويميلان بحمولاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية ميلاً يهمشها، ويلغي أبعادها الحقيقية، لتتشوه وتصبح مجرد سؤال لفظي يتشكل من حروف مقطعة لا رابطة بينها ولا نسيج علائق بينها وينطق بما تفرضه عليه هذه السلطة، لتصبح كينونة هشةً إلى درجة عجزها عن إنتاج محفزات ودوافع وغايات وتوجيهات معرفية ووجودية خالية من الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة.

قوة كينونة السؤال ومتانتها المعرفية والوجودية والقيمية في كونيتها وشموليتها وعالميتها وتكامليتها وتوحيديتها وأزليتها وديموميتها وديناميتها واقتصادياتها في إنتاج معارف حقيقية! وكونيتها وشموليتها وتوحيديتها وتكامليتها في تعميم تفسيرها في الحاضر بحيث تكون منسجمة مع نفسها وآلياتها وليس ثمة انغلاق في وجه هذا الحاضر... وأزليتها في افتتاحها وانفتاحها وتعالقها مع الغيب والمطلق والثابت والمركز بحيث تتخطّى كينونة السؤال حاجز الزمن.

فمجافاة السؤال لأي عصر أو ظروف مكانية دليل عجز فيه، ودليل على عجزه عن تحقيق ثنائية العالمية والأزلية. والتشميلية والتوحيدية. وبالتالي دليل صدوره عن لا عقلانية.. عن حسيّة قاصرة قصور الحواس، ولكن في الوقت نفسه متكيّفة مع معطيات واقع معيّن. فاعتماد السؤال على أدوات معرفية خاصة بنظام معرفي معيّن يعني أنه واضح جداً أو بمعنى آخر أنه يشكل نوعاً من القانون المؤقت.. وهذا السؤال مريض ومشلول أو مائت لا محالة.. وإنْ أُثير مرة أخرى فهو مجرد صدى تواصله مع عصره لا مع العصور اللاحقة! وهذا حال السؤال ذي حمولات معرفية ووجودية حسية ومادية وغاياته محدودة وطارئة ...

لا مفر لكينونة السؤال من مواجهة الشلل والموت ببعدين أساسين... يجب توافرهما فيها لتبقى سؤالاً حيّاً.. ومثلما التواصل والتناسل ضروريان لاستمرار أي كائن كوجود.. لا بدّ لكينونة السؤال من التمكن من العالمية والتشميلية والكونية بمعنى (التواصل) والنمو والتنمية التراتبية الارتقائية بمعنى (التكامل) ومن الأزلية بمعنى التناسل (الاستيلاد) فأجيال كينونة السؤال المتجددة تضمن استمرار كينونتها بحمولاتها المعرفية والوجودية والقيمية.. وتحميها من الزوال أو الموت.. فبدلاً من موت واضمحلال كينونة السؤال... تموت حمولاتها اللاغائية والموهومة والشبيهية ليظهر عوضاً عنها سؤال جديد نضر متألق يتزيّا بزيّ التشميلية التكاملية والتوحيدية حاملاً في صلبه روح وحقائق الأسماء الحسنى والصفات العليا.

انعدام كونية وتشميلية كينونة السؤال دلالة على مقاييسه النسبية المحدودة، وانعدام أزليتها دليل اقتصاره على واقع معرفي معين تموت بانقضائه، أما كينونة المالك وأزليته وكماليته وتوحيديته فهي كينونة سؤال حية مستمرة متوالدة... سؤال ممتد ومستطيل وخارق.

وسيلة واستراتيجية كينونة السؤال في تحقيق الكونية والتشميلية والتكاملية والأزلية

هي التمييز بين حمولات كينونته الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية من حيث ربط الأجزاء بالكلي، والنسبي بالمطلق، والشاهد بالغيب، والمتغير بالثابت، والفردانية بالمجتمعية، والظاهر بالمخفي، والمتشابه بالمحكم، والسطح بالعمق، والمرئي باللامرئي، والكثرة بالوحدة، والبداية بالنهاية والمحيط والأطراف بالمركز. والسؤال المنضبط بمنهجية عقلانية وتجربانية علمية وعرفانية وشرعية معقلنة... محاولة رصينة لتوثيق الصلة بين كينونة السؤال التنظري وكينونته الواقعية والحقيقية والحقة التي تواكب الحركة الجوهرية للنفس وصيرورة الكينونات الطبيعية والذاتية في الكون.

### 15.7.2 نموذج توضيحي لسؤال السؤال أو التساؤل و«ميتا سؤال»:

قد يبدو أن السؤال «**هل يستطيع الإنسان أن يكون كائنا عاقلا؟**» سؤالاً بسيطاً وواضحاً، ولكن هذا غير صحيح إلا بالنسبة للعقول البسيطة والساذجة، وبمجرد التأمل والنظر إلى بنْيَته ونسقيته ونظْميته الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية وحفر حفرياته الجينيالوجية وتنقير أركيولوجيته بحثاً عن الماورائيات والمسكوت عنها والمختفية وراء حروفه وكلماته تنطلق من الاطار المفاهيمي العام المتمثل في ما اتفق أغلب الفلاسفة على تعريف ماهية وكينونة الكائن البشري على أساس أنه كائن حيواني عاقل، بحيث تبدو صفة الحياة والعقل داخلة في حدود قدرته واستطاعته ما دامت صفته الجوهرية التي تعرفه ولا تنفك عنه، فإن السؤال النموذجي التعليمي المطروح هنا يقدم نفسه كما لو كان مشككا في هذه الحقيقة بالذات، ويدعونا – من ثم – إلى البحث فيما إذا كان بمقدور الإنسان أن يكون كائنا عاقلا أي أن يتصرف ويفكر وفق مقتضيات العقل، ولكن ما هي هذه المقتضيات تحديدا؟ ما المقصود بالكائن العاقل؟ ولماذا لا يستطيع الإنسان أن يحقق ماهيته المفترضة هذه؟ هل يتوقف ذلك على الرغبة أم الإرادة أم الاستطاعة؟ ثم ألا ينبغي أن نتجاوز عمومية وتجريدية مفهوم كينونة الإنسان لنبحث في استطاعة الناس، أي الأفراد المتعينين هنا والآن، في مكان وزمان محددين؟

والمساءلة أو سؤال السؤال يسعى أيضاً إلى الوصف والإظهار والكشف عن المنطق الداخلي للسؤال لمعرفة مدى تماسك وانسجام عناصره، ومدى صحة حججه وأدلته؛ وتعتبر الحجة مصطلحا إشكاليا يتجلى غالبا في شكل قضية خارجية للقضية التي نريد تبريرها. وهنا يستلزم الأمر الوقوف عند ثلاث لحظات مفاهيمية معرفية ووجودية هامة، هي:

أ - **اللحظة الأولى**: من باب الوقوف على المفاهيم، يقتضي الأمر شرح ما معنى الاستطاعة. فالسؤال يقول: «**هل يستطيع**» ولم يقل: «**هل يجب**» أو «**هل يمكن**». إذاً ما الفرق؟... وهنا يستلزم الأمر نوعاً من الحيطة واليقظة والنباهة لكي لا نقع في شباك خداع ومكر السؤال ذاته من خلال الاستسلام الوهمي أو الساذج بوضوح وبساطة السؤال وماهيته، ولذا لا بد من تناول مفهوم الاستطاعة وربطه بإمكانيات الكائن وقدراته ومؤهلاته وتميزها عن مفهوم الرغبة كميل وجداني وكذا الإرادة كنزوع واعٍ نحو هدف ما... ثم بانتقال مناسب، نعرّج على مفهوم الإنسان في علاقته بمفهوم العقل، وننفتح على موقف أول يطابق بينهما أي بين الإنسان وماهيته العاقلة...إلخ ولا ننسى أن نستنتج في نهاية هذه المرحلة أن الكينونة العاقلة تدخل ضمن استطاعة الإنسان. أي أن باستطاعة الإنسان أن يكون كائنا عاقلا لأنه لا يفعل سوى الاستجابة لطبيعته. ونذكر أنه لا قيمة لكل المعلومات المسرودة ما لم نبرهن أننا بصدد الجواب عن السؤال لا استعراض المعلومات أو الملخّص.

ب - **اللحظة الثانية**: يمكن أن نخضع كينونة هذا التصور للتحليل والحفر الأركيولوجي النقدي بأسلوب من أساليب النقد والتشكيك والتجاوز لننتقل إلى الموقف الثاني... لنبحث فيما يعوق تحقيق الكينونة العاقلة كتدخل المكونات الأخرى/ اللاعقل، الرغبة، الهوى... أو غياب الإرادة.... ولا ننسى هنا أيضا أن نستنتج مثلا أنه ليس باستطاعة الإنسان أن يحقق كينونته العاقلة ما دامت تتجاذبه قوى كثيرة متعارضة مع النزوع العقلاني...

ج ـ **اللحظة الثالثة**: وهي لحظة التركيب التي بموجبها نتجاوز الجواب على كينونة السؤال فنسائل السؤال بدوره: هل من المستحب أن يكون الإنسان كائنا عاقلا على الدوام؟ وإلا ففي أي حالة؟... لو حرص الإنسان على أنّ يكون كائنا عاقلا، ولو اقترن هذا الحرص بالإفراط، ألا يؤدي هذا الإفراط إلى النقيض أي إلى اللاعقلانية؟... كما هو الشأن في الرأسمالية حيث يسود العقل الحسابي ومنطق المردودية...

والجواب عن هذا السؤال في صورته الأولية والبسيطة التي يفترض أن يفتح الباب على مصراعيه لمزيد من الأسئلة المتعمقة وسؤال هذه الأسئلة بمقتضيات ومعطيات جديدة أو أكثر استطالة وعمقاً، وذلك لكشف مزيد من المسكوت عنها أو ماورائيات كينونة السؤال أو سؤال جواب السؤال، وذلك انطلاقاً من نتاج مساءلة السؤال الأول الذي يتلخص في مثالنا هذا تبنّي موقف معرفي مفاهيمي بأن الإنسان لا يستطيع أن يكون كائنا عاقلا لمجرد أنه يمتلك مزية العقل دون بقية الحيوان، نظرا إلى حضور اللاعقل أو العقل الشبيهي بجانب العقل الحقيقي، أو يستطيع الإنسان تحقيق كينونته العاقلة بشرط أن يتخلى العقل عن إمبرياليته ويمارس وظيفته النقدية للحيلولة دون وقوع الإنسان في التبعية والوصاية... أو اعتبار العقل مرحلة ثانية بعد الحس والتجربة العلمية وما دون المعرفة القلبية والعرفانية أو المعرفة اللدنيّة والغيبية أو.....

**مثال نموذجي آخر:**

مثال نموذجي آخر للتمييز بين كينونة السؤال المباشر والسؤال المفتوح أو بين الذي لا يثوي في بنِّية كينونته مشكل أو مشكلة معينة وكينونة السؤال المتضمنة لمشكلة يترتب عليها سؤاله وإيراد إشكالاته، ويتعلق هذا المثال بالمدينة من حيث البعد الجغرافي والمدينة كوطن للعيش والسكن. فالمنهجية السَّليمة تقتضي أن نُحدِّدَ «**مسألةً**» أو قضية أو معضلة معينة بشكل يتسنَّى لنا معه أن نتوجَّه إلى منظومة السؤال والبحث التي

تقودنا إلى إيجاد الحقيقة (أو نسبة منها) أو الحل. كمثال، **«المدينة (س) مجال التقاء (ع)؟»** مع (س) = ساحة، ملتقى، مقهى، شوارع،...الخ. مع(ع) = مكان، أشخاص، اجتماعي، فضاءات، حدود، جمعيات،... إلخ. مطروحاً على هذا النّحو، هذا السؤال لا يطرح أيّ مشكلة في حد ذاته لأننا ننتقل من دون صعوبة من س إلى ع (مدينة = ساحة، ملتقى، مقهى، جمعيات، تجمُّعات، ملاقاة... الخ). لكن السؤال الآتي: «**هل المدينة بالضرورة مكان اجتماعي (أي مكان ننزع فيه إلى العيش في حياة اجتماعية)؟؟، هل هي مكان يدعو إلى الحياة الاجتماعية الأنيسة؟**»**يحيلنا إلى مشكلة، لأنّ الانتقال من س إلى ع ليس واضحا إذ: كيف تتجلّى في المدينة أعراض اجتماعية؟. من ثمَّ عدّة مشاكل: العنف الحضري، الضجر في المدينة، النمو والانحراف في المدينة، الدّمج والإقصاء، حركة المرور وازدحام السير، المرافق الضرورية والبعد المتزايد، مدينة التّفكك الاجتماعي، غياب العلاقات الحرية، إثبات الهويّة، الحُريّات الخانقة، مدينة جذّابة ومخيّبة، في حركة دائمة دافعها الطوباوية، مدينة الأضواء (الإنارة العمومية) ومدينة الأنوار(العقل)؟؟ وعليه، في كل الحالات الانتقال من مفهوم إلى آخر(حلُّ المشكلة) يتطلّب تفكيراً وتأملاً كما يتطلّب التحرّي ومسألة أفق معرفة النفس من خلال معرفة الله أصلاً وبدءاً وقبلاً وسلفاً**».

إنَ الاستراتيجية الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية لمعرفة الإنسان كينونته الذاتية يقتضي الأمر، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، التأسيس والانطلاق من معرفة الله عزّ وجلّ من خلال صفاته الحسنى وأسمائه العليا الذاتية والفعلية في صورتها الإجمالية بادئ ذي بدء، والتي هي نفس معرفة كينونة الذات الكلية، وثانياً التأسيس والتقعيد على منظومة أنّ كينونة الكائن البشري جرم صغير انطوى فيه العالم الأكبر. بمعناه أن عالم الآيات الكلامية واللفظية الإلهية «**القرآن**»، وعالم الآيات الكونية الطبيعية الجمادية والنباتية والحيوانية «**عالم الآفاق**» قد انطوت واندكت في كينونة

الذات الإنسانية وآياتها الأنفسية، وإنها متساوقة ومتماهية ومتطابقة ومتشاكلة هذه العوالم الثلاثة، وكلها تتبأور في بؤرة مركزية واحدة وهي التوحيد، وهي مغروزة ومندكّة في الفطرة الإنسانية.

وهي نقطة البدء والمعيّة والمنتهى لسير وصيرورة الحركة الجوهرية لكينونة الذات اللإنسانية. إذاً، في البدِّئيّة الصبيحية الإنسان بحاجة إلى استراتيجية الصمت والسكوت، والإنصات والتركيز، والاستغراق والانهمام، لنداء كينونة الذات أي الفطرة التي فطرها الله عليها التي تنادي بأعلى الصوت حقيقة شجرة التوحيد، وبمجرد التفات كينونة الذات الإنسانية إلى حقيقة جذع التوحيد، تبدأ آليات الفكر والذهن والحواس والقلب والخيال الإنساني التابعة والفاعلة بإرادة وإدارة كينونة الذات، العمل على توليد وانبثاق غصني الاعتقاد بحقيقة النبوة والقيامة، ومن ثم أفنانها وأوراقها وأزهارها وثمارها. وتبدأ كينونة الذات البشرية صيرورتها بحضور إدراكي واعٍ لهذا الثالوث الاعتقادي في عالم الذات والفطرة البشرية، والذي اعتبرناه العالم المنطوي فيه العالم الأكبر. وتُستكمل معالم وبنيَة وكينونة الذات وعالَمها المتعالي بالانفتاح والتعالق مع الكينونات الذاتية والطبيعية والملكوتية الأخرى، بغية التعرف الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي والأكسيولوجي الأخلاقي بتفاصيلها وتمفصلاتها المختلفة، وذلك من خلال حركة الذات الجوهرية.

ونظراً لأهمية مفهوم كون كينونة الذات البشرية من العظمة والسعة والاحتواء والامتلاء حداً تنطوي فيها كافة العوالم الأخرى، فمن الجدير بالذكر إلقاء الضوء ولو بشكل مختصر وموجز على مفهوم وطبيعة هذا العالم الصغير وحمولاته من العوالم الأخرى.

## 15.8 تأثيل كينونة السؤال: المعرفة الوجودية لكينونة النفس الإنسانية من خلال معرفة الذات الإلهية:

إن معرفة الوجود المطلق والواجب تعالى تؤدي إلى معرفة كينونة الكائن البشري

أو كينونة النفس وكذلك كينونة الكون وآياته الآفاقية والأنفسية وقوانينها وسننها وأحكامها، ومعرفة كينونة النفس تؤدي أيضاً إلى معرفة الله وصفاته العليا وأسمائه الحسنى والكون وسننه وقوانينه التكوينية العلمية. وكذلك معرفة الكون، هي معرفة أنطولوجية وأبستيمولوجية حقيقية مآلها معرفة الله والنفس، وذلك لتماهي الآيات الأنفسية «**إنسانية الإنسان وماهيته**» والآيات الآفاقية «**السنن والنواميس الكونية التكوينية**»، والآيات اللفظية القرآنية الربانية «**الأسماء والصفات الذاتية والفعلية الحسنى لله عز وجل**».

وعليه، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، لا بد من تأسيس العلاقة البِنْيوية الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» بين كينونة الكائن الممكن الوجود، والموجود الواجب الوجود، كوجود حقيقي مطلق من خلال مفهوم الوجود الحقيقي نفسه المشترك بين كينونة الكائنات والموجودات الوجودية جميعاً. بناءً على بنيَة ونسق هذا المفهوم والمعنى يتم استنتاج مفهوم وحدة الوجود في سياق عقلي تأملي أو تنظري فلسفي أو عرفاني قلبي أو وجداني حضوري. حيث إن العدسات التحليلية الرؤيوية التلومايسكتروسكوبية لعقل الفيلسوف التشميلي التوحيدي ومنهاجيته التكاملية الراتوبية ترى الكون بأكمله وجوداً حقيقياً ووحدة واحدة، له سلّمية وجودية راتوبية ذات مراقٍ ومراتب عمودية شاقولية يرتبط بعضها بالبعض في شكل سلسلة طولية منشأها المصدري الوجودي هو الحق تعالى، أي واجب الوجود كوجود مطلق القوة والشدة ولا نهائية الكمال والتمام، منتهياً بالهيولي ككينونة وجودية تشكل أضعف الكائنات وجوداً[1].

يكشف لنا الحفر الأركيولوجي والتنقيب الجينيالوجي لأطروحات ومرئيات الفلاسفة والمنظورات والمشاهدات الشهودية العرفانية بوضوح وجلاء، أنَّ المبدأ الأول هو محض الوجود والثبوت والتحقق. حيث يؤكد الفيلسوف الفارابي (المتوفى

(1)- الأسفار، ج6، ص61.

سنة 339 هـ) بأن الوجود غير الماهية، وأن هذه الأخيرة لا تقتضي بنفسها الوجود، وبالتالي فإن المبدأ الذي عنه يكون الوجود هو ليس بماهية، أو أن ماهيته لا تختلف عن هويته، وكما يقول: «**فكل ما هويته غير ماهيته وغير المقومات لماهيته فهويته عن غيره، وينتهي إلى مبدأ لا ماهية له مباينة للهوية**[1] ». **وكذلك ابن سينا قد صرح بأن وجود المبدأ الأول هو نفس حقيقته وأن ماهيته لا تكون غير إنيته**[2]. **وكذا كان الغزالي يقول**: «**وحقيقته تعالى محض الوجود**»[3]، ويقول أيضاً: « **وحقيقة ذات الأول هو أنه وجود بلا ماهية زائدة على الوجود، وإن إنيته وماهيته واحدة**»، ومثل ذلك قوله: «**إن حقيقته الوجود المحض**»[4].

وعليه، فإن أهل العلم والفلسفة والعرفان استعملوا لفظ الوجود وأطلقوه على الحق تعالى بضرب من الاصطلاح وكإشارة إلى حقيقته المجهولة الكنه[5]. وكذا نجد من المحققين من يعتبر أنَّ إطلاق الوصف عليه تعالى بالوجود إنما هو لضيق العبارة [6]، ومن هؤلاء ابن عربي الذي صرح في (الفتوحات المكية) قائلاً: «**إنْ إطلاقنا عليه الوجود من ضيق العبارة وقصورها، والمقصود سلب العدم منه، لأن حقيقة وجوده لا تقبل التصور**». وقبله كان الغزالي يلوّح إلى هذا المعنى بقوله: «**فإن قلت: فعلمنا أنه وجود بلا ماهية وأن حقيقته الوجود المحض، هو علم بماذا إن لم يكن علماً به، قلنا: هو علم بأنه موجود، وهذا أمر عام. وقولك إنه ليس غير الماهية بيان أنه ليس مثلك، فهو علم ينفي المماثلة**»[7].

(1)- الفارابي: فصوص الحكم، تحقيق محمد حسن آل ياسين، انتشارات بيدار، قم، الطبعة الثانية، 1405 هـ، ص 49.

(2)- ابن سينا: رسالة العرشية، ضمن رسائل ابن سينا، انتشارات بيدار، قم، ص4.

(3)- ابن سينا: رسالة العرشية، ضمن رسائل ابن سينا، انتشارات بيدار، قم، ص4.

(4) - أبو حامد الغزالي: مقاصد الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961م، ص228.

(5) - صدر المتألهين: المبدأ والمعاد مصدر سابق، ص29. وكذلك الهاشمي الخوئي: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، المكتبة الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ج13، ص169.

(6) محمد علي الحكيم: لطائف العرفان، جابخانه دانشكاه طهران، 1340 هـ. ش، ص155.

(7)- أبو حامد الغزالي: مقاصد الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961م، ص251-252.

إضافة إلى أن بعضاً آخر فسر هذا الوصف بأن ما يقصد به هو أنه مبدأ للآثار فحسب[1]. ولعل المعبرين عنه تعالى بلفظ مبدأ الآثار، لم يجدوا ما يمكن أن يدركوا منه سوى تلك الصفة الدالّة على وجود الحق المطلق تعالى. وبهذا الصدد يشير الملا صدرا الشيرازي الى أن كنه حقيقة كينونة ذات الواجب وهويته لم تكن معلومة لأحد غيره، حيث إن ما معلوم منه إنما هو صفاته العليا المختصة كالإلهية والقيومية والربوبية والرازقية والرحمانية والخالقية المطلقة باعتبارها مفهومات كلية متعلقة بذوات الممكنات وهياكل الماهيات التي هي بمنزلة صفحات وسطوح مصقولة تقع عليها أشعة تلك الصفات الفائضة من نور الحق تعالى. فبهذا السبيل أجاز للعقل أن يتصور الصفات الإلهية الإضافية ويدل عليها بألفاظ موضوعة لمعانيها الخاصة، فيكون بذلك مدركاً لذات الحق، حيث الصفات لا تنشأ إلا من هذه الذات.

والنتيجة التي يخلص إليها ذلك الحكيم هي استحالة معرفة الذات الأحدية مع قطع النظر عن النسب والإضافات، حيث تعقُّل الحق باعتبار ذاته بذاته مستحيل، ولكن تعقُّله باعتباره قيوماً للعالم ومبدأ الموجودات وخالق ما في السماوات والأرض، فهو جائز لأن للعقل سبيلاً إلى اكتناه هذه المعاني، وكذا الحال مع تعقُّله من حيث سلب الكثرة عنه والاشتراك، فهو ممكن أيضاً[2]. فلعل المعنى السابق هو نفسه الذي اختلج في أذهان الفلاسفة، فعبروا عن الحق تعالى بالوجود كتلويح يشير إلى الجهل بحقيقة كنهه ويرمز إلى انحصار المعرفة في كونه مبدأ للآثار فحسب.

وهناك بحث فلسفي أخلاقي للفيلسوف الهولندي المشهور «**باروخ سبينوزا**» «Spinoza» جدٌّ لطيف وجدٌّ دقيق وقريب إلى حدّ بعيد في صورته الإجمالية عما ذكرنا من أقوال الإمام علي عليه السلام، أو ما أشار إليه القرآن المجيد في مواضع متعددة، بشأن

(1)– مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م، ج3، ص202 0 203.

(2)– صدر المتألهين: تفسير القرآن الكريم، تصحيح محمد خواجوي، انتشارات بيدار، قم، ج4، ص110 – 111.

معرفة وحقيقة الذات والنفس البشرية. حيث يقول: «**لا بد أن يُسلِّم الجميع بأنه لا يمكن لأي شيء أن يُوجد أو يُتصور بدون الله، وذلك لكونهم يُسلِّمون بأن الله هو العلة الوحيدة للأشياء جميعاً، وأنه علّة ماهيتها ووجودها على حد سواء، بمعنى أن الله ليس فحسب علة الأشياء من حيث الصيرورة، كما يقال، بل كذلك من حيث الوجود**» [1].

ويشير في موضع آخر، إلى أن البعض يرى: أن ما ينتمي إلى ماهية الشيء هو ما لا يمكن للشيء أن يوجد بدونه أو يُتصور. وعليه، فإما أنهم يعتقدون أن طبيعة اللّه تنتمي إلى ماهية الأشياء المخلوقة، وإما أنه يمكن للأشياء المخلوقة أن توجد وتُتصور بدون اللّه، أو أنهم لا يتفقون مع أنفسهم، وهو الأقرب إلى الظن. وسبب ذلك في رأي سبينوزا هو، أنهم لم يراعوا راتوبية طبيعة الفلسفة أو التفلسف عندهم، فعوضاً عن أن يلتزموا باعتبار طبيعة اللّه قبل كل شيء، إذ هي متقدمة معرفياً وأنطولوجياً وطبيعياً، فقد ظنوها متأخرة في نظام ونسق المعرفة، كما ظنوا أن الأشياء التي نسميها موضوعات للحواس هي سابقة على جميع الأشياء الأخرى.

حيث شرعوا في عملية التأمل في كينونات الأشياء والكائنات من دون التفات وتفكير البتة في الطبيعة الإلهية، وحينما التفتوا إلى اعتبار الطبيعة الإلهية، كفّوا عن التفكير في الأوهام الأولى التي بنوا عليها معرفة كينونة الأشياء الطبيعية، ما دامت لا تسعفهم في معرفة طبيعة اللّه، فلا عجب حينئذ إن وقعوا في التناقض. ويقول أيضاً: «**ينتمي إلى ماهية الشيء ما لا يمكن لهذا الشيء أن يوجد بدونه أو يُتصور**»[2]. ويقول: «**إن السبب يعود إلى أنه ليس بِمَكْنَة للأشياء الجزئية أن توجد وتُتصور بدون الله، مع أن الله لا ينتمي إلى ماهيتها. ولكن يؤلف بالضرورة ماهية الشيء الذي إذا وُجد**

(1)- باروخ سبينوزا:كتاب علم الأخلاق، ترجمة جلال الدين سعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى بيروت 2009، ص 92.

(2)- المرجع السابق، ص 93.

**الشيء، وإذا زال، زال الشيء، أو هو أيضاً ذلك الذي لا يمكن للشيء أن يوجد بدونه ولا يُتصور، والعكس بالعكس**».[1]

مآل معرفة الله عزّ وجلّ، بدءاً وأصلاً وقبلاً، هو مدخل رئيس للانفتاح والتعالق والتعرف الى حروف وأبجديات الدين والحياة والكون وغاياتها، فضلاً عن أبجديات وبديهيات بنيَة عالم كينونة الذات الإنسانية، ومعرفة حروف الدين وأبجدياته بِمَكْنَتِنا من النطق السليم لكلماته، ومن ثم قراءة وإعراب جمله، وفهم وتفهيم معانيه، وتفسير وتأويل مضمراته وإبانة بواطنه، وبالتالي معاينة ومكاشفة كنه حقيقته وروح كينونته ومضمون مضامينه، وهذا هو مضمون قول الإمام علي عليه السلام: «**أول الدين معرفة الله**»، وأمَّا غير ذلك فمآله تداخل الحروف والكلمات وتثاقل النطق بها، وتضاد معاني جمله، وإعجام إعرابه، وتناقض مفاهيمه، وتعارض معانيه، وبالتالي انحراف إحداثيات أهداف وغايات الحياة، وفساد وبطلان توابعها من حيث الخطأ في ترجمتها، وانحراف وتضليل في سلوكات السير والعمل، ليصبح الإنسان هذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعا**﴾.[2]

وعليه، أنّ يعرف الإنسان نفسه هو أن يتوصل، ولو بصعوبة إلى معرفة العوالم الأخرى الثاوية والمضمرة في بنيَة فطرة وكينونة الذات الإنسانية، وليس المقصود بهذه المعرفة معرفة الكون أو العالم، ولكن الأصول الكلية والمبادئ العامة والبسيطة والمعارف والحقائق البديهية التي لا تحتاج إلى برهان ودليل وحجة، بل تقتضي الصمت والسكوت والسكينة والإنصات لنداء كينونة الذات والفطرة الإنسانية. وكذلك المقصود هو معرفة النظام، والوضع، ولا سيما معرفة الترتيب تبعاً للمفهوم الهيرقليطي، ونظام الأسماء الحسنى والآيات والصفات العليا بالمنطوق القرآني.

فالكون يحمل الصفة الإلهية والصفة البشرية، فهو مكان التقائهما وتبادل تأثير

(1)- المرجع السابق، ص 93.

(2)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الكهف، الآية 104.

إحداهما وضغطها على الأخرى. وهذا التعبير يعني في عرف هوميروس «**زينة**»؛ والزينة تزيد في قيمة من يلبسها، وهي تبرز وتقدم الشاهد؛ وليس لها من معنى إلا بفضل من يلبسها. ولهذا فإن جان بوفريه، عندما ذكر هيرقليطس قال: «**ما هي إذاً، هذه الحلية العريقة الوجود، التي ترسل شررها إلى الكل، والتي منها يرسل الكل شرره؟**» إنها الهوية السرية لما تبذل جهد جهدها الأرواح الضعيفة في سبيل عكسه، وفصله، ومعارضته، كغير ملائم للذوق.

### 15.8.1 مسألة ومعرفة كينونة الإنسان كالعالم أو الجرم الصغير انطوى فيه الجرم الأكبر:

قيل في أدبيات الفكر الفلسفي: «**اعرف نفسك بنفسك، فتعرف الكون**». هذه الحقيقة البديهية تجد، هنا، معناها الكامل. وإذا تتبعنا الفكرة التقليدية الشرقية أو الغربية، فإننا نجد، كما سبق القول أن هناك عالمين: عالم منظور وعالم غير منظور، عالم الشهادة وعالم الغيب. وأفلاطون يعتبر العالم المنظور قاعدته، لأن كل شيء له نموذج هو نسخة عنه. وهذه العوالم ليست متعارضة يناقض أحدها عالماً آخر، ولكنها مختلفة: فواحد كائن دائم ولا يستطيع أن يتغير، وآخر لم يكن قط، ولكنه، على كل حال مستمر الولادة. والعالم الأبدي صورة عن العالم المنظور، وهو متحد بعالم الأفكار؛ وعالم آخر خاضع لتغير أبدي، يعبر عن المادة. وقد تبين لأفلاطون، على هذا الأساس، أن للعالم نفساً وجسداً.

ونيقولا بيردييف عرض فكرته التي تتناول العالم المصغر والكون المصغر في مؤلفه «**معنى الخلق**».[1] ففي نظره أن ضمير الإنسان بوصفه الوسط العالمي، فإنه يحمل في ذاته طاقة العالم. إذاً، فالمعرفة يبتدئ ظهورها انطلاقاً من الداخل. ولكن الإنسان لا يتمثل كجزء محدود من العالم، ولا يعتبر جزءاً جدُّ صغير منه. فهو، في مفرده،

(1) – اقرأ، لدى منشورات عويدات كتاب معرفة الغير – سلسلة زدني علماً.

عالم في مجمله، فضائي بطبيعته، ووسط كوني. والطريق المؤدي إلى المعرفة الكونية موصولاً بمعرفة كينونة الذات الإنسانية يفترض أن يخترق القوانين الكونية، لأنه هو نفسه عالم صغير جداً. وقوة الكون الكبير الخالقة على اتصال بقوة الكون الصغير، وهذا الاتصال يحدث ما سماه بيردييف «**مجرى من الداخل إلى الخارج**» و«**مجرى من الخارج إلى الداخل**»، وهذان الكونان يتلاقيان ويتجابهان «**زوجين**»، وليس كعملاق يلتقي أو يجابه قزماً. «**فالمركب البشري يحتوي في داخله كل الأصعدة الكونية، حاضناً في ذاته كل الحياة الكونية**».

والإنسان، من خلال واقعه هذا، يقوم بوظيفة جسر، ووسيط. فالإنسان العارف بتمركزه في ذاته يكون قد تمركز في وسط كل كائن، وعلى كل أصعدة الكائن؛ وهكذا لا يكون في حاجة للانتقال إلى الغير، أو لأنّ يضع نفسه في مكانه ليفهمه ويحبه: فهو الآخر.

ويظل الإنسان يبحث عن شمسه في الخارج ما لم يعثر عليها في داخله؛ فإن استطاع أن يتمركز في وسطه الشخصي، فهو ذا منار ومنير، مالك شمسه في الداخل. وها هو يستحق أن يلقب بالحكيم، وبالرجل الحيّ أو بالرجل النوراني. وفي الزمن الذي كانت فيه كلمة «**حكمة**» لا تثير شيئاً، ظلت مبادئ الحياة والنور محتفظة بثقلها النوعي، وبتلك المبادئ هي الجديرة بالبقاء. إن معرفة الذات، ولادة تتم في عالمها الخاصّ، وتحت إطلالة شمسها الخاصة. والإنسان الذي يعرف نفسه هو، وحده، هو الإنسان الحي.

### 15.8.2 المفاهيم والمعاني والحقائق الأنطولوجية والأبستيمولوجية الثاوية في التعريف المقترح أعلاه:

التعاريف الواردة في المنظورات والأدبيات الفلسفية لا تخرج عن المكونات أو العناصر الرئيسة التالية: الإنسان: «**كائن، حيوان، عاقل، ناطق، مؤمن**»، في حين أن الحرية والإرادة والعبودية هي الركائز الأساس في تعريفنا، وعليه سنحاول بشكل

مختصر وموجز أن نحفر الحفريات الجينيالوجية والأركيولوجية والأكسيولوجية والأنطولوجية والأبستيمولوجية له، وذلك على النحو التالي:

1 - المصدرية والمنشئية لنطفته وعلقته وبذرته الجينيالوجية البدئية الأولى، هي إلهية مقدسة ملكوتية متعالية، وتتشكل مكنوناتها وبنِّيتها من تجلياتها وتمظهراتها الأسماء الحسنى والكلمات العليا، الثاوية في بنية بنِّيَتها التأسيسية وفي بنية قاعدتها التقعيدية، المسمى بالفطرة الإنسانية المخمورة والمعجونة بالقوة. ومن أهم هذه الأسماء والسمات والركائز الفطرية هي: حب وعشق الكمال والجمال والعلم والقوة والقدرة والعدالة والإحسان والرحمة و....الخ المطلقة، وبلغة أخرى التوحيد المطلق.

2 - التكامل والتعالي: الإنسان هو: الكائن الذي يوجد بإرادته الحرة «**العبودية المطلقة لله**» بين الكائنات الأخرى الملقاة أو المنطرحة أو الموجودة بالقوة والإمكان والاحتمال إلى حيز التحقق والانوجاد متكاملاً تاماً»، ففي حال الملائكة على سبيل المثال يقول عزّ وجلّ: «**وما منّا إلا له مقام معلوم**» [1] وما قول جبرئيل عليه السلام للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم «**لو دنوت أنملة لاحترقت**»[2]. وعليه، فإن من شأن الإنسان أن يشرئب «**إلى الكائنات ليتأمل وينظر إلى أسماء وكلمات الله العليا الثاوية في كينوناتها، ليستعلم ويستطلع أمرها، ويستكنه سرها وقوانينها وسننها الحاكمة وتمظهرات وتجليات سماتها وخصائصها، بغية توظيفها واستثمارها في عملية «التصالح» و«التعالق» و«التطابق» و«التخارج و«التواصل» و«التعالي»** و«**التكامل**»، وذلك بتجاوز مراحل راتوبية ذاته، وباختراق حجب الظلمات والنور المادية والمعنوية له، وفتك بكارة غشاوة العماية والعتمة، وتعالي ذاته وتعالقها مع متقابلاتها ومتطابقاتها الملكوتية، وانبناء عوالمه الممكنة، وتحديد كنه حقيقته

(1) - المرجع: القرآن المجيد، سورة الصافات، الآية 164
(2) - بحار الأنوار، ج 18، باب إثبات المعراج، ص 382،ج 86

الإلهية وتقويم كينونته المتعالية، وذلك بوعي وإدراك وإرادة حرة حَتّى يتم تجاوز كل أشكال وأنواع العبودية لغير اللّه، وفك كافة القيود الدنْيوية، وعبور حواجز الشهوات، وتسلق سدود النزوات المادية البهيمية، مقابل جميع الكينونات والكائنات والأشياء والأهواء والغرائز والقوى المختلفة.

وعليه، بِمَكْنَتِه تحقيق إرادة أنطولوجية «**وجودية**» حرة؛ أي استخراجه وإبانته وإظهاره من القوة والإمكان والاحتمال إلى حيز التحقق والانوجاد الوجودي، والتي تتجلى وتتمظهر في شتى الكينونات الوجودية وفي كل تشعيبات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعقائدية و...الخ. فمع كل خطوة نحو التقييد والالتزام والخضوع إلى أوامر ونواهي اللّه عز وجل قلبياً وعملياً؛ أي «**العبودية « الخالصة والمؤتمنة، بِمَكْنَتِنا التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، تصديقا لقوله تعالى:**»لا إله إلا اللّه «، و»إنا للّه وإنا إليه راجعون»، و»يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه». وبتعبير آخر تتحقق درجات وراتوبية الإرادة والحرية الإنسانية التي بدورها تنفتح على الكنوز والجواهر الأسمائية والكلمات الإلهية التي تؤهل راتوبية الولاية التشريعية والتكوينية للإنسان حتى تصل إلى أسمى مراتبها ودرجاتها الراتوبية السُّلَّمِيَّة؛ أي لتصبح يد الإنسان وعينه وعقله وقلبه ولسانه وأذنه بمثابة يد اللّه ولسانه وروحه وقلبه وعينه تعالى.

فكلما تقرّب إلى ذاته عزّ وجلّ، يعني تجاوز وعبور الإنسان مراتب التوحيد من التوحيد الذاتي ومراتبه «**توحيد العوام - توحيد الخواصّ - توحيد أخص الخواصّ**» الذي ترفض الثنائية والتعددية وأنه لا نظير له: «**ولم يكن له كفوا أحد - وليس كمثله شيء - إلى الله تصير الأمور**»، وتوحيد الصفات «**عينية ذات الحق مع صفاته، وعينية الصفات فيما بينها؛ أي عين البساطة والوحدة، والتوحيد الفعلي**» ومراتبه «**التوحيد في الخالقية - التوحيد والربوبية التكوينية والتشريعية - التوحيد في المالكية الحقيقية والاعتبارية - التوحيد في الاستعانة في التأثير والتسبيب وقلع السبب**»؛ بمعنى أن العالم بكل نظميته ونسقيته وجماله وسننه وعلله ومعلولاته وأسبابه

ومسبباته، وكل الأفعال والأعمال ناشئة من إرادته جلّ وعلا»، و«التوحيد العبادي «**الاتجاه والقصدية بالعبادة لله الواحد**»؛ ومراتبه و«التوحيد في العبادة ـــ التوحيد في الإطاعة - والتوحيد في النّية»؛ يعني كل استقامة وحركة وفعل وقول وعمل وفكر ونظر لله عز وجلّ وهو المستحق الأوحد الذي لا ثاني له للعبادة والعبودية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾[1] وإن عبادته متجذرة وثاوية في الروح والنفس الإنسانية ﴿**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**ولله يسجد من في السماوات والأرض**﴾[3].

حيث تشكل مراتب التوحيد الثلاثة الأولى «**التوحيد الذاتي والصفاتي والفعلي**» التوحيد النظري والمتعلقة بالمعرفة والأبستيمولوجيا التي تمنح الرؤيوية الواضحة للكمال وإدراك وحدانية الله تعالى، في حين التوحيد العبادي هو متعلق بكينونة وسلوك وصيرورة الإنسان الحقيقية، الموصلة به إلى تحقق كمالاته الثاوية والمضمرة بالقوة في ذاته إلى الانوجاد. وهذا أمر مقتدر عليه ومبلغ تحقق مراتبه من قبل الإنسان، بما هو إمكان له، بل بما هو الإمكان الذي يثوي في مستكنات الإنسان، وذلك بشرط شروطها الشارطة بأن يفهم ويدرك حق الفهم والإدراك ماهية وكنه الأسئلة المصيرية الفطرية والعقلانية والعرفانية والغيبية والمحورية الكبروية.

### 15.8.3 مُساءلة السؤال لمسارات الأربعة لصيرورة الكائن البشري:

نعتقد أنَّ ابتكار وإبداع وصناعة كينونة السؤال وخاصة السؤال الكبير أو ميتا سؤال، لا تختلف كثيراً عن ابتكار وإبداع وصناعة سلعة جديدة منافسة في سوق السلع والخدمات التي تستلزم تزاوج الرؤيوية النظرية والعملية في سياق التأملات

(1) المرجع: القرآن المجيد، سورة الأنعام – الآيتان – 162–163.
(2) المرجع: القرآن المجيد، سورة آل عمران، الآية 83.
(3) المرجع: القرآن المجيد، سورة الرعد، الآية 15.

الاستشرافية المستقبلية لها.

وعليه، فإن ابتكار وصناعة السؤال هي أيضا ليست تأملاً وليست تجريداً ذهنياً صرفاً، بله، هي عملية اندماج وانخراط وانفتاح وتواصل وتبادل واستنطاق بين أعضاء وأجهزة الإدراك والوعي المعرفي والوجودي والقيمي لكينونة الكائن البشري مع الذات من جهة، ومع الكينونات الطبيعية والملكوتية الأخرى، أي انخراط وتفاعل واستنطاق لمجرى الحياة الواقعية وزمانيته الماضية والحالية والمستقبلية التي توجه بوصلتها الجغرمعرفية والأنطولوجية والأكسيولوجية تلك الدوافع والكينونات القيمية والمعرفية الكامنة بالقوة والإمكان في بنيَة كينونة الكائن البشري وفطرته السليمة التي تنتظر من يستنطقها بالأسئلة ذات الجدوى الاقتصامعرفية «**اقتصاد ـ معرفي**» لاستخراجها من القوة والإمكان إلى الفعل والواقع والتحقق والتثبت والإنّية.

وذلك في كافة تفريعات الحياة وتشعيباتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعقدية والفقهية و...إلخ في الحياة عبر الصيرورة التأريخية لكينونة الكائن البشري الفردي والمجتمعي، ومساهمة جذْرِيَّة في صُنْع الحضارة الإنسانية. إننا نعيش في حقبة تاريخية كبرى أَرْسَى دعائمها وجذر جذورها وقاعدة تقعيداتها وتأسيساتها البنْيوية والنسقية والنظْمية القرآن الكريم استكمالاً وتجذيراً لرسالات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وذلك من خلال منهاجية تشميلية تكاملية توحيدية، تم تعيين وتحديد مسار صيرورة الكائن البشري، من حيث نقطة البداية والنهاية التي هي أهم شرط وقاعدة لتأسيس وتحقيق وانوجاد كينونة الإنسان التكاملية التوحيدية والوصول إلى تحقيق غاية غاياته المنشودة.

وأول سؤال من الأسئلة الكبرى التي تجري في عروق مجرى تصور ذهن الإنسان منذ الزمن الصبيحي الأول له ولو بصيغ مختلفة ومتباينة، هو المبدأ من أين والمنتهى إلى أين؟. هذا السؤال هو بمثابة خط السير الذي لو التزم الكائن البشري به لن يضل

أبداً، والسير الذي يكون مصداقاً حقيقياً وواقعياً ونظرياً وفطرياً وفق موازين ومعايير ومساطر وقوانين وأحكام اقتصاديات النقل والسير، هو السير والطريق المستقيم بإحداثياته المتعينة والمحددة بمقياس ذري أو أدق من ذلك، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، ﴿... **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه..**﴾.[1] وبعداً ومنتهى ونهاية وختاماً، ﴿**فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً**﴾[3].

فقراءة الكائن الذاتي الإنساني لكينونته والكينونات الطبيعية والملكوتية الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية التي تجسدها تجسيداً حقيقياً وواقعياً بالتمام والكمال دون نقيصة أو خطأ أو ضعف، هي القراءة التي تبدأ لآيات الكون بـ «**بسم الله الرحمن الرحيم**» وتنتهي بـ «**صدق الله العلي العظيم**»، أي محورية عنصر الغيب والوحي الإلهي عبر قنوات الوصل والانفتاح والتعالق العصموية منذ بدء الخليقة الصبيحية الأولى «**آدم**» عليه السلام مروراً بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام وختاماً بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واستمراراً واستطالة وامتداداً عصموياً طولياً وليس عرضياً بالأئمة المعصومين من أهل البيت ﴿**الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**﴾ كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والصحيحة: ﴿**إني تارك فيكم الثقلين فإن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي**﴾.

إذاً يُفترض أن تتمحور وتستغرق كافة الأسئلة الوسطى والصغرى في كينونة السؤال حمولات الطريق المستقيم وحامل وهادي ومنير ومرشد ومعلم هذا الطريق الذي بواسطة النبي والهادي والمنير الجواني «**العقل**» تهتدي كينونة الكائن البشري إلى إمكانية إبداع وابتكار وصياغة وصناعة الأسئلة الكبرى التي تتبأور في بؤرة التوحيد

---

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الأنعام، الآية 153.
(2)- المرجع: القرآن المجيد، سورة النساء، الآية 175.
(3)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الفتح، الآية 2.

الذاتي والفعلي والأسمائي والصفاتي للواحد الأحد الصمد.

وهنا يقتضي على الكائن البشري الذي يصبو إلى تحقيق كينونته المتعالية الإلهية، من حيث القوة والإمكان والاحتمال إلى الفعل والواقع والانوجاد والتحقق والتثبت والإنّية، أن يؤسس منظومة متكاملة من الأسئلة الكبرى والوسطى ليستنطق بموجبها بنيَة وماهية وجوهر الكينونات الكائنية وفي مقدمتها كينونة الذات البشرية والكينونات الطبيعية التكوينية والكينونات الملكوتية اللاهوتية، ولكن قبل أن يطرح الإنسان تلك الأسئلة عليه، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، أن يتعلم كيفية ابتكار وإبداع وصناعة وصياغة الأسئلة نفسها في شكل مؤسسة مبنيّة على أسس وقواعد ومعايير وموازين وقوانين جدوى اقتصاديات المعرفة، وذلك كمشروع تنموي أبستيمولوجي وأنطولوجي وأكسيولوجي متكامل وشامل وموحد. ويمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك القول، بأن نخضع نفس كينونة ابتكار وإبداع وصناعة وصياغة السؤال، للتحليل والتشريح والنقد والتمحيص والاستئصال والإقصاء والجراحة المجهرية، وذلك بمسألة السؤال ذاته، أي سؤال السؤال «**ميتا سؤال**».

وهذا يعني على كينونة الذات البشرية العارفة أن تتأكد من الشروط واللوازم والقوانين والأحكام المنطقية والعقلانية والشرعية والعرفانية المعقلنة والمشرّعنة التي تمكنه من التعرف الى البنيَة التحتية لكينونة السؤال ونسقيته ونظّميّته ودرجة الوثوق والصحة لها. على المرء أن يُشيّد أولاً ويتعرف الى ماهية وجوهر كينونة السؤال قبل أن يشرع بإنتاج وتوليد الأسئلة المختلفة، والتأكد من قدرة وإمكانية وفائدة وغاية الأسئلة المبْنيّة على تأسيسات وتقعيدات بنْيَتها التحتية المنطقية والعقلانية، وذلك كما هي حال السباحة، على المرء أن يتعلم قواعد وأسس وفنون وأحكام وشروط ولوازم ومعايير وسنن وأحكام ونتائج وتداعيات ومخاطر وفوائد السباحة قبل أن يرمي نفسه في الماء ، وخاصة إذا ما أراد المرء أن يعبر المحيطات، أما إذا كان هدفه المنشود هو السباحة في حوض المعرفة الضحل فهذا أمر آخر لا يستحق أن نعتبره كائناً بشرياً

إنسانياً وخليفة يتجاوز واقعه المادي إلى واقع متعالٍ ملكوتي، يحقق مكنونات العالم الكبير الذي انطوى في كينونته وعالمه الصغير، بل نقارنه مع بقية الكينونات الحيوانية التي قد يتسافل الكائن البشري دون الحيواني، بل أضل سبيلاً وهلاكاً. وفيما يلي تبيان للمسارات أو الأسفار الأربعة لكينونة الكائن البشري الذي ينطلق من المبدأ إلى النهاية، وذلك كما أشار إليها صدر المتألهين الشيرازي:

## - مساءلة السفر الأول من الخلق إلى الحق:

إنّ هذا السفر من الخلق إلى الحق مشحون وممتلئ بالتساؤلات جلّها ألم ومعاناة وصبر واصطبار، يُفترض على سالكي هذا الدرب، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، التزود بالمعارف والحقائق المرتبطة به، وهذا الأمر لن يتحقق إلا من خلال سؤال كينونة هذا السفر من حيث جغرافيته الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية « **والوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» وإحداثياته ومنحنياته ومنعطافاته ومحطاته، وهو الألم الذي يشعر به الأنبياء والأولياء في تكاملهم وتحرّكهم في السفر والطريق الذي يعبّر عنه «**بالسفر من الخلق إلى الحق**» لا يجعلهم يهدأون لحظةً واحدةً حتى يوصلهم إلى قرار أمن.

أنّ يسافر العارف ويسير في سلوكه من الخلق إلى الحق، وهو الله جل شأنه، فيرى آياته في نفسه من جليل الصنع وإتقان الخلق، فيشاهد جميع المخلوقات والكائنات والافاق من عوالم العقول والنفوس والمجردات وعالم العناصر والمادة ويرى كل موجود لمعة من نور الحق وتجليات فيضه، فكل وجود في هذا العلم يراه مستهلكاً في وجود الحق وترتفع الحجب والظلمات عن نفس السالك.

قال سبحانه تعالى ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق، إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل النهار والفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب**

**المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾.**

دلت الايتان، وعلى الاخص الآية الثانية على أن جملة الحوادث والموجودات في كل لحظة مفتقرة لموجدها وليس في سلسلتها ما لا يتناهى في التأثير. ودل إتقان الصنعة على حسن الحكمة والتدبير، فاختلاف الليل والنهار وجريان الفلك في البحار والمنافع للناس من التجارات وطرق المواصلات وخواص الماء النازل من السماء.

فجعل سبحانه وتعالى ما مادته وطبيعته الهبوط أن يترقى، أي مرتفعات الاشجار وتجاويفها وانتشار الماء في الاوراق والغصون وتحول الماء من صورة إلى صورة أكمل وغاية أسمى، فأخذت الارض زخرفها بأنواع الازهار والرياحين والنبات ومختلف الاشجار وصارت الحياة النباتية سببا لحياة الحيوان والانسان، فأحيا الله الارض بعد موتها وبث في اقطارها من انواع الحيوانات مما شاكل الانسان ومما لا يشاكله، والإنسان نفسه على اختلاف افراده واختصاصه في قوة الادراك والشعور والعقل والكمال.

ثم انظر اليها الباحث الكريم إلى عجائب ما في الجو من الرعد والشهب الثلوج والامطار والسحاب المسخر من بلد ومن قطر إلى آخر وإذا نظرت إلى قطرات المطر وتأملت صفحات المياه لرأيت مكتوبا على صفحاتها انها رزق الحيوان الفلاني، تحيي به البلد الفلاني، رزق لبلد وحيوان مخصوص في وقت لا يتجاوزه، عجائب لا تحصى وأسرار لا تستقصى، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، كل ذلك بعناية الله ورحمته.

وإنَّ أقرب شيء إليك نفسك وفيها العجائب والغرائب والايات الكثيرة على وجود الصانع الحكيم، وإذا الباحث الخبير والعالم القدير بحث مدة حياته لم يعثر إلا على القليل من أسرار حياة الانسان. وقد مُلئَ القرآن بين دفتيه بإلفات النظر والتوجيه للأفكار في آيات الله والانقطاع عما سواه، وقد أعقب القرآن المجيد كثيراً من الآيات بقوله «**أفلا يتدبرون، أفلا يعقلون، أفلا يتفكرون**» إيقاظاً من سِنة الغفلة وتنبيهاً عن نوم الجهل، هذا حقيقة السفر الأوّل.

## - مسألة سؤال السفر الثاني في الحقّ إلى الحقّ:

تبدأ مسألة سؤال السفر الثاني بعد مسألة ومعرفة جينيالوجية وأركيولوجية السفر الأول، حيث يشرع ذهن وقلب كينونة الكائن البشري، وبمعيّة التراكمات الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية المستقاة من المعرفة الثاوية في السؤال في المرحلة الأولى، وتراكمات الإجابات عن مكنوناتها واستنطاقاتها الخبروية خلال ذلك السير. فالسفر في الحقّ إلى الحقّ، هو السير بخطوة تقدمية نحو درجة أعلى ومرتبة أسمى في سُلَّمية التكامل والتقرب باتجاه الجمال والكمال المطلق عزّ وجلّ، وهو سير وسفر يمتلئ ظرف كينونة الكائن البشري ويفيض وينال نوعاً آخر من التكامل، حيث يكون في الحقّ، وإلى الحقّ، وكأن الحركة والتكامل دائري في الحقّ، اتحاد مطلق معه فيعطيه من فيضه كل الكمالات التي يمكن الوصول إليها، وتصبح كل قابلياته فعلية.

وهنا يحصل التقارب حداً يطلق عليه في مصطلح العرفاء الفناء في اللّه، أي أولاً لا يشاهد الكائن الإنساني أي شيء أو موجود سوى اللّه سبحانه وتعالى من جهة، ثم لا يشاهد ذاته ونفسه ويجد كل ما في الوجود هو اللّه فقط، من جهة أخرى. وهذا هنا لا يعني العدم، بله، الكائن الإنساني الموجود لا يشاهد وجوده مقابل وجود الواجب الوجود، وهذا عين الكمال وتمامه، والكمال لا يعني العدم كما يتصوره البعض.

ومآلات هذا السفر ونتائجه الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية تشكل ولادة سؤال ومعرفة كينونة النفس الإنسانية الغيرية لكينونات الآخرين من البشر من خلال الانفتاح البنِيوي الوظيفي والنسقي التعالقي والتداولي والتواصلي والنظمي الانبنائي، المستقاة من سؤال ومعرفة نفس كينونة الحق ومن مسألة ومعرفة بنيَة كينونة التألم لكينونات الكائنات البشرية الغيرية، المنبثقة من سؤال كينونة التألم الكبير والمركزي والتبأوري لكينونة المطلق والمثل الأعلى اللّه سبحانه وتعالى.

إن الشخص العارف إذا أكمل السفر الأوّل، سافر ثانيا، من الحق إلى الحق، ويقصد

الفيلسوف بهذا السفر هو ان يسافر العارف من منازل الفناء في الذات المقدسة إلى مراحل الفناء في الصفات العليا، فيسلك ويسير من الفناء في ذاته إلى الفناء في كمالاته من كمال إلى كمال آخر فيظهر إلى السالك واحديته تعالى وأحديته وعلمه وقدرته وإرادته وحكمته وسمعه وبصره ويعرف الاسماء كلها، الا ما استأثر به الله تعالى، ويعبر عنه بالخفاء، وأما الخفاء بمصطلحهم ففناء الشخص في فنائه وبه تتم دائرة الولاية فيرى الله في كل شيء ولا يخلو منه شيء، وأنه اقرب اليه من حبل الوريد وأن لا قوة الا به فيسمع ويبصر وينطق ويريد ويفعل ويتحرك بحول منه تعالى وقوته وأن كان الكل منه سبحانه.

وهذا السفر كما أشرنا هو مبدأ السير من الذات إلى الصفات والتجليل بأسمائه، وهو مقام الواحدية وعندما تفنى الذات لا يرى الا الله ولا يلتفت إلى سواه غافلا عن كل ما عداه، قال امير المؤمنين عليه السلام ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه وقبله وبعده، وحينئذ تكون صفات العبد منزهة عن الرذائل لا يشوب علمه جهل ولا يخالط قدرته عجز ولا إرادته التردد، ولا علمه الباطل، بل يتعلق بما أراده الله سبحانه وتعالى فلا يريد إلا ما أراده الله ولا يحب ولا يبغض إلا في اللّه.

ويعبر العرفاء عن مقام فناء الاسماء بمقام الخفاء وعن فناء الصفات والافعال بمقام السر ولا مشاحة عندنا في هذه المصطلحات إن لم ترجع هذه الامور المدونة في الفلسفة إلى ما ينافي الشريعة المقدسة وإلا فلا يسعنا قبولها لأنها ألوان وخيالات وأوهام.

## - مسألة سؤال السير في المرحلة الثالثة «السير من الحق إلى الخلق»:

إنَّ مُساءلة ومعرفة كنه حقيقة وماهية وجوهر السير من الحق إلى الحق تبدأ بعد التموضع والتوقف التأملي التكاملي في نهاية السير «**من الحق إلى الحق**»، أي بعد إتمام وإكمال معرفة جوهر وحقيقة كينونة سؤال الحق واستنطاقه العرفاني القلبي أو

استنطاق ألفاظه المتعالية في القرآن الكريم أو استنطاقه من خلال التأملات العقلية، وبذلك تشرع كينونة الكائن بعد تلقي تجليات وفيوضات معرفية ووجودية وقيمية أخلاقية متعالية الخاصة بالمرحلة الثانية، أي بعد أن يطوي سؤال ومعرفة دائرة كينونة الوجود ويعرف الطريق وآداب المنازل، يُبعث ويبدأ سفره الثالث من الحق إلى الخلق، بل بعد أن يفيض من هذه الحقيقة ويبدأ الرجوع والعود إلى مصنع ومحطة التكامل الكينوني الفردي والمجتمعي حاملاً معه حمولات أبستيمولوجية وأنطولوجية وأكسيولوجية تتعلق بكينونة الحق الكامل، وعليه فإن هذا الرجوع ليس بمعنى التقهقر إلى النقطة الأولى والانفصال عمّا حصل عليه، وإنما يرجع مع كل ما حصل عليه ووصل إليه، لذا فهو حسب الاصطلاح «**من الحق إلى الخلق مع الحق**» لا بعيداً عنه، وهذه مرحلة تكاملية تسمو بصاحبها إلى مراقي ومراتب متقدمة في السُلَّمية الراتوبية التكاملية لكينونات الكائن البشري، وذلك إعداداً وتمهيداً أبستيمياً وأنطولوجياً للشروع في السير الرابع للكائن الإنساني.

وهو السفر من الحق إلى الخلق، وليس للعارف وإن وصل إلى هذا المقام حق تشريع الاحكام وفي نظرهم انه السير من عالم اللاهوت إلى عالم الجبروت، من الله إلى عيان الموجودات وآثارها وما يترتب عليها من النتائج، ويعرض لمثل هذا الشخص بنظرهم الصحو التام وعند ذلك يعرف السالك صدور الكثرة من الوحدة الحقة ويبقى ببقاء الله تعالى. قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنما خلقتم للبقاء لا لفناء ومثل هذا العارف له نصيب من النبوة وحظ من الوحي الالهي والالهام النفسي وإن لم يصح له تشريع الاحكام إلى الخلق، ويتعين عليه ان يتدين بدين صاحب الشريعة والرسول المبعوث في زمانه.

قال تعالى، وإذ نري إبراهيم ملكوت السموات والارض أولم يكفِ بربك انه على كل شيء شهيد،... ولهذا السالك قوة اليقين، وليس له قوة التشريع من قبل الحق ولا يلزم غيره بما أوحي اليه ويصل هذا السفر بعد إلى عين الجمع وإلى البقاء بعد الفناء وإن عبر بعضهم أن منزلة البقاء بعد الفناء هو السفر الرابع ويظهر بطلانه بأدنى تأمل، فان

السفر الرابع هو منزلة التفريق بعد الجمع عندهم وإن السفر الأوّل والثالث يتقابلان في المبدأ والمنتهى، وأن الثالث ينخصّ بالحق دون الأوّل وأما السفر الثاني والرابع فمتقابلان من وجه واختلافهما في المبدأ والمنتهى واشتراكهما في انهما بالحق.

## - مساءلة سؤال السير الرابع «في الخلق مع الحق»:

إنَّ كينونة الكائن البشري بكل ما تحمل من حمولات أسئلة ومعرفة أبستيمية وأنطولوجية تراكمية متعالية من تكاملات مراحل السير الثلاث الأولى، تُؤهل كينونة الكائن البشري لصياغة السؤال الكبّار الذي بمقتضاه يُساءل ويستعلم ويستفهم ويستنطق كينونة السير الارتقائي المجتمعي لكينونات الخلق بكل تلك الحمولات الأبستيمية والأنطولوجية والأكسيولوجية المتعالية التي تشكل هنا الحبل المتين والعروة الوثقى الرابطة بين الأرض والسماء والتي تتمسك بها الكينونات للصعود إلى غاية ومطلق وكمال غايات الكينونات الذاتية والمجتمعية الخلقية.

وبهذا تكتمل دورة حياة كينونة الكائنات البشرية الذاتية والمجتمعية الخلقية بالسير في الخلق مع الحق، وهو السير الذي يوجه بوصلة اتجاهات وغايات ومسارات كينونة الكائن نحو الجمال اللامتناهي والكمال المطلق الإلهي، وذلك عن مساءلة ومعرفة كنه حقيقة وجوهر وماهية الشريعة الإسلامية التامة والكاملة «... **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا..**».[1]، أي عن طريق الثالوث العصموي النبوة والإمامة «**المثل والنموذج البشري الأعلى**»، والكتاب والسنة «**المعارف والحقائق النظرية والعقدية**»، والعقل الاقتصادي «**الطريق المستقيم**»، وذلك من خلال الحق والعدل والقيم الإنسانية وإيصال القابليات والإمكانات البشرية اللامتناهية الكامنة في بنّيه كينونته العميقة الثاوية في بؤرة فطرته الإلهية بالقوة إلى الفعلية والثبوتية والانوجادية والإنّية والتحققية.

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة المائدة، الآية 3.

أنّ يسافر العارف من الخلق، فاذا سافر وقطع هذه المنازل المعنوية ووصل إلى هذه المرحلة من الكمال، جاز له تشريع الاحكام بأمر من الله على طبق المصالح، فيشاهد الملك ويسمع خطابه وكان سفيرا بين الله وخلقه فيشاهد افعال الله ولوازمها وسعادات البشر والمخلوقات وشقاوتهم ويعرف منافع الاعمال ومضارها وصلاح الخلائق في النشأتين، الدنيا والاخرة، وفساد النشأتين وعندها يأمر بالصلاح وينهى عن الضلال ويشاهد الخلائق وآثارهم ويعرف رجوع الاشياء كلها إلى الله ويوصف الرجل في هذه المرحلة بالنبي والمشرع لانه أنبأ عن بقاء الخلائق وسعادتهم وشقاوتهم وعن أحكامهم وآثارهم وكان دائما متوجها إلى الله.

واعلم ان القوة العلمية والنظرية يتكافا في الانوار والآثار، فبالنظرية علم اليقين بالعملية عين اليقين وحتى اليقين، وفي مثل هذا الشخص الذى تمت فيه الفلسفتان، النظرية والعملية تصح العقوبة على مخالفة امره ونهيه، حيث له مقام التشريع في الاحكام والمولوية على من شرع لهم الحكم ويعرف حقيقة الجنة والنار والصراط والميزان والكتب والصحف، وما جاءت به الرسل من الكتب السماوية وما هبطت به الملائكة من الوحي. وقد قال الله تعالى «**ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**».

وهذا السفر غاية نهاية مرآة للتجلي والشهود ونهاية سير العبد لخالقه وبه تعرف حقيقة التوحيد الكامل وشهود الحق ذاتا وصفة وفعلا ولا يحتجب عن الحق ولا بالحق عن الخلق، ويكون السالك في غاية مراتبه مجمعا للاسماء وموردا للوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة ويحيى بحياة الحق تعالى ويرتفع عنده حجاب الانية فهو عارف بعلمه ومختار باختياره وقادر بقدرته.

وحقيقة هذا الشخص هو المصطفى وعين الاصطفاء الحقيقي وهو المثل الاعلى والمثل العليا من هذا السفر والكتاب الأوّل والقلم الاعلى ومن اعلى مراتب هذا السفر هو نبينا الكريم الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله كما وصفه الله سبحانه وتعالى في

الكتاب التدوينى «**وإنك لعلى خلق عظيم**» «**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**» والذي أذهب عنه الرجس وطهره تطهيرا وكانت رسالته التكوينية هي الرحمة وهي ذات محمد ﷺ، فوجوده رسالة تكوينية للموجودات وأقواله وحالاته وأفعاله رسالة تشريعية في عالم الاحكام، ولعل تسميته بمحمد اقتباس من حقيقة الحمد والثناء وهو المختص بثناء الله ولذا افتتح الكتاب العزيز بعد التسمية باسم الحمد والثناء. إلى هنا نقف حول ما بيناه مما ذكره صدر المتألهين في اسفاره والكتب التى تعرضت لبيان هذه الاربعة وإن كانت عبارته في اسفاره وكتبه لا تؤدي هذا التقسيم الكامل ولا إيضاح الاسفار بما بيناه.

### 15.8.4 المستويات الراتوبية لمساءلة كينونة الذات الإنسانية:

هناك عدة مستويات أنطولوجية وأبستيمولوجية وأكسيولوجية لمساءلة كينونة الذات ومعرفتها منها: مساءلة سؤال ومعرفة الذات أو النفس لكينونتها الذاتية أو الفطرية، ومعرفة ومساءلة كينونة النفس الفلسفية، ومساءلة ومعرفة كينونة الذات أو النفس الكونية، ومساءلة ومعرفة النفس الطبقية، ومساءلة ومعرفة النفس القومية، ومساءلة ومعرفة النفس الإنسانية. ونظراً لتباين ماهيات تموضعات المعارف على كينونة الكائن البشري من جهة وتشاكلها وتناظرها من جهة أخرى، فمن الجدير بالأهمية أن ننقر وننقب ونُسائل ونستنطق جينيالوجية تموضوعات المعارف المحمولة على كينونة الكائن البشري وطبيعة العلائق الأبستيمية والأنطولوجية البيْنيّة بينها ببعديها الأفقي والعمودي وفق سلّمية راتوبية مستطيلة وشاقولية. ويفترض أن تتأسس منظومة مساءلة ومعرفة كينونة الكائن البشري على تلك المعارف والعلوم التي تحقق غاية غايات كينونة الإنسان، وإلا جهود تأسيس منظومة أسئلة كينونة الذات تذهب سدى وفي مهب الريح وتتشاكل بشجرة كبيرة ضخمة ولكنها غير مثمرة، وإذا ما أثمرت فثمارها حنظل وخردل مرّ.

## 15.8.5 كينونة السؤال والمساءلة بين المشكلة والإشكالية

لقد ذكرنا مراراً وتكراراً بأن بنيَة كينونة الكائن البشري الجوانية الفطرية[1] والذاتية تحمل حمولات أبستيمولوجية «**معرفية**» وأنطولوجية» «**وجودية**» وأكسيولوجية «**أخلاقية وقيمية**» «**واستطيقية** «**جمالية وفنّية**»، أي الأسماء الحسنى والصفات العليا بالقوة والإمكان والاحتمال، وأن كائنية كينونة الكائن البشري تتحقق وتتوجد بالفعل والعمل الذي يسبقه ويستلزمه التأمل والتفكر والنظر والتدبر الذي من مستلزماته البنّيوية المعرفية والوجودية الاستعلام والاستفسار والاستفهام والاستنطاق الذي يمثله معرفياً السؤال وسؤال السؤال «**ميتا سؤال**» ومساءلة السؤال ومعاينة مشكلاتهما وإشكالاتهما النظرية والعملية المتعلقة بكينونته الذاتية وبالكينونات الطبيعية والملكوتية في الكون

---

(1)- إن مفهوم الفطرة يحمل في طياته معاني كثيرة، ما جعل المفسرين يطرحون تفاسير متعددة لهذا المصطلح القرآني، ولكننا سوف نثبت أن اصل الفطرة له ارتباط وثيق بالتشريع الإسلامي ووضع الأحكام. ورد في 19 موضعا في القرآن كلمات من مصدر «فطر» وفي معان مختلفة هي:**فاطر بمعنى الخالق**: حيث ورد في 13 موضعا (فاطر السموات والأرض) (يوسف: 101؛ إبراهيم: 10؛ فاطر: 1؛ الزمر: 46؛ الشورى: 11؛ الأنعام: 14) بهذا المعني، كذلك وردت بنفس المعنى في آيات أخرى (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا. الأنعام: 79)، (الذي فطركم أول مرة. الإسراء: 51)، (والذي فطرنا. طه: 72)، (إن أجري إلا على الذي فطرني. هود: 51)، (ومالي لا أعبد الذي فطرني. يس: 22)، (الذي فطرني فإنه سيهدين. الزخرف: 27)، (رب السموات والأرض الذي فطرهن. الأنبياء: 56). وقد أجمع أكثر المفسرين ومنهم الزمخشري على أن معنى فطر في هذه الآيات يعني الخلق والخالق (زمخشري، كشاف، ج 3، ص 479).

1 - **الفطرة بمعنى الإسلام**.فسر بعض المفسرين الفطرة في الآية (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله. الروم: 30) بمعنى الدين الإسلامي (الصابوني، ص 1005) وآخرون فسروها بمعنى الدين والإسلام والتوحيد (الطبرسي، ج 8-7 ص،(474

2 - **الفطرة بمعنى طبيعة وغريزة الإنسان**. للشيخ مرتضى المطهري بحث مفصل عن معنى الفطرة حيث يقول: الفطرة كالطبيعة والغريزة، أمر تكويني أي جزء من وجود الإنسان ونقصد بالتكويني أي ليس اكتسابيا وهو اعلى رتبة من الغريزة (المطهري، ص 28-32(.

3 - **الفطرة بمعنى بداية الخلق**. يذكر الطبرسي في معرض تفسير الآية (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض. الأنعام: 14)، بأن كلمة فطر تعنى شق، والفطرة ابتداء الخلقة (الطبرسي ج 4-3 ص 432-434). وأيضا فسر نفس المعنى في معرض تفسيره الآية (الإسراء: 51) (طبرسي، ج 6-5، ص 648). ويقول ابن الأثير الفطر: الابتداء والاختراع وهو إشارة إلى بداية الخلق (مرتضى المطهري، 1361 ش، ص 12.

4 - **الفطرة بمعنى القابلية البشرية للخير والشر، والإيمان والكفر**. كلمة فطرة على وزن «فعلة» تدل على النوع كأن نقول «جلستُ جلسةَ زيد»، والآية (فطرة الله التي فطر الناس عليها) أي ذلك النوع الخاص من الخلقة التي خُلق الإنسان على غرارها. وفطرة الإنسان أي الخصائص الموجودة فيه منذ بداية الخلقة (المطهري 1361 ش، ص 12). ويقول الرسول ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة) أي الخلقة التي فُطر عليها في الرحم من سعادة أو شقاوة.

5 - **الفطرة بمعنى الدين**. خلق الإنسان على طبيعة لها قابلية قبول الدين الحق اذا ترك وطبيعته وفطرته، إلا أن تتداخل عوامل خارجية حيث تحرفه عن الدين الفطري الصحيح (نفس المصدر ص 130) وجيئت في تفسير الآية (فطرة الله التي فطر الناس عليها. الروم: 30). في هذه الآية الفطرة بمعنى الدين وفطرة الله، وإن فطرة الإنسان خلقت على أساس الفطرة الإلهية، ويبقى السؤال: ماذا تعني « فطرة الله»؟.

6 - **الفطرة بمعنى التشقق والانهيار**. هناك معان أخرى لكلمة فَطَرَ مثلاً (تكاد السموات يتفطرن. مريم: 90؛ الشورى: 5) أي التفسخ والانهيار، (فارجع البصر هل ترى من فُطور. الملك: 3) (السماء من فطر به. المزمل: 18) وهي بمعنى التشقق. إن اصطلاح «إفطار» في شهر رمضان جاء بنفس المعنى أي قطع استمراريه الصوم عبر الأكل.

والتي جميعها هي تمظهرات وتجليات لحقيقة كينونة الكائن الوجودي الواحد الأحد والسرمدي الأبدي الواجب الوجود والكمال المطلق. يقول(جون ديوي John Dewey) «**إنَّ التفكير لا ينشأ إلا إذا وجدت مشكلة وإن الحاجة إلى حل أي مشكلة هي العامل المرشد دائما في عملية التفكير**» ومنه فان الدافع إلى البحث مرتبط دوما بطرح المشكلات وهذه المشكلات تكون جزءا من إشكالية. وعلينا أن نفهم المشكلة بمفهومها العام الذي يعني عقبة وعصرا وشدة وضيقا وذنبا «**بالمفهوم اللغوي وليس الفقهي**» في تحقق أهداف وآمال وطموحات وكمالات كينونة الكائن البشري التي لا تتحقق إلا بالعصر والمعاناة والقلق والدهشة والأمل والإيمان والعمل الدؤوب الصالح المفيد، وعليه يعبر القرآن الكريم عن هذا المفهوم في آياته المجيدة: ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿**فإنَّ مع العسر يسرا، إنَّ مع العسر يسرا**﴾(2).

هنا يعبر القرآن الكريم عن مفهوم أبستيمولوجي «**معرفي**» وأنطولوجي «**وجودي**» وأكسيولوجي «**أخلاقي وقيمي**» لا كظاهرة عشوائية أو طفراوية بل كسنة إلهية وقانون منطقي طبيعي مطرد لصيرورة الكائن البشري التكاملي، أنّ ليس هناك تعاقب، أي ليس هناك أمر صعب، ثمّ يعقبه أمر سهل بالتناوب، ليس الأمر كذلك، بل إنّ السهولة وليدة الصعوبة، والصعوبة أُمّ السهولة، أي أنّكم إذا أردتم بلوغ اليُسر، والرفاه، والسعادة، فلا يُتاح لكم ذلك ما لم تَعبروا طريق الشدائد. ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا × إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾: المعنى الكلّي هو أنّ الصعوبة تأتي ومعها السهولة، والسهولة في الصعوبة، فهنا توجد معيّة وليست بعديّة بين العسر واليسر، ولذلك جعل الله تعالى الدنيا دار تعب ونصب، وبلاء وعناء وعمل، وحياة الإنسان فيها تتقلب بين العسر واليسر، والضيق والسعة، والشدة والفرج، والغنى والفقر، وذلك لتتم قضية ابتلاء أهل الإيمان قال تعالى:

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة العصر، الآيات 1 ـ 3.

(2)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الشرح، الآيتان 5 و6.

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[1].

وقد بين المصطفى ﷺ أن البلاء قرين الإيمان، فقد قال ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء**» **مع الصعوبة سهولة، وإنّ الصعوبة تليها السهولة، مع الدمعةِ بسمةٌ، ومع الخوفِ أمْنٌ، ومع الفَزَعِ سكينةٌ، ومع نهاية ظلام الليل صباحٌ أبيض، فالليل يُبشّر بصبح صادق يطارِدُهُ على رؤوسِ الجبال، ومسارب الأودية، المهمومَ يُبشّر بفرجٍ مفاجئ يصِلُ في سرعةِ الضَّوْءِ، ولمحِ البصرِ، المنكوب يُبشّر بلطف خفيٍّ، وكفٍّ حانيةٍ وادعةٍ. إذاً فلا تضِقْ ذرعاً فمن المُحالِ دوامُ الحالِ، وأفضلُ العبادةِ انتظارُ الفرجِ، الأيامُ دُولٌ، والدهرُ قُلّبٌ، والليالي حُبَالى، والغيبُ مستورٌ، والحكيمُ كلَّ يوم هو في شأنٍ، ولعلَّ الله يُحْدِثُ بعد ذلك أمراً، وإن مع العُسْرِ يُسْراً، إن مع العُسْرِ يُسْراً.**

## 15.9 مِمْيلة ومَكْيلة وبوصلة كينونة السؤال:

من المسائل ذات الأهمية القصوى والخطورة العظمى هي مِمّيلة ومَكّيلة ومنقلة ومسطرة وميزان وبوصلة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، التي يفترض على السائل الرشيد والطالب الحريص والكائن الغائي والإنسان الاقتصادي والمقتصد أنّ يعدها عدا ويصونها صونا ويرعاها رعاية ويُعيرها معايرة قبل السير في السؤال أو حتى التفكير والتأمل فيه، بله، عليه أنّ يتجاوز ذلك في البحث والتعيين والتحديد لمِمّيلة المِمّيلة ومَكّيلة المَكّيلة ومنقلة المنّقلة ومسطرة المسطرة وميزان الميزان وبوصلة البوصلة؛ أي ما بعد وميتا مِمّيلة ومَكّيلة ومنقلة ومسطرة وميزان وبوصلة؛ الناظرة والفاحصة والشارحة والواصفة والقيمة والقيّومة والمقوِّمة

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة العنكبوت، الآيتان 2 و3.

لها قبل أنّ تكون لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

فتحديد زوايا مِمّيلة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب وإحداثيات منّقلته وأوزان مَكّيلته واستطالة واستقامة مسطرته واتجاهات بوصلته، البنّيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية، والدلالية والاستدلالية، والتداولية والتواصلية والتبليغية، والوظائفية والغائية، والتفهيمية والمفاهيمية والإفهامية والانفهامية، والتعليمية والتعلّمية والبيداغوجية والديداكتيكية، الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية، كلها مقدمات ضرورية لتأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

فكما أنَّ للمركبات كالسيارات والبواخر والطائرات أو للأجهزة والأدوات والآلات مِمّيلات ومَكيلات وبوصلات وموازين ومعايير وكراسات خاصة استرشادية وتوجيهية لطريقة استعمالاتها وتداولاتها وصياناتها وتوظيفاتها، يفترض على كل من يملك هذه الأشياء أو من يستخدمها أنّ يقرأها جيداً ويفهمها كاملاً حتى يستفاد منها اقتصادياً وأخلاقياً وقانونياً وشرعياً، وأنّ يكون الكائن البشري شفيعاً لها كما هي ستكون شفيعة له كردّ الجميل والإحسان، كذلك لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب مِمّيلة ومَكّيلة ومنقلة ومسطرة وميزان وبوصلة، وكراسة معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية ومنطقية وعلمية وعرفانية ووحّيَانية غيبية مسددة ومؤيدة، على الكائن البشري أنّ يتمكن منها حتى يكون خير شفيع للجواب، كما سيكون الجواب بعد ذلك خير شفيع للسؤال.

فلكل غرض وهدف وغاية من هذه الأغراض والأهداف والغايات زوايا وأوزان وإحداثيات واستطالات واتجاهات مختلفة ومتعددة ومتنوعة، يستلزم الأمر التعيين المحدد والتعيير الدقيق والتحيين المناسب والتوجيه السليم والاستطالة والامتداد

المستقيم والتوزين الدقيق لحمولات كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية لأبعادها واستطالاتها وأعماقها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيكولوجية والسوسيوعقائدية و...إلخ. وينطبق ذلك أيضاً بالنسبة لعمليات البناء التركيبي والتراكبي والتكوين والدلالي والاستدلالي والتواصلي والتداولي والوظيفي، فضلاً عن تحديد وتعيين مرجعيتها الاستخلافية الإنسانية والخاتمية المحمدية ﷺ الكونية الخالدة والانتظارية المهدوية عجّل الله فرجه الشريف الموعودة والاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة والممهدة للولاية العصموية، وذلك كإجراء حصر معرفي ووجودي وقيمي وأخلاقي وجمالي وفنّي لمجرى كينونة السؤال وتواليه من الأسئلة، عن طريق اختزال وإزالة تشتتات السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب وتنفراتها وانتشاراتها وتبعثراتها وتشظياتها من جهة، وإمحاء اختلافاتها وتمايزاتها وتغايراتها وتضاداتها وتقابلاتها وتطابقاتها السلبية وتناقضاتها ومزايلاتها السلبية والترقيعية والهجينة والانحدارية من جهة ثانية، وتثبيت مركز مركزيتها ومحور محوريتها وبؤرة تبأوراتها من جهة ثالثة، وتحقق مشابهاتها ومشاكلاتها ومضارعاتها ومضاهياتها ومماثلاتها ومجاوراتها ومناظراتها ومطابقاتها التعاضدية والوفاقية أو التوافقية والتكاملية من جهة رابعة. فما لم تتحقق كافة هذه المقدمات والبدايات والتوسطات والنهايات لا يمكن بناء وتأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

### 15.10 السؤال الاستضعافي والاستكباري لكينونة الكائن البشري:

لقد تبين لنا أنَّ هناك صنافتين من الأسئلة والتساؤلات والمشكلات والإشكالات في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والواقعي الحقيقي القائم في المجرى الوجودي الأنطولوجي في الكون أو العالم أو الوجود، تتضمن منظومة الصنافة الأولى

من الأسئلة وأسئلة الأسئلة وأسئلة الإجابات وأسئلة أسئلة الإجابات التالية: السؤال والإشكال الفرجوي والاستعراضي المسرحي، والسؤال التسلوي، والسؤال المخملي والترف المادي والفكري، والسؤال الطفراوي والفجائي والعبثي والعشوائي، والسؤال التكراري والاجتراري المبتذل، والسؤال النسخي الكربوني أو المِنساخي البنتوغرافي «Pantographic» أو الببغاوي والمسخي المستحل الحيواني والفسخي المستذل المتدني، والسؤال الهامشي والسطحي والبسيط والساذج، والسؤال الفردي الذاتوي، والسؤال اليومي والآني المعيشي، والسؤال الماضوي والتراثي السلفي المنغلق، والسؤال اللاشعوري واللاواعي، والسؤال الاستيرادي المعلّب الجاهز للاستهلاك، والصنافة الثانية من: السؤال التجريبي العلمي، والسؤال الفلسفي العقلي والمنطقي، والسؤال الشهودي العرفاني المتعالي، والسؤال الغيبي الوحيَاني المسدد والمؤيد، والسؤال الوجودي، والسؤال الأخلاقي القيمي، والسؤال الجمالي والفني، والسؤال المجتمعي، والسؤال التاريخي، والسؤال الحضاري، والسؤال الكوني الخاتمي والخالد، والسؤال الاستخلافي، والسؤال الانتظاري المهدوي، والسؤال الاتّباعي الولائي الفقاهتي التقوائي العام الممهد للولاية المعصومة المنتظرة، والسؤال الحاضر المنفتح على الماضي، والسؤال المعاصر المنفتح على المستقبل.

وهاتان الصنافتان من الأسئلة والمشكلات والمساءلات والإشكالات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية يمكن أنْ تتموضعا في صنافات أخرى منها: منظومة الأسئلة المستضعِفة أو المستضعَفة أو المستكبرة أو الرشيدة تجريبياً علمياً واقعياً وعقلانياً فلسفياً برهانياً وعرفانياً شهودياً معقلناً ومشرْعناً وتخييلياً ووحْيانياً غيبياً مسدداً ومؤيداً.

ولكل نوع وشكل من الأسئلة والتساؤلات والإشكالات في هذه الصنافات لها بنْيات وبناءات تركيبية وتراكبية وتكوينية مختلفة، ودلالية واستدلالية متمايزة، وتداولية وتواصلية وتبليغية متغايرة، وتفهيمية وفهامية وإفهامية وانفهامية متباينة، وتعليمية

وتعلّمية بيداغوجية وديداكتيكية متعددة ومتنوعة، تؤدي كل منها وظيفة معينة ويسعى إلى غاية محددة، ويفعل فعلته ومفعوله المراد في إطار وبيئة ومجرى معرفي ووجودي وقيمي وأخلاقي وجمالي وفنّي خاص يتشاكل مع بنياته وبناءاته ووظائفه وغاياته داخل المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب ومشكلاتها وإشكالاتها، التي تنتظر مقارنتها ومقاربتها مع مجرى السؤال الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية في سياق الشبكة العنكبوتية لكينونة السؤال ونسقها العلائقي ونظامها التراتبي ووظائفها التكاملية وبنْياتها العميقة وبناءاتها المتماسكة.

السؤال الاستضعافي والاستكباري بغض النظر عن جذورهما وأسبابهما الجوانية أو البرانية، فإنهما يعانيان من ضعف ووهن وهشاشة أو خواء وهباء وفراغ، ويعابان من فقدان المحور والمركز والقطب الجامع والرابط المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي، بحكم حالة التشتت والتبعثر والتنفر والانتشار والتشظي في منظومته من جهة، والاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة السلبية والانحدارية التناقضية من جهة ثانية، وفقدان لدقة وصحة وسلامة وصدقية مِميلته ومنْقلته ومَكْيلته ومسطرته وبوصلته من جهة ثالثة.

بينما السؤال الرشيد تجريبياً علمياً واقعياً، وعقلانياً فلسفياً برهانياً، وعرفانياً شهودياً معقّلناً ومشرّعناً، وتخييلياً متعالياً حقيقياً، ووحْيانياً غيبياً مسدداً ومؤيداً، وبيانياً نصياً تدوينياً صحيحاً، هو السؤال الذي تتمركز وتتمحور وتتبأور أطرافه وجوانبه وهوامشه وحواشيه المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية في مركزه ومحوره وبؤرته، وهو الذي يربط ويساوق ويناغم ويؤطر ويحيل متغيراته إلى ثوابته، ومتشابهاته إلى محكماته، ونسبانياته إلى مطلقاته، وسكوناته إلى دينامياته، وجموده إلى ديموميته، وأجزاءه إلى كلّياناته، وظواهره إلى بواطنه، ومنطوقاته إلى مسكوتاته، ومرئياته إلى لامرئياته، ومادياته إلى معنوياته، ودنْيوياته إلى ديْنوياته، ولا

توازناته إلى توازناته وتعادلاته، وإفراطاته وتفريطاتها إلى تواسطاته الحقيقية والحقة، و...إلخ من جانب، وتحقّق وتركّب بنّياته وبناءاته التركيبية والتراكبية والتكوينية، والدلالية والاستدلالية، والوظيفية والغائية، والتداولية والتواصلية، والتبليغية والتعليمية والتعلّمية، والفهمية والتفهيمية والإفهامية والانفهامية من عناصر ومكونات متشابهة ومتشاكلة ومتضارعة ومتضاهية ومتماثلة ومتجاورة ومتناظرة ومتطابقة وفاقياً وتعاضدياً وتكاملياً من جانب ثانٍ، ومحققاً التشميلية والكلّيانية والضرورة والوضوحية والسببية والصدقية والعلّية والحتمية والوحدة في تكوثراته وتكوثراته في عين وحدته من جانب ثالث.

هذه الأمور هي التي تجعل حمولات كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب المعرفية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، وحدة واحدة في تكوثراتها متماسكة متساوقة ومتناغمة ومنتظمة ومتماهية في مسارها وسيرها سيرورتها وصيرورتها الوفاقية والتكاملية والتزاوجية بين مكوناتها ومكنوناتها التجريبية العلمية، والعقلية الفلسفية، والعرفانية الشهودية المعقّلنة والمشرّعنة، والتخّييلية المتعالية الحقيقية، والوحّيَانية الغيبية المسددة والمؤيدة، داخل المجرى الحدثي «V5» والمشهدي «V4» والمرآوي «V3» والحقيقي الواقعي القائم «V2» في المجرى الأنطولوجي الوجودي في الكون والعالم أو الوجود «V»، التي تبتغي السير من المشابهة إلى المطابقة في المجرى الإلهي الأسمائي الحسنى والصفات العليا الفاعلية في الوجود، وذلك في سياق مرجعية استخلافية إنسانية فطرية معقودة، وخاتمية محمدية ﷺ كونية خالدة، وانتظارية مهدوية عجل الله فرجه الشريف موعودة، واتّباعية ولائية لولاية الفقيه التقوائي العامة المنصوصة شرعاً ووجداناً، والمطلوبة تجربة وعملانية، فضلاً عن الوجوبية العقلية والمنطقية والوجدانية والقانونية والأخلاقية والوجودية والحياتية، ممهدة ومؤهلة السبيل والوجود والاستعداد النفسي والعقلي والاجتماعي والسياسي والديني والشرعي والقانوني لقبول الولاية العصموية المنتظرة.

إذاً السؤال المستضعَف هو السؤال الفاقد للأهلية والعقلانية والعرفانية والعلمانية والوحيانية المسددة والمؤيدة، وذلك بسبب جملة من العوامل الذاتية والجينيولوجية الجوانية أو العوامل الأركيولوجية التاريخية أو الأيكيولوجية البيئية البرانية التي تقف حجر عثرة أمام معرفة الحقيقة والحق والاعتناق والعمل بمقتضاهما، وهو الذي يفتقد قسراً إلى الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، أي عوامل تحول دون إتمام الحُجّة عليه، وإقامة لوازمها كلاً أو بعضاً، فاذا قامت عليه الحُجّة فلا استضعاف. ويشير الإمام علي عليه السلام إلى صدق عنوان الاستضعاف على من تتعذر عليه وسائل المعرفة بقوله عليه السلام : «**ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه**».

والفرق بين المستضعف والضعيف واضح وجلي، فالضعيف هو من كان معدوم القدرة والقوّة، والمستضعف هو من أصابه الضعف بسبب ظلم وجور الآخرين، سواء كان الاستضعاف معرفياً أم وجودياً أم ثقافياً أم كان أخلاقياً أو اقتصادياً أم سياسياً أم اجتماعياً أو عسكرياً أو أي سلطة قهرية، فالعبارة هنا جامعة شاملة تستوعب جميع أنواع الاستضعاف.

وللعلامة الطباطبائي في تفسير الآية الكريمة ﴿**إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ...**﴾ إشارة واضحة إلى أنَّ الاستضعاف دالّة تابعة يتحقق فيمن أحيط به في أرض لا سبيل فيها إلى تلقي معارف الدين، لعدم وجود عالم بها خبير بتفاصيلها، أو لا سبيل إلى العمل بمقتضى تلك المعارف للتشديد فيه بما لا يطاق من العذاب، مع عدم الاستطاعة من الخروج والهجرة إلى دار الإسلام، والالتحاق بالمسلمين، لضعف في الفكر أو لمرض أو نقص في البدن أو لفقر مالي ونحو ذلك، كذلك يتحقق فيمن لم ينتقل ذهنه إلى حق ثابت في المعارف الدينية، ولم يهتد فكره إليه مع كونه ممن لا يعاند الحق ولا يستكبر عنه أصلاً، بل لو ظهر عنده حق اتبعه، لكن خفي عنه الحق لشيء من العوامل المختلفة الموجبة لذلك.

فهذا مستضعف لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً، لا لأنه أعيت به المذاهب بكونه أحيط به من جهة أعداء الحق والدين بالسيف والسوط، بل إنما استضعفته عوامل أخر سلطت عليه الغفلة، ولا قدرة مع الغفلة، ولا سبيل مع هذا الجهل.

وكذلك السؤال الكبروي والكبّار أو الصغروي والصغّار المستضعَف دالّة تابعة لمتغيرات دوالّ مستقلة محيطة بكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، تغلق الأبواب وتسد السبل إلى معرفة حمولات السؤال ودلالاته واستدلالاته، وبنّياته وبناءاته التركيبية والتراكبية والتكوينية، ووظائفها الغائية المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، فهو ليس عالماً وخبيراً بها، أو لا سبيل له للعمل بمقتضى تلك الحمولات المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية، مع عدم وجود مرجعية شرعية وعقلانية ووجدانية تحيل السؤال إليها للنظر والحكم والوصف والتقييم والتقويم، لضعف أو نقص أو فقر معرفي ووجودي يمنعه من الاتصال بالمرجعية الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتباعية، هذا هو الكائن المستضعَف والسؤال المستضعف.

أما من كان يُعلن للملأ أنه ولي متصدّ للسؤال والجواب الكبرويين والكبّارين، ولم يُحِلْ سؤاله وجوابه وسؤال سؤاله وسؤال جوابه وسؤال سؤال جوابه الكبّار المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ إلى أي من المرجعيات السابقة العصموية أو الاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة المنصوصة في الشرع والدين والاستخلاف والمدعومة من العقل والنص والتجربة العلمانية والحقيقة العقلية والعرفانية والحق الوحيَاني المؤيد والمسدد، والممهددة السبيل إلى الولاية العصموية المنتظرة، فهو ليس بمستضعَف البتة، بله، إنه مستضعِف لذاته ولكينونة

سؤاله، بله، هو مستكبر ومضلل وخادع ومحتال على ذاته وكينونة سؤاله وجوابه. فحال هذا الكائن وسؤاله حال المريض الذي بجانبه عيادة طبيب معالج ولكنه لا يحيل نفسه لمراجعة الطبيب، ويصر على موقف على أساسه لا أعتقد بالطب والطبيب، لذا يؤجل معالجة المرض إلى حين ظهور ذلك الطبيب المعصوم الذي لا يخطئ من وجهة نظره ومعتقده.

لذا نقصد بمفهوم الاستضعاف والمستضعِف هنا هو كل من يطلب طلباً أو يسأل سؤالاً ولن يجد من يلبي طلبه أو يجيب سؤاله، أما من يطلب ويسأل وهناك من يعلن استعداده تلبية الطلب وإجابة السؤال ولن يتقدم إليه ويلتمس به فهو ليس مستضعَفا، بله، إنه مستضعِفٌ ومستكبرٌ. وعليه، من لا وليّ له ولا مرجع يرجع إليه في كل ما يطلبه ويسأله فهو مستضعِف، ودين الاستخلاف والخاتمية والانتظارية لا تنقطع الولاية بتاتاً، سواء العصموية أو الولائية الفقهية التقوائية العامة التي هي البرزخ بين حضور الولاية العصموية وغيابها من جهة، أو هي الخيط الرابط والسبيل الممهد للولاية العصموية المنتظرة، من جهة أخرى.

فالسؤال أو الكائن الفاقد لهذه الاتصالية والاتباعية والمرجعية الولائية الديمومية والدينامية العصموية أو الفقهية التقوائية العامة حقاً، فهو من يصدق عليه قول المستضعَف. لكن هذا القول لا يصدقه الدين أو الشرع أو العقل أو الاستخلاف أو الخاتمية المحمدية ﷺ أو الانتظارية المهدوية عجل الله فرجه الشريف أو النظام الكوني والفطري. وعليه، نعتقد أنَّ أي كائن ما كان إذا فقد ولاية الفقيه التقوائية العامة وولاية الفقيه التفصيلية والفرعية كولاية الطبيب والمهندس والمفسر والمدرس والصانع والسائق والزارع و... إلخ فإنه مستضعَفٌ حقاً، ولكن مثل هذا الإنسان فاقد عقله وقلبه ووجدانه وقد كتب شهادة وفاته بمجرد بلوغه سن التمييز.

لذا نقول إنَّ السؤال المستضعَف أو المستضعِف دالة تابعة لكينونة ذات مستضعَفة

أو مستضعفة، ومن أراد أنَّ يجعل سؤاله متجاوزاً الاستضعاف أو الاستكبار، ما عليه إلا، أولاً وقبلاً وسلفاً وسبقاً، أنْ يغير حال كينونته المستضعَفة أو المستضعِفة، مصداقاً لقوله تعالى: «**إنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**»، وهذا التغيير يحتاج إلى مرجعية عصموية أو اتّباعبة ولائية فقهية تقوائية عامة، ناظرة وواصفة وشارحة وقائمة وقيّومة ومقوِّمة لكينونة الذات وكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

فالسؤال الاستضعافي أو المستضعَف هو السؤال والطلب الذي تلازمه حالة الضعف وعدم القدرة على استظهار وإعلان مكنوناته وحمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية التي يريد بمقتضاها استعلام واستنطاق ذاته أولاً «**سؤال السؤال**» وغيره «**سؤال الجواب**» و«سؤال سؤال الجواب» بسبب أحد العوامل الحقيقية والحقة الجوانية والبرانية التي أشرنا إليها سلفاً، ما يشكل حالة من الاستضعاف من حيث: الإكراه والإلجاء، والاضطهاد، والإجبار، والاضطرار، التي لكل واحدة منها بنْياتها وبناءاتها التركيبية والتراكبية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية الخاصة في اللغة، وفي استعمالاتها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية والفقهية والفلسفية والعلمية والعرفانية والوحْيَانية، مع الأخذ بالنظر والاعتبار أنَّ بعض صور الإكراه والإلجاء، والاضطهاد، والإجبار، والاضطرار ليس له علاقة بالاستضعاف، إذ إن سببها قد يكون سماويا، ومعلوم أن سبب الاستضعاف فعل واقع من الغير أو من الذات الشبهية والموهمة على الذات الحقيقية والحقة. وعلينا أنْ نتعامل مع مسببات الاستضعاف حسب حمولاتها المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية الشرعية والعقلية.

الخطوة الأولى في طريق الخلاص من السؤال الاستضعافي هي الوعي بحقيقة الاستضعاف وعوامله وعناصره الحقيقية والحقة وليست الشبهية والموهومة، وثانياً البحث الجاد والحثيث عن مرجعية استخلافية وخاتمية وانتظارية واتّباعية يحيل

السؤال إليها ثانياً، وأنْ يؤطر حمولات أسئلته ومشكلاته وتساؤلاته وإشكالاته المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية والفنّية الصغيرة والأصغر والصغّارة، بالسؤال الكبير والأكبر والكبّار الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، شكلاً ومضموناً، وسيراً ومساراً، وسيرورة وصيرورة، ووجهاً واتجاهاً، وذلك من خلال تعيير مَكْيلته وتقييس زوايا وإحداثيات واتجاهات مِمْيلته ومنْقلته وبوصلته، لتتشابه أو تتشاكل أو تتضارع أو تتضاهي أو تتماثل أو تتجاور أو تتناظر أو تتطابق مع زوايا وإحداثيات وتعييرات واتجاهات مِمْيلة ومنْقلة ومَكْيلة وبوصلة الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية.

السؤال الاستضعافي في حياة المسلمين هو حالة استثنائية لا ينبغي أن تؤثر فيهم، أو توهن من عزائمهم، بله، عليهم أن يشخصوا أسباب الاستضعاف الداخلية والخارجية، ويعالجوها بموضوعية وعقلية وشرعية ووجدانية وتجريبية علمية، وصدق وجدية بعيدة عن التعصب والجمود على التراث والنصوص المقروءة بعدسات رؤيوية تجزيئية أو تبريرية تعكس ضيق الأفق وضعف النفس، لينهضوا بالسؤال المستضعَف الكبّار من كبوته ومن أسر استضعاف الذات له وليس من الغير البراني فقط، «**الضعيف من لم تُرفع إليه حُجّة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف**».

البحث الجينيالوجي والتحليل الأركيولوجي والتشريح الأيكيولوجي لحقيقة وماهية وكينونة سؤال الاستضعاف أو المستضعَف ـ بالمعنى الأخصّ ـ يبين أن له عدة شرائط لا بدّ من تحقّقها، وهي:

**الأوّل**: كونه سؤالاً صادراً من مكلّف شرعي، فلو كان صادراً من صبيّ أو مجنونٍ أو غير ذلك ممّا يسلب أهليّته للتكليف فانّه مستضعَفٌ وسؤاله مستضعَف بالمعنى الأعمّ لا الأخصّ، لكونه غير مكلّف أصلاً، لا بالأعمال ـ اتّفاقاً ـ ولا بالمعارف.

**الثاني**: قيام عوامل ذاتيّة أو خارجيّة بدور الحيلولة دون معرفته الحقيقة والحقّة لحمولات كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، واعتناقها

ايّاها، والعمل بمقتضاها. وبتعبير آخر، العوامل التي تحول دون إتمام الحُجّة على كينونة السؤال والسائل، وإقامة لوازمها كلاً أو بعضاً، فاذا قامت على السؤال والكائن السائل الحُجّة فلا استضعاف. وفي النهج عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحُجّة فسمعتها أُذنه، ووعاها قلبه[1].

**الثالث:** إحالة دالّة السؤال الاستضعافي التابعة لدالّة عواملها وعناصرها الجوانية والبرانية المستقلة والمسببة للاستضعاف بشرط عدم الاختيارية لهذه العوامل والعناصر الدالة على الاستضعاف كمرض عضال، أو ظرف قاهر، أو سلطان جائر، أو ضعف عقليّ وغيره، فانّ الضعف مُعذّر في الجملة. قال تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لله وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2].

وعلينا أنْ ندرك حق الوعي والإدراك، للحيلولة دون الوقوع في حيل ومكر وخداع الأسباب الموهومة بأنها مسببة للاستضعاف الناتج عن عدم إتمامية الحُجّة الإلهية على بعض خلقه أو الحجة العقلية والفطرية، فانّه تعالى أقام الحجّة على كينونة السؤال وعلى السائل من خلال الحقيقة الاستخلافية الإنسانية المعقودة والخاتمية المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم الكونية الخالدة والانتظارية المهدوية الموعودة والاتّباعية الولائية الفقهية العامة التقوائية والعلمية والعرفانية الممهدة للولاية العصموية المنتظرة. وإذا ما طرأ ما يحول دون وصول رحمته وحجته البرانية والجوانية تعالى: من فيوضاته الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا الفاعلية، فهو ناتج عن الجهل والتجاهل والغفلة والتغافل والنسيان والتناسي الذي لا يلوم إلا ذاته. وفي حال عدم تماميّة الحجّة من أسباب اختياريّة فلا يُعدّ استضعافاً بالمعنى الأخصّ، ولربّما شمله الأعمّ، فيكون قد استضعف نفسه بنفسه كما يظلمها بها.

---

(1) – رواه في: نور الثقلين 1: 536.

(2) – المرجع القرآن المجيد، سورة التوبة الآية 91.

الرابع: عدم معرفة الخلاف في الجملة (أي أصل الاختلاف) فانّ معرفته موجبة لاستفراغ الجهد في تشخيص أهل الحقّ وتمييزهم ـ قدر الإمكان. ولهذا قال الإمام الكاظم عليه السلام في رسالته المزبورة لابن سويد: فإذا عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف. وقال العلاّمة الطباطبائيّ رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ...**﴾ الآية: ﴿**ويتبيّن أنّ الجهل بمعارف الدين اذا كان عن قصور وضعف ليس فيه صنع للإنسان الجاهل، كان عذراً عند الله سبحانه**﴾. إنَّ اللّه سبحانه وتعالى يعدّ الجهل بالدين وكلّ ممنوعيّة عن إقامة شعائر الدين ظلماً لا يناله العفو الإلهي، ثمّ يستثني من ذلك المستضعفين، ويقبل منهم معذرتهم بالاستضعاف. ثمّ يعرّفهم بما يعمّهم وغيرهم من الوصف وهو عدم تمكّنهم ممّا يدفعون به المحذور عن أنفسهم. وهذا المعنى كما يتحقّق فيمن أحيط به في أرض لا سبيل فيها إلى تلقّي معارف الدين لعدم وجود عالم بها خبير بتفاصيلها، أو لا سبيل إلى العمل بمقتضى تلك المعارف للتشديد فيه بما لا يطاق من العذاب، مع عدم الاستطاعة من الخروج والهجرة إلى دار الإسلام والالتحاق بالمسلمين لضعف في الفكر، أو لمرض، أو نقص في البدن، أو لفقر ماليّ ونحو ذلك.

كذلك يتحقّق فيمن لم ينتقل ذهنه إلى حقٍّ ثابت في المعارف الدينيّة، ولم يهتد فكره إليه مع كونه ممّن لا يُعاند الحقّ ولا يستكبر عنه أصلاً، بل لو ظهر عنده حقّ اتّبعه، لكن خفي عنه الحقّ لشيء من العوامل المختلفة الموجبة لذلك. فهذا مستضعف لا يستطيع حيلةً ولا يهتدي سبيلاً، لا لأنّه أعيت به المذاهب بكونه أحيط به من جهة أعداء الحق والدين بالسيف والسوط، بل إنما استضعفته عوامل أخرى سلّطت عليه الغفلة؛ ولا قدرة مع الغفلة، ولا سبيل مع هذا الجهل.

هذا ما يقتضيه اطلاق البيان في الآية؛ الّذي هو في معنى عموم العلّة، وهو الّذي يدلّ عليه غيرها من الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا**

مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [1] فالأمر المغفول عنه ليس في وسع الإنسان، كما أنّ الممنوع من الأمر بما يمتنع معه ليس في وسع الإنسان.

فالآية ترفع مضموناً التكليف بارتفاع الوسع كذلك تُعطي ضابطاً كلّيّاً في تشخيص مورد العذر وتمييزه من غيره، وهو أن لا يستند الفعل إلى اكتساب الإنسان، ولا يكون له في امتناع الأمر الّذي امتنع عليه صنع. فالجاهل بالدين جملةً أو بشيء من معارفه الحقّة اذا استند جهله إلى ما قصّر فيه وأساء الاختيار استند إليه الترك وكان معصية، واذا كان جهله غير مستند إلى تقصيره فيه أو في شيء من مقدّماته، بل إلى عوامل خارجة عن اختياره أوجبت له الجهل أو الغفلة أو ترك العمل لم يستند الترك إلى اختياره، ولم يعدّ فاعلاً للمعصية، متعمّداً في المخالفة، مستكبراً عن الحقّ، جاحداً له، فله ما كسب وعليه ما اكتسب، واذا لم يكسب فلا له ولا عليه. ومن هنا يظهر أنّ المستضعف صفر الكفّ لا شيء له ولا عليه، لعدم كسبه أمراً، بل أمره إلى ربّه؛ كما هو ظاهر قوله تعالى بعد آية المستضعفين: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ [2]. وقوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [3] ورحمته سبقت غضبه [4].

## 15.11 مكر ميتا التقنيات التعليمية والثقافية وكينونة السؤال:

لعل تكريس الاهتمام بالعلم خلق أجيالاً متفوقة في تفجير الطاقات وممارسة التقنية.. بيد أن أهمال المبادئ المنطقية جعل من تلك الأجيال عاجزة في فهم العلم.. **«أن حالة الأوتوماتية اللاواعية التي يجد العلم نفسه غارقاً فيها اليوم أنما ترجع إلى افتقاده طوال تاريخه لمدرسة نقدية تعمل من خلال الحركة العلمية نفسها»**. فاكتساب المعارف العلمية ليست عملية تتغيا التنعم والتلذذ بقدر ما هي صيرورة

(1) – المرجع القرآن المجيد، سورة البقرة، الآية 286.
(2) – المرجع القرآن المجيد، سورة النساء، الآية 99.
(3) – المرجع القرآن المجيد، سورة التوبة، الآية 106.
(4) – الميزان 5: 51ـ 52.

معرفة الإنسان في الحقائق والانطلاق بها صوب المبادئ والقيم.. إنها خطى حثيثة من سيرورة تتخللها وتلازمها إحالات مستمرة تدفع المعرفة وتحولها إلى اقتدار، يقول الفريد نورث هوايتهد: «**إن المثل الأعلى للجامعة لا يتمثل في المعرفة بقدر ما يتمثل في القدرة. إنها مهمة أن تحول معرفة الأولاد إلى قدرة الرجال**»، ما يواجه العلم وهو يغوص في الحقائق الجامدة غير المحدودة بل والعصية، يعد إشكالية في كيفية الربط بين هذه الحقائق الخرساء.. ما لم يجنح إلى أبستمات ربما لم تكن مادية المبتنيات. إنها العودة إلى المبادئ المجردة/ الفلسفة.. هذا المشكل الأبستيمولوجي الذي يحقق تفكيكه للإنسان توازنه العقلي «**لأنه الملح الذي يحافظ على حلاوة الطعام**».. من خلال الفهم الكامل لمبادئ العلوم الطبيعية مقترناً بفهم المبادئ والقوانين السيكولوجية والاجتماعية.. فالأطروحات الوضعية باتت تتهدد الثقافة الغربية الحداثية.. والتي صنعت الإنسان التقني المتفوق، لكنها ربما تحوله إلى إنسان بدائي يحيا في عالم يشكل الذروة في التقدم العلمي الغربي: «**إن العلم نفسه-وهو منبت حضارتنا - يحوله إلى (رجل جملي) ويجعل منه بدائياً وهمجياً**» حسب تعبير الفيلسوف الإسباني أورتيجا. ي. جاسيت.

لقد أضفى العلم من خلال التقنيات المستحدثة والناجمة عن التقدم المثير.. على حياة الإنسان الكثير من البهجة والانتشاء والانغماس في الملذات والترف باستخدامه لتلك التقنيات كالتلفزيون والحاسوب والستلايت والإنترنيت.. الخ، لكنه في ذات الوقت لم يبعد عنه شبح التعاسة، ولم يجنبه المكاره.. بل زجه في أحيان كثيرة في مخيمات الأتراح. خذ مثلاً قوة العلم في الطاقة الذرية.. والموجات الاستعمارية والاستيطانية القائمة على أساس الاستغلال والإخضاع.. وهنا فإن العلم يثير مشكلات أخلاقية عويصة.. لذا فانه بحاجة ماسة إلى فحوى إنسانية وقيم روحية وجمالية رفيعة، وما أحسب أنَّ ذلك بكائن إلا مع الفلسفة التي تعمل على ترويض العلم والتقليل من غلوائه وجعله أبداً في خدمة الإنسانية لا وسيلة للدمار والخراب.

هناك ثمة أسئلة وتساؤلات ومشكلات وإشكالات تطرحها التقنيات التعليمية والتسلوية والمعرفية التي تتحكم فيها برامج ذات غايات سيكولوجية وسسيولوجية واقتصادية وسياسية وبيداغوجية «**تعليمية**» ظاهرة، تثوي في بنياتها العميقة المضمرة والمستترة برامج برمجيات «**ميتا برامج**» لها غايات وأهداف وآليات واستراتيجيات وأبستيمولوجية وأنطولوجية وأكسيولوجية تستعصي كشفها وإظهارها الميتافيزيقية، وبالتالي السؤال والتساؤل عنها أو تعيين مشكلاتها وإشكالاتها، وذلك تجنباً وهروباً من المساءلة القانونية والتشريعية أو الحسية والعقلانية أو الأبستيمولوجية أو الأنطولوجية أو الأكسيولوجية الاستطيقية بأبعادها السسيولوجية والسيكولوجية والاجتصادية «**اجتماعي-اقتصادي**» والسياسية والتاريخية-فهي تمكر وتتحايل وتخدع كينونة السؤال والمساءلة ومشكلاتها وإشكالاتها الحقيقية الميتافيزيقية الكامنة في ميتا برمجيات التقنيات المختلفة التي تتبرقع وتتحجب بكامل بنْيَتها وماهيتها وجوهرها وغاياتها المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية المحرمة وراء توظيفاتها واستخداماتها النفعية المعرفية والجسدية والمعنوية الظاهرة، وذلك بتوجيه السؤال والمساءلة إلى ما هو الظاهر والمكشوف والمعلن عنها في توظيفات واستخدامات التقنيات الفيزيقية المختلفة من دون المساس بميتا تقنيات وميتا برامجها التي هي بمثابة «**تابو**» المحرم والمسكوت عنه من جهة، وإنها غير مرئية وغير معلنة لكونها ميتافيزيقيا التقنيات من جهة أخرى.

وفي الواقع إنَّ قلة من الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس المعرفي قد تنبأوا بخطورة مكر وحيل وخداع ميتا التقنيات وميتا البرمجيات المعرفية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية أو الوجودية والأخلاقية والقيمية. وهؤلاء الفلاسفة وغيرهم قد أسدلوا الستار والاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء ما في كينونة ميتا البرمجيات والتقنيات المعرفية والتعليمية والرياضية والثقافية والتسلوية والنفعية وآثارها الناعمة والملساء المدمرة لكينونة الكائن البشري في آمادها وأبعادها

الزمكانية، وكشفوا بعض مخططاتها وبرمجياتها واستراتيجياتها التي تحاك علناً وجهراً وليلاً ونهاراً للكائن الإنساني، فأبانوا مكر الليل والنهار المضمر والمعلن لها، وديناميكية الخداع المستتر والمكشوف لها، وديمومة الحيل الثاوية والظاهرة لها، والمراوغات الملتوية والصريحة لكينونة ميتا التقنيات، فهي ليست فقط أداة أو وسيلة يمكن أن يكون إنسان اليوم سيدها أو ذاتها الفاعلة؛ فقبل ذلك وفيما بعد وراء هذه الوضعيات الممكنة. حيث إنَّ السؤال انعكاس مرآوي لكينونة الكائن البشري، أي أنَّ كينونة السؤال دالّة تابعة لكينونة الكائن البشري المستقل في معادلة الدوال المعرفية، فهي التي تحدد السؤال وتبني كينونته وتمنحه القيمية المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية والفنّية.

نرى أن هذه التقنيات وخاصة تقنية التقنيات «**ميتا تقنية**» وميتا برمجياتها هي نسق منمط وبنْيَة منتظمة لتأويل الوجود وتأسيس وتشكيل العالم وفق مكنونات وغايات ثاوية خفية في عمق بنْيَتها العميقة، تم تشكيله وإقراره من قبل، نمط ونسق لا يحدد فقط وسائل المواصلات والاتصالات، والتزويد بالمواد الغذائية والملبوسات والمسليات والمنعمات وحتى المنافع البيداغوجية التدريسية والتعليمية والمعرفية، بل يحدد كل موقف لكينونة الكائن البشري، ويرسم بروتوكلات علائقية دبلومعرفية مع ذاته ومع الكينونات الذاتية الأخرى والكينونات الطبيعية والملكوتية في الكون، ويوجه بوصلة السير واتجاهاته ـ في إمكانياته الخاصة ـ، أليس إنه نمط يضرب بميسمه كل قدراته على التجهيز وسلب الإرادة والتمسك بها. وهذا ما يجعل من كينونة التقنية كائناً غير قابل للخضوع والتحكم والسيطرة فيه، إلا في حال الاستسلام والعبودية له بدون قيد أو شرط أو تحفظ أو استحياء. وهذا يشي إلى أن التحكم والسلطة والهيمنة العملية في التقنيات يفترض، من قبل، الخضوع الميتافيزيقي لكينونة التقنية، هذا الخضوع والعبودية تسير بمحاذاة الموقف الذي يقوم على سلب وإقصاء إرادة الكائن البشري والاستيلاء على كل شيء، تأسيساً على مخططاته وتصميماته وبرمجياته وخرائطه

الجيومعرفية ليطبقها بدورها وفق برنامج زمني طويل الأمد مخطط ومحدد له سلفاً، ويُعاد برمجته بشكل متسارع وصياغته بشكل متجدد وترويجه بأساليب متنوعة، لتأسيس ما هو قابل للديمومة والاستمرارية والدينامية في وضع مأمون، بوعي وسبق إصرار، لمدة تطول قدر الإمكان.

حيث إن بنْيَة كينونة التقنية الحديثة تمت مأسستها وتشييدها لتتماهى وتتساوق وتنسجم وتستأنس مع كينونة الذات الشبيهية الشبحية والموهومة للكائن البشري، الذي سرعان ما يقع في شباك وأفخاخ التيه والضياع، وانقلاب موازين ومعايير معادلات الحياة، وانحراف زوايا وإحداثيات مِمّيلتها ومنْقلتها، واختلال موازين ومعايير مَكْيلتها الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية الأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية رأساً على عقب، فغدا إنساناً ماشياً بالمقلوب رأسه في الأسفل وقدماه إلى الأعلى، وبؤرة عيناه موجهة إلى ما تحت السرة، أي نحو شهوة البطن والفرج فحسب.

والأدهى والأمرّ، هو الانحطاط الروحي والأخلاقي للأرض من جهة، وهيمنة سلطة وقوى المكر والخداع والحيل الثاوية في بنْيَة برامج التقنيات وبرامج برمجياتها «**ميتا برنامج**» المعرفية والتسلياتية والتعليمية والتثقيفية التي تتحكم فيها الزواج المثنى بين الزيجات سلطة أصحاب المال وسلطة السياسة والزوج القوّام سلطة الإعلام في توظيفاتها التي تخدم كينونة ميتا المال وميتا الإعلام وميتا السياسة، من جهة أخرى.

وهذه الحقيقة المضمرة والثاوية واللامرئية مع كل الأسف والأسى، غائبة عن أعين وأذهان الغالبية العظمى من الكينونات البشرية بمختلف مستوياتهم المعرفية. هي كينونة لها قدرة كبيرة على أن تتستر وتتحجب خلفها ميتا إعلام واقتصاد وسياسة بلباس قدسيات الحرية والتقدم وأيقونات حقوق الإنسان وإدلوجية الديمقراطية المزيفة والمبرمجة والمدبلجة والمزدوجة المعايير والموازين والمساطر والقيم التي

تقوم بإخفاء واستتار واسترار وانحجاب الأسئلة الكبروية وإزاحتها وإقصائها من قاموس الحياة لتحل محلها أسئلة هامشية صغروية صغّارة.

ألا ينبغي في هذه الحالة أن نوثن الجواب ونعتصم بالسؤال؟ وألا يجب أن نعرف كيف يجب أن نتساءل؟ ومتى يجب أن نتساءل؟ وماذا ينبغي أن نتساءل؟ ولماذا ينبغي أن نتساءل؟ وما هي منزلة السؤال وأهميته الحيوية؟ وما هي فلسفة السؤال وغاياته ووظيفته؟ وما هي آليات السؤال واستراتيجياته؟، وما هي مصادر السؤال؟ وما هي حقيقة السؤال؟ وما هو تعريف السؤال؟ وماهي معايير وموازين صدقه وكذبه وصحته وفساده؟ وما هو محكمه ومتشابهاته؟ وما هي مطلقاته ومتغيراته؟ وما هي ثوابته ونسبيته؟ وما هي هوامشه ومركزه؟ وما هي بؤرته وأطرافه؟ وما هي كلياته وأجزاؤه وفروعه؟ وما هو جسده وأطرافه، وما هي دنِيويته وديِنونته؟ وما هي جوهرانيته وماهويته وفصوله ورسومه وعوارضه وآثاره؟ وما هو ظاهره وباطنه؟ وما هي فردانيته ومجتمعيته؟ وما هي غيبياته وشهوده؟ وما هي بداياته ونهاياته؟ كيف نميز بين السؤال الفيزيقي الحسي، والسؤال التجرباني المختبري، والسؤال العقلاني التحليل والاستدلالي والسؤال العرفاني الكشفي، والسؤال الشرعي التكليفي، والسؤال الميتافيزيقي الغيبي؟ وما هو الفرق بين السؤال والتساؤل والمشكل والإشكال؟ ولماذا ينبغي أن نميز بين السؤال والتساؤل والتسآل، وسؤال السؤال «**ميتا سؤال**»؟ وما الفرق بين الجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب،.... إلخ.

### 15.12 النقد البناء والتقويم الدائم لكينونة السؤال:

ضرورة النقد الدينامي والديمومي البناء والمراجعة والتقويم والتثمين الدائم والمستمر لكينونة السؤال، من خلال التفكيك والتشريح والتنقير والتحليل والتفسير والتأويل لجينيالوجية جسد وروح السؤال التأسيسية وأركيولوجيته المعْلمية، وذلك

لتصحيح إحداثيات السير النظري والعملي، ولتوجيه مؤشر بوصلة سفينته المعرفية والوجودية نحو مرسى آمن ومطمئن للتزوّد بمزيد من المؤن والوقود للسير الارتقائي التكاملي باتجاه غايات كينونة الإنسان الفطرية نحو الجمال والكمال المطلق جلّ وعلا.

## 15.13 تبلور الغاية وحضورها الدائم:

أن تكون غاية كينونة السؤال هي طلب المعرفة من اجل التفقه والتعقل، أي أن تكون المعرفة من اجل صياغة كينونة الكائن البشري الجوانية، وأن تتمظهر وتتجلى في شتى مجالات الحياة الفردانية والمجتمعية والتاريخية والإنسانية والكونية، وأن تنظر إلى الخيرية التشميلية والكلية وليس إلى الفائدة المادية واللحظية والفردانية للسائل.

لقد قسم أمير المؤمنين عليه السلام طلبة المعرفة إلى ثلاثة أقسام، بقوله «**طلبة العلم على ثلاثة أصناف، ألا فاعرفوهم بصفاتهم، صنف منهم يتعلمون العلم للمراء والجدل، وصنف للاستطالة والختل، وصنف للفقه والعقل، فصاحب المراء والجهل تراه مؤذيا مماريا للرجال في أندية المقال، قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع، فدق الله من هذا حيزومه وقطع منه خيشومه، وصاحب الاستطالة والختل، فانه يستطيل به على أمثاله من أشكاله، ويتواضع للأغنياء من دونهم، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله من هذا بصره، وقطع من آثار العلماء أثره، وأما صاحب الفقه والعقل، فانك تراه ذا كآبة وحزن، قد قام الليل في حندسه، وانحنى في برنسه، يعمل ويخشى، خائفا وجلا من كل احد، إلا من كل ثقة من إخوانه، فشد الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه**». وعليه، بِمَكْنتنا أن نصف منظومة كينونة أسئلة الكائن البشري على نفس المنوال، فنستنتج أن الصنفين الأول والثاني من منظومة سؤال الكائن البشري لا خير فيهما، كما هو واضح ومعلوم، وهما لا يغيران من الواقع شيئا لأنهما لا يغيران أنفسهما فكيف يغيران الواقع؟ وآما الصنف الثالث فهو المطلوب، لأنه يتغير أولا ثم يغير.

## 15.14 تواضع كينونة السؤال:

التواضع ثم التواضع مهما كان مقام ومنزلة الكائن المعرفية، حيث من الشروط الشارطة لإبداع وابتكار وإنتاج وصياغة كينونة السؤال هي الإقرار بالجهل والحاجة الحقيقية لرفعه من حياة الكائن البشري. أن لا يتردد المرء في أن يقول لا أعلم إذا كان جاهلا في أمر سواء سؤاله أو سؤال الآخرين إذا ما سئل، فالاعتراف بالجهل أفضل من الاعتداد بالنفس والادعاء بالمعرفة التي تورط صاحبها وترديه في مهالك هو في غنى عنها، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام «**من ترك قول لا أدري أُصيبت مَقاتِلُهُ**».

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام «**لا خير في الصمت عن الحكم، كما إنه لا خير في القول بالجهل**». فيما وصى ولده الحسن المجتبى السبط عليه السلام بقوله «**ولا تقل ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم**». فليس المهم أن يتحدث المرء، وإنما المهم بماذا يتحدث، والذي يلزم ان يكون في إطار ما يعلمه وليس فيما لا يعلمه.

فالتواضع وترك المكابرة وعدم الخجل والاستحياء من السؤال هو مدخل وشرط أساس لرفع الجهل وطرح السؤال المسؤول. يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في ذلك «**قطع العلم عذر المتعللين**». إن حكمة الله تعالى اقتضت أن يخلق الناس متفاوتين في العلم، فهم على درجات منه، إلا أن المهم في الأمر هو انه تعالى لم يفرض التعلم والسؤال على الجاهل إلا بعد أن فرض التعليم على العالم، يقول أمير المؤمنين عليه السلام «**ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا**». ولذلك ينبغي أن يبدي الطرفان (الجاهل والمتعلم)، (السائل والمجيب) الاستعداد اللازم من اجل نقل العلم من صاحبه إلى طالبه، وإلا فإننا أمام أزمة تعليم وتعلم وأزمة سؤال حقيقية. لقد قال أمير المؤمنين عليه السلام للصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري «**يا جابر، قوام الدين والدنيا بأربعة، عالم مستعمل علمه، وجاهل لا**

**يستنكف أنْ يتعلم (أن يسأل)،.....، فإذا ضيع العالم علمه، استنكف الجاهل أنْ يتعلم (يسأل)»**.

على المرء أن يكون راغباً متشوقاً وحريصاً ومجاهداً في زيادة رصيده المعرفي كما يحاول التاجر تعظيم ثروته، ورأس مال السؤال التواضع والاتكال على المعلم والمربي الأول الكامل المطلق عزّ وجلّ الذي تجلى علمه ومعرفته في القرآن الكريم والعترة النبوية الطاهرة «**إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا**»، وأن لا يغض بصره عنهما طرفة عين.

## 15.14.1 علاقة الدهشة والتواضع المعرفي والوجودي بتأثيل كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب:

كل من يزعم أنه بِمَكُنته أن يرى بوضوح كل شيء بظواهره وبواطنه، ومتشابهاته ومحكماته، ومطلقاته ونسبياته، ومتغيراته وثوابته، وجزئياته وكلياته، وشواهده وغيبياته، ومراكزه وهوامشه، ووحدته وتكوثراته، وبداياته ونهاياته، وذلك في عوالمه المختلفة الممكنة، وذلك ليس مطلقاً، بله، حتى في حدود إمكاناته الإنسانية الثاوية في كينونته بالقوة والإمكان، فإنما هو في الحقيقة يكون قد قلع عن البحث والتفلسف والتعلم والتعرّفن والتفقه والتساؤل والمساءلة، وتموضعت كينونته في قعر بئر الجهل والجهالة. كما إن من لا يسلّم بأن وجود أسراره تكتنف الموجودات والكائنات، إنما يلغي كل تفكير وتساؤل. ولعل هذا ما قصدت إليه حكم الحكماء وأقوال الفلاسفة ونصائح علماء الأخلاق، بأن في السؤال والمساءلة والتعلم والتعليم والتفهيم والتفلسف والتعرّفن والتشرّعن والتفكر والتفاكر والتأمل، هي في صميم حقيقة بنْيَتها البنائية والبنْيوية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية تحكي عن دليل وسند وحجة وحدس وعلة وشاهد وإمارة وبيِّنة وبرهان على حقيقة واحدة مفادها الفقر والجهل الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي والأكسيولوجي القيمي والأخلاقي

والاستطيقي الجمالي والفني، الأمر الذي يجعل الكائن الإنساني مهما بلغ ما بلغ من العلم والمعرفة والحكمة يقر بحتمية الاعتراف بجهله من جهة، والشعور والإقناع والاقتناع بالتواضع والتذلُّل، والتخاشع وعدم التَّكبُّر والتعاظم، من جهة أخرى.

وتأسيساً على ذلك، فإنَّ كينونة السؤال وسيرورته وحالته التواضعية والافتقارية والاندهاشية والاضطرابية تفتح أبواب الذهن وأقفال القلب أمام آفاق ذلك «**المجهول** الذي يمتد فيما وراء كل معرفة موضوعية». وإذا كانت كل فلسفة وعرفان وفقه وعلم تقوم بالضرورة ومن حيث المبدأ على الاعتراف على الأقل ضمنيا بقدرة العقل والقلب على المعرفة، إلا أن الفيلسوف الأصيل والعالم التجريبي والعارف الرباني قلّما ينسب إلى الوجود شفافية مطلقة تجعل منه كتابا مفتوحا أمام العقل والحس والقلب على غرار ما ذهب إلى ذلك بيكون. لأنه لو كان في وسع الفكر أن ينفذ إلى أعماق الوجود بسهولة ويسر، لما كانت هناك فلسفة وعرفان ووحي وغيب وحركة وصيرورة، ولتحقق التكافؤ المطلق بين الذات والموضوع، والفكر والواقع.

لكن السؤال الفلسفي والعرفاني والعلمي والفقهي التواضعي الكبير والكبّار لا يكاد ينفصل عن ذلك الدوار العقلي والوظيفة العلمية والشهود العرفاني، أو القلق الفكري، أو الحيرة الذهنية أو الاضطراب النفسي والشك المنهجي، التي تعتبر شرطا ضروريا لكل تفكير فلسفي وتجريب علمي وممارسة عرفانية وفقاهة فقهية ولائية. فالفيلسوف والعالم والعارف والفقيه الولي هو أشبه ما يكون برجل شبه مريض يبحث عن «**وضع**» لكي يرتاح إليه ولو مؤقتا. والمرء إنما يصبح فيلسوفاً أو عالماً أو عارفاً أو فقيهياً ولياً حينما يشعر بأن وضعه بالقياس إلى الواقع هو ما لا سبيل لتقبّله.

وبهذا الصدد يقول إمام المتقين علي ابن أبي طالب عليه السلام: «**من استوى يوماه فهو مغبون**»، و«**من كان آخر يومه شرا فهو ملعون**»، و«**من لم يكن على الزيادة فهو في النقصان**»، و«**من كان في النقصان فالموت خير له**»، و«**من اشتاق إلى الجنة سارع**

**في الخيرات**»، و«**من أشفق من النار لهِيَ عن الشهوات**»، و«**من ترقب الموت هانت عليه اللذات**» و«**من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات**»[1]، بله، إننا حتى لو رجعنا إلى صميم ذواتنا، لوجدنا أن وجودنا الإنساني نفسه ليس من الشفافية بحيث يدرك العقل نفسه على غرار رؤية الإنسان لصورته في المرآة، بله، إن الفلسفة ما كان لها أن تظهر إلا حينما أدرك الإنسان أن كينونته هي في صميمها عبارة عن سر يجب أن يعمل على استجلاء كنهها.

هكذا فإنَّ حقيقة منشأ بدء سيرورة وحركة النفس الجوهرية نحو أفق التكامل هي، بدءاً وأصلاً وسلفاً وقبلاً، السؤال التواضعي والتذلّلي والافتقاري والاضطرابي والاندهاشي الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتباعي الكبير والكبّار، بله، نعتقد أنَّ أصل التفلسف والتعقّلن والتعرّفن والتوحّيُن هو استفهام تواضعي وافتقاري وتساؤل وسؤال وسؤال السؤال وجواب وسؤال تواضعي افتقاري. وإذا كان بعض الفلاسفة والعلماء والعرفاء والفقهاء قد وقعوا تحت سحر المذهبية وراحوا يبنون أنساقا معرفية ووجودية مغلقة، وكأنما هي استطاعت الوصول إلى الحقيقة المطلقة واحتكارها، إلا أن الفلسفة الأصيلة والعرفان الرباني المعقّلن والمشرّعن والفقاهة الولائية العامة، تتجاوز الفردية والمذهبية لتحلق في فضاء الكلية والتشميلية والمجتمعية والتاريخية والحضارية والكونية الخاتمية. وإلا أصبح كما يقول كيركجارد: «**هو أشبه ما يكون برجل ابتنى لنفسه قصرا شامخا، ولكنه ظل يسكن كوخا حقيرا إلى جواره (...) وما كان فكر الإنسان وخاصة السؤال وسؤال السؤال، سوى المسكن الآمن والرحم الرحيمة والقلعة المنيعة التي تعيش وتستظل وتحتمي وتحافظ وتمنع ولوج فيروسات وميكروبات مرضية وبائية حسية وعلمية وعرفانية ووحْيَانية إلى البنْيَات والبناءات التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية إلى الإجابات المعرفية والعلمية والدينية والعقيدية للسؤال**

(1) - العجلوني - المصدر: كشف الخفاء - الصفحة أو الرقم: 2/305

**من جهة، وإلى كينونة الإنسان من جهة أخرى.**

وتاريخ الفلسفة والعرفان والفقه مليء بالمواقف المنتقدة والرافضة للأنساق المغلقة، والمذاهب الشامخة، والتصورات الجاهزة، والمفاهيم المتحجّرة التي لا تؤسس علماً أو فلسفة أو فقهاً أو معرفة، بل تبني مقبرة كبيرة لها. هذا بالرغم من أن الذهن الإنساني كثيرا ما ينساق وراء إغراء المذهبيات والإيديولوجيات والرؤى الكونية الأحادية البعد والنظر من دون أن يسأل ذاته هل تصلح حقا لسكنى الإنسان أم لا، بدلاً من السؤال والجواب والرؤى الكونية الإلهية والمذهبيات التشميلية التكاملية التوحيدية.

لهذا لا نتعجّب إذا رأينا عالماً أو فيلسوفاً أو عارفاً أو فقيهاً يثير من المشكلات الهامشية والفرعية والمستوردة أو تلك التي ما لا موضع لإثارتها، و«كأنما يحلو له أن يشكّك الناس في كل شيء، وأن يثيروا الشبهات حول كل موضوع». وفي الحقيقة يجب أن لا ننسى أنه إذا كان الرجل العادي يرى كل شيء طبيعيا ومألوفا، فإن الفيلسوف والعالم والعارف والفقيه الولي لا بد أن يظل حائرا مندهشا متعجّبا أمام كل شيء. فلقد قال أرسطو «**إنما الدهشة هي الأم التي أنجبت لنا الفلسفة**»، وعليه بِمَكّنتنا القول بأنّ الشعور الحقيقي الوجداني الأنطولوجي الوجودي بالذل والخشوع والتواضع والإحساس بالفقر والعُسّر والفاقة والإملاق، هي التي تولِّد الألم والحيرة والدهشة والاضطراب في عقل وقلب وجوارح العارف أمام كمال وجمال وجلال أسماء وصفات الخالق المطلق، وهذه الحالة الأخيرة هي منشأ السؤال الاستخلافي الكبير والكبّار.

بينما ألم وقلق ودهشة الانتظارية المهدوية الموعودة والاتّباعية الفقهية التقوائية العامة الممهدة للولاية العصموية المنتظرة هي بذرة ولادة شجرة الفقيه الولي العام التقوائي، فالدهشة والقلق والاضطراب والحيرة المصاحبة هي التي تنجب الفقيه العالِم والعارف المتشرّعن والمتعقّلن الوجودي الرباني. فالفيلسوف والعارف بالتعريف هو ذلك المرء الذي يقف ذاهلا أمام سر سؤال الوجود، وسؤال وحدة الوجود، وسؤال

وحدة المسار والسيرورة، وسؤال الإنسان والمجتمع الكامل، وكأنما هو طفل صغير يشاهد العالم للمرّة الأولى، فلا يكاد يكفّ عن إثارة السؤال تلو السؤال وجواب يلحق بسؤال وهكذا دواليك. ولا يكاد يفتح فمه إلا لكي ينطق بكلمة «**لماذا؟**».

إنَّ سر الكون والحياة وسيرورة الوجود الكوني بمكوناته الكائنية الإنسانية يأبى إلا أن يتطلّب من الفيلسوف والعالم والعارف والفقيه الولي أجوبة محدّدة، وآراء حاسمة، وحلولا نهائية، وإلا يكون قد أوقف عجلة التفقه والتعقّل والتعرّفن والتوحّين في الحياة وسيرورتها التكاملية الفردية والمجتمعية والتاريخية والكونية للرسالة الخاتمية المحمدية الخالدة، أو عطّل عجلة دوران الانتظار المهدوي الموعود أو الاتّباعية الولائية الفقهية التقوائية العامة والممهدة للولاية العصموية المنتظرة. ولكن الفيلسوف نفسه حينما يلتقي بشيئين مختلفين، فإنه – كما قال أفلاطون– «**كثيرا ما يحذو حذو الطفل حينما يختار هذا وذاك معا**».

وليس أيسر وأهون بطبيعة الحال، من أن نتّهم الفلسفة بأنها تعقيد لما هو واضح لا إيضاح لما هو معقد. ولكننا عندئذ ننسى أن الوضوح لا يكون على حساب العمق، وأن التعقيد ليس في ذهن الفيلسوف والعارف والفقيه، بل يوجد في صميم المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم. ولو كان مجرى الوجود الكائني مرآة شفافة، أو حقيقة بيّنة متجانسة، لما استحال على الفيلسوف أو العالم أو العارف أو الفقيه الولائي العام أنْ يصيغه في قالب محدّد.

إنَّ الفيلسوف الحقيقي والعارف الرباني والفقيه الولائي العام، لا يرى في الفلسفة والعرفان والفقه والولاية سوى صيرورة تكاملية وحركة دينامية ديمومية تحمل في طياتها حمولات أبستيمولوجية وأنطولوجية وأكسيولوجية واستطيقية بحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية

والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ، تضفي عليها روح المخاطرة والمسؤولية الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتّباعية. الأمر الذي يمارسها من دون إمكانية وضع حد لعملية «**حوار الذات مع الذات**»، لأن هذا الحوار عنده فعل لا ينقطع أبدا، بل تصبح فيه الأجوبة نفسها أسئلة جديدة، والأسئلة تساؤلات، من دون أن يكون ثمة توقف على الإطلاق.

وحين يدرك الفيلسوف والعارف والفقيه أن واجبه الأول هو الوفاء للوجود، والإخلاص للحياة، والغرض هو حياة كريمة بلباس التقوى والكرامة والعدالة، والهدف التكامل، والغاية مرضاة الله والتقرب منه تعالى، فإنه لا بد من أن يستطيل ويوسع ويعمق ويمتد بؤرة عدساته الرؤيوية الاستكشافية والاسترجاعية التغذوية والاستبصارية والاستشرافية والتفكيكية والتركيبية والتراكبية والتكوينية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية لكينونة السؤال، وأنّ يدعها شفافة ومفتوحة وديمومة وديناميةإلى الأبد. وتبعا لذلك، فإن الفيلسوف والعارف والفقيه إنسان «**سالك**» وليس «**واصلا**». وهذا ما يفترض أن يجعله دوماً وأبداً يشعر بشدة القلق والحيرة والتوتر والإحراج والحيرة التكاملية والتعاضدية والارتقائية والفوقية والقدسية وليست الحيرة والاضطراب والشك والألم الانحدارية والسفلية والسلبية المرضية النفسية الإيجابية الفعّالة والدافعة إلى سؤال الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية وسؤال سؤالاتها وسؤال إجاباتها وسؤال سؤال إجاباتها.

وأنّ يشعر دائماً وأبداً بعمق وسعة جهله واستطالة فقره وفاقته وإملاقه، مهما استطالت واتسعت معارفه وعلومه وامتدت آفاقه وتغورت أعماقه، ذلك لكون ظرف ووعاء وبيت السؤال كبير وكبّار يلقي عليه قول هل من مزيد ! هذا الشعور الحقيقي والوجداني والعقلي هو الذي يوجد حالة الجد والاجتهاد والمجاهدة وحمل المسؤولية، ما يجعله كائناً متواضعاً وطالباً متعلماً، أمام كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي.

ولذا نرى من الأهمية بمكان أن نوسع ونبسط القول في علاقة التواضع بكينونة السؤال والمساءلة وسؤال السؤال، لأنه مفتاح كبير وهام لانفتاح الكائن البشري على كينونة السؤال والمساءلة وعلى كينونة الكائنات الذاتية والطبيعية والملكوتية من جهة، وعلى القيام بالشكر وشكر الشكر لتحمل مهام ومسؤولية الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، من جهة أخرى.

### 15.14.2 مصدرية ومنشئية التواضع المعرفي لكينونة الكائن الإنساني:

إنَّ منشأ التواضع المعرفي والوجودي للكائن البشري هو معادلة العلم والجهل القائلة بأن العلم ما هو إلا ميزان ومسطرة لقياس وتقدير مقدار وحجم الجهل لدى الكائن البشري، وكلما ازداد الكائن البشري علماً ومعرفة، انكشفت جهالته وجهله، وانكسرت الذات وتواضعت النفس والعقل. وحيث إن معرفة الجهل لا تتم إلا من خلال العلم والمعرفة، وإنَّ تحصيل العلم والمعرفة هو نتاج السؤال المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي الكبير والكبّار والصحيح الهادف والخيِّر، فإن كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب بحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ، هي مصدر ومنبت جذور التواضع في عقل وقلب الكائن البشري.

وكينونة التواضع هي مصدر ثانٍ لمنتجات السؤال وسؤال السؤال أيضا، حيث الشعور الجواني بالتواضع يشكل دافعاً عقلانياً وحافزاً فطرياً لتوليد منظومة السؤال وسؤال السؤال، ونتاج السؤال في كشف جهل الكائن يدعو إلى مزيد من التواضع ومزيد من السؤال، وهكذا دواليك. وكلما كان موضوع السؤال كبروياً كبّاراً، اتسعت دائرة علم ومعرفة الكائن البشري وتعاظمت قيمتها الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية

«**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والاستطيقية «**الجمالية والفنّية**» من جانب، وانكشفت حقيقة دائرة جهالة وجهل الكائن البشري، من جهة أخرى، وما بعد الاستتار والاستراز والانحجاب والانوراء لكينونة الجهل، هو الانكشاف والتمظهر والتجلي لكينونة التواضع. فدالة التواضع والعلم والمعرفة هي دالة معرفية ووجودية، وعلاقة تبادلية طردية، وعلاقة انعكاسية مرآوية ارتدادية، وكل طرف صدى للآخر وصورة مرآوية له، وذلك وفق المعادلة التالية:

التواضع = السؤال = العلم والمعرفة = معرفة الجهالة والجهل = التواضع

السؤال = الجواب والعلم والمعرفة = معرفة الجهل = التواضع = السؤال

إنَّ عظمة كينونة السؤال وقيمتها مرهونة بعظمة موضوعه الذي يضفي قيمة على الجواب والمعرفة والعلم، وبالتالي يمنح قيمة للتواضع. وعلى الكائن البشري إذا ما أراد أن يعظّم قيمة السؤال والجواب والتواضع أن يختار موضوعاً يثوي في بنْيَته أعلى قيمة معرفية وعلمية. لذا لا يوجد موضوع في الكون يتصدر قائمة الموضوعات والكائنات والموجودات بشكل مطلق ولا متناهٍ، إلا الله سبحانه وتعالى، ومن ثم يليه نسبياً ذات كينونة الكائن البشري، والكينونات الطبيعية والملكوتية الأخرى. وعليه، فمن لم يجعل، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا بصورتها التكوثرية والتوحيدية مركزاً وبؤرة تتمركز وتتبأر كافة الموضوعات والمفاهيم والأفكار والرؤى المعرفية والوجودية، فإن كينونة ومنظومة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب وكذلك المشكل والإشكال وحمولاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية، إما أن تكون ناقصة أو مشوهة أو متبعثرة ومتنافرة، أو تحمل قيماً سلبية وتناقضية تبتعد عن دائرة الحق والحقيقة. وذلك تباعداً تدريجياً تبعاً لسلّميتها الراتوبية التي تتدرج من الاختلاف والتمايز والتغاير مروراً بالتضاد والتقابل والتطابق والتناقض ومتموضعاً في دائرة المزايلة.

والعكس هو صحيح أيضاً، أي حينما تتبأور وتتمركز منظومة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب حول موضوع أسماء وصفات الله تعالى وموضوعاته من «**التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد**»، وحول قضايا ومسائل الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، فإنها تضفي عظمة ومقاماً وشأناً على كينونة السؤال والجواب وما يترتب عليه من معرفة وعلم للحق والحقيقة، وذلك وفق سلّميته الراتوبية التي تتدرج من المشابهة والمشاكلة والمضارعة مروراً بالمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة ومتموضعاً في دائرة المطابقة.

وعليه، يتم اسدال الستار والاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء لعظمة دائرة جهل الكائن البشري أمام عظمة وكبرياء وعلم وقدرة الله سبحانه وتعالى المطلقة واللامتناهية، ما يزيد الكائن البشري تواضعاً وذلاً وعبادة وعبودية وعبودة وحقارة وضعفاً ونقصاً، وما يملي على الكائن البشري مزيداً من طلب العلم والمعرفة؛ أي مزيداً من السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، الذي يمنحه مزيداً من العلم والمعرفة والحكمة، فينكشف له ما كان مخفياً ومستتراً من الجهل والنقص، فيزداد تواضعاً وحقارة وعبودية، وهكذا دواليك.

فالسؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب المتمحور والمتمركز حول ذاته الإنسانية وربه يمنحه الجواب والعلم والمعرفة لذاته وربه. ولعظمة وإطلاقية وكمال وجمال الله التي اندكت وعُجنت تكوينياً وفطرياً بواسطة تجليات أسمائه الحسنى وصفاته العليا في بنْيَة كينونة الكائن البشري بالقوة والإمكان. فإن معرفة ذاته النسبية موصولة بمعرفة ربه المطلقة،فيتجلى له أنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل، وأقل من كل قليل بذاته، وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة، وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله... فهذا هو منشأ ومصنع وابتكار وإبداع وصياغة منظومة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب الكبروي والكبّار الذي يليق بعظمة وشأن الكائن البشري.

فمن أفضل وأسمى الفضائل الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية هي فضيلة التواضع ومتواليات الفضائل المتولدة عنه. فقد جاءت الآيات والروايات العديدة المادحة للتواضع وخاصة من قبل العلماء والفقهاء والفلاسفة والعرفاء والتي عدته من أرقى قيم الأخلاق. يقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[1].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أشرف الخلائق، التواضع والحلم ولين الجانب**»[2]. وفي رواية أخرى اعتبر الإمام الصادق عليه السلام التواضع دليلاً على كمال العقل، فعنه عليه السلام: «**كمال العقل في ثلاثة: التواضع لله، وحسن اليقين، والصمت إلا من خير**». [3] فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «**إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبَّار، لأن الله جعل التواضع آلة العقل**».[4]

وتجدر الإشارة إلى أننا لا نعني التواضع بالمفهوم السلوكي الظاهري في المشي والقول والتعبير وحسن الاستقبال وعدم التكبر، هذه الأمور ظواهر برانية في غاية الأهمية ومنتهى الضرورة، ولكن ما نعني هنا من فضيلة التواضع هو التواضع المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفني للعالم والفقيه والفيلسوف تجاه غايات وأهداف ومسؤوليات السؤال الكبير والكبّار الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الذي يجعله دائماً وأبداً بحاجة إلى السؤال، وأنْ لا يكتفي بالسؤال، بله، يسأل السؤال ويسأله، ولا يكتفي بالجواب، بله، يسأل الجواب ويسأل سؤال الجواب.

---

(1)- المرجع القرآن المجيد، سورة المائدة، الآية 54.

(2)- الريشهري - محمّد - ميزان الحكمة - دار الحديث، الطبعة الأولى - ج 1 ص 808.

(3) - الريشهري - محمّد - ميزان الحكمة - دار الحديث، الطبعة الأولى - ج 3 ص 2050.

(4)- الريشهري - محمّد - ميزان الحكمة - دار الحديث، الطبعة الأولى - ج 1 ص 674.

إذاً كينونة التواضع الحقيقي والحق تتولد من العلم بالله سبحانه، ومعرفة أسمائه وصفاته، ونعوت جلاله، وتعظيمه، ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها، وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من بين ذلك كله خلق هو «**التواضع**»، وهو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحدٍ حقّاً، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قِبَلَه، وهذا خُلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبُّه، ويكرمه، ويقربه.

إذاً لأي سؤال نتواضع؟ بالحديث والمثال يتضح المقال ويرفع المقام، وما علينا هنا إلا أن نسترشد بقول الحكيم لقمان لابنه: يا بني تواضع الحقّ تكن أعقل الناس.

فكيف يكون التواضع الحقّ؟ الحق من صفات الله تعالى، وبهذا المعنى ينبغي أن يكون التواضع لله أولاً، كيف لا ونحن عبيده وعلى العبد الخضوع لمولاه، فكيف إذا كان مولاه خالقاً له ورازقاً ومفيضاً ومنعماً؟

**ثانياً**: التواضع الحقّ أي ما يقابل الباطل، فقد يكون الحق مخالفاً لهوى المرء، ومنافياً لرغباته، فعلى المؤمن حينها أن يتواضع للحقّ بأن يقدم الحق ولو على حساب نفسه وعزّة نفسه، وأن يتقبل الحق على نفسه قبل أن يتوقع تطبيقه من قبل الآخرين على أنفسهم.

**ثالثاً**: التواضع لأهل الحق، من حملة العلم والصالحين من عباد الله المؤمنين، وقد مرّ معنا قول أمير المؤمنين عليه السلام حين عدد ثمرات التواضع: «**والاستماع من العلماء والقبول منهم**».

### 15.14.3 لأي سؤال لا نتواضع؟:

ما دام أسمى مقام وأعظم قيمة لكينونة السؤال هي التي يثوي في بنْيَتها التواضع، وهذا ما لا نجده إلا في كينونة السؤال الإلهي والرباني تعالى الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، وتتدرج قيمة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، من حيث

فضيلة التواضع ما يحمل من حمولات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية، ومن حيث إمكانات وطاقات تثويرية وابتكارية وإبداعية لمنظومات وكينونات السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب والمشكل والإشكال، حسب تموضعاتها المتحاقلة والمجايلة والمماسة والمجاورة والبعيدة عنها، وتبعاً لسلّميتها التعاضدية من حيث المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمجاورة والمناظرة والمطابقة. وعليه، فلا يمكن أن يقع في ما يخالف حكم الله أو ما يخالف التقرب إليه تعالى. وقد نبهتنا الروايات الشريفة عن رسول الله الأكرم ﷺ وآل البيت عليهم السلام إلى بعض النماذج من السؤال التواضعي السيئ، منها:

- التواضع لكينونة السؤال الثاوي على الظلم والجور.
- التواضع لكينونة السؤال الثاوي على الجاه والسلطة الدنيوية.
- التواضع لكينونة السؤال اللاغائي واللاهادف واللامعنى.
- التواضع لكينونة السؤال الذي مصدره الذات الشبيهية الموهومة والمآسسة على النزوات البهيمية والشهوات الحيوانية والأفكار الشيطانية.

وهذه الوضعية تخالف وضعية السفسطائيين الذين نسبوا لأنفسهم المعرفة والحكمة، في حين رفع سقراط على الدوام شعارا مضمونه: « **كل ما أعرفه هو أني لا أعرف شيئا !!**» مما يفيد وجود حس تواضعي، يدفع الكائن البشري إلى مزيد من العلم والمعرفة الذي يكشف سوءة جهله، ومن ثم يمأسس كينونة التواضع له، فيقيِّم السؤال ليسترها بورقة التوت العلمي والمعرفي. فيتواضع وهو ذلك الموقف العقلي والوجداني الذي يدفع صاحبه إلى السؤال وسؤال السؤال.

فالفضيلة كالتواضع هي غاية ممارسة السؤال لا لغرض العلم والمعرفة فقط كوسيلة وقوة للإقناع بغض النظر عن المضمون والغاية المتعالية كما هي عند السفسطائيين، بله، إن غاية السؤال هي التواضع بالمفهوم الذي طرحناه، وكما يشير المعلم الأول

«**سقراط**» بأن غاية السؤال «**الفلسفة**» هي «**تدريب النفس على اكتساب الفضيلة**» بحيث لا ينفصل تعليم المعرفة عن الغاية التربوية الأخلاقية.

### 15.15 خواء وهباء كينونة السؤال من الغايات والوعي والعلم:

لو تأملنا حق التأمل في منظومة أسئلتنا اليوم من خلال استقراء وتحليل وتفكيك وتشريح مجمل مناقشاتنا وحواراتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والإعلامية والتربوية والتعليمية، لوجدنا أنها لا تسمو إلى منزلة ومقام الأسئلة المطروحة، وأن إجابات وردود المتحاورين في الأغلب والأعم إما بعيدة كل البعد عن حقيقة وكنه السؤال المطروح أو هي في الواقع إجابات لأسئلة غير مطروحة البتة !. وإن أغلب الأسئلة المطروحة بنْيَتها الجوانية فارغة وخواء من المعارف والحقائق، ومن الغايات المتعالية والحقيقية ، ومن بنْيَة نسقية ونظْمية تحكم وتنظم وتضبط وتقوّم وتثمن العلاقات البيْنيّة بين عناصر ومكونات كينونة السؤال الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والسسيولوجية والسيكولوجية. وبالتالي يصبح مآل السؤال والجواب الجدل والمكابرة والتجاهل والخصام والعراك والإقصاء والقطيعة المعرفية، ومن ثم اغتيال السؤال والجواب أو السائل والمجيب في رائعة النهار، لكونهم يجهلون أولاً في طرح السؤال وتلقيه، ربما، يتحدثون ويتساءلون فيما يجهلون، ويناقشون ويتساءلون فيما لا يعلمون، ويجادلون فيما لا يفقهون، ويتحاورون بتعصب لغير الحق وبلجاجة مفرطة، والتي «**تسل الرأي**» على حد وصف أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم ننتظر منهما أن يصلا إلى نتيجة ثاوية حتى إلى قناعة مشتركة، هيهات هيهات، فالسؤال الذي لا يعتمد على العلم والمعرفة والتبصر بأمر كينونته فكيف نتوقع منه أن يمنحنا الجواب «**فاقد الشيء لا يعطيه**».

إذا كان أصل الخلاف والاختلاف وهو مخفي وثاوٍ في بنْيَة كينونة السؤال، بينما المتحاوران يجهلان ذلك، وهذا ما يسبب أيضاً في تماسف الجواب من المقصود

والمطلوب من السؤال أو الإجابة لأسئلة غير مطروحة بالأساس. والأدهى والأمرّ، هو تصدي الكائن البشري للسؤال والجواب وهو جاهل بفلسفة وعلم وفقه وثقافة السؤال ذاته، الذي يعتبر مفتاحاً لحل أقفال أبواب المشاكل والإشكالات، ويعتبر أيضاً نصف الجواب والمعرفة، فإذا كان المفتاح المعرفي مختلاً مشوهاً ناقصاً ومتضاداً متناقضاً كيف بِمَكّنته أن يفتح أقفال مفاتيح العلم والمعرفة؟! صدق قول الإمام علي عليه السلام سيأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، ومساجدهم يومئذ عامرة من البناء، خراب من الهدى، سكانها وعمارها شر أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، واليهم تأوي الخطيئة، يردون من شد عنها فيها، ويسوقون من تأخر عنها إليها، يقول الله سبحانه: فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تترك الحليم فيها حيران، وقد فعل، ونحن نستقل الله عثرة الغفلة. إنها قراءة مستقبلية لكينونة ومنظومة السؤال يستشرف بمقتضاها الإمام علي عليه السلام صاحب مفتاح باب علم ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي بموجبه يفتح له من كل باب ألف باب علم ومعرفة.

### 15.16 فن بناء وإنتاج وصياغة كينونة السؤال:

إن واقع كينونة السؤال اليوم بافتراض صحتها وجديتها وجدوى المعرفية فشلت في إيصال رسالتها وغاياتها وحمولاتها المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والسسيومعرفية والسيكومعرفية الثاوية في بنْيَتها إلى كينونته الذاتية الحقيقية الجوانية أولاً، وإلى الرأي العام أو الحياة بشتى مؤسساتها الحضارية والإنسانية ثانياً، وذلك لجهل الكائن البشري بفنون اللسان والبيان وآداب وثقافة وفلسفة وفقه لغة السؤال والجواب. فيبدو لنا السؤال الحقيقي والفلسفي والعرفاني والعقلاني ضرباً من اللاوقعية والتخييلية والمثالية التي تفتقد إلى أي فائدة مادية لحظية للفرد والمجتمع.

علينا بادئ ذي بدء، أن نتعلم بعد ثقافة وعلم وفقه وفلسفة كينونة، السؤال وفن السؤال، لنتعلم فن استجلاب الأنظار واستثارة الدهشة والاستغراب والإحراج والحيرة

التكاملية والتعاضدية والارتقائية والفوقية والقدسية وليست الحيرة والاضطراب والشك والألم الانحدارية والسفلية والسلبية المرضية النفسية الثاوية في كينونة السؤال لدى الذات أولاً ثم لدى الغير، ما يشكل فناً وعلماً في كسب المعرفة واستخلاص واستنطاق السؤال ذاته، أي سؤال السؤال ومساءلة واستكشاف مشكلاته وإشكالاته المعرفية والوجودية، لأن السؤال الصحيح يقود إلى المعرفة الصحيحة، والعكس هو الصحيح، فالسؤال الخطأ ينتهي إلى العلم الخطأ، وهذه هي مشكلة الكثير من الناس، فهم لا يعرفون كيف يسألون؟، وكيف يسائلون سؤال السؤال؟ وكيف يحددون أطروحة السؤال؟ وكيف يشخصون مشكلة السؤال الثاوية فيه؟ وكيف يميزون الإشكالات في كينونة السؤال؟ فكيف تحكمون وماذا تتوقعون؟

ليسمو الكائن البشري ويجني ثمار المعرفة الصحيحة والمفيدة، عليه، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، أن يتعلم إضافة إلى ثقافة وعلم وفلسفة وفقه كينونة السؤال فن السؤال؛ أي كيف يطرح السؤال ومتى وأين ومع من ولماذا و... أليس السؤال مفتاح الجواب؟ وأليس السؤال نصف الجواب؟ وأليس حسن السؤال نصف العلم. على حد قول الإمام الحسن بن علي السبط عليهما السلام، كما إنَّ من خصوصيات سؤال المجد في تعلم المعرفة هو أنه يسأل من اجل أن يتعلم ولا يسأل من اجل الجدال العقيم مثلا أو لإحراج الآخر أو ما إلى ذلك، فعندما سأل احدهم أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن معضلة، قال له الإمام «**سل تفقها ولا تسأل تعنتا، فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم، وإن العالم المتعسف شبيه بالجاهل المتعنت**».

ومن جانب آخر فان متلقي السؤال أيضاً عليه بادئ ذي بدء، أن يفهم كنه حقيقة السؤال حتى يسمو إلى مستوى الطلب والمطلوب أو أن لا يدلي بإجابات وردود لأسئلة غير مطروحة بالأساس. فكم من سائل لا يحصل على المعرفة الصحيحة لكونه لا يعرف كنه حقيقة سؤاله من جانب، ولا يعرف المتلقي والمجيب حقيقة كنه المطلوب من كينونة السؤال المطروحة أمامه، من جانب آخر، فيتسرع في الإجابة فيدلي بمعرفة

لا علاقة لها بالسؤال فتضيع المعرفة الصحيحة على السائل. وتجاربنا كطلبة خير شاهد على ذلك. فكم مرة ومرة نجيب بشكل مرسل ومسترسل في الامتحانات عن الأسئلة المطروحة ونتوقع علامات كاملة لكون الإجابات مطابقة تمام التطابق لما هي واردة في الكتاب المدرسي، لكن نكتشف أن تلك الإجابات الصحيحة دون شك لا علاقة البتة لها بالسؤال المطروح، فتكون العلامة صفرا على الإجابة الصحيحة لغير السؤال المطروح!

أسبقية الوجود عن الماهية، فالإنسان يوجد أولا ثم يختار ما يكون عليه في المستقبل، أي هو الذي يقرر مصيره بنفسه، فالماهية هي دائما مشروع مستقبلي، هكذا نجد أن الطفل يعمل من اجل شبابه والشاب يعمل من أجل رجولته وهكذا.... إذاً وجود الإنسان هو ما يفعله، فأفعاله هي التي تحدد وجوده وتكوّنه. (الإنسان مشروع وليس موضوعاً)..

من هذا المنطلق في المفهوم هذا نقدر أن نطلق التميز في الأحكام والاحتكام..

الإنسان بفكرة وبما يميز هذا الفكر هو له مطلق الحرية في تفكيره وفي شعوره بماهيته في هذه الحياة...

يتحكم في أفكاره ولكن لا يتحكم في سعيه وفي مشيته، فالله تعالى يذلل الصعاب لهذا الإنسان بحيث يجعله يمشي على هذه الأرض، ولكن الإنسان بفكره ينحرف عن الطريق هذا إلى طريق آخر..

### 15.17 السؤال ووضع المشكل والمساءلة لكينونة السؤال

غالبا ما يتجه همّ المتعلم، متى تعلق الأمر بسؤال مطروح عليه إلى البحث المضني عن جواب يعتقد انه جاهز في موضع ما: في دنيا الحقائق الخالدة، في صلب الوجود، في «**اللوح المحفوظ**» أو في القائمة التي يحتفظ بها الذهن الجماعي أو الفردي ويتخذها مرجعا لأحكامه ومواقفه وقراراته. فلنحسّسه بأن هناك جهدا ووقتا وتكلفة

وتضحية ومشكلا وراء السؤال، لكن هذا لا يزعجه ولا يكون مناسبة جديدة تدعوه إلى فعل التفكير والتأمل والتعقل والتعرّفن والتشرّعن، إذ المشكل عنده له حلّ جاهز، هو أيضا ينتمي إلى عوالم الجواب المذكورة، فلا إشكال عنده في مسألة المشكل: هذا المفهوم معهود وما يشد انتباهه هو الحل الذي يقترن في رأيه أنطولوجياً بالمشكل.

هذا الوضع مأساوي من الناحية الفكرية والثقافية والفقهة والإنسانية التي تصبو إلى التكامل، ذلك أن وضع المشكل في ذهن السائل أو المثقف أو المفكر أو الفقيه يعيّن مصير منتجاته المعرفية الاستدلالية والدلالية والتداولية والتواصلية تعيينا كاملا. هذا يدفعنا صوبا إلى عملية فكرية وعقلية متعالية (منهجية) بسيطة ناجعة وهي عملية «**التمييز المفهومي**» بين السؤال والمشكل. فالسؤال يفترض أن الجواب عنه يكون امتدادا مباشرا له ويحظى بشيء من البداهة، ولكن عندما يحرجنا السؤال ويُحيرنا فلا جواب يتشكل أمامنا بوضوح. فعندها نمثل أمام مشكل وحتى معرفة حلّه لا تكفي، فمن الضروري أن نقطع الدرب، كل الدرب الذي يؤدي لاكتشافه، لذا يجب أن يتجاوز المتعلم السؤال الظّاهر ليستحوذ على المشكل الذي أملى السؤال، وهذا لا يكون إلا بمساءلة السؤال نفسه. من هنا قيل إن المشكل هو «**سؤال السؤال**».

كل هذا لا يكفي لأننا لا نبحث عن مفهوم المشكل عموما، بله، عن مفهوم المشكل الفلسفي بخصوصياته. هناك المشكل العلمي، ومن يجهل هذا؟ بل هم كثيرون أولئك الذين يعتقدون ويبشرون بأن المشاكل لا تكون إلا علمية، والبقية غوغائية. عملية التمييز المفهومي هنا ضرورية من جديد: فما المشكل العلمي؟ وربّما بالتقابل نفهم بتميز في وقت لاحق حقيقة المشكل الفلسفي.

### 15.17.1 كينونة الوضع والمسألة وسؤال السؤال:

الوضع هو رأي مبدَع لبعض المشهورين بالفلسفة، فالوضع أيضا مسألة، وليس كل مسألة وضعا، لأن بعض المسائل يجري مجرى ما لا يعتقد فيها أن الأمر فيها كذا

أو كذا» [1]. ولكينونة السؤال موضع متميز في الفكر البشري الغائي والقاصد نحو الكمال والجمال المطلق، وكذلك لها أهمية خاصة ومضاعفة في العرفان والفلسفة، فهي مفتاح قفل أقفال أبواب صناديق المعرفة والوجود، ومفتاح التعالق والتواصل مع ماهية كينونات الكون والخالق المطلق، وهي المدخل الأساسي إلى الحكمة، **«ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا»**[2].

وكينونة السؤال هي مصدر ومنشأ كينونة المشكلة، وهي التي تشكل بنْيَتها الجينيالوجية والأركيولوجية، وحمولاتها، وهي التي تشكل بنْيَتها ونسقيتها ونظْميتها المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والاستطيقية؛ فكينونة المشكلة في نهاية المطاف كينونة سؤال تبحث عن إجابات وردود. وقد حظي مفهوم **«كينونة السؤال» بأهمية فوق العادة في الفلسفة الوجودية، وبوجه خاص لدى هيدجر الذي ذهب إلى تأويله على أنه سؤال عن الكينونة (بالألمانية:** Seinsfrage**) أو سؤال عن معنى الكينونة (بالألمانية:** Sinn von Sein**) يعود إلى ماهية الوجود.**[3]

### 15.17.2 السؤال وطرح المشكل:

إن كان السؤال علماً ومعرفة وفنا في طرح المشكل، ألا ينبغي أن نستعلم ونتعلم ونستفسر ونقوِّم منزلة المشكل في كينونة السؤال وأن نتساءل: لماذا ينبغي إثارة مشكلات جديدة دائما وفي ظل أي ضرورة ولأي استعمال؟ ومن أجل ماذا؟ فماذا يفيد هذا النشاط الخاص بطرح الإشكاليات التي يختلف فيها النشاط التفكيري والتأملي السؤالي عن النشاط السؤالي العلمي وعن السؤال الإبداعي الفني؟ ما الفرق بين السؤال والمشكل والإشكال؟ ولماذا ينبغي أن نميز بين السؤال والتساؤل والتسآل؟

---

(1) – أ ب ت أرسطو: كتاب الطوبيقا، نقل أبي عثمان الدمشقي، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي في كتاب: منطق أرسطو، ج 2، الكويت 1980، ص 506.

(2)– المرجع: القرآن المجيد، سورة البقرة، الآية 269.

(3)– المرجع السابق، ص 506.

كيف يقع المرور من الطرف الأول إلى الثاني ثم إلى الثالث؟ هل هناك سؤال وتساؤل ومشكل وإشكال أفضل من كل الأسئلة والتساؤلات والمشاكل والإشكالات الأخرى؟ وكيف توجد أسئلة وتساؤلات ومشاكل وإشكالات تفرض نفسها ضد أسئلة وتساؤلات ومشاكل وإشكالات أخرى؟ هل من المحتم علينا أن نميز بين مشكلات وإشكالات علمية وفلسفية وعرفانية ووحْيَانية غيبية؟ أم من المستحسن أن نبذل الجهد للتفريق بين أسئلة وتساؤلات ومشكلات وإشكالات زائفة وأسئلة وتساؤلات ومشكلات وإشكالات حقيقية؟

فإذا ما كان للسؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب حرمة وقدسية وكرامة ومقام ومكانة بارزة في تحديد ماهية سيرورة وصيرورة كل تعلم وعلم وتجربة وتجريب وتفلسف وفلسفة وتعرّفن وعرفان وتشرّعن وشريعة وتفقهن وفقه، فالواجب التجريبي العلمي والواجب العقلي والواجب الوجداني والواجب الأخلاقي والواجب الوجودي والواجب الشرعي والواجب القانوني يفرض على الكائن البشري أنّ يجند كافة طاقاته ويوفر جميع إمكاناته بحثاً وتقصياً عن خريطة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب الهندسمعرفية والهندسوجودية والهندسقيمية والهندسجمالية والهندسفنيّة الإنشائية والمعمارية والبنائية، من أجل العمل على بناء كينونة السؤال التي هي بمثابة المنزل والقلعة والظرف والرحم والوعاء لكينونة الجواب، وهذا الأمر يستلزم أيضاً الإجابة القويمة والصحيحة والسليمة والغنية والتامة والكاملة لأسئلة كينونة الكائن الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتّباعبة، ومشكلاتها وإشكالاتها الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية وحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ.

هذه الأسئلة والتساؤلات والمشكلات والإشكاليات بأي معنى يستطيع سؤال

الفلسفة أن يكون فلسفياً والعلمي علمياً، والعرفاني عرفانياً، والحسي حسياً ، والشرعي شرعياً، والفقهي فقهياً؟ وهل المعرفة بماهية كينونة السؤال الفلسفي والعرفاني والفقهي والشرعي والغيبي والحسي وبطبيعته تكون ضرورية لكل من يريد التفلسف والتعلم والتعرّفن والتشرّعن والتفقه أم لا؟ وما هي نماذج الأسئلة والمساءلات الفلسفية والعلمية والشرعية والفقهية والتجريبية الممكنة والتي تشكل نواة الاستفهام والاستعلام والاستنطاق الفلسفي والعلمي والتجريبي والفقهي والشرعي والغيبي والعرفاني؟

وما الفرق بين السؤال العامي والعلمي والفلسفي والعرفاني والشرعي التعبدي والغيبي الميتافيزيقي؟ وما الفرق بين السؤال الاستخلافي الإنساني المعقود والخاتمي المحمدي ﷺ الكوني والخالد والانتظاري المهدوي عجل الله تعالى فرجه الشريف الموعود والاتّباعي الولائي الفقيه التقوائي العام والممهد للولاية العصموية المنتظرة؟ كيف يمكن أن نميز بين التساؤل والإستشكال وبين الاستفهام والاستجواب؟

وإنّ كان تاريخ الفلسفة والعلم والشرع والفقه والعرفان هو تاريخ الأسئلة والأجوبة والتساؤلات والإشكالات، وكانت الأسئلة والمساءلة في الفلسفة والعلم والفقه والشرع والعرفان والتجربة أولى وأهم كرونولوجياً «**زمانياً**» وأبستيمولوجيا «**معرفياً**» وأنطولوجياً «**وجودياً**» وإجرائياً عملانياً من الإجابات والردود والعلاجات والمعالجات، إلا أنَّ السؤال هو مفتاح قفل أقفال الأبواب المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية، وهو دالة مستقلة أمام الجواب الذي هو دالة تابعة لكينونة السؤال. حيث إنَّ كينونة السؤال تفتح بمقتضاها قفل أقفال الأبواب المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، وثانياً لأن كل سؤال يفترض جوابا وكل جواب يتحول إلى سؤال جديد، وذلك في سلسلة متواليات هندسية لا متناهية بين السؤال والجواب والسؤال وهكذا دواليك.

الفصل السادس عشر

# منشئية ومصدرية كينونة السؤال لدى الكائن الإنساني

## 16.1 منشأ ومصدر كينونة السؤال عند الكائن البشري:

المستقرئ لتاريخ كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب وكينونة المعرفة البشرية، يستشف أن بداياتها تكمن في الوعي بالمسافات الممتدة الواسعة والبون الشاسع بين حمولات كينونة الكائن البشري الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية الجوانية الكامنة بالقوة والإمكان، وبين كينوناته الوجودية والمعرفية القيمة والأخلاقية والجمالية والفنّية البرانية في الواقع، والتي هي مقياس ودرجة جهل الكائن وتموضعه في السُّلّمية الراتوبية التكاملية والتقربية إلى الكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى له.

الأمر الذي يجعل حال كينونة الكائن البشري البدء بلحظة السؤال والتساؤل والتفلسف نتيجة وعيه بالفجوة والإدهاش والحيرة والإبهام والقلق الملازم لهذه الحالة واللحظة الحرجة لولادة كينونة السؤال البدئي، ليكشف الاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء عن مجهولاته ومفهوماته غير الواضحة، وليهدئ ويستكين القلق والإدهاش والحيرة والانبهار.

فمنذ أنّ بدأ وعي الانسان النقدي بدأت أزمة المعرفة ومعها بدأ التفكير بالمفاهيم والمقولات المبهمة. إنّ محاولات الكائن البشري لمعرفة الذات والكون والوجود وسبر أغوارها والكشف عن أسرارها أثار دهشته، ومع الدهشة بدأ القلق، ومع القلق بدأت الخيبة، ومع الخيبة بدأ التساؤل ومع التساؤل بدأ التفكير الفلسفي المتعالي على الجزئيات والهوامش والأطراف، ومع الوعي النقدي بدأت أزمة الوجود.

كل الفلسفات تبدأ بدهشة وحيرة وشك وأزمة وتساؤل! والأزمة تعني الشك، والشك هو

أحد طرق اليقين.. ومع الشك بدأ الوعي النقدي بالوجود.. عندما بدأ الأبناء يشكون في أساطير الأولين وتولاهم الشعور بأن العالم ليس محكما تماما، كما في القصص والأساطير وملاحم الآلهة، وبدأت خيبة الأمل من اللاجواب ودفعت الكائن البشري إلى التفلسف.

والتفلسف أيقظ العقل وفتح الذهن أمام آفاق عديدة من المعرفة، فلم يعد الإنسان يقف سلبيا أمام الكون والوجود. فالفلسفة إذاً هي البحث المتواصل الذي لا ينتهي ولا يكل عن التساؤل عن أسرار الوجود الذي حركه وعي الإنسان الفطري النقدي الذي نَور العقل وشحذ الفكر ودفعه لمزيد من التساؤل والنقد للوصول إلى الحقيقة وحل ألغاز الوجود وأسرار الحياة.

ومنذ سقراط وضع الفلاسفة العالم في سؤال، وتراكمت الأسئلة في أذهانهم من أجل البحث عن يقين جديد، جيد وعادل ومفيد. وهذه المرة ليس بالصورة المجردة، وإنما بالمفاهيم والدلالات وليس بالقصص الأساطير، بله، بالبحث والتقصي المتواصل في إشغال الفكر وتحويل المفاهيم الفلسفية والتأملات العقلية إلى أدوات لفهم الواقع وتحليله وتفسيره. ومن الطبيعي أنّ تنهك الفلسفة نفسها في حب الحكمة وتتجاوز الأسئلة والتحليل والتفسير إلى معرفة التناقضات وحل التناقضات غير المتعادلة منها والبحث فيما يعرض، وتركيب ما هو مجزّأ، وفهم العلاقة الشائكة والملتبسة التي تربط بين الأشياء وبينها وبين الطبيعة.

وهذا يعني أنَّ للكائن البشري إرادة أخلاقية حرة تبحث وتفتش وتنبش وتفكك وتفسر لتجيب عن التساؤلات المصيرية التي تبقى مدهشة ومحيرة وبدون جواب. فالفلاسفة لا يقفون مكتوفي الأيدي، كما يقول الفيلسوف الألماني توماس اشوير، وإنما يبقون صامدين، يعالجون الدهشات والخيبات ويقحمون أنفسهم فيما هو شائك وغامض ويمعنون النظر بالمفاهيم والمدلولات التي من الممكن أنّ تتغير وتتطور، لأن كل جواب يستفز سؤالا آخرَ جديدا.. إنَّ قلق الفكر ودهشته وحيرته هي أصل التأمل الفلسفي.

## 16.2 الوعي بالجهل وحب المعرفة والكمال والشعور بالآلام والدهشة والإحراج والقلق:

الدهشة من الأمور المتعلقة بالموت والألم والبؤس في الحياة، كانت هي الدافع الأقوى للتفكير الفلسفي والتفسير الميتافيزيقي للعالم. إن الاندهاش من الظواهر التي يعرفها الوجود، خاصة تلك التي لم يستطع الإنسان أن يجد لها تفسيرا هي التي جعلته يتساءل، أو بقول هيدغر «**إن اندهاش الفكر يعبر عن نفسه بالتساؤل**». لكنه تساؤل يحتاج إلى أجوبة أكثر إقناعا خاصة إذا ما سلمنا مع شوبنهاور بأن الدهشة الفلسفية تفترض في الفرد درجة أعلى من التعقل، بحيث ينقلب الاندهاش من الوجود والعالم الذي لا ينفك يمثل لغزا للإنسان، في الفلسفة إلى مجموعة من الأسئلة المترابطة في ما بينها. وهذا يحيلنا إلى طبيعة السؤال الفلسفي وخصائصه ومميزاته ووظائفه.

صحيح أن كل الناس يتساءلون، لكن السؤال العادي يفترض إجابة بسيطة ونهائية، لكن التساؤل الفلسفي يتميز بالقصدية والشك القبلي في الجواب، كما يهدف إلى هدم الاعتقاد القبلي في امتلاك الجواب أو المعرفة، وهو سؤال ليس منعزلا بل ينتظم داخل تساؤل فلسفي متناسق يجعل الجواب ذا طابع دقيق وبرهاني. بحيث يتمظهر هذا الجواب الفلسفي في صيغة خطاب فلسفي ضمن خطابات أخرى متعددة، لذا فهو يسعى إلى إثبات صدقيته وتماسكه المنطقي.

إنَّ منشئية ومصدرية السؤال هي وعي الكائن البشري بالجهل والجهالة والنقص لا، ورغبته وحاجته وحبه وشوقه للعلم والمعرفة بدافع الكمال والجمال، أو بدافع دفع الضرر والخوف والنقص. وهذه القضايا والأمور إذا ما أوجدت حالة من الدهشة والحيرة والقلق والانبهار تدفع الكائن البشري إلى التفكير في السؤال ومحاولة بناء كينونته وبنّياته وبناءاته التركيبية والتراكبية والتكوينة والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية، أي يقوم بتجهيز وبناء وإعداد الخريطة الهندسمعرفية

والهندسوجودية والهندسقيمية والهندسخلاقية والهندسجمالية والهندسفنية، بأبعادها واستطالاتها وأعماقها وامتداداتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ؛ أي كافة القبليات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية اللازمة للخريطة الهندسية والمعمارية والإنشائية والكهربائية والصحية لبيت السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

وهذه الإجراءات القبلية هي بمثابة تأسيس وتأصيل وتأثيل السؤال الصومتة والهسهسة والحوار الذاتي المنولوجي أو قبل النطق والحوار التواصلي والتداولي الفنومنولوجي البراني، من خلال الحضور الدائم لباراديم «**إبدال**» أو النموذج والمنهاجية التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية لكينونة السؤال الاستخلافي الإنساني المعقود، والخاتمية المحمدية ﷺ الكونية الخالدة، والانتظارية المهدوية عجل الله فرجه الشريف الموعودة، والاتّباعية الولائية الفقهية التقوائية العامة الممهدة للولاية العصموية المنتظرة، كإطار عام وبنْيَة خاصة لكينونة أي سؤال أو مشكلة أو إشكال للمنظومة المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية للأمة ولكينونة الكائن البشري الفردي.

وتأسيساً على ذلك، تبدأ آليات وآلات وأدوات ووسائل واستراتيجيات توليد وإنتاج وإبداع وابتكار ومأسسة وصياغة سلسلة متواليات هندسية لتكوثرات وتفريعات الأسئلة والتساؤلات وإيراد المشكلات والإشكالات التي تتحاقل وتتجايل وتتجاور وتتماس وتتقارب وتتباعد، وجميعها ممتوحة من ومستلة أو مشتقة من بؤرة ومركز السؤال التأصيلي التأسيسي والتأثيلي. وبهذا نضمن التمركز والتمحور والتبأور، ونحقق المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمجاورة والمناظرة والمطابقة التوافقية التعاضدية التكاملية، ونثبت التشميلية والكلّيانية والسببية والضرورة والوضوحية

والعلّية واليقينية والحتمية والوحدة المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنية في عين تكوثراتها وكثرتها المتكوثرة في عين وحدتها الأنطولوجية الوجودية والأبستيمولوجية المعرفية.

ولكن علينا أن لا ننسى أن هناك خطوة استباقية لها سبقية زمانية وفعلية عملية، وهي إجراءات الحصر والاختزال الأنطولوجي الوجودي والأبستيمولوجي المعرفي داخل المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم لكينونة السؤال، وذلك من خلال إزالة التشتتات والتبعثرات والتنفرات والانتشارات والتشظيات، وإمحاء الاختلافات والتمايزات والتغايرات والتضادات والتقابلات والتطابقات السلبية والتناقضات والمزايلات السلبية والانحدارية والتلفيقية والهجينة والمنسوخة والممسوخة والمفسوخة للأسئلة والتساؤلات.

السؤال الكبروي والكبّار سواء الفلسفي العقلي أو التجريبي العلمي أو الاتصاف الصوفي والعرفاني المعقّلن والمشرّعن أو الغيبي الوحيَاني المسدد والمؤيد تثوي في بنْيَته البنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية ثلاثة أشكال من حمولات تصنف على أساس: السؤال الحامل لمشكلة معينة، والسؤال الحامل والطارح لإشكالية محددة، والسؤال الحامل لمشكلة وإشكالية معرفية أو وجودية أو قيمية أخلاقية أو جمالية أو فنّية، و هو الأصعب والأكثر تعقيدا، حيث تمتزج وتذوب المشكلة في الإشكالية.

والسؤال الكبروي الكبّار يكون مصدره الإنشائية والاستنطاقية والاستفسارية والاستعلامية كما ذكرنا سلفاً هو حالة الإدهاش والحيرة والشك والقلق والانبهار والاستغراب والتوتر القائم والفاعل والمتفاعل في ذهن وقلب وعقل الكائن البشري تجاه ظاهرة أو موقف أو حالة جوانية أو برانية معينة من جانب، وبدافع الرغبة والحب والشوق للمعرفة والكمال والجمال لتجاوز الخوف والنقص والفقر، من جانب آخر،

لينطلق سهم السؤال إلى الداخل والخارج ليصيب الهدف.

إذاً هناك السؤال الكبروي والكبّار والسؤال الصغروي والصغّار، وهناك مشكلات وإشكالات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية مصاحبة للسؤال، وهناك حالة سوسيوسيكولوجية وسوسيومعرفية وسيكومعرفية من الإدهاش والحيرة والقلق والاستغراب والتوتر والشك والانبهار، والشعور بالخوف والفقر والنقص، والشعور بالرغبة والحب والشوق الملازمة والممتوحة عن السؤال. لذا علينا، بادئ ذي بدء، أنْ نعرف هذه المسائل والقضايا الملازمة للسؤال، وحيث إننا ناقشنا بعض هذه المسائل في مواضع أخرى، فإننا نركز هنا بتوضيح المشكلة والإشكالية، والحالات السوسيومعرفية والسوسيوسيكولوجية والسيكومعرفية المصاحبة للسؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، وذلك بقدر ما يسمح لنا المقال والمقام والإمكان.

### 16.2.1 تعريف الدهشة :

للدهشة علاقة بأكثر من العزلة والغربة والانفصال والانفصام والذهول بل وحتى القطيعة. إلا أن دهشة وتوتر واضطراب وقلق السؤال والمساءلة أو الفلسفة بشكل عام غير الدهشة العلمية أو العامية، ذلك لأن العالم والعامي معا لا يندهشان إلا أمام الظواهر الغريبة النادرة بغية فهمها ومعرفة أسبابها كما قالت العرب «**إذا عرف السبب زال العجب**»، أما الفيلسوف فيتجاوزهما ليندهش أمام كل الظواهر بل وحتى أمام أكثر الأشياء والوقائع ألفة واعتيادا مستهدفا تأمل ذاته وعالمه لتكوين صورة واضحة المعالم عنهما.

والدّهشة عامة هي انفعال ورجّة وجدانيّة شديدة وعنيفة، وهي أيضا ذهول أمام شيء خارق للعادة وغير مألوف، إنها حالة نفسية مصحوبة بالتوتر والحيرة وشيء من الألم أحيانا وأحياناً من القلق، تحصل للفكر عندما يلتفت إلى أمر ويعرض عليه عارض يعجز عن استيعاب حمولاته الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية

والاستطيقية، فتمثل ظاهرة أو معطى محاقلاً أو مجايلاً أو مماساً أو مجاوراً لمنظومة البِنْيات والمقولات السابقة، فيولد تيار متدفق من الصراع والتحدي والتنافس والتباري الأبستيمولوجي والأنطولوجي والأكسيولوجي والاستطيقي الجواني، في صورة حركة دينامية مستديمة ومتعالية ما دام هناك التفات ووعي وتعقل وتأمل أي سؤال وتساؤل مدرار ومكرار.

الدهشة الفطرية والدهشة التساؤلية الجوانية في كينونة الكائن البشري متباينة ومتغايرة عن الدهشة الطبيعية أو العادية، من حيث إن هذه الأخيرة تحصل أمام الغريب وغير المألوف، بينما تحصل الأولى أمام المألوف والمعتاد (مثال تقريبي لدهشة عرفانية وفطرية لكينونة الذات الإنسانية أو الكينونة الوجودية للكائنات حول الإنسان وخالق الكون التي هي دهشة وتوتر ليس لظاهرة طفراوية وفجائية، بله، لظاهرة محايثة ومماثلة ومماسة ومجاورة ومحاقلة ومجايلة لكينونة الكائن البشري بصورة معتادة ومستديمة وحاضرة الحضور والتمثل والتمثيل أمام الإنسان. أو كالدهشة العلمية التي راودت العالم الفيزيائي المشهور اسحاق نيوتن- مكتشف الجاذبية – من ظاهرة جد مألوفة تتمثل في سقوط التفاحة إلى الأسفل وعدم سقوطها نحو الأعلى !!

يمكننا أيضا توضيح علاقة الدهشة بكينونة السؤال والمساءلة «**سؤال السؤال**» وفق الخطاطة التوضحية التالية:

الدهشة< عجز < حالة من الجهل والفراغ المعرفي، نعترف به وبعدم كفاية معارفنا السابقة < توتر وألم< ضرورة خفض التوتر محاولة المعرفة عن طريق البحث والتساؤل.>

**السؤال الأول**: كيف تكون الدّهشة والتوتر والقلق والاضطراب، التّي هي تعبير عن الذهول وذهاب العقل، علامة على بداية ابتكار وإبداع وصناعة ومأسسة وصياغة كينونة السؤال وسؤال السؤال «**المساءلة**» وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، أو بالأحرى

التّفكير الفلسفي والعرفاني المتعالي، الذّي عرف على أنّه بالأساس، ممارسة عقليّة واعية ويقِظة أو قلبية معقّلنة ومشرعَنة.

إذاً الدهشة هي الحيرة والاستغراب واصطلاحا: يتأرجح معناها بين شعور المرء بجهل الصواب في قضية ما، وصعوبة الاهتداء إلى سبيل الحق واليقين وترادف الحيرة الارتياب والتردد، فلا يدري أين المخرج. أما في اللاتينية فتعني (étonné= é-tonné) هزيم الرعد.

والمعنى الذي نعنيه ليس الدهشة التي يفقد فيها الشخص قدراته العقلية وتضطرب فيه قوى النفس والجسم، وإنما الدهشة العلمية والفلسفية والعرفانية والغيبية الوحْيَانية الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتّباعية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ، هي التي تجعل العالم والفيلسوف والعارف والفقيه والنبيّ الجواني المسدد والمؤيد في حالة وعي بجهله الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي من جهة، وفي حالة وعي بالنقص والفقر والخوف والطمع والرغبة والشوق تدفعه إلى تجاوز هذه الوضعية والتحرر منها من جهة أخرى. فهي معاناة وفاعلية ومفعولية دينامية ذهنية ونفسية شخصية متصاعدة ومتنامية بقدر سمو وكبر السؤال وموضوعاته.

فالدهشة تولد حالة سيكومعرفية وسوسيومعرفية وسوسيوسيكولوجية لإثارة الذهن البشري وتحريك العقل وإثارة النفس باتجاه الاسترداد الذاتي الجواني، بعدما كانت مصدر ومنشأ هذه الحيرة والإدهاش والاستغراب والقلق، وذلك لمساءلة الفجوة القائمة بين كينونة الذات والفطرة الممتلئة والطافحة بحقائق الأسماء الحسنى والصفات العليا الفاعلية الثاوية أو الكامنة أو المضمرة بالقوة والإمكان والاحتمال،

وبين ما هي متحققة ومثبتة ومتجلية في الواقع.

إنَّ وعي الكائن البشري ومعرفته بحجم وسعة واستطالة وقيمة الفجوة الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية بين ما بالقوة والإمكان والاحتمال، وما بالفعل والإنّية والانوجاد والتحقق، هو الذي يحدد ويقدر شدة وضعف، وضيق وسعة، وطول وقصر، الإدهاش والحيرة والقلق والانبهار والتوتر والاستغراب وفاعليتها ومفعوليتها.

والدهشة نوعان: دهشة عادية ناتجة عن أمر غير مألوف لدى الكائن البشري، ويسبب عادة في تعطيل الفهم والتفهيم والإفهام والانفهام أو التعليم والتعلّم والتبليغ والتواصل، أو تشل التفكير والنظر والتأمل.

ودهشة فلسفية من أمر مألوف، وهي مصدر ومنشئية تحفز الفهم والتفهيم والإفهام والانفهام أو التعليم والتعلّم والتبليغ والتواصل، توجد في الذهن والنفس فاعلية دينامية نشطة وفعّالة ودافعة نحو الحركة والفعل والسؤال والمساءلة، كما يبدأ الفيلسوف الطفل بالسؤال عن مصدرية وجوده بالأصل وتوابع هذا الوجود الذي يولد مئات من الأسئلة «**لماذا**»و «**أين**» و«**كيف**» و «**متى**» التي ينطق بها لسان هذا الطفل المتفلسف.

الدهشة العلمية/الفلسفية/ العرفانية/ الوحْيَانية أو الحيرة التجريبية/ الفكرية/ الوجدانية/ الغيبية: وهي متولدة من كون السؤال الكبروي والكبّار الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي العلمي أو الفلسفي أو العرفاني أو الغيبي أو الوحيَاني يفاجئ ذات الكائن البشري وغير السامع، فيطرح قضية مألوفة في صورة غير مألوفة، تتعارض مع معارفنا وخبرتنا وعادتنا ومعتقداتنا التي عادة ما تكون تابعة للأسئلة الصغيرة والصغّارة التي بطبيعتها تفتقد إلى لفت النظر والانتباه بسبب ضعف الدهشة الناتج عن مألوفية واعتيادية ونمطية السؤال. أما السؤال الكبير والكبروي والكبّار عادة يحمل في طياته وتثوي في بنْيَته حمولات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية

وجمالية وفنّية تهز ثقتنا وإيماننا بقيمة معارفنا ووجودنا الأنطولوجي، فيتحول اليقين والاطمئنان والاستقرار والنمطية الاعتيادية إلى شك منهجي ودهشة إيجابية وحيرة وقلق واضطراب وتوتر وانبهار فضولي، يوِّلد الشعور والوعي بالجهل والجهالة والنقص والفقر المعرفي والوجودي لدى الكائن البشري.

وهذا الشعور والوعي بالخوف والقلق والاضطراب والاستغراب والتوتر هو مسرح احتفالي لعرض شجاعة الكائن السائل وليس خوف الجبان والضعيف والذليل، لأنَّ المتولد من هذا الخوف والقلق والحيرة والإدهاش هو الرغبة الشديدة والحب والشوق الكبير لسد الفقر والنقص، واستتباب الأمن والاستقرار والاطمئنان، وإحقاق الغنى والكمال والجمال، والتقرب نحو المثل الأعلى والكمال والجمال المطلق.

### 16.2.2 مصدر الدهشة لكينونة السؤال وسؤال السؤال:

الدهشة الفكرية والتوتر الذهني والقلق النفسي والحيرة والاستغراب الذاتي الناتجة عن كينونة السؤال والعلمي أو الفلسفي أو العرفاني أو الوحيَاني أو الفقهي أو... مصدرها الكينوني يرجع إلى حقيقة كينونة السؤال وحمولاته الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والاستطيقية «**الجمالية والفنّية**» السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ الثاوية في بنْيَته العميقة.

بمجرد أن ينفتح باب التقابل والتواصل والتفاعل مع السؤال وحمولاته يشاهد الكائن البشري المفاجأة والصدمة والغرابة المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية، التي تولِّد القلق والدهشة والحيرة والاضطراب والتوتر المعرفي والوجودي لدى الكائن، وتزداد تلك مع ديمومة وديناميةِ سيرورة الحوار المنولوجي الجواني مع الذات والفنومنولوجي

البراني مع الغير في سياق جدل استعلامي واستفساري واستفهامي واستنطاقي، يشكل له وعياً ومعرفة بتموضعه الكينوني الوجودي والمعرفي لذاته وسؤاله المنعكس مرآوياً لذاته في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم، مقاربة ومقارنة بمجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا لمجرى السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي في مجرى سيرورة وصيرورة الكون الصغير «**الإنسان**» والكون أو العالم أو الوجود الكبير.

يقول سقراط «Socrate»: كل ما أعرفه هو أني لا أعرف شيئاً. وكلما اشتد القلق والدهشة والحيرة ازداد الفضول للكشف عن الانفراج والتخفيف من الجهل، والوقوف على طريق الحقيقة والحق، وازدادت الرغبة والحب والشوق إلى مزيد من معرفة الحق والحقيقة المتعالية.

تشير أدبيات الفكر الفلسفي إلى أن هذا التوتر قد ارتبط عند الفلاسفة من جهة بالمفاهيم والنظريات التي صاغها هؤلاء كإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالوحي عموما: كيف يمكن تمثل الوحي؟ بأي ملكة يتم ذلك؟ ما الفرق بين المعرفة الحاصلة عن طريق الوحي والإلهامات والمعرفة الحاصلة عن طريق النظر العقلي والاستدلال؟ من جهة. ومن جهة ثانية، يرتبط توتر العقل والنقل بتمييزين أساسيين: الأول يتعلق بالتمييز بين المخيلة والنظر العقلي، أما الثاني فيتعلق بالتمييز بين النبوة والحكمة، وهما تمييزان على مستوى الأنطولوجيا. إذ ما هي العلاقة بين القوة المتخيلة والقوة الناطقة أو العقل؟ وما الصلة بين النبوة والفلسفة؟ هل ثمة اتصال أم انفصال أم تقابل؟

والمستقرئ لأدبيات الفكر الفلسفي يستشف أنَّ الإجابات للسؤال المطروح قد تأرجحت بشكل متباين أو متداخل أو متعارض أو متضاد أو متوافق، ذلك تبعاً للكيفية التي تناولت عرض وتحليل وتفكيك وتركيب واستدلال النتائج المعرفية من مجهولاتها المحمولة في كينونة السؤال. ونجد هناك ثلاثة مواقف: أحدها أنكر كل ما يأتي من جهة

الخيال من وحي ونبوة وإلهامات ورؤى، واعتبر ذلك أمرا غير معقول واعتدّ بالعقل وحده، وقد تزعّم هذا الاتجاه الفلاسفة «**الطبيعيون**» وعلى رأسهم أبو بكر الرازي الطبيب. والموقف الثاني حاول الجمع والتوفيق بين المعقول والمنقول، إما بجعل المعقول فوق المنقول وإخضاع كل ما يأتي من جهة الخيال للعقل. وهذا موقف الفارابي، وإما بجعل المعقول تابعا للمنقول لكن بالإعلاء من شأن الخيال واعتبار الأمور اللامعقولة هي أساس وجود المعقول ذاته، وبذلك يكون النقل مجالا لفعل الخيال، وهذا موقف ابن سينا. وأما الموقف الثالث، فإنه يتميز بالفصل بين العقل والنقل، برفع التعارض بين الدين والفلسفة من خلال وضع الحدود ـ بالخصوص الحدود المعرفية ـ بين العقل والخيال، بين الخطابة والبرهان، وبين العامة والخاصة ويتمثل هذا الموقف في استبعاد التصديق الجدلي للمتكلمين لكونه يخلط بين الخيال والعقل، وهذا موقف ابن رشد.

### 16.2.3 جذور الدهشة والتوتر الفطري ومنشئية كينونة السؤال والتساؤل:

نشأة كينونة السؤال والتساؤل وسؤال السؤال «**ميتا سؤال**» هي بداية الحركة الجوهرية للنفس الجوانية بالتعالي والنظر إلى حقيقة الكون والكينونات الذاتية والطبيعية والملكوتية، وفي مقدمتها حقيقة كينونة الواجب الوجود والمثل الأعلى والكمال والجمال المطلق. وبمجرد التفات ووعي أولي للكائن البشري لذاته الجوانية بشكل مباشر قبلي أو بصورة معيّة، عند انفتاح وتعالق كينونة الكائن الذاتية مع العالم الخارجي عن طريق الحواس الخمس، تبدأ الحيرة والدهشة والقلق والتوتر بين كينونة الكائن الفطري بحمولاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية المتعالية والمتكاملة من الصفات العليا والأسماء الحسنى المنقوشة والمغروزة والمندكة والمستغرقة بالقوة والإمكان في بنِيَتها العميقة، وبين ما هو كائن ومتحقق وفعلي وإنّي.

وبمجرد الالتفات والإدراك والوعي والشعور بالبون الشاسع والمسافة الممتدة

والمستطيلة البعيدة بينهما، تشعر كينونته بالفزع والخوف والقلق والدهشة والتوتر الدافع نحو تقليص الفجوة والبون، وتهدئة النفس، وتسكين الروعة والقلق، وتهذيب الدهشة والتوتر، من خلال كينونة السؤال والتساؤل الكبروي والصحيح والكبّار الذي يتجاوز غايته الذاتية والفردانية المجردة، لتسكن فيها غاية مجتمعية وإنسانية كونية وإلهية تؤهلها وتقودها إلى العمل العقلاني والعرفاني والوحيَاني الغيبي، الصالح والخيّر والتكاملي والتشميلي التوحيدي، وذلك وفق سُلَّمية راتوبية تترقى وتسمو كينونة السؤال والتساؤل وكينونة الكائن البشري بالتبعية المتبادلة والمتزاوجة بينهما إلى مدارج التشميلية والكلية والتكاملية التوحدية.

وكلما تكاملت وتشاملت كينونة السؤال والتساؤل، ازدادت قلقاً وتوتراً ودهشة، لما حصل لها من معرفة بشيء من حقيقة الكينونات والوجود المطلق، التي كشفت بدورها حقيقة جهلها الوجودي والمعرفي والقيمي والجمالي بشكل أوضح وأكثر شمولاً وأعمق عمقاً وأبعد استطالة عن الحالة الأولى، ما يشكل مزيداً مضاعفاً من القلق والتوتر والدهشة في بنْيَة كينونة السؤال والكائن البشري، ليشكل بدوره حرصاً وبحثاً ونقداً لكينونة السؤال والتساؤل المشتقة من الجواب على كينونة السؤال والتساؤل الأول، وهكذا دواليك.

وبذلك بِمَكْنتنا القول، إنَّ قيمة وعظمة شأن كينونة السؤال والتساؤل بحمولاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية دالة تابعة في قيمة ودرجة القلق والدهشة والتوتر الفطري والكينوني للكائن البشري. وإنَّ العلاقة الحميمية والروابط الصميمية بينهما هي علاقة تبادلية طردية موجبة ومباشرة، أي تقع في نفس المجرى الجسدي والمعرفي والوجودي، بحيث إذا زاد القلق والتوتر والدهشة، زادت أهمية وقيمة وغاية وفائدة وخيرية كينونة السؤال والتساؤل، والعكس صحيح أيضاً.

من هذا المنطلق فإنَّ كينونة السؤال والتساؤل أو بالأحرى كينونة الأنبياء والأئمة

والمقربين والصالحين هي الأكثر قلقاً وتوتراً ودهشة من غيرها، وذلك تبعاً لدرجاتها ومراقيها التكاملية التي تقربها إلى الله عزّ وجلّ. وبذلك بِمَكّنتنا القول، بأنَّ أكثر الكينونات البشرية قاطبة قلقة ومتوترة ومندهشة هي كينونة خاتم الأنبياء والمرسلين، أولاً لقربها من المطلق ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ فعرف حقيقة الله سبحانه وتعالى بمقاربة كينونته الإنسانية المتعالية ما دون المطلق، وثانياً انكشفت بمقدار هذا العلم والمعرفة الوجودية لكينونته الشريفة والمعصومة، لعظمة وعلو وسمو وعلم وكمال وجمال لله تعالى المطلق، مقابل الجهل والقبح والنقص والعدم والدنيا لكينونة الوجود الممكن، فزادته الدهشة والتوتر والقلق والمعاناة اتجاه المسؤولية الكينونية والمجتمعية والإنسانية والتاريخية لكافة الكينونات الطبيعية والذاتية والملكوتية في الكون، ولذلك قال ﷺ إنَّ سورة هود قد أثقلت وكسرت ظهري لمطلوبية الاستقامة مع قومه وأمته.

### 16.3 النفس أو الذات القلقة:

القلق والاضطراب والألم والحيرة والدهشة والخوف سمة وخاصية متلازمة مصاحبة للكائن البشري، لا يستكين القلق إلا بموت الإنسان. فهناك قلق على المصير وعلى الطريق وعلى النتائج وعلى كافة مجهولات أفق تفكير الكائن البشري، ومستورات تخيّلاته الواسعة، ومضمرات مشاعره القلبية الجياشة، ولا يستقر باله، ولا تستكين حاله إلا باستبانة كينونته الحقيقية واكتشاف معلومات المجهولات واللامألوفات والمستغربات، وإسدال الستار ورفع الحجاب وكشف الاسترار عنها بجلاء ووضوح؛ أي تحقق القلب المطمئن المتيقن بالذكر في مفهومه الواسع والحقيقي الذي يشمل الانفتاح والتعالق الصميمي، والترابط الوثيق والحميمي، والتساوق والتماهي والمناسخة، حسب مراقي ومراتب النموذج الراتوبي التعضيدي المشار إليه سابقاً، بين التاريخ الماضوي الصبيحي الأول المعطى والمنطرح بالقوة لكنه كينونة الإنسان، وبين التاريخ الحقيقي لكنه كينونة الإنسان المكتسب بالفعل والكدح والعمل الدؤوب الحر والواعي، وذلك في سياق التناسخ والتماهي والتساوق بين مكنونات الكينونات المعرفية والوجودية حسب

مراقيها ومراتبها الراتوبية التدرجية في عالَم الوجود الطبيعي وعالَم الوجود اللفظي القرآني مع عالَم الوجود الكينوني للكائن البشري.

فكلما تدرجنا من مراقي ومراتب المشابهة باتجاه المماثلة والمطابقة، اختفى وتناقص القلق والألم أو الحيرة والدهشة وتزايد وتعاظم الاطمئنان والسكينة لروح كينونة الإنسان من خلال الذكر الحقيقي، بما معناه التفكر والتأمل والتدبر والتعقل والتعرّفن في منظومة عباداتنا الشاملة لكل خطوة وقرار وعمل باتجاه المطلق والكامل، وذلك مصداقاً لقوله تعالى في محكم كتابه المقدس: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[1]. ويزداد القلق والخوف من حمولات مجاهيل ومضمرات أفق الزمان المستقبلي للكائن الشبيهي، الذي تموضع كنه كينونته في معادلة دالية راتوبية متناقضة وسلبية، تنحو باتجاه معاكس لِكُنه حقيقية تاريخ الكينونة الإنسانية الصبيحية الأولى، وذلك بدءاً من درجة التباعد والتماسخ الاختلافي والتمايزي أو التغايري والتضادي أو التقابلي والتطابقي والتناقضي إلى المزايلي المتماسخي. ويقول عزّ وجلّ: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾.[2]

إذاً، لا يزول القلق أو الألم والحيرة والدهشة في الكائن البشري حتى يبلغ وجوده الأصلي الحقيقي، وبذلك يكون قد تحرر من القلق والخوف على مصيره وتاريخه المستقبلي، وذلك بعدما يحصل على إجابات منطقية علمية وعقلية وعرفانية قلبية وشرعية وحَيَانية لكافة مجهولات ومضمرات تساؤلاته واستنطاقاته واستعلاماته واستفهاماته، وخاصة الكلية التالية: من أين أتى؟ وإلى أين ذاهب؟ وما هو السبيل؟ وما الغاية من وجوده؟ أي البدء والسبيل والمنتهى، فضلاً عن عشرات من التساؤلات التشعيبية والتفرعية المستقاة من الأسئلة الكلية والعامة السابقة كما تم تبيانها في موضوع آخر من الكتاب.

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الرعد، الآية 28.

(2)- المرجع: القرآن المجيد، سورة طه، الآية 124.

فالقلق والألم والحيرة والدهشة حالة طبيعية إيجابية مصاحبة لصيرورة كينونة الإنسان إلى حين الوصول إلى الاطمئنان والسكينة بذكر الله بالمفهوم الأعم والأخص معاً كما أشرنا إليه سلفاً وبدءاً. وإنَّ مئاب ومرجع القلق هو معرفة الكائن البشري لمعرفة كنه حقيقة كينونته، وإخراجه من الاستلاب والاغتراب، ومن الاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء، إلى الوطن الحقيقي والرحم الطبيعي، وإلى الإبانة والظهور والحضور المستديم والدائم لمواجهة وجوده.

والقلق والألم والحيرة والدهشة هي حالة جوانيّة دينامية قصوى من الوعي بالحرية واليقظة والانتماء إلى الكينونة كوجود ـ في ـ العالَم، من أجل استكناه واستنطاق واستعلام الكينونة لتحقيق إمكانياتها المفتوحة واللامتناهية الكامنة في الفعل والواقع والتحقق بشكل متناه ومتناسخ مع حقيقة إمكانياتها. وتتعين مشروعية القلق في تحديد «**البِنْيّة الأنطولوجية للكائن البشري أو الموجد**»، وبموجب هذا القلق بِمَكْنَة الكائن البشري إدراك انفتاح الوجود الكينوني عليه.

ويتأتى القلق العميق إلى الكائن البشري، حينما يدرك أنه مهدد بعدم تحقيق كل إمكانياته أو أن مصيره مجهول محاط بالعتمة والضبابية، في غمرة الفراغ الذي يعتريه في بعض الأحيان، أو عند انغماسه واستغراقه في الجزئيات اليومية الروتينية المعيشية، ما يوقع في طيّ النسيان ووحل الغفلة التي قد تنقشع في بعض الأحيان، ما يصيبه بالهلع والخوف والقلق على ما مضى وما هو آتٍ من طروءات قادم الأيام والأحداث.

وعليه، تبقى ثمة تساؤلات واستفهامات وأحكام ومقولات في هذا الشأن وشؤون النفس والكينونة الحقيقية والشبيهية الشبحية للكائن البشري، وتاريخه الصبيحي الأولي والمكتسب وغيرها من الموضوعات والقضايا، محل تواليات من الأسئلة والأجوبة المفتوحة على التفسير والتأويل والمعاودة نتركها للقارئ والمفكر أن يغوص في أعماقها ويسبر كنوزها المعرفية.

### 16.3.1 السؤال الكبروي والكبّار والقلق المعرفي والوجودي:

يعد الحديث عن الحاجة إلى كينونة السؤال الكينوني الوجودي والمعرفي الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الأصيل وليس الشبيهي والشبحي والموهوم والزائف، من الأمور الطبيعية والضرورة التي تشبه الحديث عن حاجة الكائن البشري إلى الماء أو حاجته إلى الهواء وما شابه ذلك من الحاجات الأساسية التي استقر في الأذهان منذ ولادة الإنسان. ولكن هذا الوضع ليس متوافراً في ثقافتنا التربوية والتعليمية والمعرفية والحوزوية والإعلامية والتواصلية والتداولية والتدريسية، ولا يزال أغلب أسئلتنا هامشية فرعية جزئية أو مستوردة ومعلّبة جاهزة الاستخدام والتداول، أو إنها تكرارية واستنساخية كربونية، وما زلنا لا نعي بأهمية كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب وقيمتها المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية والفنّية، ولا يحظى السؤال بمشروعية واعتراف داخل منظومتنا الفكرية والوجدانية ومؤسساتها التعليمية والتدريسية والبحثية، بله، غدا السؤال غريباً منطوياً مهجوراً وحضوره نادراً باستحياء ومبتذل، وإنَّه يواجه إقصاءً حاداً ورفضاً مسبقاً وخاصة إذا كان إنتاجه وصياغته محلياً وله جذور تأثيلية بالتراث القويم والصحيح، ولا سيما من قبل السلفية الفكرية الذهنية والفكرانية المذهبية والقدسية التكلسية والعقول التصلبية والأنظار الأحادية والرؤيوية التقوقعية في الدين والفقه والحضارة والتاريخ والاجتماع والاقتصاد والسياسة و...إلخ.

ونظراً لغياب السؤال الكبروي والكبّار الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي، بأبعادها واستطالاتها وأعماقها وامتداداتها وحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ من جهة، ونظراً للطموحات والقابليات

والإمكانات الكامنة بالقوة والإمكان في كينونة الكائن البشري الذي ينتظر من يستنطقها لتفيض عليه خيراتها المعرفية وفيوضاتها الوجودية من جهة أخرى، فتشكل هذه الحالة نوعاً من القلق والتوتر والحيرة والاضطراب والانبهار المعرفي والوجودي لكينونة الكائن البشري.

والحال أن هذا القلق الذهني والوجداني وإن كان ولا يزال رفيقا للإنسان الواعي والمنتظر للموعود المستقبلي، وجزءاً أساسياً في تجربة حياته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، إلا أنَّ هذا القلق والتوتر يشتد ويتعمق ويكون أكثر إلحاحا وتحفيزا وجرأة في لحظات تاريخية محددة تكون التجربة البشرية فيها تشهد تحولا هائلا ومهما، وتملي مسؤولية وجوباً أنطولوجياً «**وجودياً**» وأبستيمولوجيا «**معرفياً**» وأكسيولوجياً «**أخلاقياً**» وقانونياً وفطرياً وتشريعاً فقهياً.

نشهد اليوم زمن إمكانية تحقق الاستخلاف الإلهي لتوافر شروطه الشارطة وظروفه الراهنة وطاقاته الموسعة والروحية المتعالية عند ثلة قليلة من المؤمنين، في حين الأغلبية الغالبة يشغلهم السؤال اليومي والقلق المعاشي التكراري الجزئي والمادي، لا يوجد في قاموس حياتهم موضع للأسئلة الكبروية والكبّارة التي تولّد قلقاً حقيقياً معرفياً ووجودياً تجاه كينونة الكائن الذاتي والاجتماعي والتاريخي والإنساني والكوني، وتجاه كينونة الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، كأننا رفعنا راية بيضاء في كل مؤسسة وكل بقعة وجودية ومعرفية وقيمية وجمالية، نعلن صراحة بالعجز والفقر والجهل والجهالة التي لا نعترف بها البتة. وهذا الوضع ورايته تعكس حالتنا الانكسارية والاستضعافية والإفلاسية، التي غدت غيوماً سوداء تغطي على مساءلتنا لكينونة أنفسنا وكينونة أسئلتنا، وأصبحت لحافاً تلحف به مشكلاتنا وإشكالاتنا الحياتية، فأصبنا بالحول والعمى والصمم الأبستيمولوجي والأنطولوجي والأكسيولوجي والاستطيقي معاً.

يفترض بالقلق الذهني والوجداني أن يكون مصدره كينونة السؤال، ويفترض أن يكون في أوجه الآنف الأسئلة المصيرية والوجودية المطروحة على الغالبية العظمى لممثلي العقل العربي والإسلامي اليوم على درجة مريعة من العمق والإثارة، فالإنسان العربي والمسلم اليوم يعيش حالة مأساوية، فهو جد هامشي في منظومة الإنتاج التساؤلي والإشكالي بكافة أشكالها الفكرية والمعرفية والوجودية المادية والروحية. بله، إنه يبدو اليوم معيقا لفقه وفلسفة وعلم وعرّفنة ووحّينَة وثقافة السؤال وصيرورته الارتقائية والتكاملية. التخلف والتطرف والفساد والإفساد والسلفية الفكرية والمذهبية الفكرانية والمعرفية المتصلبة والمتكلسة، وتكدس فقهاء وعلماء ومثقفين وإعلاميين وكتّاب جوقة السلطة المتمسرحة في مسرح الاحتفالية الفكرية والفقهية والعلمية الملكية والرئاسية، غدت تنخر الجسد والروح المعرفية والوجودية لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والإعلامية والثقافية والتربوية والتعليمية والفقهية تبدو جد مأزومة وتنذر بالكثير من الخطر الداخلي والخارجي، وذلك بسبب غياب القلق والدهشة والحيرة والإحراج والتوتر لدى كينونة الكائن البشري، ما جعل ذلك الغياب غياباً في حمولات كينونة السؤال أيضاً، حيث قلنا مراراً وتكراراً إنَّ كينونة السؤال دالة تابعة لكينونة الذات، وهي صورة وحالة انعكاسية مرآوية لها، وإنها الوجه الآخر للعملة التداولية والتواصلية والدلالية والاستدلالية في مسرح الحياة الاحتفالية.

لذا غياب القلق والحيرة والتوتر والإحراج والانبهار والألم هو نتاج طبيعي لغياب السؤال الكبروي والكبّار والحقيقي الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي المسؤول.

كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب هي التي تولد

القلق الذهني والمعرفي والوجداني باتجاه مسؤوليات الكائن البشري تجاه كينونة الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، وهي التي يفترض لها أن تشارك مشاركة ديمومية أساسية وفعّالة دينامية في مآسسة وصياغة وعي الكينونات البشرية للواقع الذي يعيشونه ولذواتهم التي تشكل تداخل فعل هذا الواقع. كينونة السؤال المولّدة للقلق المعرفي والوجودي والوجداني، هي بالأساس معرفة كينونية نقدية قادرة على التوجه للمشاكل مباشرة وطرح إشكالاته المختلفة، وهذا علاج لحالة المكابرة المرضية التي تعانيها فلسفة وفقه وعلم وثقافة السؤال في واقعنا المزري اليوم من سوء، إلا أن الوعي العام لم يدرك حقيقة هذا الوضع ومدى خطورته.

لذا غدت أجواؤنا الثقافية وفضاءاتنا التعليمية والتدريسية والإعلامية المعرفية مليئة بالكثير من خطابات التطبيل والتزمير والتزييف، التي أخذت بطابع العلن والجهر لحمولاتها الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، وبصوت عالٍ وقدم راسخٍ من دون استحياء وخجل ووجل. ولن يغير حال هذه الخطابات والإجابات وحمولاتها، سوى معول ومشرط الحفر والتنقير والتشريح للسؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب النقدي الجينيولوجي والأركيولوجي والأيكيولوجي وأفقه التجرباني التجريبي، والعقلاني الانتطاقي المنطقي، والاتصافي الصوفي أو العرفاني المتعقّلن والمتشرّعن، والانفتاح الغيبي الوحيَاني المسدد والمؤيد، على الكل والثابت والمطلق والباطن والمحكم والتشميل والوضوح والضرورة والسببية والعلّية والحتمية والوحدة في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها.

وهذا غير متوافر في ظل ثقافة الإنترنت وسلطة الإعلام وميتا إعلام التي هي معرفة جزئية وسطحية وهامشية تفتقد إلى روح النقد البناء والحفر الجينيالوجي والنقر الأركيولوجي والتشريح الأيكيولوجي بحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية

والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ.

إذاً السؤال الذي يحمل في طياته القلق والدهشة والحيرة ينبئ بمعرفة متعالية ومتجذرة، وهو سؤال كبروي وكبّار تتوجه سهامه المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية إلى لب المشكلة، مخترقة كافة قشورها السطحية لتلامس أصولها وجذورها الأركيولوجية الأولى، من خلال الفحص المستمر والتساؤل المتواصل والنهم الشغوف، الذي يستطيع معه الإنسان تجاوز ظواهر الأشياء ليتعمق إلى مستويات أكثر تغلغلاً واستطالة وعمقاً وغوراً. وبالتأكيد إنّ معول ومشرط السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الكبير والكبّار لا يعمل في سهل منبسط، بله، في أرض جدباء وصحراوية سبخة تحيطها مشاكل وإشكالات وصعوبات أكبر كون المشكلات الجذرية أكثر رسوخاً وحساسية ومحاطة ومحصنة بكثير من القدسية التراثية.

هذه الميزة في السؤال الكبروي الكبّار والأصيل والحقيقي، وهو علاج لخطابات التسطيح السائدة والمقالات الهامشية الطافحة التي لا تستطيع تجاوز قشور المشاكل، وتمارس تعمية هائلة حين تصرف الأنظار عن القضايا الأساسية لتشغل الجميع في ظواهر القضايا التي لن توجد قلقاً وحيرة وإحراجاً وتوتراً، ولن تخطو خطوة إلى الأمام لتكشف حقيقة كينونة السؤال الكبّار وغاياته ونواته ودلالاته التي تساهم في الهدم والترميم والإصلاح...

فالقلق والدهشة الثاوية في كينونة السؤال تعني أنها تحمل حمولات معرفية متعالية تتجاوز الواقع الوهمي إلى واقع حقيقي يسمو به إلى مراقي ومراتب التكامل، لأنها خطاب معرفي ووجودي وأخلاقي وجمالي شمولي تراتبي تكاملي توحيدي، تصور القضايا بكل مظاهرها وأبعادها، وتصل إلى كل مناحي الحياة والفكر.

وهذا البعد يمكن أن يحل إشكال التزييف الأيديولوجي والفكراني المادي المنغلق، الذي يحاول باستمرار قصر مشاكل التخلف والتردي في بعد واحد، مبعدا بذلك جانبا

أو أكثر يمثل له هوية أو كيانا، ويحاول باستمرار إبعاد النقد والتفكير عنه في خوف طفولي من الضياع وفقد الهوية. السؤال الكبروي الكبّار بحكم شموليته وكلّيته وكونيته وإنسانيته وعمقه واستطالته، يتواصل ويتعالق وينفتح على كل المنافذ والأسئلة من جانب، ويرفض مبدئياً أي « **تابوهات**» أو مناطق محرمة على السؤال، من جانب آخر، إلا ما يحرمه السؤال الكبروي الكبّار المتعالي والمتعقّلن والمتشرّعن والمتعرّفن نفسه.

فإنه يصل بتساؤله لكل المناطق ويكشف كل شيء، وهذا في غاية الأهمية ومنتهى الضرورة في بيئة اعتادت على إخفاء وتستر واستتار واسترار، واعتادت على قمع السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، والوقوف بشدة في وجهه. السؤال الكبروي الكبّار بذاته يولّد بديمومة دينامية سلسلة متواليات هندسية من الأسئلة تحمل في بنّياتها حمولات معرفية تُعدّ نصف الجواب، وتشكل مفتاحاً لأقفال المعرفة، وتعتبر الحصن الحصين لكينونته الذاتية ولكينونة الجواب أيضاً، هذا الضيف «**الجواب**» يحتاج مضيفاً ومنزلاً وظرفاً يساوقه ويتماهى مقاماً ومقولاً وشأناً ومكانة.

النقد والجذرية والتشميلية والقلق والحيرة والدهشة سمات كينونة السؤال الكبروي الكبّار، الذي يتعالى على الواقع ويتجاوز سلطاته المهيمنة على رقاب المعرفة والفكر الوقّاد والنقّاد. وهذا الوعي لا يزال محدودا في البيئة العربية والإسلامية التي تضربها يوميا خطابات التزييف والتحريف والتهجين من كل جهة، وخاصة من فقهاء وعلماء ومفكري ومثقفي وإعلاميي السؤال التدريسي المدرسي والتعليمي الثقافي التداولي اليومي، والأدهى والأنكى من وعاظ وعلماء وفقهاء ومثقفي ومفكري البلاط الملكي والجمهوري والرئاسي. ولا شيء أخطر على الواقع من الوعي الزائف أو المستورد أو الموروث البائد الذي يتقبله كل من يعيش على عتبة وتخوم المعرفة والعلم والفقه. الواقع بشكله الحقيقي شديد التعبير والتأثير لكن الوصول إلى شكله الذي هو عليه يستلزم أولا كشف الوجه المزيف ونزع قناعه وتبيان حمولاته المستترة والمضمرة. هذا الكشف والتبيان والإعلان لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال السؤال الكبروي والكبّار الحر

والجذري والشامل والنقدي.

إذاً الكائن الحي والمسؤول والمستَخلف والخاتمي والانتظاري والاتّباعي المؤتَمن والمسؤول، تكون كينونته الإنسانية في حالة قلق وخوف ودهشة وحيرة وحرج جد شديد ـ دائماً وأبداً ـ، وكلما تكامل الكائن البشري ازداد قلقه وحيرته ودهشته وإحراجه، واتسعت دائرة مسؤوليته الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، وواجباته الأخلاقية والقانونية والتكوينية والوجدانية والشرعية والعقلية تجاه الكينونات البشرية الغيرية الأنفسية الأخرى والكينونات الطبيعية التكوينية الآفاقية والكينونات اللفظية الكلماتية القرآنية المجيدة من جهة، وغايات الاستخلاف الإنساني المعقود، والخاتمية المحمدية ﷺ الكونية الخالدة، والانتظارية المهدوية عجل الله فرجه الشريف الموعودة، والاتّباعية الولائية التقوائية العامة للفقيه الممهدة للولاية العصموية المنتظرة من جهة أخرى.

هذا النوع من القلق ليس ذلك النوع الذي مصدره القلق من العيش والمعاش والمسكن والمركب أو إشباع الحاجات المادية اليومية المعيشية لدى الكائن البشري، بله، إنه القلق والخوف والحيرة والدهشة على الغير من هبوط مستوى كينونتهم الإنسانية، والخوف والحيرة على الرسالة والمسؤولية الوجودية والمعرفية الأخلاقية والتكوينية والشرعية والعقلية تجاه تلك الكينونات من جهة، وقلقه على البعد الزماني والمسافة المكانية الروحية بين غايات الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، وبين المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي القائم لحقيقة الكائن البشري وواقعه البائس والمزري البعيد عن مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا وعن الحقيقة وعن الكمال والجمال المطلق تعالى، من جهة أخرى.

وهذا هو قلق العقلاء والحكماء والفقهاء والأنبياء والمرسلين الذين هم يتصدرون قائمة القلق على مصير كينونة الكائن وكينونة الأمة والرسالة والخلافة الإلهية تاريخياً وإنسانياً وكونياً. هو نفس قلق النبي موسى عليه السلام : ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا

**الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾**[1]. أمام القلق الأكبر والهم والحيرة والإدهاش والانبهار الكبّار هو ذلك القلق السؤال لخاتمي المحمدي ﷺ بشأن أمته والذي ورد في سورة هود ﴿**فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير**﴾[2] وفي سورة الشورى: ﴿**فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتّبع أهواءهم**﴾[3] كيف لا؟ وقد جعل اللّه لمن آمن بدينه حقا، واستقام على طريقه صدقا، الفضائل العظيمة، والمنازل الرفيعة، والدرجات العلا في يوم تزل فيه الأقدام، وتخف فيه الموازين، ولا شك أن سؤال الاستقامة من أعظم المسؤوليات، وأوجب الواجبات، وإنَّ حمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية بمكوناتها التجريبية العلمية والانتطاقية المنطقية والعقلية الفلسفية والاتصافية الصوفية والعرفانية المعقّلنة والمشرّعنة والغيبية الوحْيَانية المنفتحة على الكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى، بأبعادها واستطالاتها وأعماقها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ، هو مصدر مصادر القلق والحيرة والتوتر والانبهار والإحراج الذي يجعل الكائن البشري كائناً إلهياً ربانيّاً ومؤمناً مجاهداً ومجتهداً، ما يُقلق ويُحيِّر ويُحرج ويُوتِّر الكائن ويجعله واعياً بما كلفنا اللّه عز وجل به، وأن على المرء أن يبذل جهده ويسأل ربه العفو والغفران إذا ما قصّر أو أخلّ في حياته بشيء منها، قال اللّه عز وجل على لسان رسوله الكريم ﷺ ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه**﴾[4]. والقلق المضاعف الذي تركه الخاتم ﷺ لخليفته الإمام المعصوم علي عليه السلام على أحوال الأمة وسؤال الإسلام بعد

(1) – المرجع القرآن المجيد، سورة القصص، الآية 18.
(2) – المرجع القرآن المجيد، سورة هود، الآية 112.
(3) – المرجع القرآن المجيد، سورة الشورى، الآية 15.
(4) – المرجع القرآن المجيد، سورة فصلت، الآية 6.

رحيل الخاتم ﷺ إلى جوار ربه تعالى، وكذلك قلق الإمام الحسين عليه السلام على سؤال الدين والحفظ عليه. فإن مما يعين العبد المسلم على الوصول إلى الاستقامة وتحقيقها محافظة على الطاعات فرائض كانت أو نوافل، وهي من أهمّ الوسائل التي تجلب للعبد محبة سيده ومولاه «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه**».[1] فإذا أحب الله عبدا أعانه وسدده ووفقه للاستقامة على دينه، كما إن اجتناب المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها جليُّها وخفيُّها له الأثر الكبير في تحقيق معنى الاستقامة، إذْ يقول النبي الكريم ﷺ «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**»[2].

وكذلك قلق الانتظار المهدوي عجل الله فرجه الشريف الموعود، وقلق وحيرة وتوتر وإحراج الولاية التقوائية العامة للفقيه الممهد للولاية العصموية المنتظرة، وهو بمثابة مضاعف القلق والحيرة والدهشة والتوتر والإحراج، بله، هو قلق القلق، وتوتر التوتر، وحيرة الحيرة، ودهشة الدهشة، وإحراج الإحراج، الثاوي اليوم في السؤال الكبّار الاتّباعي الولائي التقوائي العام لولاية الفقيه، الذي هو السؤال الاختباري الكبّار الفاصل والقاسم بين اتباع الحق والباطل إنْ سقط في الإجابة عنه لا سمح الله، أو فشل وتقاعس في اتباع الولاية التقوائية للفقيه. فذلك مؤشر في غاية الأهمية ومنتهى الخطورة من تقاعس وفشل في اتباع السؤال الولائي العصموي المنتظر. لذا أي تقصير وإهمال وغفلة ونسيان وتقاعس عن تحمل المسؤولية تجاه حمولات ودوافع وغايات القلق والحيرة والتوتر والإحراج المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي، للاتّباعية الولائية الفقيهية التقوائية العامة، يشكل احتمالاً كبيراً في فشل اتّباع الولاية العصموية المنتظرة.

(1) - رواه البخاري ح6137.
(2) - رواه أحمد ح13071.

إذاً ينعكس القلق والحيرة والإحراج والتوتر مرآوياً السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب لهؤلاء العقلاء والحكماء والفقهاء والأنبياء، وحرصهم على طرحها ونشرها وجعل الأمة تعيش على مكنوناتها الجوانية وتداعياتها البرانية، وذلك سواء من خلال أسلوب الصمت تارة، أو من خلال الدعاء والمناجاة، أو التعليم والتربية أو الجهاد الصغروي والمجاهدة الكبروية، تارة أخرى، وذلك لسد عمق الفجوة ومسافات الفراغ التي تعكس مرآوياً مدى الجهل والجهالة التي تعيشها الأمة، ومدى بعدها عن الحق والحقيقة المحيطة بها، ومدى قربها وبعدها عن الجمال والكمال المطلق عزّ وجل.

وكلما كان السؤال كبروياً كبّاراً، ازداد القلق والحرج والحيرة والدهشة التي تولدها كينونة السؤال، لما تحمل من حمولات أبستيمولوجية «**معرفية**» وأنطولوجية «**وجودية**» وأكسيولوجية «**أخلاقية وقيمية**» واستطيقية جمالية وفنّية وحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ من جهة، ونظراً للطموحات والقابليات والإمكانات الكامنة بالقوة والإمكان في كينونة الكائن البشري الذي ينتظر من يستنطقها لتفيض عليه خيراتها المعرفية وفيوضاتها الوجودية من جهة أخرى، فتشكل هذه الحالة نوعاً من القلق والتوتر والحيرة والاضطراب والانبهار المعرفي والوجودي لكينونة الكائن البشري.

إذاً تبدو الحاجة إلى كينونة السؤال اليوم أشد من أي وقت آخر. هذه الحاجة مرتبطة طرديا بالأسئلة التي تواجه الفكر والعقل والقلب والوجدان. كلما كبرت هذه الأسئلة وتعمقت ووصلت إلى مناطق العمق والأساسات، زادت الحاجة إلى المصالحة والمزاوجة والمصاهرة بين خطاب البيان والبرهان والعرفان بوصفه الفكر التشميلي التراتبي التكاملي التوحيدي القادر على مواجهة الأسئلة الكبرى والكبّارة من نوع

أسئلة الواقع العربي الإسلامي اليوم. هذه المزاوجة والمصالحة بين حمولات معرفية ووجودية للمفاهيم الإنسانية، مصادرها أو المستقاة من البرهان والبيان والعرفان، ليست من أجناس متغايرة ومتضادة، بله، هي تُعدُّ أنواراً بعضها أكمل من البعض الآخر بغير تضاد ولا معارضة، وأن سُلّمية التكاملية التراتبية لها تتدرج باتجاه ارتقائي وتكاملي من البرهان إلى البيان إلى العرفان والغيب والوحي المسدد والمؤيد، وهناك من يدرِّج هذه التراتبية من حيث البيان ثم البرهان ثم العرفان والغيب.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن أي تراتبي كائن ما كان، لا ينحصر في بعده الأبستيمولوجي «**المعرفي**» أو الأنطولوجي «**الوجودي**» والأكسيولوجي «**الأخلاقي والاستطيقي الجمالي والفنّي**» فحسب، بله، إنه يشتمل أيضاً على جنبَة لاهوتية أو معيارية غير معرفية، حيث يتفاوت بالقيمة الإيمانية والعملية، أي إنها معرفة ومعيار.

وعلينا أن لا ننسى أن البيان يتضمن البرهان العقلي أو أن البيان يكون بجانب البرهان، وأن البيان في اللغة العربية من أشهر الألفاظ التي تضمن وتجمع في فائدتها بين معنى «**القول**» ومعنى «**الإظهار**»، وهو من «**بان**»، أي ظهر، ومدلوله «**المقال الذي يكشف عن حقيقة الحال**»، وأيضاً «**الإبانة**»، أي الإظهار، ومدلولها «**سلوك طريق البيان**»، أي «**الإتيان بالمقال الذي يكشف عن حقيقة الحال**»، وبالتالي إن هذا اللفظ يجمع بين المعنيين المذكورين كما يجمع لفظ «**اللغوس**» Logos» اليوناني.

وعليه، فإن أفضل المقابل العربي لكلمة «**اللغوس**» ، أي «**العقل** « و«القول» هي كلمة «**البيان**»، وهذا ما نلاحظه بوضوح وجلاء في قول ابن حزم، حيث سميت العبارة المنطقية بياناً كما سميت العبارة اللغوية بياناً [1]؛ وفي المجال التداولي تضاهي شهرة «**البيان**» شهرة «**اللغوس**» في المجال التداولي اليوناني، كما إن اقتران «**البيان**» بالمسألة الدينية الكلامية في المجال الإسلامي لا يقل عن اقتران «**اللغوس**»؛ أي

(1) – ابن حزم:«التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية في رسائل ابن حزم الأندلسي»، الجزء الرابع، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1983، ص

العقل بالمسألة الوجودية الإلهية في المجال الإغريقي[1]. أما فيما يتعلق بالعرفان الإسلامي فهو عرفان معقّلن ومشرعَن؛ أي يتضمن على الأقل في جانب الإثبات الذاتي للعارف بالنسبة للمعارف والحقائق المستقاة عن طريق المجاهدة «**النفسعقلية والنفسشرعية**» على أسس وبراهين عقلية محضة بجانب البيان الشرعي.

### 16.3.2 كينونة السؤال والألم والمعاناة:

التحليل الأيكيولوجي «**البيئي**» الجينيالوجي «**الأصل**» والتنقيب الأركيولوجي الذي يتقلقل بين أطباق طبقات ومستوى مستويات جذور ومنشئية آلام كينونة الكائن البشري في سير صيرورتها الذاتية باتجاه كينونات الكائنات الذاتية الأنفسية الأخرى أو الطبيعية التكوينية الآفاقية، يستشف الإنسان بوضوح وجلاء البيْنونة والتغايرية والتمايزية المائزة والتقابلية والتضادية والتناقضية البيِّنة بين المذاهب والفلسفات والإيديولوجيات التي يعتنقها الكائن الإنساني والتي تناولت كينونة الألم ، منها تمركز على بؤرة ألم الذات نفسها، ومنها على الطبقية أو القومية أو الاجتماعية أو الإنسانية، وأخرى على ألم الحب والجاذبية والشوق والتوحد،...إلخ. وفيما يلي توضيح مبسط موجز لبعضها، وعلى النحو التالي:

ألم كينونة الكائن الاجتماعي بشتى تقسيماته الطبقية وترسيماته القومية والإنسانية، وتصنيفاته المهنية والوظيفية، وترقيماته العقائدية، يترشح في السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب لدى الكائن البشري. فهناك ألم وهمّ وشوق ورغبة شديدة تدفع كينونة الكائن البشري بمعرفة الكينونات الذاتية الأخرى، منشئيته هو العائلة أو الطبقة أو القبيلة أو القوم أو الإنسانية، وكلها عناصر ومكونات منشئية خارجية برانيّة عن الذات نفسها. وتدمج هذه الآلام والهمم في عصرنا الحاضر ضمن سياق معرفة كينونة الكائن الإنساني المتنورة والمتخارجة

---

(1) – طه عبد الرحمن: «فقه الفلسفة، القول الفلسفي» (2) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1999، ص 307.

باتجاه الكينونات الأخرى في تساؤلات واستفهامات ومشكلات وإشكالات معرفية ووجودية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنّية، بحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ.

وألم كينونة الكائن الذاتي الجوّانيّ هو ألم سؤاله، أي معرفة كينونة الذات البشرية بذاتها ونفسها في علائقها الصميمية وروابطها الحميمية بذات اللّه تعالى، تنعكس مرآوياً في منظومة أسئلة الكائن البشري أيضاً لكونها انعكاساً مرآوياً لكينونة الذات وحمولاتها. وهذه العلائق والصلات هي من نوع صلة موجودَيْنِ يقوم كلٌّ منهما في عرض موجودية الآخر، وليست من قبيل صلة كينونة الكائن البشري بكينونات الكائنات الذاتية الفردية في المجتمع، بله، من ضرب الفرع بالأصل، وصلة المجاز بالحقيقة، ومن صنف صلة القيد بالمطلق.

وعليه، فإن ألم سؤال العارف الرباني ألم مصدريته جوانيّة داخلية وذاتية باطنية، ومنشئيته حاجة فطرية مندكة ومغروزة بالقوة والإمكان والاحتمال، بمجرد ما يطرأ عليها أو يلتفت الكائن إليها، لوجدنا لهيبها وشعلتها تولد طاقة جبارة ذاتية واعية بها وبمدركاتها، وذلك على عكس ألم كينونة الكائن المتنور، الذي هو ألم لانعكاس اجتماعي خارجي بانتظار أن يطرق باب كينونة الكائن لتستأذن له بالدخول، حاملاً كل حمولاته المعرفية والوجودية والأخلاقية الشبيهية وصورها المشوهة والمضللة والمنحرفة أو صورها الحقيقية المستقاة من بيئتها وعناصرها البرانية المتقلبة والمتحولة والمتغيرة في اتجاهاتها المتضادة والمتناقضة والمتقابلة ليس لها استقرار ولا مقام، بله، لها شأن آخر في كل يوم، تدفعها أهواء وشهوات بهيمية شيطانية أو عقلية محدودة وحسية جزئية.

لكون منشئية وبدئية الألم كينونة الكائن العارف وسؤاله الكبّار باطنية جوانيّة، فإن كينونة الألم وكينونة الوعي وكينونة الكائن وكينونة أسئلته هي أمر واحد، لا مسافات مكانية من حيث الداخل والخارج تفصل بينهما، ولا آنات زمانية تراتبية تنتظر حرارة وحرقة الإحساس والشعور بها، لتصرخ كينونة الكائن إعلاناً عن وعيها ويقظتها بتلك الآلام، هي آلام شبيهة بألم المريض الذي يئن ويصرخ بكلمات وإيماءات وحشرجات، لها أشكال خاصة من الصوت والصمت والصوْمتة تعبيراً طبيعياً على وجود حاجة معينة ورسالة محددة تبث في فضاءات الكون لتستقبلها كينونات الكائنات الأخرى وتتفاعل معها.

فالحسرة والعويل والصراخ والتقلب هي علامات ملازمة للمرض وأسئلته وتساؤلاته، ولدى المريض حالة يقظة وشعور وإحساس ووعي وعلم ذاتي، وكلما كانت كينونة الكائن أكثر يقظة ووعياً وإدراكاً كانت آلامه أكثر استطالة وعمقاً وتأثيراً وديناميةً وديمومة، وكانت سيمائيتها ومعالمها وعضلاتها أكثر شحوباً وعبوساً وتقلصاً وانشداداً وتعرجاً وتلوناً، ومن يسخر بالجراحات لا يشعر بالألم. فعين كينونة الكائن هي ليست وعيها بذاتها جوانيّاً ذاتياً تزامنياً فحسب، بله هي وعيها وإدراكها الآني التزامني بكل تشاكلات وتناظرات وتشابهات منظومة أحاسيسها ومشاعرها سواء باللذة والسرور والسعادة أو بالحزن والألم والشقاوة بشتى تشعيباتها وتفريعاتها الشاعرة بها كينونة الذات أو النفس البشرية.

البيْنونة بين ألم سؤال الفيلسوف والعالِم وألم سؤال الحكيم والعارف هي، أن ألم الأول ألمُ جهلٍ، أي ألمٌ لمعرفة وكشف الحقيقة المستترة والمضمرة والعلم بها، في حين يتجسد ألمُ العارف في ألمِ البعد والهجر والغياب، أي ألمِ الوصول والاتحاد والذوب في كينونة الحقيقة المنشودة.

وكينونة ألم سؤال الفيلسوف لها بيْنونة واضحة وفاردة متمايزة عن سائر كينونة

الكائنات الطبيعية كالجمادات والنباتات والحيوانات، التي هي بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، فاقدة الوعي والإدراك والألم والهم بالعلم والمعرفة، في حين ألم كينونة الكائن العارف هو وجودات ألم الميل والرغبة الجارفة، ووجودات جذب الشوق والحب والهيام الحقيقي، وهي ليست وجودات فقد وفقر وعوز في سائر الكينونات الطبيعية فحسب، بله فقد وفقر حتى في الملك الذي جوهر ذاته العلم ومعرفة النفس.

وألم اللذة والحب والشوق والجاذبية لدى كينونة سؤال الفيلسوف منشئيتها المصدرية هي تعبير طبيعي وإعلان صريح حقيقي عن حاجة كينونة الفطرة المندكة والمغروزة أو المخمورة فيها بالقوة، فطرة حب وجمال وشوق الكمال المعرفي، من خلال سير صيرورة كينونة الكائن العلمية والمعرفية حتى يُستَكمل كمالها، فألمها هو ألم مسافة بُعد وبيّنونة بين منظومة المعارف الكامنة والثاوية في بنّيَة كينونة الإنسان بالقوة والإمكان والاحتمال، وتلك المتزمِّنة والمتحققة فعلاً وانوجاداً أو الممكن تحيينها في المستقبل.

في حين ألم كينونة الكائن العارف وسؤاله هو راية إعلان، وخطاب تعبير، وطلب اعتماد لحاجة فطرة حب وشوق ورغبة كينونة الإنسان الوجودي وليس الأبستيمولوجي المعرفي والأكسيولوجي القيمي والأخلاقي والاستطيقي الجمالي والفنّي فحسب، أي ألم فراق وبعد مسافة وألم بيّنونة وفراغ وخواء لكينونته الوجودية عن كينونة الواجب الوجود، ومطلق الجمال والكمال الوجودي، فألم كينونة الكائن البشري هو بيّنونة بُعد المسافة الوجودية بين ممكن الوجود والمخلوق النسبي المائت والفقير والجاهل والمحتاج والضال والسقيم والمسكين، وواجب الوجود المطلق والحي القيوم والغني والقوي والهادي والمعافي والخالق والعليم.

### 16.3.3 مظاهر الشرك في ألم كينونة الكائن الإنساني:

نظراً لاستطالة المسافة الوجودية والمعرفية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية

البُعْدِيَّة بين مراتب ومراقي كينونة الكائن البشري الحقيقية من جهة، وبينها وبين كينونتها الشبحية أو الشبيهية الموهومة من جهة ثانية، والبيْنونة بينهما وبين كينونة واجب الوجود والكمال المطلق من جهة أخرى، توجد أنواع وأشكال من معارف الشرك والكفر المولِّد أيضاً لنوع من الحيرة والشك والقلق والتوتر السلبي أو التوحيد والشكر الذي يولِّد القلق والحيرة والتوتر والدهشة الإيجابية، وهما نوعان من القلق والدهشة والحيرة التي تتوغل وتثوي في بنْيَة ألم الإنسان، وما يترتب عليه من تداعيات معرفية ووجودية تطرأ على بنْيَة كينونة الذات وكينونة السؤال.

وتجدر الإشارة إلى أنَّه فيما عدا الأنبياء والرسل والأئمة المعصومين عليهم السلام، تثوي في بنْيَة كينونة الكائن الإنساني ألم وحسرة وشوق ورغبة معرفية، باتجاه كينونات الكائنات الذاتية الأخرى والكائنات الطبيعية والملكوتية الأخرى من جهة، وألم باتجاه كينونة الواجب الوجود «الله» عزّ وجلّ من جهة أخرى، وهي تحمل شيئاً من الثنائية القطبية أو التعددية القطبية، سواء في إحداثيات ومؤشرات بوصلة كينونة الكائن البشري أو في آفاق قبلة غاياتها المنشودة أو في شدة وضعف وعيها وإدراكها.

في حين الأنبياء والرسل والمعصومون لهم منظومة معرفية إلهية ملكوتية وعقلية فلسفية وعرفانية قلبية بكينونة الله المقدسة، وأنهم يتألمون لكينونة الواجب الوجود «الله» وكينونات الكائنات البشرية والطبيعية والملكوتية بصورة توحيدية واحدية متطابقة، ناهيك عن كونها متشابهة أو متشاكلة أو متضارعة أو متضاهية أو متماثلة أو متحاذية أو متناظرة. لا مكان ولا مقام ولا زمان معرفياً أو وجودياً لثنائية القلب والعين والأذن والعقل والخيال والتذكر من جانب، ولا ثنائية أو ازدواجية في منظومة الحب والكره والألم واللذة والغايات والأهداف من جانب ثانٍ، في الألم والتأمل والنظر والممارسة فيما بين هذه الكينونات الوجودية المختلفة من جانب ثالث.

فهي عدسة واحدة وعين واحدة ومنظار وقلب واحد ينظر من خلاله إلى أصغر

كينونة ذرية في الكون إلى أكبرها حجماً وضخامةً، لكونها جميعاً تمظهرات وتمثلات لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، فهي عدسة الله وعين الله وقلب الله وعقل الله ويد الله ولسان الله وإرادة الله عزّ وجلّ. وهذا هو مصداق قوله تعالى: «**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**». فألمهم وحبهم وبغضهم وجهادهم ونومهم وشربهم كلها لله تعالى وكلها لمحة من حبهم لله، ولا حب ولا كره ولا ألم في مقابل حب وكره وألم الله تعالى، ولا هناك مصدرية لها غير منشئية الواحد الأحد الصمد، ولا غاية لهم سوى تحقق وتزمّن غاية الغايات ومنتهى الآمال، المتمثلة في دفع عجلة صيرورة كينونة الكائنات البشرية باتجاه كمالاتها الثاوية في بنياتها بالقوة إلى الفعل والتحقق والانوجاد المعرفي والوجودي، وسير بهم إلى محطات اللقاء والقرب بواجب الوجود ومطلق الكمال والجمال.

## 16.4 كينونة السؤال وكينونة النفس أو الذات المنتظرة:

من السمات الذاتية البارزة وذات الأهمية القصوى للذات البشرية هي الانتظار الإيجابي بشقيه الذاتي الجواني والانتظار البراني لكينونة الكون بأكملها. وإن كنه حقيقة الانتظارين هو واحد، وهما وجهان لعملة واحدة، أحدهما داخلي ذاتي والآخر خارجي موضوعي كوني. وهناك علاقات تبادلية توظيفية وغائية وانبنائية بأبعادها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية، وإن أحدهما يسعى إلى تحقيق كنه كينونته الذاتية الفردية من خلال كنه كينونة الكون الجمعية، بغية تحقيق غاية غاياتها التكاملية والتقرُّبية إلى مطلق المطلقات وكمال الكمالات سبحانه وتعالى، والآخر أي كنه كينونة الكون تُؤسس تقعيداتها وتنظم تنضيداتها وترسم معالمها من خلال كنه الكينونات الفردية المتحققة في ذاتها وفي تموضعات ميادين وحقول الحياة الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية الأخلاقية والاستطيقية الجمالية. وفيما يلى توضيح مختصر وموجز لمفهوم الانتظار الذاتي الكينوني والانتظار الكوني الموضوعي الكينوني.

### 16.4.1 مفهوم وفلسفة الانتظار الذاتي الكينوني:

لقد ذكرنا بشيء من التفصيل ماهية ومفهوم الكائن البشري والكينونة الإنسانية الحقيقية والشبيهية أو الشبحية، وبيّنا كيف أن الكائن البشري اخترع كينونة شبيهية شبحية ليُبدلها بكينونته الأصلانية والأصيلة الحقيقية، وذلك من خلال انتهاج عدة استراتيجيات أبستيمولوجية وأنطولوجية وتخيّلية لاستتار واسترار وانحجاب الكينونة الحقيقية، وأشرنا بشيء من التفصيل الى ماهية الكينونة الحقيقية التي انطوى فيها العالم الأكبر؛ أي عالم كلمات الله اللفظية القرآنية، وعالم الطبيعة التكويني، وعالم السماء الملكوتي، والتي هي تجليات وتمظهرات للأسماء الحسنى والصفات العليا لله عزّ وجلّ «**تلك المشتركة مع صفات البشر فقط، وليست الصفات الذاتية الإلهية المنفرد بها الله عزّ وجلّ كالأزلية والأبدية والغنى وغيرها التي تخص فقط الذات الواحد الأحد**» التي غُرزت وعُجنت بالقوة في بنْيَة الفطرة الإنسانية المخمورة، والتي اختزلت في كلمة واحدة فقط تستوعب كل ملكوت السموات والأرضين وبيَّنتها الآية القرآنية المجيدة: ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾[1].

هذا الإقرار والتصديق تم بالعلم التام والوعي الكامل والحرية والإرادة الذاتية لكينونة الإنسان الحقيقية، التي لو تحققت في صورتها الكاملة والتامة، لكانت هي الاسم الأعظم الذي يمتلك من باريها الولاية التكوينية، لتكون يده يد الله، وعينه عين الله، وروحه روح الله، وإرادته إرادة الله. هذه الكينونة الإنسانية الحقيقية على موعد وانتظار دائم وأبدي لحظة بلحظة وآن بآن على مَنْ يستعلمها ويستفهمها ويستنطقها، وعلى مَنْ ينصت إلى صوت ندائها الحق، وإلى مَنْ يوظفها خير توظيف في إعمار حياة الذات الإنسانية الجوّانيّة، وإعمار الأرض واستخلافها خير استخلاف وإعمار.

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الأعراف، الآية 172.

وعليه، فإن انتظار كينونة الذات الإنسانية ليس انتظاراً بأن لا نفعل أي شيء، وأن ننتظر فحسب، حيث لا توجد أي فرصة أخرى لكينونة الذات إلا في هذه اللحظات الزمانية المحدودة للكائن البشري، بأن ينفتح على ذاته وكينونته ويستطيل بها في علاقاته الصميمية معها ومع الكينونات الذاتية الأخرى والطبيعية والملكوتية في الكون: ﴿**استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردَّ له من الله**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعونِ، لعلِّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**﴾[3].

فالانتظار الذي تدعوه كينونة الذات لا تشم فيه راحة الانهزام والتخلف والكسل والعجز واليأس والاستسلام شادهين تائهين. إذاً فترة الانتظار لا علاقة لها بالوقوف لفترة زمنية في محطة ركاب القطار انتظاراً لمجيئه لنا لنتحرك باتجاه الهدف، بل هنا القطار هو كينونة الذات نفسها والذات هي المسافرة، فهنا لا محل لـ «**لا السلبية** » و«لا الفعلية»، بل الأمر يعني الولوج والانفتاح والمساءلة والاستنطاق والاستعلام والاستفهام والإنصات والصمت لنداء كينونة الإنسان الحقيقية وأسئلته ومشكلاته وإشكالاته، وهذا الصمت والسكوت ليس صمتاً وسكوتاً سكونياً عدمياً، بله، هو صيرورة وحركة جوهرية جوّانيّة لها هسهستها المتميزة، ولكنها من نوع آخر وذات فعالية منتجة عالية قد تتجاوز جعجعة حركتها الموضوعية.

فهو صمت وسكوت وانتظار لاستقبال النطق السامي لما تنطق بلسان حالها وتتلفظ بمكنوناتها الثاوية، وتحرر الموجود الكائن البشري من كينونته الشبيهية والشبحية. إذاً، هو انتظار بمعنى السكينة أو الحِلم أو الطمأنينة ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[4]،

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الشورى، الآية 47.
(2)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الانفطار، الآية 19.
(3)- المرجع: القرآن المجيد، سورة المؤمنون، الآيتان 99 ـ 100.
(4)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الرعد، الآية 28.

وقوله تعالى: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية**﴾[1]. فالانتظار هنا، انتظار للشأن المنفتح والمنتظر لمن يستنطقه ويستعلمه، أي انتظار للأمر المستطيل والممتد الشاسع الحر.

وبتعبير آخر، انتظار أن تنفتح لنا كينونة الإنسان والسؤال الحقيقية خزائنها الدفينة من جواهر الدرر الثاوية والكمونة في بنْيِاتها ونواتها التي تنتظر من يُثوّرها من الداخل، ليشع نورها في ذاتها وفي أعضائها من العقل والحواس والقلب والتخيّل، ولتعكس فيما بعد في كافة تموضعات وتمظهرات كليات وجزئيات الحياة الدنْيوية والديْنوية. أي أن ننتظر انفتاح الكينونة وانفساحها، وأن نترقب إفضالها وإبذالها، مما قد قدر أمر الإنسان وديدنه هو كنه كينونته، وأن يكون هو راعيها وحافظها وراقبها، والساهر على هدف مرور صيرورتها باتجاه غاية غاياتها المنشودة، وأن ننتظر تجدد الكينونة نداءها إلينا، وأن نوجه بؤرة عدسات تفكيرنا إلى نواة الكينونة ذاتها ونكثف النظر والتأمل والتفكير ونستطيلها أفقياً ونعمقها شاقولياً.

والانتظار يكون بمعنى القبول في اطار من «**السكينة**» و«**الاطمئنان**» و «**الحِلم**» و«**رباطة الجأش**»، ولا كان الأمر بالتظني ولا بالتمني. وفي الرجاء لحظة «**فعل**» وفي الانتظار لحظة «**تحفظ وتأمل**». ومن شأن الرجاء والأمل أن ينعشا دوماً وأبداً آمالاً وتخيلات متنامية مستجدة، أما «**الانتظار**» فهو موقف إيجابي لصيرورة فعل السكينة والطمأنينة، وهو موقف في غاية الصعوبة لكونه يتطلب الجدّة والتركيز والتبأور واستجماع كافة الإرادات والإدارات المعنية لأعضاء كينونة الذات الإنسانية من الحواس والعقل والقلب والتخيّل والتوهم باتجاه نواة الكينونة لاستماع وإنصات ندائها الباطني والذاتي الذي يكشفه ويعلنه السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

---

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الفجر، الآيتان 27 – 28.

كينونة الذات الإنسانية بانتظار تحقق كمالاتها لمعرفة الكمال المطلق والتقرب إليه. وهذا الانتظار ليس انتظاراً سالباً ومعطلاً، بله، هو حقاً انتظار فعل متعالٍ وحركة دؤوبة وصيرورة دينامية، ومهما تسارعت عجلة صيرورتها فهي في انتظار دائم لا متناهٍ، لكونها تستهدف التقرب من اللامتناهي والمطلق والكامل، ولأن مخزون كينونته الحقيقية يمتلئ من الإمكانات والقوى التي تفتح له آفاقاً مستطيلة لا متناهية وشاقولية متعمقة لا حد لعمقها.

**16.4.2 مفهوم وفلسفة الانتظار التاريخي الكوني:**

إنَّ الكائن الكوني التاريخي أو الجمعي بانتظار ذلك اليوم الموعود الذي تتحقق فيه كينونته الحقيقية التي تتشاكل وتتناظر وتتطابق مع حقيقتها الوجودية الملكوتية في الأفلاك العلوية والقلم واللوح المحفوظ، وذلك ليصبح مجتمع الكائن البشري مجتمعاً إنسانياً كونياً متعالياً متسامياً، تسوده العدالة والإنصاف والكرم والجود والقوة والإيمان والتقوى والعلم والفضيلة والاطمئنان والسكينة والحب والسعادة و.... إلخ. أي تتجلى فيه الأسماء الحسنى والصفات العليا المشتركة بينها وبين خالقها، التي وضعت في صورة كمون وإمكان تثوي في بنْيَة كينونة الإنسان الفردي، لتتمظهر وتتموضع في شتى تشعيبات الحياة وتفرّعاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمعرفية و... إلخ.

وهنا يتأتى دور الكائن البشري ليوظف نتائج ومآلات الانتظار الذاتي الجوّاني ويستثمرها في كافة تشعيبات الحياة، وهذا الأمر لا يحدث إلا بانتظار مشابه للانتظار الذاتي لكينونة الإنسان، ألا وهو الانتظار الموعود لصاحب الأمر والزمان ليحقق كنه حقيقة الكينونة الاجتماعية والتاريخية للبشرية. وبتعبير آخر، الانتظار الإيجابي هو فعل وعمل وتفكير وتأمل موجه للعالم الخارجي بمعيّة وَبَعديّة تحقق الانتظار الداخلي وظهور وحضور كينونة الذات أمام ذاتها وأعضائها الجوّانيّة.

ولتحقق الانتظار الخارجي يستوجب دليلاً ومربياً ومرشداً وإماماً معصوماً ومسدداً

من اللّه عزّ وجلّ، يساوق ويتماهى مع غايات ماهيات كينونة المجتمع التكاملي، ويجسد الاسم الأعظم في ذاته أولاً، ومن ثم يأخذ بيد الكينونات البشرية ليسمو بها ويحقق كمالاتها الذاتية والجمعية الموضوعية. وهذا الانتظار أيضاً انتظار إيجابي وليس سلبياً؛ أي انتظار فعل وصيرورة متعالية متسامية للتأهل لذلك اليوم الموعود.

وهو انتظار فرج وانبساط بعد الشدة والضيق، ويسر بعد عسر، وهو من أفضل الأعمال، لكونه ممتلئ بحمولات معرفية ووجودية وأخلاقية وجمالية وفنّية ، نظرية وعملية ميدانية على صعيد الكينونة الذاتية الجوّانيّة والكينونات البرانيّة الطبيعية والذاتية الأخرى، وهي في غاية الثقل والمسؤولية والتكليف التي تتطلب نوعاً من المشقة والجهد والجهاد والمجاهدة تضاهي، بله، تزيد وتتجاوز عبء ومسؤولية ما بعد الانتظار أي الفرج ذاته، لكونها فترة تدريب وتمهيد واختبار وتمحيص لذاك اليوم المشهود.

وهذا يذكرنا بالانتظار المشهود له في قوله تعالى: «**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا**»(1). فكينونة الانتظار ومعادلته هي الإيمان الصادق، والجود والشهامة والقوة، والعهد والقسم والتكليف، والاستعداد واليقظة، والثبات والديمومة على جميع متغيرات وعناصر دالة أو معادلة الانتظار، التي لبها وقلبها هو الاتّباعية الولائية الفقهية التقوائية العامة الممهدة للولاية العصموية المنتظرة، والوعي والنباهة والإدراك بأبعادها الواسعة وآمادها الطويلة وآفاقها المستطيلة وأعماقها الشاقولية المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية.

أين هذا «**الانتظار**» الشبحي والشبيهي الموهوم أو «**التمني**» المعشش والمتوطن في عقولنا ووجداننا من «**الانتظار**» ككينونة تحمل حمولات وجودية ومعرفية وأخلاقية وجمالية ممتلئة بالحياة والدينامية والديمومة، مستوعبة كافة تفريعات ومجالات الحياة

---

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الأحزاب، الآية 23.

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والنفسية والإعلامية، فضلاً عن تفعيل مؤسساتها التشريعية والتنفيذية والقضائية المختلفة.

### 16.4.3 النسق البنْيوي لفلسفة كينونة سؤال «الانتظار» الحقيقي:

نسق السؤال «**الانتظاري**» نسق دينامي مفتوح تترابط مكوناته البنِّيوية الجوّانيّة من حيث غاياته المتعالية، وآلياته الديمنامية، وإوالياته الفعّالة، وإراداته الواعية، ومرجعيته الولائية الفقهية التقوائية العامة، ومدركاته المتكاملة المترابطة التي تشكل كلاً منفتحاً على الفضاءات البرانية البعيدة، والمناخات المتحاقلة والمتماسة والقريبة من المركز ومن المحيطات، ومنفتحاً على المعطيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والعسكرية و....إلخ المحيطة، وإنّ طبيعة نسق «**الانتظار**» المنفتح تتفاعل مكوناته الجوّانيّة بعضها مع البعض من جهة، ومع الكينونات الذاتية البرانيّة الأخرى وكينونة الكائنات الطبيعية والملكوتية من جهة أخرى، وذلك بغية تنمية مستدامة وتقوية متعاضدة للطاقات الجوّانيّة الكامنة في كينونة الكائن البشري، وحفظ وصيانة بنِّيَتها في صورتها التوازنية والتعادلية المنتظمة والمتساوقة، وذلك من أجل استغلال كامل وتوظيف تام لكافة عناصر نسق الانتظار المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية، وتفعيل آلياته الحسية والعقلية والعرفانية والتخييلية، بغية تعجيل ظهور وإبانة وجه الانتظار، وإسدال الاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء لكينونة الانتظار، وتسريع عجلة الحركة الجوهرية لكينونة الكائن البشري باتجاه سهم المستقبل «**المنتظر**» أي الكامن فيه «**الانتظار**».

فالانتظار لا يعني البتة السكون وعدم الحركة أو التوقف في محطة القطار انتظاراً لمجيء المنتظِّر «**القاطرة**»، فهو أولاً وبدءاً وقبلاً وسلفاً،حركة من المنتظِر باتجاه المنتظَر، أي تحرك الطالب باتجاه المطلوب، والداعي باتجاه المدعى، وليس العكس، لكن الانتظار المشروع والحقيقي هو حركة بدئية من المنتظِّر تولّد حركة استجابية

ارتدادية تتضاعف قوة فعل الحركة البدئية من قبل المنتظِر، وذلك تأسيساً على سنة رب العالمين في العطاء والفيض «**الحسنة بعشرة منها ويضاعف ما يشاء**».

خلاصة القول، إن الانتظار الذاتي والموضوعي لكينونة الذات الحقيقية، هو انتظار فعل وعمل وقول وتفكير وتخيّل، وتأهيل وتمهيد، وإعداد وتحضير، واستعداد وتقبل إرادي حر للبدو الجديد. غير أن هذا الإعداد يتقاسمه مجالات متعددة: الحواس والتجربة العلمية، والعقل التفكيري والتحليلي والتفسيري والتأويلي، والقلب العرفاني والتزكوي والمتعالي والأخلاقي، والتخيّل الشفاف المتسامي، وذلك في مجال الذات الفردي ومجال الذات الجمعي معاً.

وهذا الأمر غير قابل للتحقق إلا في إطار منظومة وأبستيمولوجية معرفية وأنطولوجية وجودية وأكسيولوجية أخلاقية واستطيقية جمالية واضحة المعالم ومحددة المضامين ومتفاعلة ومتداخلة ومتبادلة، وعنينا بذلك، أن نرى الإنسان موازياً للعالَم من جهة وللقرآن من جهة أخرى، وأن لكل واحد من هذه الموجودات الثلاثة نشآت وعوالِم ومراقي ومراتب راتوبية تدرجية، ولها ظاهر وباطن، وغيب وشهادة، ومطلق ونسبي، وثابت ومتغير، ومادي ومعنوي، وجزئي وكلي، ومركز وهامش، ودينِويّ ودنيوِيّ و... إلخ.

وبحكم تعدد نشآت الإنسان ومراقيه ومراتبه الراتوبية أو عوالمه الأنطولوجية الوجودية، وكذلك بمقتضى تنوع منظومة العلوم والمعارف البشرية، وبالتالي تنميط ونمّذجة وتصنيف العلوم إلى: البرهان العقلي والعرفان القلبي والفقه والنقل والتشريع الوحيي الإلهي، فإنَّ تكامل وتساوق وانتظام هذه العلوم في منظومة واحدة متسقة ومنسجمة هو مفتاح مفاتيح الكائن البشري، التي بِمَكْنَتِنا أن نفتح أقفال كينونة الذات الإنسانية الحقيقية وكينوناتها الموضوعية في الحياة الدنيوية لها.

وتأسيساً على ذلك، بِمَكْنَتِنا إبانة وبيّنونة أمر تأريخ كينونة الإنسان وسؤاله الكبّار وأمر تاريخه، حيث يقصد بتأريخ كينونة الإنسان هو التنميط والتصنيف والسرد

الحدثي لجريان وقائع وحوادث كينونة الإنسان في أفقها الزمني، أي توالياتها وتعاقباتها ومتقدماتها ومتأخراتها وتفسيراتها وتعليلاتها، وهو حديث عن ماضي ما مضى من أمر الكينونة، وأن تعرف حال وأمر الكينونة وندركها بما هي «**حدث مضى**»، في حين أن أمر تاريخ الكينونة، هو أن ندرك كينونة الأمر الحادث، لا بما مضى، إنما بما يحفظ ذكراه وينتظر بدّواه، ولا بما هو شأن زال فانتهى أمره وانقضى شأنه، وإنما بما هو ما زال يعتمل ويكتمل،[1] وذلك في صيرورة مستديمة متعالية تحقق إمكانات كينونة الإنسان الحقيقية الثاوية بالقوة إلى حيز الفعل والوجود الأنطولوجي والواقع الحقيقي لها، أي تاريخ انتظار تحرير القوى والإمكانات والاحتمالات الكامنة فيها والباقية الثاوية والمضمرة والمحتقنة المنقدحة.

ويشير الفيلسوف الألماني «**هيدغر**» بهذا الخصوص، الى أن تأريخ كينونة الإنسان السردي العلمي يعمل على انحجاب واستتار واسترار كنه فهم تاريخ كينونة الإنسان الحقيقي الكموني الثاوي، وبتعبير آخر، نلاحظ اليوم أن بنّيَة منظومات أنظمة التقنيات الحديثة وبرامجها الثاوية، وقيمها المفروضة ومعادلاتها وقوانينها الحاكمة على أنماط التفكير، وأشكال النظر والتأمل، وأنواع الاستغراق والانهمام والانغمار والاستهلاك التام والاستتباع الكامل لمنتجاتها الأبستيمولوجية «**المعرفية**» و**الأنطولوجية** «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**القيمية**» والاستطيقية «**الجمالية**» في الحياة الروتينية المعيشية اليومية للكائن البشري المعاصر، غدت ستاراً وحاجزاً ومانعاً وقناعاً لاستتار وانحجاب كنه التاريخ الحقيقي لكينونة الإنسان.

وعليه، فإذا كان للتأريخ دلالة ماضوية، إنما للتاريخ دلالة مستقبلية، بما لم يعد ينبثق ويبدو أو يفعل ويعتمل. فأمر تاريخ كينونة الإنسان الحقيقي والحق والأصيل ماضي صيرورة الكينونة، وإنما هو «**ما كان**» ويلزم استذكاره لا بما كانه، وإنما بما آل

(1)- محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر هايدغر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2008، ص 194.

إليه، وما يستوجب أن ينجلي وينكشف ويستنير عن كنه مكنوناته الثاوية بالقوة، إلى التحقق والواقع العياني في شتى تشعيبات وتفريعات الحياة الدنْيوِيَّة والديْنوِيّة.

إذاً، فإن «**مركز ثقل**» تاريخ الكينونة المكتسب ليس ما كان هو الماضي في عتاقته، ولا هو الحاضر في صيرورة تعالقاته الحميمية وترابطاته الصميمية بالماضي، إنما أمر التاريخ الحق والأصيل المكتسب والمتساوق والمتماهي مع تاريخه التكويني منذ نشأته الأولى في العهد الصبيحي الباكر لكينونة الإنسان الحقيقية، يكمن في ذاك اليوم الموعود الخاص لكينونة الذات الفردية، وذاك اليوم الموعود العام للبشرية كافة، الذي بموجبهما تتحقق وتتطابق ماهية وهوية كنه حقيقية الكينونة الإنسانية الفردية وكنهها الجمعي والكوني الموعودة على يد صاحب الأمر والزمان الموعود. فالمعنى الحقيقي لكنه تاريخ الكينونة يقلب معادلة ونظام راتوبية الزمن التقليدي السائد من: «**-ماضي - حاضر - مستقبل**» أو «**حاضر - ماضي - مستقبل**» إلى المستقبل قبلاً وأولاً وبدءاً ونهاية وختماً.

وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف هيدغر الذي عنده التاريخ هو المستقبل: عن الآتي يصدر وينبثق، وبه يتحدد وينفعل. ويشير إلى أن الحاضر هنا لا يحضر للدازاين إلا ليحضر المستقبل، والماضي لا يسير وراء الدازاين إلا ليفتح لها طريق المسير، وهذا ما سماه هيدغر «**أنطولوجية التاريخ**»[1]، أي «**أنطولوجية الحدث التاريخي**»، لا المعرفة به.

وعليه، يمكننا أن نصنف الأمر التاريخي بين ما هو أمر تاريخي ظاهر ومكشوف ومبان، وأمر باطني مستتر مضمر، وبِمَكْنَتِنا، أن نوظف هذا المفهوم التاريخي لكينونة الإنسان في عوالمه الثالثة، عالَم الطبيعة الموضوعية العيانية لكينونة الكائن الإنساني، وذلك من خلال التحليل الجينيالوجي والأركيولوجي والأيكيولوجي والأكسيولوجي

(1)- Heidegger Martin: Introduction to metaphysics, p.55.

والمعرفي والأنطولوجي المنعكس في واقع وظاهر الحياة، وهذا هو وظيفة العلم التعليلي والتفسيري والتأويلي السببي لمجريات أحداث كينونة الإنسان، وعالَم الدلالات والكلمات والألفاظ الإلهية المدونة في القرآن والسنة الصحيحة، وهو وظيفة الدين والشريعة والوحي والرسل والأئمة عليهم السلام، وعالَم الذات والنفس والروح الذي نفخ فيه الله عزّ وجلّ من روحه المقدسة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وهو من وظيفة الكينونة الحقيقية للكائن البشري.

علينا أن نميز حق التمييز بين التاريخ الإلهي الحقيقي والحق الأصلي لِكُنْه حقيقة وماهية كينونة الإنسان وأسئلته، بل الكون بكل مكنوناته وكائناته الذاتية والطبيعية والملكوتية، هو زمن النشأة الأولى والخلق الصبيحي الباكر، حيث يقول عزّ وجلّ في محكم كتابه إنه خلق الكون والإنسان في أحسن تقويم: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾[1]؛ أي في أعدل تقويم وأحسن صورة وأكمل تكوين وأفضل بنْيَة تكوينية ذاتية له، فكل ما يُخلق ويُنشئ وكان مآبه ومرجعه الكامل المطلق بالضرورة المنطقية والعقلانية وبالوجودية الأنطولوجية والخلقية، لا بد أن يكون كاملاً وفي أحسن تقويم وصورة، وبشكل لا يوجد أفضل وأحسن وأكمل من هذا النظام الخلقي، وإلا لزم التناقض والتضاد مع أصل كمالية الكامل المطلق.

وتأسيساً على ذلك، فإن التاريخ الأنطولوجي الحقيقي والأصلي لكينونة الإنسان والسؤال الملازم له وكافة الكينونات الأخرى تقبع في بدّئيّة خلقها الماضوي. أما التاريخ الأنطولوجي الحقيقي لكينونة الإنسان المكتسب والمنبثق والمنقدح من التاريخ الإلهي الصبحي الباكر له، هو تاريخ المستقبل، أي أن الكائن البشري صيرورته التاريخية هي تقدمية أمامية مستقبلية حتى تتماهى وتتناسخ كينونة هويته الوجودية المكتسبة بوعي تام وإرادة مدركة حرة مع كينونته الحقيقية الصبيحية الباكرة، كوجود حقيقي

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة التين، الآية 4.

لموجودية كائنيته أو كينونته المعطاة والمنطرحة. وبتعبير قرآني حكيم وبليغ حتى ملاقاة خالق الكون والكينونة عزّ وجلّ، أو الوجود الخالص والصرف والموجود التام والكامل والمطلق والواجب الوجود، وهذا ما عبر عنه القرآن المجيد: ﴿**يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾[1].

كما إن تاريخ نشأة البذرة النباتية والنطفة الحيوانية الصبيحية الباكرة والأولى هو تاريخه الماضوي المعطى والمنطرح، في حين تاريخه المكتسب الفعلي والكدحي هو في حال تحول نواة البذرة إلى شجرة كاملة مورقة مزهرة مثمرة، والنطفة إلى رجل رشيدٍ مؤمنٍ مُبرٍّ وصدِّيقٍ خليلٍ حبيبٍ وعبدٍ حرٍّ لله سبحانه وتعالى، أي وفقاً لمراقي ومراتب راتوبيته السنخية ما بين كنْهه الحقيقي التاريخي الماضوي الصبيحي المعطى والمنطرح فيه بالقوة والإمكان والاحتمال، وبين كنهه التاريخي الحقيقي المنفتح والمنقدح والمكتسب بالإرادة الحرة والإدراك الواعي، وذلك تبعاً لراتوبيته تعضيدية متعالية من حيث التشابهية والتشاكلية والتضارعية والتضاهية والتماثلية والتحاذية والتناظرية والتطابقية السنخية بينهما. في حين يتدرج كنه تاريخه الشبيهي الشبيحي تباعداً وتناقضاً سلبياً عن كنهه التاريخي الأصلي والصبيحي الماضوي، وفق راتوبية تناقصية مسخية ذات مراقي ومراتب بدْئيّتها الأولى هي الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض وزيلولتها المزايلة الممسوخة.

وهذا، من شأنه أن يتحقق فقط في أفق انتظار الزمان الآتي المستقبلي، وليس أفق الزمان الماضي أو الآني الحاضري. فالمستقبل هو أفق الزمان الحقيقي لانتظار كل من البذرة والنطفة. فقيمة ماهية وكنه الكائن البشري وأهميته، تكمن فيما تتحقق ماهيته وكنهه الحقيقي في أفق تاريخه المستقبلي، أي في ذلك اليوم الموعود والمنتظر.

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الانشقاق، الآية 6.

## 16.5 العلاقة التأسيسية بين الدهشة والفلسفة والعرفان:

المستقرئ لأدبيات الفكر والفكرانية الفلسفية والسيكولوجية والسوسيوسيكولوجية والسيكومعرفية والسيكووجودية يستشف بوضوح وجلاء، أنَّ ظهور السؤال الكبير والكبّار وخاصة الفلسفي المدرسي والأكاديمي أو الطبيعي اليومي كان مقروناً ومقترناً بالدهشة والتعجب والانبهار. فهذا أرسطو يقول «**إن ما دفع الناس في الأصل وما يدفعهم اليوم إلى البحوث الفلسفية الأولى هو الدهشة**» ومن هنا كانت «**الدهشة هي أم الفلسفة والسؤال والمساءلة ومنبعها الخصب!**» وذلك كما قال «**آرثر شوبنهاور** (1788–1860)» لأن الإنسان حيوان ميتافيزيقي، ومما لا شك فيه أنه عند بداية يقظة وعيه، يتصور فهم ذاته أمرا لا يحتاج إلى عناء، غير أن ذلك لا يدوم طويلا: فمع أول تفكير يقوم به، تتولد لديه تلك الدهشة التي كانت على نحو ما، أصل الميتافيزيقي، والمراد بالدهشة هنا ليس فقط الحيرة والتعجب والانبهار، بله، هي حالة توتر ذهني ونفسي ممزوجة بالقلق ومفعمة بالاهتمام وأحيانا بالألم والمعاناة.

إنَّ السؤال كخاصية أساسية للتفكير الفلسفي والعرفاني هو خاصية ملازمة لتاريخ الفلسفة والعرفان وموجود منذ بداياتها، إذ كان سقراط يرتكز، في محاوراته أساسا، على طرح الأسئلة وذلك قصد بناء منظومة معرفية بنِيوية متماسكة وصلبة موسومة بالحقيقة البعيدة عن الوهم والاعتقاد البديهي بامتلاك حقائق الأشياء. وهو اعتقاد غالبا ما يحاربه الفيلسوف والعارف المتعقّلن والمتشرّعن، وذلك بوضع الحقائق بمحك الفحص والنقد أو الممارسة الاجتهادية والجهادية في قلب مختبر الوجود والحياة العملية مقرونة ومقترنة بالممارسة العملية.

الشيء الذي أدى إلى أن تنتج الفلسفة والعرفان إحدى آليات فعل التفلسف والتعرفن «**الشك المنهجي**» على يد رينيه ديكارت، فالشك يقتضي وضع كل الأشياء موضع تساؤل، وذلك قصد الوصول إلى الحقيقة. وبتعبير ديكارت إن أحكاما كثيرة تمنعنا من

الوصول للحقيقة وتتشبث بنفوسنا تشبثا يبدو لنا معه أنه من المحال أن نتخلص منها ما لم نشرع في الشك من جميع الأشياء التي قد نجد فيها أدنى شبهة من قلة اليقين.

إنَّ الشك، كتجربة تعيشها الذات تجاه حقائق معينة، يعمل على نقد وفحص أسس هذه الأحكام وإعادة بنائها على أسس أكثر عقلانية، على اعتبار أن العقلانية أساس من أسس فعل التفلسف. فإذا كان الفيلسوف يتفلسف بدافع من اندهاشه، ومن أجل المعرفة الحقة، وبفعل شكه المنهجي، فإنه يتفلسف كذلك انطلاقا من ضرورة إعمال العقل والنقد، أي أن التفلسف يقوم على النظر العقلي الذي يفحص موضوعه من أجل معرفته معرفة حقه. فالعقل هو مصدر معارفنا، أي إقامتها على معيار العقل ولا شيء غير العقل.

والمنهج العرفاني الذي أسس له ابن عربي والسُّهروردي من جهة وقام صدر المتألهين الشيرازي بمزاوجة العرفان بالفلسفة والفقه والشرع الإسلامي، وذلك من خلال المصاحبة والمصاهرة بين البيان والبرهان والعرفان والوحي، أو بين العلم والفلسفة والعرفان والغيب، الأمر الذي نتج عن هذه الممارسة الوفاقية التعاضدية التكاملية بينها، السؤال الكبير والكبّار المآسس على تلك الدهشة والقلق والانبهار والتوتر والحيرة التكاملية والتعاضدية والارتقائية والفوقية والقدسية وليست الحيرة والاضطراب والشك والألم الانحدارية والسفلية والسلبية المرضية النفسية الثاوية في بنْيَة كينونة السؤال الكبّار الفلسفي والفقهي والعرفاني الأنطولوجي الوجودي والأبستيمولوجي المعرفي والأكسيولوجي القيمي والأخلاقي والاستطيقي الجمالي والفنّي بأبعاده واستطالاته وأعماقه وامتداداته، وبحمولاته السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ؛ أي كافة القبليات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية اللازمة

للخريطة الهندسية والمعمارية والإنشائية والكهربائية والصحية لبيت السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب ولكينونة الجواب، وبين مركزها ومحورها وبؤرتها المركزية والتبئيرية من جهة، ومن جهة أخرى بين بنْياتها التشميلية والكلية والوضوحية والسببية والضرورية والعلّية والحتمية والصدقية والحقيّة والوحدة في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها.

في الفكر الغربي وفكرانيته الفلسفية ذهب بعض الفلاسفة إلى الحجاج بالسلطة: متمثلاً في قولة أرسطو: «**الدهشة هي التي دفعت الناس إلى التفلسف والتساؤل**» وتقنيته الاستفهامية والاستنطاقية هي ما ذهب إليها آرثر شوبنهور من أن «**الإنسان حيوان ميتافيزيقي**» لا يتوقف عن البحث والانشغال بما وراء الطبيعة، وما وراء الطبيعة محتجب ومتخفّ، وكل متخفّ يثير الدهشة والفضول.

وتفسير وتأويل هذه الحال ناتج عن سلسلة متوالية من الحقائق والتأويلات لكينونة الكائن البشري حيال كون حياته القصيرة والعابرة والمتناهية، وحيال الفقر والنقص والمرض والجهل والعدم مقابل شعوري كينوني فطري جواني مفحوم وممتلئ بحمولات وأبستيمولوجية وأنطولوجية وأكسيولوجية واستطيقية تجاه الكمال والجمال والعلم والوجود والحق والحقيقة المطلقة بالقوة والإمكان في بنْيَة كينونته الفطرية. وربما لو كانت حياتنا أبدية وخالية من الألم والقلق والتوتر الصادر من النقص والجهل والفقر (...) لكانت كل الأشياء مفهومة من تلقاء نفسها»؟

وبعبارة أخرى: لولا الموت والألم والجهل لما كانت الأشياء أو بالأحرى الوجود غامضا غير مفهوم، ومن ثم لغزاً يولد الحيرة والدهشة. كيف ذلك؟ إن وجود الإنسان من أكثر الظواهر والمعطيات ألفة واعتيادية، فكيف يغدو يا ترى، بفعل الموت والألم، مصدرا للدهشة؟ إنَّ وجود الموت يضع حول الوجود علامات استفهام وإشارات استعلام ومحطات استنطاق: حول قيمة الوجود، معناه، حول المصير والخير والشر وما وراء الموت أي ما

وراء الطبيعة... وإذا كان البشر متساوون أمام الموت، فهم غير متساوين حيال الألم والقلق والتوتر (الألم هنا بمعنى كل مظاهر النقص: كألم الجسم، الحاجة، الفقر، الكوارث، الشر...) وكألم الجهل والوجود، الأمر الذي يثير بدوره أسئلة وتساؤلات حول سر ومغزى هذه اللامساواة، فأكثر ضروب الألم تحل بشكل مفاجئ غير قابل للتفسير.

من دون أن ننسى أن أكثر الناس انغماسا في تيار الحياة وأكثرهم غفلة عن التفكير في الحياة والوجود، لا يضطرون للانتباه لقضايا القضاء والقدر والمصير وقيمة الحياة إلا عند النكبات والآلام !!! في مرحلة الطفولة، يكون الإنسان أشد رغبة في المعرفة وأكثر قدرة على الاندهاش، بيد أن هذه القدرات تتلاشى بفعل التعود والعادة لتبدو الأشياء بعد ذلك مألوفة واضحة تحمل في ذاتها تفسيرها.

فإذا كانت العادة إذاً تقتل في الفكر الرغبة في المعرفة وتخمد جذوتها، فإن الدهشة والقلق والتوتر والاضطراب المسحوب والممتلئ بالوعي أشبه ما تكون بمضاد يقاوم مفعول العادة وينزع عن الأشياء ألفتها وبساطتها وبداهتها الخادعة ويتجاوز حياة السكون والسكوت والتقوقع، لذلك عرف البعض كينونة الكائن البشري بأنها كينونة في صيرورة دينامية وديمومية مستديمة ومتعالية أو منحدرة، وهي في كل لحظة في شأن عظيم أو في شأن وضيع «**كينونة ترفض الجمود والسكن والثبوت والتعود على العالم**»!! لكونها منفتحة ومتعالقة مع الكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى، وكينونة تستكين إلى الواقع الوضيع ما دام هذا الواقع يحقق رغباته وحاجاته الشهوانية البهيمية ونزواته الحيوانية والشيطانية، ولذا يتمرس ويتقوقع السؤال الكبير والكبّار وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب لديه في قواقع وكهوف الواقع الواهي والمصطنع.

### 16.5.1 كينونة السؤال والإحراج:

الإحراج هو الشعور بالضيق وانسداد المنافذ، فتزداد المعاناة ويبقى السؤال عالقا يطلب منا الجواب، محاورة سقراط والسفسطائي حول قضية النفس. والإحراج

ناتج كذلك من كون السؤال العلمي أو الفلسفي أو العرفاني الكبروي والكبّار أو الغيبي الوحيَاني المسدد والمؤيد، الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي يحمل في طياته حمولات أولية لخرائط هندسمعرفية وهندسوجودية وهندسقيمية وهندسة أخلاقية وهندسجمالية وهندسفنّية إنشائية ومعمارية سوسيوكونية وسوسيوحضارية وسوسيوتاريخية وسوسيواجتماعية وسوسيوسياسية وسوسيواقتصادية وسوسيوسيكولوجية وسوسيوثقافية وسوسيوعقائدية وسوسيوعرفانية وسوسيوعلمانية وسوسيومنطقية و...إلخ، تشكل الوجود الأنطولوجي لكينونة السؤال من جهة، وتشكل البناء والقلعة والمنزل والظرف والوعاء لكينونة الجواب المنتظر الذي سيستقبله السؤال في منزله ضيفاً عزيزاً غالياً طال الانتظار والرغبة والحب والشوق له، من جهة أخرى. فعندما تحضر الخريطة الهندسية والمعمارية والإنشائية بحمولاتها إلى ذهن الكائن البشري من جهة، ومن جهة أخرى عندما يتصور قدوم هذا الضيف «**الجواب**» بحمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية، فإنه يخشى شيئين هما: أنْ يكون السؤال «**المنزل**» أو «**الوعاء**» أو الظرف» دون مقام الجواب «**الضيف**»، أو أنْ يكون الضيف «**الجواب**» دون مستوى ومقام المنزل «**السؤال**» الذي بُنِيَ من أجله. ففي الحالة الأولى قد أنزل السؤال قيمة ومقام ومنزلة الجواب فيشعر بالخجل والاستحياء أمام الضيف «**الجواب**» بسبب قصور وضعف وضيق سعة واستطالة وعمق السؤال ذاته، ما يضعه في موقف الإحراج والشعور بالخجل وتأنيب الضمير. وفي الحالة الثانية يشعر السؤال أيضاً بالحرج والاستحياء ليس أمام الجواب «**الضيف**» بله، أمام السؤال نفسه، فهو حرج واستحياء وخجل ذاتي جواني، وذلك بأنه قد أسرف في بناء شامخ وقصر مهيب قد كلفه الوقت والجهد والمال الكبير، لضيف وضيع المقام والأهمية والمكانة. الأمر الذي يتأدى في الحالة الأولى إلى أنْ يكون جزءاً من الجواب «**الضيف**» خارج المنزل «**السؤال**» ما يجعل الضيف «**الجواب**» غير مكتمل الصورة وفيه من التشوهات ما لا دخل فيه للجواب البتة، بله، بسبب ضيق بنْيَة وسعة واستطالة

وعمق السؤال «**المنزل**» الذي استقبل فيه الضيف «**الجواب**»، وفي الحالة الثانية يشعر السؤال «**المنزل**» بالفراغ والفجوات التي قد تمتلئ بالفراغ والهباء والخواء المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي، ما يسبب للسؤال وللكائن البشري الإحراج والخجل والاستحياء من نفسه من جهة، ومن جهة أخرى تحرجه استهزاءات واستحقارات الضيف «**الجواب**» التي توحي وتشي بقصور وضعف وفقدان الحكمة والتعقل للمضيف «**السؤال**».

إذاً كينونة السؤال الكبير والكبّار عادة ما يفتقد إلى حالة التوازن والتعادل والتوسط بين السؤال والجواب أو والمضيف والضيف أو الظرف والمظروف أو الوعاء والمحمول أو البيت والسكان أو الجسم واللباس و...، هذا الأمر يتأدى إلى أنّ يتضمن كل من السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب أو الجواب أو معاً نوعاً من المفارقات والمختلفات أو المتمايزات أو المتغايرات أو المتضادات أو المتقابلات أو المتطابقات أو المتناقضات أو المزايلات، فضلاً عن التشتتات والتبعثرات والتنفرات والتشظيات، فيما بين حمولاتها الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية، وأبعادها واستطالاتها وأعماقها وامتداداتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيومنطقية و...إلخ؛ أي كافة القبليات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية اللازمة للخريطة الهندسية والمعمارية والإنشائية والكهربائية والصحية لبيت السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب ولكينونة الجواب، وبين مركزها ومحورها وبؤرتها المركزية والتبئيرية من جهة، ومن جهة أخرى بين بنْيَتها التشميلية والكلية والوضوحية والسببية والضرورية والعلّية والحتمية والصدقية والحقية والوحدة في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها.

### 16.5.2 وضع الإحراج في الفلسفة الغربية:

المستقرئ للفكر الفلسفي الغربي وخاصة الهيغلي، يجد أنَّ احتواء السؤال أو الجواب على تناقضات ومفارقات رغم أن المسألة واحدة، حيث يضع كينونة الكائن البشري أمام سلسلة أو سُلَّمية راتوبية للرأي والرأي الآخر من مراتب ومراقي الاختلاف والتمايز أو التغاير والتضاد أو التقابل والتطابق أو التناقض والمزايلة. وأمام هذه المفارقات والمتناقضات يبدأ ويتكون وعي العقل ويدرك العلاقة البيْنية والبنائية والبنْيوية بينها، وجمعها في سياق منطقي واحد، مثل قول سقراط الذي جمع بين متناقضين هما العلم والجهل، فبلغ رسالة مفادها أن الجهل هو أساس المعرفة، وأن الحقيقة لا تدرك بأتمها أبدا. أو أن يُجمع المفهومان المتناقضان أو الضدان كالعلم والجهل في تعريف أحدهما، كالقول بأن مفهوم العلم وسعته ودرجته هو سعة ودرجة جهل الكائن البشري. وكان الفيلسوف الألماني هيجل Heggel يستعمل هذه الطريقة الجدلية في بناء فلسفته، حيث يأخذ بالقضية ويقابلها بنقيضها، ثم يركب بينهما وهكذا... ففي مسألة الشجاعة مثلاً نجد رأياً يقول إن الشجاعة هي عدم الخوف. لكن هناك من يقول من لا يخاف فهو متهور وعديم الوعي، وعندما نركّب بين الرأيين ندرك العلاقة بينهما فنقول إن الشجاعة لا تتعارض مع الخوف الذي يعبر عن صميم الوعي. يقول هيجل «**الفلسفة تبحث في المتناقضات الشاملة التي يغوص فيها وجود الإنسان، وما يسبب الإحراج أيضا هو أن السؤال الفلسفي يطرح القضية في صورة فكرية عالمية وإنسانية تتجاوز ما هو فردي وخاص، لأننا عندما نتحدث عن الشجاعة أو السعادة أو الأخلاق لا نعني بها شجاعة الجندي، وسعادة الأمير، وأخلاق المصلحين، وإنما نعني بها شجاعة وسعادة وأخلاق كل إنسان على وجه المعمورة، وعليه يتوجب أن تتوافر لدينا رؤية واسعة وتأمل عميق، وأن يتوجه خطابنا الفلسفي إلى العالم حتى وإنَّ حركتنا قضية جزئية أو خاصة**».

### 16.5.3 موضوع الإحراج:

إن الأسئلة الفلسفية إذا ما تحولت من الإطار المألوف إلى الإطار الصعب الذي يخص المجال العملي والإنساني- الحرية، الأخلاق، الديمقراطية...- تحول السؤال هنا إلى مشكلة، هذه الأخيرة لها مجال معين ولها حدود، لكن قد يتحول السؤال إلى إشكالية عندما يُحدث فينا إحراجا، فتكون الأجوبة هنا تحمل نوعا من الارتياب والشك. إنَّ السؤال الفلسفي إذا كان أمام مشكلة كان هناك دهشة، أما إذا كان أمام إشكالية كان هناك الإحراج.[1]

### 16.5.4 قياس الإحراج:

الإحراج في الفرنسية Dilemme وفي الإنكليزية Dilemma. وقياس الإحراج حجة تكون إحدى مقدماتها قضية عنادية ذات احتمالين، وتكون مقدماتها الأخرى دالةً على أن كل احتمال من هذين الاحتمالين يتضمن النتيجة نفسها. وهو قياس مزدوج، أو قياس ذو حدين يحرج الخصم ويلزمه بقبول النتيجة. والقضية العنادية أو التبادلية (Alternative) في قياس الإحراج إما أن تكون حملية، وإما أن تكون شرطية.

فإذا كانت حمّلية مطلقة وضع قياس الإحراج على الشكل التالي:

تقول للخصم: لا بدَّ من الاختيار بين (ب) و (ج)، لأن الحق لا يعدوهما، فإما أن يكون الصادق (ب)، وإما أن يكون (ج). على أنه إذا كان (ب) صادقاً، كان (ق) صادقاً. وإذا كان (ج) صادقا، كان (ق) صادقاً أيضاً. فـ(ق) صادق إذاً بالضرورة.

وإذا كانت المقدمة الأولى والنتيجة قضيتين شرطيتين كان قياس الإحراج كما يلي: إن كان (ب) صادقاً، كان (ج)، أو (د) صادقاً. وإن كان (ج) صادقاً، كان (ق) صادقاً. وإن كان (د) صادقاً، كان (ق) صادقاً أيضاً. وإذاً: إن كان (ب) صادقاً كان (ق) صادقاً.

(1)- المصدر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، 1982

وقد يطلق قياس الإحراج على الاستدلال الذي تكون فيه القضية التبادلية مشتملة على أكثر من احتمالين. أو يطلق على الاستدلال الذي يكون فيه التقابل بين قضيتين متناقضتين، لأن إحداهما إذا كانت صادقة، كانت الأخرى كاذبة، والعكس بالعكس.

وقد أطلق (رينوفيه) لفظ الإحراج على التقابل بين رأيين فلسفيين، بحيث يلزم عن إثبات أحدهما إنكار الآخر، وعن إنكاره إثبات الآخر. ومن شرط الإحراج الدقيق أن يسلّم الخصم بأن القضية لا تتضمن إلا احتمالين، لأنه إذا لم يسلّم بذلك كان لديه احتمال ثالث لم يصحَّ الإحراج.

وأوضح أشكال الإحراج أن تجعل القضية التبادلية أو العنادية مشتملة على حدين متناقضين، بحيث يؤدي إثبات أحدهما إلى إبطال الآخر، مثال ذلك: قول أرسطو: إما أن يكون التفلسف واجباً، وإما أن لا يكون واجباً، أو قولنا إما أن يسمح العلم بالتنبؤ وإما أن لا يسمح بالتنبؤ، فإذا لم يسمح بالتنبؤ لم يكن له قيمة عملية، وإذا سمح بالتنبؤ كان له قيمة محققة من جهة ما هو وسيلة من وسائل التأثير في الطبيعة.

### 16.5.5 علاقة كينونة السؤال بالدهشة وبالإحراج:

البيِّنونة بين الإشكالية والمشكلة تتمثل في مخلفات ذلك الاضطراب. إذا كان الاضطراب إحراجا كانت القضية المطروحة إشكالية، وإذا كان دهشة كانت القضية مشكلة. ولِيُحقق السؤال الدهشة والإحراج، يجب أن تتوافر فيه مجموعة من الخصائص وهي خصائص الموقف الفلسفي، وهي:

## - أن يتعلق بقضية فكرية إنسانية:

ما يسبب الإحراج أيضا هو أن السؤال الفلسفي والعلمي والعرفاني والوحيَاني الغيبي المسدد والمؤيد الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الكبير والكبّار، من ديدنه أنْ يطرح القضية في صورة فكرية عملية وعرفانية وعلمية وغيبية مركبة متساوقة ومتناغمة متماهية وتشميلية كلّية، وكونية وحضارية إنسانية تتجاوز ما هو فردي وخاص

وعائلي وقبلي ووطني، أي لا حدود زمكانية أو عرقية أو جغرافية أو معرفية أو وجودية تحده.

فهو يتناول المبادئ العامة للوجود والجمال والكمال والأخلاق والدين والحياة والحرية والإنسانية والخالق والرب والسيرورة و... لأننا عندما نتحدث على سبيل المثال عن الكرم أو الشجاعة أو السعادة أو الأخلاق لا نعني بها كرم الطائي، وشجاعة الجندي، وسعادة الأمير، وأخلاق المصلحين، وإنما تتوسع وتستطيل بؤرة عدستنا المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية الاستكشافية والاستبصارية والاسترجاعية والتغذوية والاستشرافية والتفكيكية والتركيبية والتراكبية والتكوينية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية و... لتلبس وتحيط بشجاعة وسعادة وأخلاق كل إنسان على وجه المعمورة، وتتزامن زمانيتها مع كل الأزمان، وتتساكن في سكن كل العوالم الممكنة. وعليه، يتوجب أن تتوافر لدينا عدسات رؤيوية تشميلية تكاملية تراتبية توحيدية مركبة، ومناظير تلومايسكتروسكوبية رباعية أو خماسية أو... الأبعاد والأعماق والأغوار والاستطالات، وتوفر مِمّيلات ومَكّيلات ومنْقلات ومسطرات وبوصلات وموازين دقيقة، تتساوق وتتماهى مع طبيعة ونوعية قضايا ومسائل وثيمات وموضوعات كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب. وبتعبير آخر، إنَّ طبيعة وديدن عدسات ومناظير السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الكبير والكبّار بحمولاته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية والعلمية والفلسفية والعرفانية والوحْيَانية الغيبية، هي متوجهة ومتمركزة ومتبأورة بالأساس إلى العام والكل والوحدة في عين تكوثراتها وتكوثراتها في عين وحدتها، حتى لو كان موضوع وثيمة وقضية السؤال جزئية وفرعية وهامشية وثانوية، فإنها تُنظر إليها بعين الكل والوحدة المتكاملة والمتكوثرة في عين وحدتها مع الحفاظ على مرتبة وقيمة الجزء والنسبي والمتغير والمتشابه الوظيفي والإجرائي العملي، ولكن كما قلنا ننظر إليها بعين الكل والمطلق والثابت والمحكم الذي هو الناظر والشاخص والحاكم

والواصف والشّارح والقائم والقيّوم والمقوِّم لها.

- أن يتضمن مفارقات ومتناقضات: صور التقابل بين المفاهيم (المتناقضات والمفارقات):

وعي الكائن البشري وإدراك علاقة التناقض والتضاد والتقابل والمزايلة في بنْيَة كينونة السؤال وبناءاته التركيبية والتراكبية والتكونية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية تمكن من سلامة كينونة السؤال وتمكن محاكاة ومساءلة كينونة الجواب أيضاً. وفيما يتعلق بتموضع المفارقات والمتناقضات بين حمولات المفاهيم والمعاني والأفكار والتصورات الثاوية في السؤال، يستلزم الوعي الإدراكي الذي يتعامل مع ثبوت أمر ونفيه، كأن نقول: (أ هو ب) و (أ ليس ب)، و«سقراط فيلسوف» نقيضه هو «**سقراط ليس فيلسوفا**»، أو مثال: التلميذ حاضر وغائب، أو أنَّ الشيء أبيض ولا أبيض. والمتناقضان لا يصدقان معا ولا يكذبان معا، مثال: الحركة # اللاحركة. لذا يتبادر السؤال التالي: حين نكون أمام متناقضين هل يشي أو يعني أننا أمام مشكلة كبروية كبّارة فلسفية أو علمية أو عرفانية أو غيبية وحَيَانية؟ لا يسعنا القول بذلك إلا إذا كان المتناقضان صحيحين. إي أن المشكلات الفلسفية تناقضات لكن لا تتضمن كل المتناقضات مشكلة فلسفية.

وكذلك الوعي والإدراك بعلاقة التضاد في حمولات كينونة السؤال. والتضاد يعني التخالف أو التناظر. واصطلاحا هو كل منافٍ وجوديا أو عدميا، وبينهما وسط طويل جدا من الاحتمالات. مثال: أبيض# أسود، ويوجد احتمالات أخرى قد يكون أحمر أو أصفر أو أخضر أو الحياة والموت... إلى غير ذلك، وهما لا يجتمعان وقد يختلفان. أي لا يصدقان معا، لكن قد يكذبان كلاهما.

وكذلك الوعي والإدراك بعلاقة التعاكس الذي هو قلب الشيء وجعل باطنه ظاهره وأعلاه أسفله، فالمعاكسة هي المخالفة وتبديل حدي القضية، فيصبح الموصوف صفة

والصفة موصوفاً: مثال: كل كويتي آسيوي عكسها بعض الآسيويين كويتيون. أو بحيث تبدأ إحداهما بما انتهت الأخرى أو العكس(!). والمناطقة الصوريون يعرفونه بالعكس المستوي وهو نوع من أنواع الاستدلال المباشر، وينتقل فيه إلى نتيجة بقلب موضع حدّي القضية المحمولة المعطاة أي (الأصلية)، وذلك بإبقاء كيفها... مثال: كل غراب أسود - عكسها هو - بعض الأسود غراب.

وكذلك الوعي والإدراك بعلاقة التنافر الذي هو الصورة الشاملة لكل هذه العلاقات. ويعني التعاكس تنافراً والتناقض تنافراً والتضاد تنافراً. إنَّ السؤال الفلسفي الكبير المقلق هو الذي يضعنا بين إجابتين صحيحتين على الرغم من تنافرهما ولا يمكن فهم السؤال الفلسفي إلا بتحليله لغة وتحديد عناصر، والعلاقات بين هذه العناصر كأن نستخدم (لأن، أو، بينما، إنما، بالتالي.

- أن يفضي القلق والحيرة والدهشة إلى اقتراح تأويل ومخرج من المأزق سواء كان بالتركيب أو التغليب أو التجاوز.
- أن يكون الإحراج حقيقياً، أي ينم عن وعي الكائن البشري بالجهل.

يثير الكائن البشري من كيانه الداخلي، إذ يتضمن إحراجاً حقيقياً وبناءً فكرياً شمولياً تتسق فيه المتناقضات، فالإثارة في السؤال الفلسفي أو العلمي أو العرفاني أو الغيبي الوحيَاني الكبير والكبّار الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي بحمولاتها الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية، وأبعادها واستطالاتها وأعماقها وامتداداتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيوعرفانية والسوسيومنطقية و...إلخ، متوقفة على بنْيَة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال

الجواب وسؤال سؤال الجواب، واستعداد الكائن البشري للتعامل مع السؤال وتوابعه ومضعافاته. فلا يمكن للسؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب العلمي والفلسفي والعرفاني والغيبي الوحيَاني الكبّار أنْ يثير الدهشة والإحراج، إلا عند ادراك طبيعة العلاقة بين حمولات السؤال متنافرة أو متفارقة أو متناقضة، لأنه لا يمكن أن نطرح أسئلة كبّارة تشميلية وكلية وكونية وإنسانية من دون الاهتمام بالتفكير المنطقي ومعرفة صور الاختلافات والتمايزات والتغايرات والتضادات والتقابلات والتطابقات التقابلات والتناقضات والمزايلات السلبية التناقضية الهجينة فيما بين حمولات السؤال من مفاهيم ومعانٍ وأفكار وحقائق.

- أن تصاغ بلغة سليمة.

إنَّ صياغة السؤال والمشكل في صورة دقيقة وبلغة سليمة خالية من الأخطاء ينتهي بعلامة الاستفهام، فيصبح واضحا بسيطا موجزا في صياغته، ما يثير الكائن البشري في أقصر وقت ممكن إلى شيء محدد وأنْ تكون هناك علاقة منطقية بين السؤال المطروح وما سبقه من أسئلة بحيث يسير التساؤل في نظام متتابع يثير نشاط ذهن الكائن البشري، ويساعده على حسن الفهم ودقة التفهيم والإفهام والانفهام.

### 16.5.6 القلق الثاوي في كينونة السؤال الكبروي الكبّار:

علينا أن نميز بين مفهوم القلق كما تشير إليه البحوث والدراسات المشار إليها في أدبيات فكر وعلم النفس بمختلف تشعيباته النظرية والإكلينيكية، وبين ما هو مطروح في علم الأخلاق وعلم المعرفة «**الأبستيمولوجي**»، والذي يهمنا هو الأخير، ولكن نظراً لتداخل المفاهيم والتجارب الشخصية لمفهوم القلق لدى الكائن البشري، نرى من الأهمية بمكان أن نلقي بعض الضوء على المفهوم الوارد في علم النفس، ثم ننتقل إلى مفهوم القلق المرتبط بعلم النفس المعرفي وأبستيمولوجي.

### 16.5.7 معنى القلق كما هو في علم النفس:

**المعنى اللغوي**: قلق قلقا: أي لم يستقر في مكان واحد أو لم يستقر على حال وقلق، اضطرب وانزعج وأقلق الهم فلانا: أي أزعجه، والمقلاق: هو الشديد القلق (المعجم الوسيط).

إذاً القلق هو استجابة انفعالية مركبة من الخوف والتوتر والخشية والضيق لخطر أو تهديد واقع أو يخشى وقوعه موجه نحو الشخصية بكاملها. ويصعب التمييز بين القلق والخوف في حالات كثيرة، وذلك بسبب من أوجه الشبه الموجودة بينهما، ومثل هذه الصعوبة تبرز في تعريف القلق نفسه ويبدو الشبه بينهما واضحا في نواحٍ معينة.

المستقرئ لأدبيات ودراسات نفسية الصادرة عن فلاسفة وعلماء النفس والسيكومعرفية يجد أنَّ هناك تركيزاً على أنَّ القلق يمثل شعوراً عاماً يشي بالخيبة، أو بخطر وشيك الوقوع، ومصدره غير معلوم، إنه استجابة مبالغ فيها، لمواقف لا تمثل خطرا حقيقيا، وقد لا تخرج عن إطار الحياة العادية، ولكن الفرد الذي يعاني القلق يستجيب لها غالبا كما لو كانت تمثل خطرا ملحا أو موقفا يصعب معالجته. يعاني كل إنسان من ضغط القلق في فترات مختلفة من حياته، وبهذا المعنى يكون القلق حالة عامة فالشروط المحيطة بالأشخاص، وتطور الحوادث، والمفاجآت، والتكوين المبكر السابق للشخص الإنساني، كل هذه أمور تدعو إلى وجود القلق.

لكن هذا القلق العام ليس النوع العصابي منه، إنه النوع الخفيف الذي يظهر على شكل إشارة تحفزنا إلى إطلاق الطاقات الداخلية بغية الدفاع عن الذات وحفظها، أما القلق العصابي فليس عاما، بله، هو حالة خاصة تستدعي الرعاية والعلاج. إن استعدادنا للقلق ليس دليلا للشذوذ، بله، هو وسيلتنا في سعينا وراء التكيف، أما الشذوذ فيكون في الشدة والتطرف، وفي تأثير الحالة على سلوكنا تأثيرا يجعله مضطربا ومضايقا في مواجهة ظروفه المختلفة.

### 16.5.8 اختلاف الناس في القلق:

يظهر الناس متفاوتين في قلقهم وشدته في ظروف تضمهم معا. فهل هذا يعني أن بين الناس من يكون استعداده للقلق أكثر من استعداد غيره؟ إن القلق شعور بالتهديد، وهو من هذه الناحية مرتبط بإدراك الفرد للحالة التي تنطوي على التهديد وبخبرته السابقة، كما يرتبط بشعور الفرد بقوته، لهذا نلاحظ في عدد من الظروف وجود قلق لدى الطفل لا يوجد ما يشبهه عند الراشد الموجود معه، ونلاحظ أحيانا وجود قلق عند الراشد لا يوجد مثله لدى الطفل[1].

### 16.5.9 القلق وقوة الدافع:

إن للقلق وظيفة خاصة يقوم بها أحيانا وهي وظيفة الدافع التي يشترك فيها مع كل توتر انفعالي فقد يدفع القلق الناجم عن أخطار التقصير في التكيف مع شروط بيئية اجتماعية جديدة إلى المزيد من الجهد من أجل إنجاز تكيف مناسب، وكثيرا ما يدفع القلق إلى المزيد من التروي قبل الإقدام على المعركة، كما يدفع أحيانا إلى الانسحاب قبل ظهور نتائجها الواقعية. لقد أثار القلق اهتماما خاصا لدى كير كيجارد Kierkegaard أحد أعلام الحركة الوجودية من حيث هو دافع إلى الإنجاز والإبداع، ويرى كير كيجارد أن القلق الخلقي موجود منذ القدم، ولكنه لا يتضح لدى الفرد إلا بعد ارتكاب الفرد إثما يعترف به، وهو يرى من جهة أخرى أن القلق منبع للإبداع، وأنَّ قوة النفس تنبثق من نجاح الفرد في مواجهة الخبرات التي تثير القلق، ولذلك فالقلق سبيل

(1) - القلق والعصبية والهم: هناك حالات بسيطة من القلق كثيرا ما تظهر في حياتنا اليومية، ونطلق عليها أسماء من نوع« العصبية» Nervousness و«الهم» أو «الضيق» «Worry» فالعصبية: قلق خفيف، والعصبي، كثير الحركة، كثير التخيل، سريع الانفعال، وبخاصة أمام ما هو مفاجئ، وكثيرا ما يُلاحظ وهو يحاول الانشغال بحركات لا معنى لها كذلك يغلب عليه كثرة الشكوى، وسرعة التعب، وكثرة التردد، والغالب في العصبية أن تكون نتيجة صراع أو صراعات لم تحلّ، وقد تبقى الصراعات عميقة الجذور من غير حل، وبذلك يطول بقاء العصبية وتتوافر الفرص أمامها للتطور باتجاه التعقيد.
أما الهم: فهو قلق خفيف كذلك، إلا أن له بعض المظاهر الخاصة به، فالمهموم يظهر منعطفا نحو نفسه في بحثه عن المخرج أكثر مما يظهر العصبي، ويظهر ضغط الصعوبات عليه أكثر مما يظهر لدى العصبي، كذلك يظهر أن نفوذ الكبت وتأثيره أقوى في حالته، وقد تطول فترة الهم وقد تقصر، فإذا أمكن الوصول إلى مسالك للتفريغ مناسبة، كان ذلك مساعدا على قصر الفترة، وإن تعقدت مسائل التفريغ وصعب وصول الفرج تهيأت الفرص لمزيد من الهم ومزيد من التعقيد.

إلى نضج النفس الإنسانية وتفتحها عن طبيعتها العميقة الخلّاقة. إن هذه المسحة الفلسفية التي تظهر في حديث كير كيجارد عن القلق صادقة فيما يتصل ببعض حالاته، إنه يقوم بوظيفة دافع قوي، ولكنه يقود إلى الانسحاب أحيانا بدلا من الخلق والإبداع، ويمكن أن يتطور إلى عصاب شديد الأثر.

**16.6 شروط أهلية السؤال كتمهيد للمعرفة عند ديكارت وهي:**

- ينبغي أن يكون في كل سؤال شيء غير معروف.
- وأنّ يكون هذا المجهول معروفا على نحو معين أو إلى حد معين.
- وأنَّ هذا المجهول لا يمكنه أن يصبح معروفا إلا بواسطة ما هو معروف.

وفي السؤال يتحدد أيضا الفرق بين العلم والفلسفة والعرفان والغيب، أو بين البرهان والبيان والعرفان والغيب، فالعلم يطرح السؤال حول ما هو جزئي في الظاهرة التي يبحثها، ولا يبتعد بالمسألة وحلها إلى «**الشمول الكلي**»، كما هو الحال في الفلسفة، وإنما يظل مقيدا بحدود المسألة كما يجري طرحها ضمن نطاقه الخاص. ويُعرِّف بعض الموسوعات الفلسفية ويعتبر مفهوم المشكلة بمثابة سؤال تأزم وتعذر الوصول إلى حل متفق عليه، فإذا كان هذا التأزم على المستوى النظري فيسمى مشكلة، وإذا تعلق بأمور الحياة الإنسانية فيسمى إشكالية، وغالبا ما يتعذر الوصول إلى حل للإشكالية.

يصاغ السؤال في اللغة العربية من جملة خبرية أو إنشائية بإضافة أداة استفهام إلى أولها: «**سقراط معلم أفلاطون**»، «**هل سقراط معلم أفلاطون**»؟؛ ومن أدوات السؤال: هل، لماذا، كيف، لِمَ، لمن، ماذا، متى، من أين، إلى أين ... أما في اللغات الأجنبية (الهندو – أوروبية) فيصاغ السؤال عادة من خلال عكس الجملة فيأتي الفعل أو الفعل المساعد في أول الجملة.

## 16.7 المكر الإلهي والإنساني ومكر كينونة السؤال وسؤال السؤال:

حيث إن الحواس والمشاعر والعقل لها مكر وخداع وحيل ومراوغة وهي من أعضاء ومكونات الذات أو النفس البشرية، التي تديرها وتنظمها الذات نفسها حسب أحوالها ومقتضاياتها، فإنها تقع في أغلب الأحيان في شباك وحبائل وحل مكر وخداع نفسها، إذ يقول عزّ وجلّ: ﴿**وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون**﴾[1]. وهذه الحالة ليست غريبة ومستعصية على الذات، التي توقع نفسها في دائرة النسيان والغفلة، وحقل الجهل والتمرد، وحالة العصيان والهروب، ووحْل الرق والعبودية.

فمن استقصى على نفسه أمِنَ استقصاء غيره عليه، ومن أُعجبَ بنفسه سُخر منه، ومن تسرع إلى الشهوات، تسرّعت إليه الآفات، ومن جَهِل نفسه، كان بغير نفسه أجهل، ومن عمل بالخيانة فقد ظلم الأمانة. وهذه الحال لكينونة الذات تنعكس مرآوياً في كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب. وهذا الأمر يقتضي من السائل الحيطة والحذر والوعي واليقظة لأنْ لا تتسرب هذه الحالة بصورة كاملة في كينونة السؤال، الأمر الذي يرتدّ سلبياً على الذات وعلى السؤال في متواليات التبادل والتداخل والتفاعل بين السؤال والذات والجواب.

الاستغراق في العجب والاغترار في النفس والانهمام في الحب والإفراط في العشق للذات نفسها، أو الاتكال والاعتماد والتعويل التام عليها من دون رقيب ومرشد العقل البشري والعقل المطلق الكامل عزّ وجلّ، لا يحيد مستحصلاتها ومآلاتها أفضل من وقوع كينونة الذات أو النفس في وحْل مكرها الخادع وشباك خداعها الماكر ودهاليز مراوغاتها المظلمة وأساليبها الملتوية. فمن عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه. فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة، ومن كان مَطِيَّته الليل والنهار،

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الأنعام، الآية 123.

فإنه يُسارُ به وإنْ كان لا يسير. ومآلات ذلك، أنّ انقلب السحر على الساحر، وانطلت الحيلة على المحتال، وعميت عين الرائي وصخمت أُذناه حتى أصبح الإنسان ذلك الكائن غير القابل للضبط والحساب والترقيم والسبر.

إذا كان هناك قواسم مشتركة ومساحات متحاقلة ومتداخلة بين خداع ومكر وحيل الذات الإنسانية مع كينونات الذوات الإنسانية الأخرى، من حيث استعلامها واستفهامها والتخطيط لها وتنفيذها مع الترصد وسبق والإصرار والقصد لها، إلا أن أغلب ما تقوم به الذات في خداع ومكر ذاتها، هو من النوع الخفي المضمر والثاوي اللامرئي واللاشعوري اللاإدراكي، وخطورة هذا الأمر حينما يتسرب إلى السؤال وينعكس ارتدادياً على الجواب والذات.

إن شبيه مكر الذات لنفسها هو ما شابه مكر الله عزّ وجلّ الواصف نفسه تعالى بخير الماكرين، إذ يقول تعالى: ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**ومكروا مكراً ومكرنا مكراً فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنّا دمرناهم وقومهم أجمعين**﴾ [2]، وذلك حين يمهل الله سبحانه وتعالى الناس ويؤجل العقوبة لهم أو يجعلهم في دائرة النسيان والإهمال، بله، من أشد مكر الله وهو خير الماكرين هو عندما يُوكِل الله الإنسان إلى ذاته ونفسه كما يُوكِل الوالدان ابنهما الرضيع أو الطفل الصغير إلى الطفل نفسه من دون رعاية وحفظ وعناية.

حيث لا تُحلّ المعضلات ولا تستضيء الشبهات ولا تأمن التبعات ولا تذلَّل الصعاب إلا بالتوكل الحقيقي على الله سبحانه وتعالى. ويقول الإمام علي عليه السلام بهذا الصدد: «**من توكل على الله سبحانه أضاءت له الشبهات، وكُفِيَ المؤونات، وأمن التبعات، وذلّلت له الصعاب، وتسهلت عليه الأسباب**[3]». فكينونة الذات الإنسانية الحقيقية

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة آل عمران، الآية 54.

(2)- المرجع: القرآن المجيد، سورة النمل، الآيتان 50 – 51.

(3)- الناسخ:6:407.

والأصلانية حينما يغفل الكائن الإنساني عنها وينساها ويشوه سمعتها ويخدش كيانها وكرامتها ويلوث فضاءها ويغذيها من سموم الشهوات البهيمية وفساد الرغبات الدنيئة، فإنها تصمت عن التذكير والتذكر، والتأنيب والتوجيه، والإرشاد والتحذير والتنبيه له.

وهنا تشرع الذات أو النفس الإنسانية بالمكر الذي مآله أولاً وبدءاً انوجاد صورة جميلة مرصوصة بذهب المكر ولآلئ الخداع. يقول تعالى: ﴿... **بل زُيِّن للذين كفروا مكرهم وصُدوا عن السبيل ومن يُضْلل الله فما له من هاد**﴾[1]. وثانياً يشرع الكائن البشري في البحث عن ذات شبيهية لتشاكل وتناظر ذاته الحقيقية، وتصبح بديلة عنها، وتؤسس عليها آماله وحياته الدنْيوية والديْنويِّة، وبذلك خسر الإنسان الدنيا والآخرة، لكونه أسس بنيانه على أرض غير أرضه، فضلاً عن هشاشة قواعد البنيان نفسه وضعف بنْيَته التأسيسية.

إذاً، فالذات بسبب مآلات أفعال وأقول وتخيّلات وتفاعلات وتعالقات الكائن البشري الغافل، والسير في الاتكال على ذاته والتفاخر بها، والاستغراق في ملذاته الشهوانية البهيمية متخذة أساليب خادعة وطرقاً ملتوية وسبلاً ماكرة، ما يجعل النفس أو الذات البشرية الحقيقية أن تمكر بها بصورة مشابهة تليق بماهية كينونتها وكنه حقيقتها، وذلك من خلال انتهاج منهج السكوت والصمت باتجاه الكائن وعدم تنبيهه وتحذيره وتوبيخه وتأنيبه، أي تركه في التيه والضلال وذلك بسبب أفعاله وأقواله وأفكاره وتخيّلاته التي أضل بها بيده. حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وما يُضلُّون إلا أنفسهم وما يشعرون**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**وما يشعرون**﴾ هو هذا المكر الطبيعي، أي صرفهم عن سبيل الحق بعدما بدلوا إحداثيات بوصلة اتجاهاتهم الفكرية والعملية والتيلوجية «**الغائية**» التي مآلاتها هي الضلال والتيه ونسيان الذات الحقيقة والغفلة.

(1)- المرجع: القرآن المجيد، سورة الرعد، الآية 33.
(2)- المرجع: القرآن المجيد، سورة آل عمران، الآية 69.

إذاً، الذات تمكر بنفسها بهذا المفهوم، ولكنها لا تقوم بالخداع والحيل، حيث إن هذه الأفعال هي من مهام ووظيفة الذات الشبيهية التي أوجدها الكائن البشري بديلاً عن الذات الحقيقية، وذلك وفق أساليب واستراتيجيات التجميل والتزيين لمسلكياته وأفعاله المنبثقة عن الذات الشبيهية. وهذه الحالة تنتقل وتتسرب كدبيب النمل إلى بنْيَة كينونة السؤال وبناءاته البنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية، فيمكر ويحتال ويخدع السؤال كينونته ودلالته ووظائفه وغاياته.

## 16.8 المكر الابتدائي لكينونة السؤال على السؤال وسؤال السؤال:

إن مكر الله ومكر كينونة الذات الإنسانية الحقيقية «**الفطرية**» للكائن البشري والتي هي مظهر ونور من مظاهر أنوار أسمائه الحسنى وصفاته العليا، يصح منهما إذا كانا على نحو المجاز، وذلك وفقاً لسنن وقوانين وأحكام الكون وكينوناته الذاتية والطبيعية والملكوتية، حيث تفعل تلك القوانين سننها وفَعْلَتِها بشكل قد لا يشعر الإنسان بمآلات نتائجها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية، وذلك كمن يأتي بالمعاصي والذنوب أو كمن يقوم بفعل القول والعمل والتفكير والتخيّل من دون تحقق شروطها الشارطة ومقدماتها التنضيدية، سواء بجهل أو نسيان أو غفلة أو لا شعور أو تعمد إرادي، فيُؤاخذه الله بالعذاب من حيث لا يشعر، أو يفعل به ما يسوقه إلى العذاب، أو ما ينتج عن طبيعة بنْيه العمل نفسه وهو لا يشعر به، أما المكر الابتدائي من غير تحقق معصية سابقة أو قيام بأعمال التفكير والعمل والتخيّل وفق شروطها الشارطة وقوانينها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والاستطيقية الصحيحة والحقة، هو أمر ممتنع الصدور من الله سبحانه وتعالى ومخالف لعدالته وكرمه وجوده، وكذلك بدءاً وأصلاً ممتنع الصدور من كينونة النفس أو الذات الإنسانية الحقيقية الفطرية، بله المكر الابتدائي هو من سمات وخصائص الذات الشبيهية والشبحية المصطنعة منذ بدْئيّة نشأتها التكوينية ومأسسة تكويناتها البنْيوية والتيلوجية «**الغائية**» والوظيفية لها.

فبنْيَة مكر اللّه والذات الحقيقية للإنسان تتمثل في شعور الكائن البشري بالأمن الواهي والاطمئنان الساهي والاتكال على الذات نفسها نتيجة لمآلات فعل القول والعمل والتفكير والتخيّل الذي تقوم به الذات نفسها وأجهزتها وأعضاؤها الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية.

إذاً، فبدْئيّة المكر الابتدائي وصيرورته الأولية والتنضيدية، هي الاتكال الفقير والناقص والضعيف والجاهل على نفسه متوهماً بأنه غني وكامل وقوي وعالم مطلق أو له قابلية وإمكانية مطلقة، لذا ليس هناك حاجة للتوسل والتعالق والاتكال على اللّه العالم والغني والقوي والكامل المطلق ذاتياً من جهة، ونتيجة للجهل والغفلة والنسيان المعرفي الأبستيمولوجي والأنطولوجي والأكسيولوجي والاستطيقي بالشروط الشارطة للمعرفة الحقيقية والحقة ومقدماتها وأساليبها واستراتيجياتها ومعايرها وغاياتها المعرفية من جهة ثانية، وغياب الحضور الأنطولوجي الوجودي الفعّال لكينونة الذات الحقيقية في صورتها الديمومية الدينامية من دون انحجاب واستتار واسترار لها من قبل الذات الشبيهية المصطنعة من جهة ثالثة، تجعل كينونة الذات وكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب منسوجة من خيوط ذات المكر والخداع والحيل التي تعود مآلاتها بحكم قوانينها الارتدادية والانعكاسية على الذات نفسها وعلى السؤال من دون إدراك وشعور منهما، بعدما تهيمن عليهما حالة الأمن والاطمئنان بالمكر الإلهي ومكر كينونة الإنسان الذي سينعكس انعكاساً ارتدادياً واسترجاعياً تغذوياً مباشراً وغير مباشر على بنْيَة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب وبناءاتها التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية.

ومصدر هذه الحركة الجوهرية للنفس وحوافزها ودوافعها، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، هو الدهشة والاضطراب والتوتر الفطري من المألوف والمعتاد والبديهي كوجود كينونة الكائن البشري وكينونة العالم وكينونة الحق والحقيقة المطلقة تعالى.

الفصل السابع عشر

# جهد وجهاد واجتهاد ومجاهدة كينونة السائل والسؤال

## 17.1 مقدمة :

قبل أن نخوض في مفهوم الجهاد من أجل بناء وتأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة السؤال ومحبة الجهاد في السؤال والجهاد في جهاد السؤال والجهاد لجهاد السؤال والصبر على جهاد السؤال، أي جهاد الجهاد أو ميتا الجهاد أو «**ما بعد الجهاد**»؛ أي الجهاد الناظر والكاشف والفاحص والقائم والمقوِّم لأصل جهاد السؤال، والذي هو الأساس في مأسسة كينونة السؤال وتقعيد قواعده وبنْيَته الجوانية والتحتية، وتشييد بناءاته التركيبية والتراكبية والتكوينية وتدليل حقيقتها الدلالية والاستدلالية، وتبيين معالمها التداولية والتواصلية، وتعيين وتحيين مجالاتها الوظيفية، وترسيم مساراتها الغائية، واستحضار حقيقتها القصدية ونيّتها المتعالية، ونيّة النيّة «**ميتا النيّة**» أو «**ما بعد النيّة**»، في عملية بناء كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، نرى من الأهمية بمكان أنْ نتعرف الى المعنى الحقيقي والحق لمفهوم الجهاد في القرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة وسيرة الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين عليهم السلام ومن اتبع سيرتهم من العلماء والمجاهدين عبر التأريخ.

## 17.2 الجهاد في اللغة :

الجهاد في اللغة هو مصدر جاهد، وهو من الجهد - بفتح الجيم وضمها - أي الطاقة والمشقة، وقيل: الجهد - بفتح الجيم - هو المشقة، وبالضم الطاقة، وهو بذل الوسع في الأمر، أي بذل الجهد والوسع والطاقة، من الجُهْد بمعنى الوُسع، أو من الجَهْد بمعنى المشقة، وكلا المعنيين في الجهاد. وفي الشرع أو في اصطلاح القرآن والسنة، يأتي بمعنى أعم وأشمل، يشمل الدين كله؛ وحينئذ تتسع مساحته فتشمل الحياة كلها بسائر مجالاتها وأبعادها وأكنافها. ولهذا يسمى حينئذ: الجهاد الأكبر. وله معنى خاص

هو القتال لإعلاء كلمة اللّه، وهذا يشغل مساحة أصغر من الأولى ولهذا سُمِّيَ الجهاد الأصغر.

والجهاد مشتق من الجهد، والجهد يتطلب الفِعْليّة، والفِعْليّة تقتضي الحركة، لذا من الشروط اللازم توافرها هي الحركة والسيرورة والصيرورة لأي فعل مطلوب. وهذا التعريف الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي والأكسيولوجي القيمي والأخلاقي والاستطيقي الجمالي يقتضي في الجهاد المشتق من الجهد أن يُؤَسَّس على الركائز التالية: الفِعْليّة في سياقها الفردي والاجتماعي والتاريخي والحضاري والكوني، وعلى العقلانية كجوهر للفِعْليّة ولسيرورة وصيرورة مجرى الفعل في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والواقعي الحقيقي داخل مجرى العالم والكون والوجود، والعنصر الثالث الغائية والقصدية والنيّة الثاوية ضمنياً أو المعلنة صريحاً، أي الإيمان الاعتقادي الذي يعتبر المقوِّم والموجه والمرشد والنور لفعل الفِعْليّة والفاعليّة والمفعولية والتفاعلية العلمانية والعقلانية والعرفانية والوحْيَانية المسددة والمؤيدة.

وهذا التعريف لمفردة الجهاد والجهد والمجاهدة وكافة مشتقاتها ومفرداتها يخرج من دائرة الجهد الآلي والقسري والإجباري والاضطراري والفجائي والطفراوي والعشوائي، لكونه يفتقد إلى عنصر الغائية والقصدية والنيّة من جهة، والعقلانية المشرعنة والعرفانية المعقلنة المشرعنة والوحْيَانية المسددة والمؤيدة، من جهة أخرى، فضلاً عن كونه يفتقد إلى الوعي والشعور بالصفة الذاتية الملازمة للجهد ألا وهي المشقة والكبَد والعقبة بسبب حواجز وعوائق تعيق سيرورة أو حركة الفعل في الواقع الموضوعي البراني أو الواقع الجواني للفاعل الإنساني في عوالمه الدنْيوية والديْنوية الممكنة.

لذا القراءة والتحليل والتنقير والتشريح الجينيولوجي والأركيولوجي والإيكولوجي لمفهوم كينونة الجهاد في القرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة وسيرة الأنبياء

والمرسلين والأئمة الطاهرين عليهم السلام تكشف لنا بوضوح وجلاء، أن المقصود من كلمة الجهاد ومشتقاته ومرادفاته العظيمة تشي بسعتها واستطالتها وامتداداتها وأغوارها الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنيّة، حداً تتسع وتتصل وتتوسل بكل حركة وسيرورة في حياة الإنسان المسلم والمؤمن.

حيث إنّ مفهوم الجهاد بمعناه العام يشمل حياة وسيرورة الفرد والمجتمع وحركة التاريخ كلها بجوانبها المختلفة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والعلمية والتعليمية و...إلخ، والصراع فيه يشمل أعداءً كثيرين، يشمل النفس وشهواتها والهوى ووساوس الشياطين؛ شياطين الجن والإنس، ووساوس هؤلاء الشياطين على نوعين، نوع هدفه زرع الشبهات وآخر هدفه اتباع الشهوات؛ ومكافحة الأول بنشر العلم والعقيدة الصحيحة، ومقاومة الثاني بنشر الفضائل والأخلاق الحميدة وموعظة الناس لتقوية إيمانهم. وكل هذا وذاك من الجهاد الأكبر.

ولذلك فإن تسمية الأول بالجهاد الأكبر صحيح المعنى، تدل عليه نصوص الكتاب والسنة، ففي حصر مفهوم الجهاد في القتال خطأ وتهميش وتحجيم لمبدأ شمولي وكلي قدسي عظيم في فهم الكتاب والسنة، فإن الجهاد فيهما جاء بمعنى القتال، وجاء بمعنى أكبر من ذلك وأشمل: قال تعالى: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾. قال ابن عباس رضي الله عنه: «**وجاهدهم به**» أي القرآن.[1] فالجهاد الكبير هنا ليس هو القتال، وإنما هو الدعوة والبيان بالحجة والبرهان، وأعظم حجة وبيان هو هذا القرآن، إنه حجة الله على خلقه، ومعه تفسيره وبيانه الذى هو السنة. وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾. ولا شك أن المراد بالجهاد هنا

(1) – تفسير ابن كثير (337/3).

مفهومه الشامل المتضمن نوعيه الأكبر والأصغر، فتفسير الآية (الذين جاهدوا فينا) أي جاهدوا في ذات الله أنفسهم وشهواتهم وأهواءهم وجاهدوا العراقيل والعوائق وجاهدوا الشياطين، وجاهدوا العدو من الكفار المحاربين، فالمقصود: الجهاد في معترك الحياة كلها، وفي حلبة الصراع الشامل.

لذا قيل إنّ الجهاد نوعان: جهاد يقصد به صلاح المسلمين، وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية والعملية، وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين، من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين ومقاومتهم.

وفى السنة النبوية بيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنواع الجهاد بمفهومه الشامل فقال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن؛ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**».[1]. وروي عن أبي ذر (رض) قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله.[2] ويزيد ذلك تفصيلاً وتشعيباً لمفهوم الجهاد الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، حيث يشير إلى أنّ الجهاد على اربع شعب: على الأمر بالمعروف ، و النهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين...

فالجهاد تحقيق كون المؤمن مؤمناً، ولهذا روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق، وذلك أن الجهاد فرض على الكفاية، فيخاطب به جميع المؤمنين عموماً، ثم إذا قام به بعضهم

(1) – مسلم (في الإيمان / ص 70) – وقد عدد الإمام ابن القيم 14 مرتبة من مراتب الجهاد– انظر: زاد المعاد
(2)– صحيح البخاري (2518) صحيح مسلم (136 –

سقط عن الباقين. ولا بد لكل مؤمن من أن يعتقد أنه مأمور به، وأن يعتقد وجوبه، وأن يعزم عليه إذا احتيج إليه، وهذا يتضمن تحديث نفسه بفعله، فمن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو نقص من إيمانه الواجب عليه بقدر ذلك، فمات على شعبة نفاق.

والمراد بجهاد القلب هنا هو بغضهم وبغض حالهم، التي هي عقيدة الولاء والبراء؛ بدونها لا يصير الإنسان مؤمناً؛ سمى النبي ﷺ فعل القلب هذا جهادًا، كما سمى فعل اللسان جهادًا، ومن باب أولى أن يسمى فعل اليد جهادًا؛ وهكذا يتضح لنا مدى اتساع دائرة الجهاد، وأنها ليست محصورة في القتال، بل هي مرتبطة بمجالات الحياة كلها.

وبيان مفهوم الجهاد العام وهو تحقيق كون المؤمن مؤمناً، ومن أعظم ذلك العلم، فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺقال: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**».[1] وقال جبل: «**تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة، وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد**».[2]

ويأتي العلم والتعليم والتعلّم والمُدارسة والفهم والتفهيم والإفهام والانفهام في مقدمة فعل جهاد القول والعمل والتخييل ومحادثة النفس، لكون العلم والتعلّم مقدمة ضرورية لأي فعل وقول وعمل وتفكير وتخيّل. لذا أصبح القيام بالعلم وتحصيله ونشره هي وظيفة المرسلين وهو أفضل أنواع الجهاد، ولا شيء يعدل هذه الوظيفة، فضلاً عن حلاوتها التي يجدها القائمون بها. لذا قيل إن طلب العلم ينبغي أنْ يكون أفضل من الجهاد وغيره، لأن الجهاد لا يكون إلا بعلم حدوده وما أحلّ الله منه وحرم، ألا ترى أن المجاهد متصرف بين أمر العالم ونهيه، ففضل عمله كله في ميزان العالم الآمر له بالمعروف والناهي له عن المنكر والهادي له إلى السبيل، فكما أنَّ أجر المسلمين كلهم مذخور للنبي عليه السلام من أجل تعليمه لهم وهدايته إياهم سبيل العلم، فكذلك يجب أنْ يكون أجر العالم فيه أجر من عمل بعلمه.

(1) – رواه الترمذي (5/29).

(2) – رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ص.94

فالتعلم والتعليم والصبر على ذلك من أكبر الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة للخلق من الجهاد، وتنفيذ الحق ونصره، ورد الباطل وقمعه من الجهاد، وتعليم الجاهلين، وتنبيه الغافلين، وإيقاظ المعرضين، ومعارضة المعارضين، ومجادلتهم من الجهاد. هل تتم الأمور بدون الجهاد؟ وهل يستقيم الهدى والاهتداء ويحصل الصعود والارتقاء إلا بالجهاد؟ طوبى لأهل العلم، والدين والجهاد.

إذا كان العلم والتعلم والتعليم والفهم والتفهيم والإفهام والانفهام مقدمة منطقية ومعرفية وقيمية وأخلاقية وجمالية وفنيّة لمحبة الجهاد والجهاد للجهاد والجهاد في الجهاد والصبر على الجهاد، وإذا كان السؤال هو المدخل والمنار لتحصيل العلم وتأسيس العمل وبناء كينونة الفرد والمجتمع وتحقيق الإيمان والعمل الصالح وتحقيق وتثبيت إنّية وانوجادية هوية وشخصية وماهية وكينونة الإنسان، فالجهاد ومحبة الجهاد والجهاد للجهاد والجهاد في الجهاد والصبر على الجهاد وتقديس الجهاد من أجل كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب أولى وأجدر وأفضل جهاد وعمل وعلم وفلسفة وعرفان وتواصل مع الغيب والوحي المسدد والمؤيد.

وتأسيساً على هذه الحقيقة الاستنتاجية لا بد من مأسسة الجهاد في السؤال واعتباره من الأولويات الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنيّة التي تحتاج إلى تأسيس وتأصيل وتأثيل ممنهج وفق منهاجية تشميلية تكاملية تراتبية توحيدية.

### 17.2.1 مراتب جهاد السؤال وسؤال السؤال:

كما إنّ للعلم والتعلم والتعليم والدعوة والمدارسة أو للفهم والتفهيم والإفهام والانفهام سُلّمية راتوبية تعاضدية وتكاملية توافقية، وكما للجهل والتجهيل والجهالة سُلّمية راتوبية سلبية وانحدارية تناقصية، كذلك للسؤال سُلّمية راتوبية تعكس حال كل مرتبة تكاملية أو انحدارية للكائن البشري.

وتأسيساً على ذلك، نقول إنّ هناك أيضاً سُلّمية راتوبية تعاضدية تكاملية توافقية لفعل جهد جهاد السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، وكذلك هناك بالتبعية سُلّمية راتوبية تعاضدية تكاملية توافقية للعناصر الارتكازية لفعل الجهد في الجهاد من حيث الغائية والقصدية والنيّة أو الفِعْليّة الحركية والعقلية المشرّعنة والمعرّفنة والموحّينة.

### 17.2.2 الجهد والجهاد والسؤال الحسي الاعتيادي:

بادئ ذي بدء، علينا أنّ نستحضر مفهوم الجهد وعناصره ومرتكزاته الثلاثة المشار إليها سلفاً، وإنّ أي جهد يفتقد لأي عنصر أو مرتكز من المرتكزات الثلاثة يخرج الفعل عن المضمونية الجهدية، ويدخل في المضمونية الفعلية العشوائية والآلية واللاإرادية والعبثية والشكلية والنمطية التي تميز بين مراتب الجهد والعمل والجهاد.

فالجهاد أو الجهد الاعتيادي المحسوس يرتكز على غاية يبذل الفاعل جهده لبلوغها والانتفاع بها، وهذا يقتضي أنّ يكون الشيء المراد تحقيقه وبلوغه له واقع موضوعي براني في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى العالم الواقعي والكون والوجود الفعلي. وهذه الواقعية الغائية لها جذور مستمدة من ينبوع الغريزة الإنسانية التي هي مجرد منظومة من التصرفات الوراثية غير الواعية التي هي من مشتركات كافة البشر نوعاً والحيوانات وكذلك، وهي مستهدفة إشباع الحاجات بدافع دفع الخوف وجلب المنفعة.

لذا نجد أنّ العلاقة البيْنيّة بين الإرادة والغايات الإنسانية مصدرها في الأصل، أو إنها علاقة انعكاسية مرآوية للعلاقة البيْنيّة بين الإرادة والحاجات، فبلوغ حد الغاية هو بلوغ حد إشباع الكائن البشري لحاجاته؛ وهو حد مشروط بالطبائع الثابتة والعادات والتقاليد والأعراف السارية في المجتمع البشري بوجه خاص.

وتحقيق القصدية التي مفادها توجه الذهن البشري إلى غاية محددة ومخصوصة،

وذلك انطلاقاً من شعور جواني يطفح على سطح الشعور كلما تعلق الذهن بغرض معين ومحدد. وللغاية والقصدية والنيّة عناصر محددة، ووظائف مخصوصة، لها أوّلياتها وإوَالياتها وآلياتها وآلاتها وأدواتها وأساليبها واستراتيجياتها المعرفية والوجودية والقيمية والتخلُّقية والجمالية والفنيّة التي سوف نتطرق لها لاحقاً حين البحث عن غاية وقصد ونيّة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

ولاستكمال الجهد الاعتيادي في تأسيس كينونة السؤال الاعتيادي يتطلب البحث عن الكيفية التي بمقتضاها تمكن الكائن الإنساني من رفع الحواجز وإزالة الموانع والسدود أمام حركة الذهن والقصد والنيّة والفعل الجاري لسيرورة فعل وجهد القول والعمل وفق معادلة المقاومة الجسمية والذهنية والروحية والتخييلية في سياق مقاومة المقاومة التي تعبر عن حقيقة مفهوم «**الجهد**».

وأخيراً وليس آخراً، يأتي دور تكبّد المشقة، حيث لا مقاومة إلا بوجود عائق جواني أو براني مادي أو معنوي يعيق سيرورة وصيرورة الكائن وسؤاله وجوابه، ولا توجد مقاومة إلا بتحمل المشقة. فالكبَد والمشقة دالة في دوالّ ومتغيرات العوائق والحواجز.

يقول عزّ وجل في كتابه المحكم: ﴿**لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَد، وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَد ، وَوَالِد وَمَا وَلَدَ، لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَد، أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا، أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ، أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ، فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا، الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ**﴾ [1].

الكبَد هو الألم والمشقة والشدة، والكبَدة هي القطعة من الأرض الصلبة يقال (أرض كبَداء) لأن الذي خُلق للمشاقّ ينبغي أن يكون متحملاً للشدائد. ولقد شاءت

(1) – المرجع: القرآن المجيد، سورة البلد.

حكمة الحكيم المطلق عزّ وجل أنْ جعل الإنسان بحيث يعاني المتاعب والمشقات من المهد إلى اللحد لترتفع نفسه عن مستوى البهيمية[1]. حيث إن الخلية الأولى لا تستقر في الرحم حتى تبدأ في الكبَد والتعب والنصب لتوفر لنفسها الظروف الملائمة للحياة والغذاء بإذن ربها، وما تزال كذلك حتى تنتهي إلى المخرج.

وما يكاد الجنين يرى النور حتى يكون قد ضغط ودفع حتى يكاد يختنق في مخرجه من الرحم، ومنذ هذه اللحظة يبدأ الجهد الأشق بتنفسه وصراخه الذي يشي بمشقة البداية، وفي كل تجربة جديدة كبَد... في حبوه ومشيه وأكله وغيرها... ثم تفترق الطرق وتتنوع المشاق. وإن في الأرض ذاتها بعض الجزاء على ألوان الكبَد والكدح والعناء، فإن الذي يكدح للأمر الجليل ليس كالذي يكدح للأمر الحقير، والذي يموت في سبيل التكامل الإنساني النفسي وإصلاح المجتمع البشري ليس كالذي يموت في سبيل نزوة وشهوة، فالشباب يذبل ويولّي والقوة تتبدد وتصبح وهناً وضعفاً، وهذا الجسد الذي ملأ الدنيا حياة وحركة سيعصف به الموت يوما ويلقى به في باطن الأرض جثة هامدة متعفنة لا تلبث أن تصير ترابا.

والإنسان وحده من بين المخلوقات هو الذي تستبد به هذه المخاوف، والسؤال المنطقي هو أن الكبَد هو الشدة والمشقة والتعب، فلماذا خلق الله عز وجل الإنسان كذلك؟.... فبالإضافة إلى ما تقدم فالجواب هو أن تحمل الشدائد والمشقات من أسباب تكامل كل موجود، حتى الذهب إذا لم يفتن بالنار ولم يتعرض للصدأ مهما اختلفت الظروف وإلا لما صار الذهب ذهبا خالصا نقيا، فكيف الإنسان وهو أكمل الموجودات

(1) – أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطا، وشد رباطا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن. ويكابد محناً في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مساءلة الملك، وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار.

فلا بد له من تحمل الشدائد والمشقات في جانبي التكامل الجسمي والروحي، وهو لا يستطيع الخلاص من مشاق الحياة مع أن الدنيا دار امتحان وعمل وهي لا تخلو من التعب والعناء، بل لا بد منها وإلا فليست بدار امتحان، وأخسر الخاسرين هو من يعاني كبَد الحياة الدنيا وينتهي إلى الكبَد الأشق والعناء الأكبر في الآخرة.

وعليه، يمكننا القول إنّ فعل وقول وعمل وجهد الجهاد لكينونة السؤال الاعتيادي ينطلق من مصدر غريزي وطبيعي ونفسي قد يصيبه من الآفات والتغيرات والتحولات السلبية أو الإيجابية، فضلاً أنه يوجه مِمّيلته ومنّقلته وبوصلته نحو ظواهر مجريات الأحداث والمشاهد المشهدية والرؤية المرآوية والواقعية الحقيقية من دون تلمس جوهرها وحقيقتها الباطنية الملكوتية وثوابتها المطلقة وقيمها العليا.

ولذا يعتبر الجهد الاعتيادي والجهاد العادي والسؤال العادي هو أدنى رتبة في الجهد والجهاد وأنزل مرتبة لكينونة السؤال والجواب ضمن السُلّمية الراتوبية لها. لذا لا وجود هنا لتموضع أبستيمولوجي معرفي أو أنطولوجي وجودي أو قيمي وتخلُّقي أكسيولوجي أو جمالي وفني استطيقي من جهة، ما يفقده الفاعلية والتفعيلية الإيمانية من جهة أخرى. فغياب هذه الأمور قد يؤدي بمسار أو سيرورة أو صيرورة الكائن البشري وكينونته الإنسانية إلى أدنى مرتبة توازي كينونة الحيوانات بل أضل سبيلاً وأدنى رتبة.

لذا لو قمنا بحفر جينيولوجي وتشريح أيكيولوجي وتنقير أركيولوجي لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب السطحي والهامشي والعامي واليومي المعيشي والحشوي والظاهري والمسرحي والفرجوي والتلقيني، لوجدنا إنها مُأسسة على مقتضيات وشروط ومرتكزات الجهد والجهاد السؤالي الاعتيادي. وللخروج من هذه الدائرة لا بد من تجاوز فعل وحركة الجهد والجهاد السؤالي الاعتيادي.

### 17.2.3 فعل الجهد والجهاد السؤالي الارتقائي:

بِمَكْنة الكائن البشري أنْ يسمو بجهده وجهاده السؤالي العادي والاعتيادي إلى مرتبة أعلى في سُلّميته الراتوبية التصاعدية التكاملية التعاضدية، وذلك من خلال إيلاج قوة حيوية من خلال تفعيل كينونة «**الإيمان**» داخل مجرى فعل الجهد الجهادي السؤالي. إنّ تضمين الإيمان الاعتقادي وتزريقه يقلب معادلة الطاقة النفسية الجسمية المشابهة بالطاقة التي يصرفها الحيوان إلى معادلة جهد أو جهاد طاقته ذات قيم معنوية وروحية متعالية، يكون منبعها ومصدرها كينونة الروح، وإنْ تتجلى في بعض الأحيان في تمظهرات وتجليات جسمية مقرونة بأسباب مادية في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والواقعي الحقيقي داخل مجرى العالم والكون والوجود، إلا أنها ليست دالة تابعة لها، بله، تكون الظواهر الجسمية والمادية دالة تابعة لها وهي متبوعة لكونها دالة مستقلة، والظواهر الجسمية والمادية دالة متغيرة وتابعة لتغيرات الطاقة الروحية الخفية التي تلج في الأجساد الميتة فتحيا، وفي الأجسام فتحركها نحو غاياتها ومقاصدها المختلفة.

لذا يتعلق فعل وجهد الجهاد السؤالي بالقيم التي هي معانٍ ومُثُل متعالية مرتبطة ومتعالقة بعالم المثال الذي جنسه مغاير لجنس عالم المادة والواقع. وانطلاقاً من قاعدة فاقد الشيء لا يعطيه، فإنّ القيم العليا يتلقفها الكائن من العالم العلوي النازل من السماء على قلب وروح الأنبياء والمرسلين، ومن ثم نقلها في سياقات الخبر النبوي والرسالي إلى قلوب وأرواح المؤمنين بشكل خاص والبشر بشكل عام.

حيث إنّ الأصل في القيم المتعالية هو التعريف بالواجب، على خلاف الخبر غير الديني الذي يكون الأصل فيه التعريف بالواقع الموضوعي. فلو بحثنا عن أي قيمة متعالية مهما كانت تمظهراتها وتجلياتها تبدو أنها علمية وموضوعية وواقعية وعقلانية وأنها لا علاقة لها بالدين البتة، لوجدنا أنّ جذورها الخفية أو بالأحرى التي أُخفيت جهلاً

أو سهواً أو تعمداً وتجاهلاً هي من الدين وإنْ ألبسوها مختلف الألبسة من العقلانية والحداثية والعلمانية والوضعية والمنطقية والتاريخانية (العقْلنة والأنسنة والأرخنة) و...إلخ. وحضور مبدأ القيمية قد يكون جزئياً أو كلياً في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والواقعي الحقيقي داخل مجرى العالم والكون والوجود.

فالجهد الارتقائي الجهادي لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب لا يرفع شأن الجهد من قيمته الغريزية والطبيعية اللاواعية إلى قيمة معنوية وروحية متعالية واعية ومدركة حق الوعي والإدراك، إلا من خلال تضمين الإيمان في الجهد والعمل فحسب، بله، إنه يرفع وضعية «**الغاية**» من رتبتها الدلالية المبتنية على معنى عام إلى شأن وقيمية متعالية ترفع رتبتها إلى معنى قيمي خاص، وهو تحقيق أنطولوجي كياني ووجودي وإنّي تثبت سيرورة الطاقة المبذولة والحركة الناتجة عنها في بنْية وبناءات فعل جهد والجهاد القولي والعملي والتخييلي المستثمر في بناء كينونة السؤال.

إضافة إلى ذلك يرفع الجهد الارتقائي التحصيل القصدي الذي أوجده الجهد الاعتيادي إلى شأن ذي قيمة معنوية متعالية تتواصل مع عوالم أخرى ممكنة، وخاصة عالم المثل المتعالي والكمالي والجمالي المطلق، الأمر الذي يحوّل بنْيَة كينونة الغاية إلى بنْيَة كينونية جديدة متعالية أيضاً، وهي كينونة «**النيّة**»، حيث إنّ النيّة هي القصد المنظور إليه من جهته القيمية التي تشكل الطاقة القصدية الحيوية وتشكل أيضاً زوايا مِمْيلتها واتجاهات بوصلتها وأوزان مَكْيلتها ودرجات منْقلتها التقييسية والتوزينية والاتجاهية والإحداثية، فتصبح حقاً كينونة للنيّة التي هي خير وأفضل من العمل ذاته. لذا قلنا إنّ نيّة كينونة السؤال خير من السؤال ذاته وخير من جواب السؤال، وإنّ نيّة سؤال السؤال خير من نيّة السؤال ونيّة سؤال سؤال الجواب خير من نيّة سؤال الجواب.

وتأسيساً على ذلك، نجد أنّ العائق الذي كان يقف حجر عثرة أمام سيرورة الجهد

والجهاد وصيرورة السؤال والجواب الاعتيادي، ينقلب إلى عقبة لا يفيد معها المقاومة ومقاومة المقاومة في إزالتها ودفعها أو جلب منافعها الثاوية فيها داخل المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي، بله، تحتاج إلى جهد أشد وطاقة أكبر ووعي أعمق، لكون السير والجهد هو جهد وسير ارتقائي صعودي إلى قمة الجبل. لذا يرتقي الجهد الارتقائي الجهد والعمل اللازم لبناء السؤال والجواب من حالة «**العائق**» إلى درجات أعلى ومراتب أرقى في السُلّمية الراتوبية، أي رفعها من مرتبة «**العائق**» إلى رتبة «**العقبة**». لقد قلنا أن الكبَد(1) هو الشدة والمشقة، حيث يكابد الكائن البشري في مساره وسيرورته وصيرورته داخل مجرى العالم والكون والوجود بمشاق الدنيا والآخرة، وفي «**كبَد**» تعني أنه مغمور في الشدائد والمشقات منذ قطع سرّته والمشاق تحيط به وهو منغمر فيها إلى أن يقتحم العقبة فإما أن ينجو أو أن يكون في النار.

والعقبة هي طريق في الجبل وعِر أو الجبل الطويل بعرض الطريق (طويل صعب شديد) هذا في العقبة أما الاقتحام فهو الدخول والمجاوزة بشدة ومشقّة (والقحمة هي الشدة والمهلكة). ولو تُؤمل حق التأمل في سياق الآيات القرآنية في السورة السابقة وفق المنهاجية التشميلية التكاملية التراتبية التوحيدية من خلال عدساتها الرؤيوية الاستكشافية والاسترجاعية التغذوية والاستبصارية والاستشرافية وعدساتها المركبة التفكيكية والتجزيئية والتركيبية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية، لاتضح لنا حق الوضوح واليقين عن مدلولات حمولاتها الملكوتية الآياتية الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنيّة، بأبعادها وأكنافها وعوالمها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية أو... إلخ، وسواء لعوالمهما الدنَيَوية أو الديْنوِيّة الممكنة.

(1) – والكبدة هي القطعة من الأرض الصلبة يقال (أرض كبداء) لأن الذي خُلق للمشاقّ ينبغي أن يكون متحملاً للشدائد.

فاختيار العقبة مع اقتحم وبعد النجدين «**النجد وهو الطريق المرتفع يؤدي إلى العقبة من حيث سلوك الطريق**»، حيث إنّ العقبة تقع عادة بعد النِجاد أو في المرتفعات من الأرض، إذاً وضع العقبة بعد النجدين ومع كلمة اقتحم هو وضع طبيعي جداً، وهو من الناحية البلاغية البيانية الفنية ذروة البلاغة من حيث الاختيار. ثم إن الله تعالى فسّر العقبة بما يتبعها من آيات (فك رقبة، إطعام في يوم ذي مسغبة) فكلمة اقتحم هي من أنسب الألفاظ لهذا الوصف لأن الاقتحام يتناسب مع العقبة والشّدة.

ولو قال اجتاز أو عبر مثلاً لما أعطى المعنى المطلوب واختيار كلمة اقتحم هو للدلالة على أن الأمر مخيف وشديد ومُهلك وليس سهلاً يسيراً وليس من العقبات التي تُجتاز بسهولة ويسر، وإنما تحتاج إلى اقتحام وفيها شدة وصعوبة.

فلو لاحظنا (فلا اقتحم العقبة) ومن قبلها «**وهديناه النجدين**»[1] لوجدناها متناسبة ومرتبطة بقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبَد) وقد قلنا إن من معاني الكبَد المشقة والقوة واقتحام العقبة فيه مشقة وتعب ويحتاج إلى قوة وفيها ارتباط بمعنيي الكبَد (المشقة والقوة). وسلوك النجدين يحتاج إلى صبر واقتحام العقبة والرقبة المسترقّة والغارم واليوم ذي المسغبة كله يحتاج إلى صبر طويل، وكذلك اليتيم والمسكين والذين آمنوا يحتاجون إلى الصبر على الطاعات والصبر عن المعصية.

فالسورة كلها مبنية على الصبر والمرحمة لذا ينبغي التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة. ذكر التواصي بالصبر أولاً ثم التواصي بالمرحمة لأنه تعالى قدّم في السورة ما يحتاج إلى الصبر من المكابدة والمشقة واقتحام العقبة والنجدين وكلها يحتاج إلى صبر ثم إلى مرحمة (في إطعام اليتامى والمساكين).

---

(1) – النجد هو التعبير الوحيد المستعمل في القرآن، فقد ورد في القرآن كلمة السبيل والصراط والنجد يعني الطريق المرتفع. وأغلب المفسرين يقولون لا يكون إلا قفراً وصلابة في الأرض في ارتفاع مثل الجبل. وأغلب المفسرين قالوا إنه يعني طريق الخير وطريق الشر. والسبيل هو الطريق السهل الميسّر الواضح الذي يكثر السير فيه، أما سلوك النجد ففيه مشقة وصعوبة لما فيها من مشقة ومناسب للمكابدة. وسلوك النجد يحتاج إلى قوة وفيه شدّة وصعوبة ومناسب للكبد.

إذاً رفع العائق إلى مرتبة «**العقبة**» يجعل مفهوم «**العقبة**» بالصالح الذي يستحق أن يبذل الإنسان جهده وجهاده في تأسيس كينونة السؤال والجواب، وهذا العمل من جنس آخر ليس من جنس النظر المُلْكي الظاهري والعلمي السببي، بله، إنه من النظر الملكوتي القيمي والمعنوي المتعالي الذي يتطلب النظر القلبي والعرفاني المعقْلن والمشرعَن والوحي الغيبي المسدد والمؤيد، أي تزكية النفس بقوة وشدة وجهد جهيد واجتهاد ومجاهدة.

كما يرتقي بفعل «**الإزالة**» من رتبة الدلالة على معنى عام هو «**المقاومة**» إلى رتبة الدلالة على معنى قيمي خاص هو: «**الاقتحام**»(1) أي الدخول في الشيء بقوة، ما يوحي إلى بذل الجهد في جلب كل ما ينفع السؤال في سيرورته التكاملية والارتقائية. لذا قال الله تعالى في محكم كتابه المقدس مخاطباً النبي يحيى عليه السلام: «**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**»(2). أي تعلم الكتاب بقوة (3)أي بجد وحرص واجتهاد ومجاهدة، أي الحرص على الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير والإكباب عليه والاجتهاد فيه. لأن الكتاب فيه أوامر وفيه نَوَاهٍ، يأمر بالخير وينهاك عن الشر، فإنْ أمركَ بالخير وأنت لا تفعله تحتاج إلى قوة دَفْع تدفعك إلى الخير، وكأنك كنتَ ساكناً تحتاج إلى قوة تحركك، وإنْ نهاك عن الشر وأنت تفعله فأنت في حاجة إلى قوة تمنعك وتوقف حركتك في الشر. والمنهج هو هذه القوة التي تُحرِّكك إلى الخير وأنت ساكن، وتُسكنك عن الشر وأنت متحرك.

---

(1) – طه عبد الرحمن: «الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري»، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الثاني 2009، ص 234

(2) – المرجع القرآن المجيد، سورة مريم، الآية 12.

(3) – والقوة: هي الطاقة الفاعلة التي تدير دولاب الحياة حركةً وسكوناً، وخُذْ مثلاً سفينة الفضاء التي تنطلق إلى الفضاء الخارجي، وتظل تدور فيه عدة سنوات وتتساءل: من أين لها بالوقود الذي يُحرّكها طوال هذه المدة؟ والحقيقة أنها لا تحتاج: إلى وقود إلا بمقدار ما يُخرجها من مدار الجاذبية الأرضية، فإذا ما خرجت من نطاق الجاذبية وهي متحركة تظل متحركة ولا تتوقف إلا بقوة توقفها، وكذلك الساكن يظل ساكناً إلى أنْ تأتيَ قوة تحركه. إذاً: القوة إمّا أنْ تُحرِّك الساكن أو تُسْكن المتحرك وتصده، ومن ذلك ما نراه في السكك الحديدية من مصدَّات تُوقِف القطارات؛ لأنك إنْ أردتَ أن توقف القطار تمنعَ عنه الوقود، لكن يظل به قوة دفع تحركه تحتاج إلى قوة معاكسة توقفه، وهذا ما يسمونه قانون العطالة. يعني: إن كان الشيء متحركاً فيحتاج إلى قوة توقفه، وإن كان ساكناً يحتاج إلى قوة تحركه. ومن ذلك قانون القصور الذاتي الذي تعلمناه في المدارس، وتلاحظه إذا تحركتِ بك السيارة تجد أن جسمك يندفع للخلف؛ لأنها تحركتِ للأمام وأنت ساكن، فإنْ توقفتِ السيارة تحرَّك جسمك للأمام لأنها توقفت وأنت متحرك. إذاً: هذه الأشياء التي تتحرك في الكون أو الساكنة نتيجة قوة.

وأخيراً وليس آخراً، يتطلب فعل الجهد والجهاد الارتقائي لكينونة السؤال النظر إلى مفهوم وحقيقة الكبَد الملازمة لفعل الجهد والجهاد السؤالي، أي النظر في معادلة تكبُّد المشقة ودلالاتها ودالّتها القيمية والإرادية من مقاومة المشقة المتغلبة على العائق في الجهد والجهاد السؤالي الاعتيادي الذي قد يكون أمراً ضاراً يقتضي دفعه أو أمراً نافعاً يستلزم جلبه – أي عقبة – كذلك المشقة التي تقارنه، فقد لا تكون كبَداً ثقيلاً يقتضي تحمُّله، إنما تجشم عناء يجب تقبُّله.

أي أن يكون كلفة أو تكليفاً الذي هو نظير العمل الشاق الذي يقبل الكائن الإنساني أن يتحمله بمحض إرادته، انطلاقاً من رؤية كونية خاصة لفعل الجهد والجهاد والعمل والقول والتخييل نابعة من الشعور الواعي والمسؤول تجاه تحمّل وتقبّل عناء السؤال الميثاقي الاستخلافي والسؤال الرسالي المحمدي الخاتم والسؤال المهدوي المنتظر الموعود والسؤال المتبوع الفقهي الولائي.

هذه هي الأمانات الأربع التي تثقل كاهل الكائن البشري تستلزم تقبُّلَها عن محبة وتحمُّلَها عن إرادة واعية مسؤولة عند تأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب. وبتعبير آخر، الجهد والجهاد السؤالي الارتقائي يقلب بنْيَة كينونة المشقة التي قد تتطلب كلفة وقد تُتَحمَّل ولا حرية للإرادة فيها إلى بنْيَة كلفة وتكليف لا تُتَحمَّل إلا مع هذه الحرية.

لذا يستوجب علينا النظر إلى من يطلب المشقة من أجل المشقة، أي لذاتها، معتقداً أن في تحمُّلها مزيداً من الثواب بسبب أداء الواجب الذي يتطلب بدوره مزيداً من الاعتبار والشأن الرفيع والقيمة المتعالية، جاهلاً أو متوهماً أنّ الأمر هو كذلك، ولكن الحقيقة هي أنّ تحمُّل المشقة من هذا الصنف قد يكون نوعاً من التعذيب للذات أو تباهياً وتظاهراً للقوة لاعتبارات خاصة؛ والأول يندرج تحت فعل إهدار الجهد، والثاني اغترار بالجهد، وكلاهما مخالف لمقتضى الكلفة والتكليف؛

إذ الكلفة أو التكليف لا يُطلَب إلا من جهة ما تثوي من مصلحة مضمرة أو ظاهرة، بحيث لا يُهدر فيه جهد ولا يُغترُّ به؛ إذ إنّ معادلة التكليف متوازنة ومتعادلة الأطراف؛ أي يتوازن طرف التكليف بمقدار الوسع والقدرة على ما يطيقه باذل الجهد، حيث «**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**».

إذ إنّ ثيمة الكلفة أو التكليف وبنْيَته البنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية مبتنية على النهوض بالمسؤولية الواعية والمدركة من قبل باذل الجهد، وليس من العدالة والحق أنْ يُطلب من فعل قول وعمل أو جهد وجهاد من أي شخص وهو غير قادر البتة عليه، حيث في هذه الحال تخرج المسؤولية من دائرة ومعادلة وموازنة الحساب والتقدير، لفقدان أصل القدرة التي تولِّد أو تنتج المسؤولية المضارعة أو المضاهية للقدرة؛ أي أنّ التكليف دالة على الإمكان والقدرة على تحمل أو تقبل الكلفة أو المشقة أو العناء الجسمي أو الروحي، والعكس ليس صحيحاً.

وعليه، فإنّ الجهد والجهاد السؤالي الارتقائي يرفع «**المشقة** » و«تحمل المشقة» من رتبة «**الكبَد**» و«تحمل الكبَد» إلى مرتبة «»الكلفة أو التكليف» و«تقبل الكلفة أو التكليف»، فمن خلال التكليف أو الكلفة يقوم الكائن البشري بإرادته المسؤولة ووفق رؤيته الكونية وفلسفته في الحياة بوضع أو بناء وتأسيس وتأصيل السؤال الكبير والكبّار والصغير والصغّار الاستخلافي الميثاقي والخاتمي المحمدي والانتظاري المهدوي والاتّباعي الفقهي، الذي ينظم ممارسته في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى العالم والكون والوجود، في سياق مقاربة ومقارنة بمجرى الحق الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا، بغية تحقيق التشابه والتشاكل والتضارع والتضاهي والتماثل والتجاور والتناظر والتطابق بين هذين المجريين الواقعي الحقيقي والقيمي المتعالي الذي ينبغي أن يكون الواقع مطابقاً له.

## 17.2.4 فعل الجهد والجهاد السؤالي الاكتمالي العرفاني والوحيَاني المسدد والمؤيد العام:

لقد طرحنا مرتبتين لفعل جهد وجهاد سيرورة وصيروة كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، وهما: مرتبة الفعل الجهدي الاجتهادي الاعتيادي، ومرتبة الجهد الارتقائي التي تعلو وتسمو مرتبة أعلى من الأولى من حيث بلوغ الغاية وتحصيل القصد وإزالة العائق وتكبّد المشقة، وهو جهد نفسي طبيعي محفزاته وبواعثه دوافع غريزية تعمل في مجالات الظواهر الواقعية البرانية الموضوعية، بينما مرتبة الجهد والجهاد السؤالي الارتقائي هي جهد مصدره الروح ويتجلى في العمل بالقيم.

لذا تزدوج القيم مع بلوغ الغاية وتمنح الفعل والجهد والغاية قيمة وطاقة روحية متعالية تتجاوز الفعل الاعتيادي الغائي والقصدي، إلى الفعل المعاملي المقرون بالنيّة والمحمولة بقيم متعالية تمزق ثوب الجهد المادي الدنْيوي لكينونة السؤال والجواب الاعتيادي وتُلبسه ثوب الجهد المعنوي والقيمي المتعالي الديْنوي، وترفع شأن تحمل المشقة إلى شأن تقبل التكليف أو الكلفة الذي هو أعلى مرتبة من السمو والقيمة المعنوية المتعالية.

أما تحصيل وتفعيل الجهد الاكتمالي لتأسيس وتأثيل كينونة السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الكبير والكبّار، وكذلك متوالياتها من السؤال الصغير والصغّار المختلفة والمتشعبة والمتنوعة لهذه العوالم الأربعة المتداخلة والمتفاعلة والمتعالقة، ضرورة معرفية ووجودية وعرفانية لمعالجة آفات كينونة جهد وجهاد السؤال الارتقائي، مع علو رتبته وسمو شأنه وقدير قوته وحضوره الأبستيمولوجي المعرفي والأنطولوجي الوجودي والأكسيولوجي القيمي والاستطيقي الجمالي المشهود له، في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي لسيرورة السؤال

وسؤال السؤال وسؤال الجواب داخل مجرى عالم وكون ووجود السؤال والجواب.

فوجوب الجهد والجهاد السؤالي الاكتمالي يتحقق عندما يصاب جهد السؤال الارتقائي بآفة الجمود وذلك عندما يكتفي السائل بحمل قدر معين ومحدد من القيم المتعالية دون الجهاد في حمله القيم الأكثر رتبة وقيمة، كمن يكتفي بحمل مراتب دنيا من قيمة معرفية وعلمية وعرفانية ووحْيَانية في بنْيَة وبناءات ودلالات واستدلالات وتداولات وتواصلات ووظائف وغايات كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، سواء من حيث مراتب اليقين أو الإيمان أو التقوى أو الشرف أو الجمال أو العلم أو الكلية أو الحتمية أو الضرورة أو التوحيدية أو...إلخ.

فعلى سبيل المثال نجد أنّ لليقين مراتب قيمية متعالية تبدأ من: اليقين ثم عين اليقين ثم حق اليقين، وبالنسبة للمعرفة: معرفة حسية وعقلية وعرفانية قلبية ووحْيَانية غيبية مسددة ومؤيدة، والسؤال هو أي من هذه المراتب القيمية المتعالية من اليقينية والعلمية و...إلخ يتم حملها في فعل جهد وجهاد تأسيس وتأثيل كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب، فإذا توقفنا عند حد أو مرتبة معينة يصبح السؤال فريسة آفة الجمود عند مرتبة قيمية معينة فتتوقف أو تتباطأ سيرورة وصيرورة السؤال والجواب وتقف في ارتقائها التكاملي في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى الكون والوجود.

أو قد يصيب كينونة السؤال والجواب آفة الانفصالية التي تعزل وتقطع صلة المفاهيم النظرية الأبستيمولوجية المحمولة في بنْيَة وبناءات ودلالات واستدلالات وتداولات وتواصلات ووظائف وغايات عن ديناميتهما وديمومتهما القيمية العملية الأنطولوجية الوجودية، فيصبح السؤال والجواب منغلقاً على النظر والعقل المُلْكي الدنْيوي والظاهري والعلمي السببي البعيد عن فِعْليّتهما القيمية الوجودية والعملية الملكوتية التي تحقق لنا غاية وقصدية العلم النظري الثاوية في بنْيَتها العميقة والباطنة الميتافيزيقية.

لذا نجد أن السؤال والجواب يقفان عند أدنى مرتبة معرفية بحمولات محسوساتهما أو معقولاتهما دون عرفانياتهما القلبية ووحْيانياتهما المسددة والمؤيدة. وتزاوج هاتين الآفتين ينتج لنا آفة الانحطاط والانحدار داخل كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب. الأمر الذي يؤول إليه السؤال والجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الكبير والكبّار إما إلى مرتبة السؤال والجواب الصغير والصغّار أو إلى مرتبة السؤال والجواب الحسي والعادي والعامي والسطحي والفرجوي والمسرحي والسيركي والتلقيني أو المعيشي اليومي المادي الاقتصادي الذي تحكمه قوانين اقتصاديات تعظيم الربح وإشباع الحاجات الغريزية والطبيعية، بدلاً من أنْ تحكمه السنن والقوانين والأحكام الفطرية والإنسانية والأسمائية الحسنى والصفاتية العليا.

وللقضاء على هذه الآفات والفيروسات الوبائية والمكروبات المرضية الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والتخلُّقية والاستطيقية الجمالية والفنيّة التي تنخر كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب؛ أي تجعل البيت والقصر والحصن والوعاء والظرف «**السؤال**» الذي يستقبل الجواب ويسكنه ويؤويه ويحميه ويصونه ويؤهله، بيتاً صغيراً مبنياً من القش والطين، أو قصراً وحصناً كرتونياً أو ورقياً من دون جنود وخدم يحمي كينونة السؤال، أو ظرفاً صغيراً مصنوعاً من الورق الخفيف والرديء يتمزق بسهولة ويسر، أو وعاءً أو جربة مثقوبة منخولة لا يستقر ولا يدوم السائل «**الجواب**» في كنفها. إذاً لا بد من رفع مستوى ورتبة فعل الجهد والجهاد السؤالي الارتقائي إلى مرتبة الجهد والجهاد السؤالي الاكتمالي أو العرفاني أو الوحيَاني المسدد والمؤيد العام وليس الجزئي والمحدد.

### 17.2.5 المرتكزات التقعيدية لفعل الجهد والجهاد السؤالي الاكتمالي أو العرفاني أو الوحيَاني المسدد والمؤيد العام:

إنّ البنْية البنْيوية والبنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية

والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية لفعل الجهد والجهاد الاكتمالي العرفاني المشرّعن والمعقّلن والوحيَاني المسدد والمؤيد العام والكلي، هي بنْيَة قادرة وضامنة ومؤتمنة، تمكن الكائن الإنساني من بناء وتأسيس وتأصيل وتأثيل بنْيَة وبناءات كينونة السؤال والجواب القادرة على مقاومة كل آفات الفيروسات الوبائية والميكروبات المرضية معرفية ووجودية وقيمية وتخلُّقية وجمالية وفنيّة التي تنخر كينونة السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي ومن ثم كينونة الجواب وبالتبعية كينونة الكائن البشري المكتسبة والمتحققة، في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى العالم والكون والوجود. ومن أهم الأصول البنْيوية والبنائية لكينونة فعل الجهد والجهاد السؤالي الاكتمالي والعرفاني والوحيَاني التأصيلية والتأثيلية هي ما يلي:

- مبدأ القيمية الأقصى والأكمل والأتم، أي « **تكوثرات الأسماء الحسنى والصفات العليا في عين وحدتها، ووحدتها في عين تكوثراتها**».

- مبدأ الحرية المسؤولة الأقصى والأكمل والأتم، أي مبدأ العبودة للأكمل والأجمل والأمثل المطلق تعالى الله عزّ وعلا.

- مبدأ القدسية الأقصى والأكمل والأتم التوحيد الذاتي والصفاتي والفعلي للأكمل والأجمل والأمثل المطلق «**الله سبحانه وتعالى**».

### 17.2.6 أركان وركائز بنْيَة فعل الجهد والجهاد السؤالي الاكتمالي والعرفاني والوحيَاني:

تلك المبادئ العليا والعامة تشكل الجذوع التأسيسية والأصول التأصيلية والقواعد التقعيدية والجذور التأثيلية لبناء كينونة السؤال الاكتمالي الكمالي والجمالي والعرفاني المعقّلن والمشرّعن والوحيَاني الغيبي المسدد والمؤيد، وبالتالي بناء وتأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة الجواب وجواب الجواب، وكينونة الكائن البشري وكينونة كائنيته، ما

يشكل تطابقاً فطرياً وإنسانياً إلهياً في الوجود أو إحدى مراتب التطابق من المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمجاورة والمناظرة بين كينونة الكائن الإنساني الفطري وتكوثرات كينونات الأسماء الحسنى والصفات العليا في عين وحدتها ووحدتها في عين تكوثراتها، وذلك حسب تحققها وانوجادها في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي لسيرورة كينونة السؤال وكينونة الجواب وكينونة الإنسان داخل مجرى الحق الكوني والوجودي. وتأسيساً على هذه المبادئ والأصول والقواعد والجذور التقعيدية والتأسيسية والتأصيلية والتأثيلية، تشيّد أعمدة وتسطح سطوح وتسوّى سقوف وتبنى معالم بنْيَة فعل جهد وجهاد السؤال والجواب الاكتمالي والعرفاني والوحيَاني على الركائز التالية:

### 17.2.7 ركيزة محبة كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب:

المعروف أن أخف الأعمال والجهود مهما كبُرت ضخامتها وثقُلت أعباؤها واتسعت مسؤوليتها، ومهما تضمنت من المشقة والكبَد والكلفة والتكليف، هي تلك المبتنية والمحمولة على المحبة والشوق والرغبة التي لا تخفف وطأة ثقل واتساع واستطالة جهد وجهاد السؤال والجواب الاكتمالي العرفاني والوحيَاني الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي والمسؤوليات والواجبات والحقوق الملازمة لهما فحسب، بله، إنها تحول المشقة والكبَد والكلفة والمسؤولية إلى الاستمتاع والاسترغاب والاستسواق والاستلهاف لها.

فإذا كان الجهد الاعتيادي لبناء كينونة السؤال يتطلب بذل طاقة من أجل بلوغ غايات مادية حسية تشبع حاجات الكائن البشري المعيشية اليومية الغريزية والطبيعية، وإذا كان الجهد والجهاد الارتقائي يقتضي بذل طاقة أكبر من أجل تحميل فعل القول والعمل والجهد والجهاد، لبناء قيمة معنوية متعالية لكينونة السؤال تحاكي مماثلاتها الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا الثاوية بالقوة والإمكان في بنْيَة كينونة الإنسان

وفطرته الإلهية الإنسانية، المحمولة وفق معادلة المحبة والشوق التي تولدٌ وتنتج حالة تقبُّل معنوي إرادي حر لثقل كلفة ومسؤولية الاستخلاف الميثاقي وإتباعاته من الخاتمية والانتظارية والاتّباعية، فإنّ الجهد أو الجهاد المستثمر في بناء كينونة السؤال الاكتمالي والعرفاني والوحيَاني الكبير والكبّار يتجاوز درجات ويعلو رتب القيم التخلُّقية المتعالية الدنيا والوسطى، باحثاً عن تحميل كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال سؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب قيماً متعالية متسامية فوق القيم الوسطى، أي تحميلها أقصى رتبة من درجات القيم الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا التكوثرية بدءاً، والتكوثرية في عين وحدتها ووحدتها في عين تكوثراتها ختاماً.

وهذا الأمر لا يتحول وتتحقق صورته الإمكانية والاحتمالية والتضمينية بالقوة إلى تحققات وانوجادات وإنّيات وتثبتات أنطولوجية وجودية وقيمية تخلُّقية أكسيولوجية وجمالية استطيقية، إلا من خلال عدة ركائز منها طلب المحبة الذي يتجاوز الميل الاعتيادي الغريزي الطبيعي، ويتجاوز كذلك الميل الفطري القيمي الملازم للجهد الارتقائي، ليمأسس طلب المحبة على دالة الميل الفطري القدسي لتكوثرات الأسماء الحسنى والصفات العليا في عين وحدتها ووحدتها في عين تكوثراتها. ولتحقيق دالّة طلب المحبة القدسية يتطلب أقصى إرادة ووعي وجهد مستطاعة.

فحب المتجلي سواء كان شيئاً دنّيوياً بمختلف مراتبه من القدرة والوجاهة والإرادة والقوة والثروة والمقام أو ديّنوياً بمختلف رتبه الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا الجزئية والتكوثرية من العلم والحكمة والمعرفة والحرية والعبودية والعبودة والإحسان والكرم والجود والشرف والعظمة أو الكلية أو التوحيدية في عين تكوثراتها، هو دلالة دالّية واستدلالية وبنّيتها البنائية والبنّيوية التركيبية والتراكبية والتكوينية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية في كينونة المحبة القدسية الإلهية وحدها.

إذاً قبل أنْ نبني بنّيَة وبناءات كينونة السؤال والجواب الاستخلافي والخاتمي

والانتظاري والاتباعي الكبير والكبّار علينا تعيين بنْيَة وبناءات جهد وجهاد السؤال الاكتمالي، وقبل هذا وذاك لا بد من بناء ومآسسة بنْيَة كينونة المحبة المتوسلة لأقصى محبوب يتسم بالكمال والجمال المطلق أو المثل الأعلى، الذي يغذي المحبة طاقة وحركة دينامية وديمومية مستمدة منه.

لذا العمل المبني على محبة الأبناء والجاه والمنصب والثروة والصحة والقوة هو عمل ضعيف متشظّ وقصير الأمد وطاقاته محدودة ومنقطعة، وديدنها التشتت والتشظي والانفراط والاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتناقض والمزايلة، على عكس المحبة المبنية على القيم المتعالية القصوى والأكمل والأتم والأقدس التي لا تنقطع طاقاتها ولا تزول ولا تقف البتة، وذلك بقدر دينامية وديمومة التواصل والترابط والتعالق مع المحبوب الكامل والمطلق من خلال تحقق وانوجاد القيم المتعالية الثاوية بالقوة والإمكان، في صورتها التجميعية والتشميلية والسببية والضرورة والحتمية والتوحيدية، وفق رتبها التعاضدية والتكاملية من حيث المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمجاورة والمناظرة والمطابقة لمجرى الحق في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى الكون والوجود.

وهذا الأمر يتحقق حسب مراتب التطابق، أي التناظر أو التجاور أو التماثل أو التضاهي أو التضارع أو التشاكل أو التشابه لكينونات القيم الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا، في بنْيَة وبناءات فعل وجهد وجهاد كينونة السؤال وانعكاساتها المرآوية في كينونة الجواب، وتحققاتها الانوجادية الأنطولوجية الوجودية في عالم النفس والذات الجواني وعالم الوجود الظاهري البراني وفي جميع العوالم الممكنة.

وركيزة تحقق هذا الأمر، هي اتباع أوامر ونواهي المحبوب المقدس سبحانه وتعالى، والسعي في اجتلاب ما يرضيه واجتناب ما يسخطه في كل حركة وسير ومسار وسيرورة غاية وقصد ونيّة فعل جهد وجهاد السؤال والجواب. وترتقي كينونة محبة

الجهد والجهاد في تأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة السؤال والجواب إلى مرتبة محبة الكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى الذي يسعى السؤال والجواب للتوصل إليه.

وما هذا الكمال والجمال والجلال المطلق والمثل الأعلى إلا الأسماء الإلهية الحسنى والصفات الربوبية العليا؛ أي محبة الذات الإلهية، ولا تكون المحبة محبة حقيقية وجودية إلا إذا كانت لتلك الأسماء والصفات الفعلية والذاتية له تعالى فحسب، وبالتبعية المنطقية والعقلانية والاعتقادية الخبرية والفطرية محبة ما أمرنا الله بهم مثل الأنبياء والرسل والأئمة المعصومين عليهم السلام والصالحين والمؤمنين من الأمة. لو تُحقق ذلك، لوجدنا ترشحات وتجليات المحبة القدسية في كل فعل وحركة وطاقة وغاية وقصد ونيّة متجلية في الجهد والجهاد المبذولين من أجل بناء وتأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة السؤال الكبير والكبّار الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي وتوابعه من الأسئلة الصغيرة والصغّارة.

### 17.2.8 ركيزة الإخلاص لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب:

إنّ فعل الجهد والجهاد الاكتمالي والعرفاني الوحيَاني المسدد والمؤيد للسؤال والجواب الاستخلافي الميثاقي الكبّار ورهانيتهما وزمانيتهما الحاضرة سرمدي والماضية أزلي، كذلك السؤال أو الجواب الخاتمي الخالدي الأبدي والانتظاري والاتباعي المستقبلي الأبدي، يجري سريانه وسيرورته وتحقق صيرورته في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى العالم والكون والوجود، وفق مِمّيلة زوايا محددة ومنّقلة إحداثيات متعينة ومَكّيلة توازنات متعادلة ومسطرة امتدادات محددة وبوصلة اتجاهات متعينة باتجاه كينونة الإخلاص وإخلاص الإخلاص، التي تتجاوز «النيّة» في الجهد الارتقائي المتمأسسة على القيمة الخُلقية المترشحة من الفطرة الإنسانية المخمورة.

لذا يقتضي الأمر هنا تحقق رتبة قيمية متعالية قصوى لحقيقة كينونة النيّة، وذلك بمآسستها وتقعيدها وتأصيلها وتأثيلها على حقيقة وحق سيد وخالق وفاطر الفطرة سبحانه وتعالى، وليس على عبد ومخلوق الفطرة مهما كانت قويمة ومتعالية. وهنا يتطلب محبة جهاد الجهاد والسير في الجهاد في الجهاد والعمل على الجهاد للجهاد وتقبل الصبر على الجهاد، والذي يقتضي جهاداً فوقياً متعالياً واكتمالياً وعرفانياً ووحْيانياً مسدداً ومؤيداً من الفاطر والخالق والبارئ، فتصبح كينونة «النيّة» نقية خالصة لله عز وجل وخالية من كل شوائب ونقائص وتشوهات مادية ومعنوية ودنْيوية وديْنوية.

وهذا الخلوص في نيّة كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب هو الذي يسمو بالسؤال والجواب من تعلقاتهما الدنْيَوية وآثارها الظاهرية المادية الآنية والإنّية، ومن تشتتاتها وتشظياتها واختلافاتها وتضاداتها وتناقضاتها، إلى تموضعات تشميلية وتوحيدية تعاضدية وتكاملية تتجاوز مسألة العوض والمقابل وجلب المصلحة أو دفع الضرر، وتدفع انتساب وإعزاز كافة نتائج الجهد والجهاد إلى الذات والجهد الإنساني، وتجعل حمولات كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب تسمو وتعلو على كل تلك القيم والحقائق التي هي لا شك مطلوبة، ولكنها لا تتموضع في قمة السُلّمية الراتوبية للقيم والمعاني المتعالية والمثلى التي تُقرِّبنا إلى غاية غاياتنا وقصد قصودنا ونيّة نياتنا الناظرة والحاكمة والقائمة والمقوِّمة لها.

أي علينا أن نقوم بالجهاد للجهاد كما إنّ الجهاد يتغيًّا نفسه، إلا في سبيل الله، والجهاد من أجل الجهاد يعني الجهاد في سبيل الله، وهذا يقتضي الإخلاص في الإخلاص؛ أي إخلاص الإخلاص، أي الإخلاص وسائل وآليات وغايات وقصود ونيّات الإخلاص؛ أي ما بعد الإخلاص أو الإخلاص الناظر والشاهد والحاكم والقائم والمقوِّم لكينونة الإخلاص.

ويقتضي ذلك العمل على صبر ومحبة خالصة صادرة عن إرادة واعية وحرة لصاحب وخالق العمل والفطرة، وهذا العمل يتطلب بذل أقصى وأفضل وسع وجهد وجهاد ومجاهدة للنفس حتى يكون توجه كل حمولات السؤال والجواب إلى المتجلي بأوامره ونواهيه، وبذلك يكون السائل قد جاهد جهاده في تزكية النفس من خلال استثمار كافة إمكاناته وطاقاتها أفضل وأقصى استثمار اقتصادي في التخلّي إلى أدنى حد ممكن عن التخلُّقات السيئة ظاهرها وباطنها، وتعظيم أقصى حد ممكن في التحلّي بالتخلُّقات الحسنة.

الأمر الذي ينعكس انعكاسا مرآوياً في بنْيَة وبناءات كينونة السؤال والجواب التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي، ومن ثم مقاربتها ومقارنتها بمجرى الحق الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا داخل مجرى العالم والكون والوجود الممكن. وهنا فقط تتحقق وتُحمّل كينونة السؤال والجواب والذات الإنسانية حمولة تقبل الكلفة والتكليف الإلهي والمصلحة الإنسانية الفطرية الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتباعية الكبّارة والأكبر والكبيرة على التوالي أولاً ثم الصغيرة والأصغر والصغّارة على التوالي ثانياً، وإنّ كافة أعماله الجهدية والجهادية المبذولة ليست موهوبة لها، بله، إنها جميعها منتسبة إلى الخالق والبارئ والوهّاب سبحانه وتعالى.

الأمر الذي يزيل الاغترار والتكبر والتفضل والإعجاب بالجهد والجهاد ونتائجهما، ويحل محلها التواضع والاحتقار والكرامة كقيم ومعانٍ متعالية ومثلى يُحملُّها ويموضعها في بنْيات وبناءات جهد وجهاد السؤال والجواب، ليكون كل من السؤال والجواب وبنْيَتهما وبناءاتهما التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية محمولة بقيم ومعانٍ متعالية ومثالية وخالصة نقية لله تعالى، ما يمكننا من السير الارتقائي والتكاملي نحو التقرب إلى الله عزّ وجلّ.

## 17.2.9 ركيزة العبودية والحرية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب:

السؤال والجواب التكاملي العرفاني والوحيَاني المسدد والمؤيد لا تتشكل بنْيَتهما وبناءاتهما التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية، إلا من خلال إرادة واعية وحرية قصوى، أي من خلال العبادة والعبودية والعبودة التي تفك قيود الإرادة من كل شيء في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى العالم والكون والوجود سوى الله سبحانه وتعالى، حيث رتبة قيم الحرية دالة في رتبة العبودية لله وحده، أي كلما أصبح الكائن البشري نفسه أو سؤاله أو جوابه عبداً مملوكاً لسيده ومالكه الحق والمطلق، أصبح أكثر حراً وتملكاً لإرادته أمام كل الأشياء والأحداث والموضوعات الأخرى.

والجهد والجهاد في الجهاد الاكتمالي العرفاني الوحيَاني لا يتمأسس على بنْيَة وبناءات كينونة الحرية أو العبودية فحسب، بله، على العبودة وديناميية وديمومة التحرر من كل أسباب الاستعباد، جليِّها وخفيِّها حتى تكون كينونة الكائن البشري ووجوده الأنطولوجي وكينونة سؤاله وجوابه في حالة ديمومية وديناميية عبداً لوهاب الحرية والإنسان والوجود وحده، طوعاً لا كرهاً، وهذا يعني أنّ الجهاد يحتاج إلى جهاد من نوع متعالٍ وفوقي يكون ناظراً وقيّماً وكاشفاً وحاكماً ومقوِّماً لأصل الجهاد مصداقاً لقوله تعالى ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده**﴾[(1)]، وقوله عزّ وجل ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين**﴾[(2)].

فليس من يجاهد جهاده كمن يجاهد ما عداه، الأول يكابد وسيلته وآلياته وأدواته واستراتيجياته وأوّلياته وإوَالياته بقدر ما يكابد المتوسَّل إليه، والثاني يكابد المتوسل

(1) – المرجع القرآن المجيد: سورة الحج، الآية 78.
(2) – المرجع القرآن المجيد: سورة العنكبوت، الآية 69.

إليه ولا يكابد وسيلته وآلياته، أي يرفع شأن وقيمة الجهاد إلى حالة القدسية وأقصى درجات الطهارة والخيرية والبركة. لذا يفترض أنّ يمأسس الكائن الإنساني سؤاله وجوابه أيضاً على قاعدة الحرية والعبودية والعبودة الخالصة للّه وحده دون سواه، وأنّ يجاهد جهاد سؤاله وجوابه، أي يكابد وسيلتهما وآلياتهما وأدواتهما وأوّلياتهما وإوَالياتهما وقبلياتهما.

وبهذا يقطع الكائن الإنساني دابر الاستعباد الذي قد يقع فيه كل من السؤال والجواب، فإذا كان الجهد الاعتيادي تستعبده العوائق، وهي تحمل ضرراً أو بلاءً، فيعمل على إزالتها؛ وذو الجهد الارتقائي تستعبده العقبات، وهي تحمِل خيراً وصلاحاً، فيسعى إلى اقتحامها، فضلاً عن إزالته للعوائق التي تضره أو تلك التي تمنحه[1]، فإنّ الجهد والجهاد الاكتمالي يجاهد عوائق الباطل والظلم وكذلك يجاهد عقبات الحق والعدل.

والجهاد هنا مجاهدة كينونة النفس الإنسانية أولاً لتحريرها من كل العلائق الدنْيوية التي تترتب على أفعالها، والشيء الوحيد الذي يتعلق به هو ذات الحرية فقط، أي أن تكون كينونة الكائن وكينونة سؤاله وجوابه متعلقة بحريتها؛ أي ليست حرة من حريتها، وهذه الحرية متعالية ومقدسة وأساس بنْيَة كينونة الإنسان وماهيته وهويته وشخصيته، لذا لا تعتبر استعباداً لكون الكائن الإنساني الحر «**العبد لله**» لا يجاهد من أجل ذاته ومصلحته الخاصة، وإنما من أجل غاية وقيم متعالية ومثلى وهي الإنسانية والفطرية والأسمائية الحسنى والصفاتية العليا، التي تعتبر عبودية وعبودة تشكل بنْيَة وبناءات كينونة الحرية الحقيقية والحقة والكلية والتشميلية والضرورية والحتمية، فالاستعباد هنا هو عين الحرية والحرية هي عين الاستعباد، وهما وجهان لعملة وجودية واحدة لا ينفكان البتة.

لذا لا يطلب الجهد والجهاد الاكتمالي العرفاني والوحيَاني المسدد والمؤيد في

(1) – مرجع سابق، ص 263.

المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى العالم والوجود الحرية المُلْكية المحدودة والظاهرية والشكلانية، حيث إنّ الحر المالك مملوك لِما يملك، وإنما يطلب الحرية الحقيقية والحقة والتشميلية والكلّيانية، أي الحرية الكيانية الأنطولوجية الوجودية غير المحدودة زمكانياً، والتي لا تملُّك معها، وهي وحدها التي بمقدورها أن تُورِّثها هذه الحرية الحقيقية والحقة والتشميلية والكلية، أي كل حرية غيرها؛ فمن تحرر كيانه – كينونته الوجودية – فمن باب أولى أن يتحرَّر مُلكه وعقله وجسده وذهنه وخياله، وأن يتحرَّر فعل قوله وكلامه وحركته وعمله، فمن تحرَّر كله فالتبعية المنطقية والمعرفية والوجودية تؤكد تحرَّر جزئه أيضاً.

لذا يقتضي أنْ يمأسس السؤال والجواب الاكتمالي والعرفاني والوحيَاني المسدد والمؤيد بنْيَتهما وبناءاتهما التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية على كينونة الحرية الحقيقية الحقة والتشميلية الكلّيانية، التي تحررهما من كل تبعية يمكن أن تستعبد كينونتهما الكيانية الوجودية الأنطولوجية، سواء كانت لغاياتهما أو قصودهما أو نيّاتهما أو لثيمات موضوعاتهما وأوّلياتهما وإوَالياتهما وآلياتهما وآلاتهما وأساليبهما وأدواتهما واستراتيجياتهما السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية أو... إلخ، وسواء لعوالمهما الدنْيوية أو الديْنوية الممكنة.

## 17.2.10 ركيزة التحلّي بالصبر لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب:

إنّ تأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة السؤال والجواب الاكتمالي العرفاني والوحيَاني المسدد والمؤيد، يتطلب جهداً وجهاداً اكتمالياً عرفانياً ووحْيانياً غيبياً مسدداً ومؤيداً من نفس السنخ أيضاً، شدة وضعفاً، وتفصيلاً وإجمالاً، وتفريعاً وتجميعاً، وتوسيعاً

وتضيقاً، وتقديماً وتأخيراً، فإذا كان ذو الجهد الاعتيادي يقاوم العوائق، متحملاً مشاقها، فإنّ تحمُّله لهذا المشاق يكون عن اضطرار لا عن اختيار، وعلامة ذلك شكواه منه وتذمره منه وجزعه له، وإذا كان ذو الجهد الارتقائي يقاوم العقبات، محتملاً كُلَفها، فإنّ تحمُّله لهذه الكُلف يكون عن اختيار لا عن اضطرار، وعلامة ذلك شعوره بثقل المسؤولية وصعوبة النهوض بها؛ أما ذو الجهد الاكتمالي المجاهد والعرفاني الوحيَاني، فإنّ كُلف العقبات لا تَثّقل عليه، إذ لا يسارع إلى شيء مسارعته إلى عمل الصالحات؛ فصبر السائل والمجيب المجاهد على مشاق عملية تأسيس وتأصيل وتأثيل كينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب يرفعها إلى رتبة السؤال والجواب الإيماني التقوائي الاستخلافي الميثاقي والخاتمي الخالد والانتظاري الموعود والاتباعي التقوائي.

وهذا النوع من السؤال والجواب يتجاوز بنْيَة وبناءات الصبر المطلوب على تحمل ثقل المشاق الضرورية والكُلف المختارة وحدها، لذا يقتضي حقيقة بنْيَة كينونية لصبر أوسع سعة وأطول استطالة وأعمق غوراً وأشد صلابة وتماسكاً على شدة وسعة وقوة المشاق المؤذية والكُلف المرهقة حتى تعيّر مَكْيلة ميزان الصبر وتعيّن زوايا منقلته وتحدد اتجاه مِمْيلته وتختار إحداثيات بوصلته لتهتدي إلى الصبر والصبر على الصبر؛ أي «**ميتا الصبر**» أو «**ما بعد الصبر**» أو «**الصبر الناظر والكاشف والحاكم والقائم والمقوّم لكينونة الصبر ذاتها، أي وسائل الصبر وأدواته وآلياته وآلاته واستراتيجياته وأوّلياته وإوَالياته وقبلياته الأبستيمولوجية المعرفية والأنطولوجية الوجودية والأكسيولوجية القيمية والتخلُّقية والاستطيقية الجمالية والفنية، التي تمكننا من تأسيس وتأصيل وتأثيل السؤال والجواب الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الكبير والكبّار والصغير والصغّار. وهذا الأمر لا يتحقق إلا من خلال تحميل كينونة الصبر والصبر على الصبر قيماً وأسمائية حسنى وصفاتية عليا تكوثرية في عين وحدتها ووحدتها في عين تكوثراتها متعالية متموضعة في قمة**

**سُلّميتها الراتوبية التعاضدية التكاملية. فالصبر والصبر على الصبر وحمولاتهما القيمية المتعالية في جهد وجهاد السؤال والجواب الاكتمالي العرفاني الوحيَاني وتفعيلهما في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى الحق والكون والوجود، هي التي تسمو وتعلو بكينونة الكائن الإنساني ليتقبل العقبات والصبر على مجاهدة فعل الخيرات من الصالحات الكبّارة، ليتعلق بها إقبالاً وشوقاً وفرحاً، كما يصبر على أفعال الشر والظلم والعدوان، حتى يزداد إدباراً وفراراً عنها، وكذلك الصبر على المسؤوليات والسلطات والمكتسبات والمقدورات، فهو صابر عن الابتلاء بالمكاره وصابر على الابتلاء بالمكارم.**

والمجاهدة على الصبر في كل شيء وفي كل زمان ومكان وفي كل العوالم الممكنة، وهو الجهد الذي يوسِّع سعة ويستطيل أبعاد ويعمق أغوار بنْيَة البناءات التركيبية والتراكيبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، ويُحمِّلها وقيماً ومعانيَ متعالية مثالية تجعل كل حمولات السؤال والجواب الدنْيوية تسمو وتعلو لتصبح حمولات أبستيمولوجية معرفية وأنطولوجية وجودية وأكسيولوجية قيمية وتخلُّقية واستطيقية جمالية وفنيّة ديْنوية متعالية، ترقى بالسؤال والجواب مراقيَ كمالية وجمالية عليا، تدفع سيرورتهما وصيرورتهما نحو درجات التطابق، بدءاً من التشابه والتشاكل ومروراً بالتضارع والتضاهي والتماثل والتجاور وختماً بالتناظر والمطابقة بين بنْيَة وبناءات وحمولات كينونة السؤال والجواب الأسمائية الحسنى والصفاتية العليا الثاوية بالقوة والإمكان والاحتمال في بنْيَة وبناءات الفطرة الكينونية الإنسانية الإلهية، وبين ما هي بالفعل والتحقق والانوجاد والإنّية والتثبت في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي الواقعي داخل مجرى الحق ومجرى العالم والكون والوجود.

### 17.3 السؤال القصدي وغير القصدي؟

إن كينونة السؤال الكائني لكينونة الإنسان الفطري والإلهي الذي يصبو إلى التقارب والتجاور والمجايلة والمحاقلة بالمثل الأعلى والكمال والجمال المطلق، لا بد أن يكون سؤالاً قصدياً، أي في فعاليته هو اتجاه نحو... فعندما نسأل في فنحن إنّما نسأل عن شيء ما، عن وجهة معينة، عن قبلة مذكورة منذ البدء في نص الوجود، إنه من الصعب فصل السؤال عن مقصودة، وتصور سائل من دون أن يكون هو نفسه مسؤولاً عن إيجاد ما يسأل عنه، إذ ليس هناك سؤال كائني خالص، كما إن السؤال لا يكون سؤالاً إنسانياً إلا اذا تضمن قصداً واعياً أو غير واعٍ، وإن البيّنونة والتمايز هي في مراتب ومراقي سُلَّمية قيم حمولات كينونة السؤال الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية وحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيومنطقية و...إلخ، التي تأخذ قيماً موجبة تعاضدية وفاقية تكاملية تتدرج ما بين المشابهة والمطابقة من خلال راتوبية المشاكلة والمضارعة والمماثلة والمجاراة والمناظرة، أو أن تأخذ مراتب ومراقي قيم سلبية تناقضية تتدرج من خلال سُلَّمية راتوبية ما بين الاختلاف والمزايلة، مروراً بالتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض، ما بين تصور الذهني للنّية والقصد والغاية الثاوية في كينونة السؤال والمساءلة وبين حقيقة القصدية والتيلوجية «**الغائية**» والنيّة الكامنة بالقوة والإمكان والاحتمال؛ أي الحق وما يفترض أن تكون القصدية والغاية كما هي كامنة في بنْيَة كينونة الكائن البشري والمتعلقة بالحق والحقيقة والجمال والكمال المطلق.

لا شيء يمنحنا انطباعاً واطمئناناً ذاتياً أو أهمية وفائدة وخيرية لكينونة الجواب، ما لم يتوافر، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، تساؤل ما له قيمة وخيرية أبستيمولوجية وأنطولوجية وأكسيولوجية وسيكولوجية وسسيولوجية من جهة، وقيمة حقيقية غائية

وقصدية متعالية بتعالي متعلقات كينونة الكائن البشري بها، من جهة أخرى. وتأسيساً على ذلك، نشاهد كماً هائلاً من الأشياء وهي ساطعة وملقاة أمام عتباتنا وتجربتنا اليومية المعيشية بقيت برمتها من دون رعاية واهتمام أو مهمشة معزولة عن رؤيتنا وكأنها لم تكن أبدا!

وقمة الخيرية والقصدية والتيلوجية «**الغائية**» لكينونة السؤال وسؤال السؤال أو المساءلة والتساؤل، هي عندما تحمل كينونة السؤال قصدية ونيّة وغاية تتجاوز أي منفعة أو فائدة أو تدفع أي ضرر وخطر وألم، وأن تنحصر غاية كينونة السؤال والتساؤل وقصديتهما ونيّتهما في حمولاتها الذاتية الحقة فقط، مخترقة كل الحواجز والسدود والحجب بما فيها حجب العلم والمعرفة والنور، التي تقف حجر عثرة وتشيّد سداً مانعاً منيعاً لرؤية وتعالق الحق والجمال والكمال المطلق.

هكذا يكون السؤال والتساؤل وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب مبحثا حرا وتفكيرا جوهريا، يبقى ويستمر دوما فوق كل ما هو نفعي وإن كان مقبولاً ومشروعاً وعقلانياً، بيد أنَّ حقيقة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب الكامنة في بنِيتها العميقة ونسقيتها المنتظمة، هي حقيقة لها علاقة صميمية وروابط حميمية وثوقية بالمثل الأعلى والجمال والكمال المطلق. وعليه، فإن كينونة التساؤل والمساءلة وسؤال السؤال هي في حد ذاتها اعتراض على نسيان وغفلة الكائن الإنساني لكينونته الفطرية وقدسيته الإلهية وغايته الوجودية، وهي قرون استشعار لإنقاذ كينونة السؤال وكينونة الكائن البشري من الكينونات الشبيهية والموهومة لهما من التيه والضياع في العالم، وذلك بأن تعمل على مأسسة المعرفة وتأثيلها وبناء الذات الواعية وإنشاء المعنى الذي تتجدد به علاقة الإنسان بذاته وبالآخر وبالعالم، بغية التقرب الحقيقي للذات المطلقة والكاملة.

وينبغي لكل كائن بشري يفكر أن يتخذ لنفسه بؤرة السؤال الكبروي والكبّار مركزاً

ومحوراً ووحدة متماسكة متسقة لتكوثرات أسئلته وتساؤلاته ومساءلاته ومشكلاته وإشكالاته، ويجعل من مركز المركز وبؤرة البؤرة نواة تستغرق فيها الأجزاء والأطراف والهوامش، وتستهلك فيها الظواهر والفردانية والنسبية والمتغير، وتستجمع فيها الغيبيات والنهايات والمطلقات والثوابت والبواطن والكليات. وبتعبير آخر، على الكائن البشري أن يتخذ لذاته سؤالاً ما؛ أي فلسفة ما حتى لو كانت مجرد ترجمة لتجاربه الشخصية في الحياة، ما دام أنها تجري في مجرى العلم والإرادة الواعية المؤطرة والمقيدة والمستأنسة بالكتاب المقدس والعترة الطاهرة. حيث إن كل إنسان هو فيلسوف لكونه لا يستطيع أن يستغني عن الفلسفة... والسؤال والمسألة الوحيدة القائمة بالنسبة إليه هي أن يعرف هل هي واعية أم غير واعية، جيدة أم رديئة، غامضة أم واضحة، مبتذلة أو متعالية، حقيقية أم موهومة شبيهية، حقة أم باطلة، صحيحة أم فاسدة.

لكن كيف ننتقل من الغوص في غمرة الإشكال إلى تحمل مسؤولية الجواب وإدراك ضرورة الاستكشاف والحاجة إلى الاستجواب؟ حيث من مسؤولية الإشكال هي إيجاد حاجة إلى الجواب. فكل فلسفة تكون صحيحة بقدر إجابتها التامة على جملة المشاكل التي طرحتها... والفيلسوف العظيم هو ذلك الكائن المسؤول والواعي عن غاية السؤال وبنِّيَته البنائية التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية من جهة، وتحديد وتحيين وتجديد مشكل السؤال وإيراد الإشكالات من جهة ثانية، وتقديم إجابات منطقية عقلية ميتافيزيقية واضحة وشاملة وكلية بشكل متسق ومتماهٍ ومنتظم، من جهة أخرى.

وثمة ما يدعو إلى التخوف من حدوث ضجة في صف الفلسفة والسبب في ذلك هو توقيف جهد التفلسف على طرح الإشكاليات وإثارة التساؤلات من دون تقديم أجوبة أو ابتكار كشوفات والاكتفاء بجعل همة الفيلسوف وصف أحوال العباد وتأويل العالم والاعتقاد بأن هذا التأويل هو الحقيقي والنهائي. بيد أن اللحظة الراهنة ليست لحظة

الوقوف على أطلال اليقينيات المنهارة ولا هي عصر الأجوبة المفلسة حتى لا تجد الأسئلة الملقاة أمامها سوى الصحراء المقفرة من أكوام رمالها المتحركة والخالية حتى من رياحها الدوامة، إضافة إلى أن زمننا هو زمن رديء يقتل أسئلته ويحجب مشاكله بستار حديدي ويحولها إلى تقنيات لإنتاج السعادة، حيث لا يبقى المجال لأي سؤال ولا تتاح الفرصة لأي جواب، بحيث لم نعد ندري أنحن في حاجة إلى طرح الأسئلة الجادة أم في حاجة إلى ابتكار الأجوبة الحقيقية؟ وهذا هو الواقع الحالي الذي أصبحت العربة تجر الحصان وليس العكس، حيث أصبح السؤال دالة تابعة لكينونة الجواب.

وهذا يعني أنَّ ما علينا إلا أن نقدم إجابات ثم نستنتج من الإجابات الأسئلة. وبتعبير آخر، أنْ نجعل العلاقة البنْيوية والبنائية الدالية بين السؤال والجواب خاضعة لقانون «**ساي**» الاقتصادي الذي مفاده: دعه يعمل دعه يمر»، أو إنَّ العرض يخلق الطلب الخاص به، فما علينا إلا أنْ ننتج السلع والخدمات «**الإجابات**» أولاً ونعرضها في الأسواق، فإنَّ الطلب «**الأسئلة**» سوف توجد بشكل متوازٍ مع العرض «**الإجابات**».

وهذا ما يحاول كل من «**ميتا الاقتصاد**» و«ميتا السياسة» و«ميتا الإعلام» العمل على إنتاج الإجابات وتصديرها، تارة مع أسئلتها وتارة أخرى بدونها، ولكن كل من هذا الثالوث أو الياثوم المثلث تتطابق أضلاعه على عقل الكائن وعلى أسئلته بحيث لا يسأل إلا السؤال الكامن في الجواب المقدم، ذلك بإرادة ووعي أو بدون إرادة ولا وعي، لكون البرمجيات الثاوية في تقنيات الإجابات تجبر الكائن أن يسأل السؤال الذي يريده هذا الثالوث أو الياثوم الثلاثي القابع على صدر الإنسان.

هل نحن بانتظار عصر الجواب بما هو وصفة سحرية تجيب عن السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، أو تداوي سقم عقول ومرض قلوب الأفراد والشعوب وتطبِّب جروحاتها المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، وتجعل كلاً من العالم والفيلسوف والعارف والفقيه والنبي مبشراً بالحياة وطبيب الحضارة

! أم نحن بانتظار عصر السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب الكبير والكبّار الذي ينزل من برجه العاجي إلى مسطح الأرض، بله، إلى باطنها نزول الصاعقة فيجعل من الفيلسوف والعالم والفقيه والعارف نذير شؤم يحمل خبر قدوم الكارثة وولوجنا عصر النهاية واستهلال يوم القيامة؟

إنَّ العالم والفيلسوف والفقيه والعارف والنبي المسدد والمؤيد الباطني على الحقيقة وبإطلاق، هو الذي يتحول من سائل إلى مسؤول فيكون جيد الفهم قوي التصور ثاقب البصيرة محبا للمعرفة مقتحما لجاج المجهول متحملا مسؤولية الجواب، ولن يكون له ذلك إلا إذا حول التفلسف والتعلّم والتعرّفُن والتوحّيُن إلى استكشاف واستبصار واستشراف، فما المقصود بذلك؟

المقصود أنّ المطلوب من العالِم والفيلسوف والفقيه والعارف أنْ يقوم بحفر جينيولوجي وتنقير أركيولوجي وتشريح أيكيولوجي أولاً لكينونته الذاتية الأنفسية وكينونة الكائنات الطبيعية التكوينية الآفاقية وكينونة الآيات والكلمات والألفاظ القرآنية التدوينية، وذلك بين فينة وفينة، للتأكد من درجات التطابق، أي المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمجاورة والمناظرة والمطابقة التعاضدية الوفاقية التكاملية بين الكينونات الثلاث «**الإنسان والطبيعة والقرآن**»، أو التأكد من مراتب التشتت والتبعثر والتشظي والاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة السلبية الانحدارية التناقضية بين الكائن البشري وكينونة الطبيعة وكينونة القرآن المجيد. وقيل أيضاً عن لسان الفيلسوف «**هسرل**»: «**إنَّ من يريد حقا أنْ يصبح فيلسوفا يجب عليه أنْ يعود إلى ذاته مرة واحدة في حياته، وأنْ يحاول في داخل ذاته قلب جميع المعارف المسلَّم بها إلى حد الآن، وبعد ذلك يعيد بناءها من جديد**».

عندما نجعل مقصدنا هو طرح سؤال يؤدي إلى جواب مقبول نكون فيه السائلين

والمسؤولين عما قصدنا إليه، فإنَّ هذه المهمة لكي تتحقق تتطلب التمييز بين المشكل الزائف الشبحي والموهوم والمشكل الحقيقي والأصلي والواقعي والحق، والتقريب بين المشكل العلمي والمشكل الفلسفي والمشكل العرفاني والمشكل الوحيَاني المسدد والمؤيد، بغية إدراك نقاط الاختلاف والتشابه أو التمايز والتشاكل أو التغاير والتضارع أو التضاد والتضاهي أو التقابل والتماثل أو التطابق السلبي والتجاور أو التناقض والتناظر أو المزايلة والمطابقة الوفاقية التكاملية، أي البحث عن التمفصل وأماكن الاحتذاء بينهما.

### 17.4 غايات وميتا غاية كينونة السؤال والمساءلة:

وإن كان مطلب السؤال الكبروي والفطري وتفريعاته المختلفة وتشعيباته المتنوعة مطلبا متأصلا في جينات تكوين كينونة الكائن البشري، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، وإنَّ كينونة الكائن تواقة ومدفوعة فطرياً في البحث عن الحقيقة وحقيقة الحقائق «**ميتا حقيقة**» المطلقة والكمال التام والمثل الأعلى والمطلق والتقارب والتحاقل والتماس والتجاور مع كينونة الكمال والجمال المطلق، وإذا كانت كينونته هي المقصودة بهذا المطلب والقاصدة إليه، فإنه لا بد أن نتساءل: أي مقصد تطلبه كينونة الكائن البشري حتى يعبر به عن أصالة السؤال والمساءلة وأثالة سؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب؟ كيف تبدأ كينونة الكائن في تأثيل السؤال والمساءلة وتحديد زمكانيتهما؟ وما الذي يجعلها قادرة على خوض تجربة تأثيل السؤال الأصيل؟ وما الغاية المثلى من السؤال والمساءلة وسؤال الجواب؟

هل ابتكار وصياغة السؤال والمساءلة من أجل محاكاة الموضة النفسية أو الفرجوية الاحتفالية المسرحية أو التداولية السوقية أو التدريسية أو الاحتفالية الاجتماعية والكونية؟ أم من أجل إثارة الإحراجات والمشاكل وطرح الإشكالات؟ أم لغاية تأسيس رؤية تأويلية كوينة حسية وعقلانية وعرفانية وغيبية تشميلية لكينونة الذات والكينونات

الأخرى الطبيعية والملكوتية المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والجمالية في الكون وفي عوالمها المختلفة، وبالتالي التوصل إلى حقائقها وحقيقة حقائقها «**ميتا حقيقة**» والعمل بها كدحاً وجهاداً؟ وذلك مصداقاً لناموس وسنة الحياة: «**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه**». هذا نداء من خالق الكون والكينونات الوجودية تعالى: يا أيها الإنسان إنك تقطع رحلة حياتك على الأرض كادحا، تحمل عبئك، وتجهد جهدك، وتشق طريقك ـ لتصل في النهاية إلى ربك ـ فإليه المرجع وإليه المآب ـ بعد الكد والكدح والجهاد والمجاهدة «**إنا لله وإنا إليه راجعون**» وإن هذا الكدح يملأ كافة جوانب الحياة، فالإنسان كادح في متاعه ـ ولكن لا يبلغه في هذه الأرض إلا بجهد وكد.

إنَّ لم يكن جهد بدن وكد عمل، فهو جهد تفكير وكد مشاعر ـ الواجد والمحروم سواء ـ إنما يختلف نوع الكدح ولون العناء، وحقيقة الكدح هي المستقرة في حياة الإنسان. ثم في آخر المطاف إلى الله سواء ـ وكينونة الكائن البشري لا تجد الراحة في الأرض أبدا ـ إنما الراحة هناك. لمن يقدم لها بالطاعة والاستسلام، والتعب واحد في الأرض والكدح واحد، وإنَّ اختلف لونه وطعمه، أما العاقبة فمختلفة عندما تصل إلى ربك ـ فواحد إلى عناء دونه عناء الأرض ـ وواحد إلى نعيم يمسح على آلام الأرض كأنه لم يكن كدح ولا كد[1].

(1)- الكدح: السعي والعناء. قال تعالى: (إنك كادح إلى ربك كدحا ( [الانشقاق/ 6] وقد يستعمل استعمال الكدم في الأسنان، قال الخليل (العين 60/3): الكدح دون الكدم.

- اللقاء: مقابلة الشيء ومصادفته معا، وقد يعبر به عن كل واحد منهما، يقال: لقيه يلقاه لقاء ولقيا ولقية، ويقال ذلك في الإدراك بالحس، وبالبصر، وبالبصيرة. قال: (لقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه( [آل عمران/143] وقال: (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) [الكهف/62]. وملاقاة الله عز وجل عبارة عن القيامة، وعن المصير إليه. قال تعالى: (واعلموا أنكم ملاقوه) [البقرة/223] و(قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) [البقرة/249] واللقاء: الملاقاة. قال: (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) [يونس/15]، (إلى ربك كدحا فملاقيه) [الانشقاق/6]، (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) [السجدة/14] أي: نسيتم القيامة والبعث والنشور، وقوله: (يوم التلاق) [غافر/15] أي: يوم القيامة، وتخصيصه بذلك لالتقاء من تقدم ومن تأخر، والتقاء أهل السماء والأرض، وملاقاة كل أحد بعمله الذي قدمه، ويقال: لقي فلان خيرا وشرا. قال الشاعر:- 411 - فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره (الشطر للمرقش الأصغر، وعجزه: ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وهو في اللسان (غوى)؛ والمفضليات ص 247. وهو من قصيدته التي مطلعها: ألا يا اسلمى لا صرم لي اليوم فاطما × ولا أبدا ما دام وصلك دائما) وقال آخر:- 412 - تلقى السماحة منه والندى خلقا (هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى، وصدره: إن تلق يوما على علاته هرما وهو من قصيدة

يبدو أن التساؤل عن المقاصد يؤدي إلى قول أشياء لها معنى عام وشمولي والمعنى ينشأ من الاختلاف وهذا الأخير لا يفيد أننا نفكر في أشياء مختلفة، بله، يدل على أننا نفكر فيها بشكل مختلف حتى نتمكن من التفكير فيها جميعا على نحو شمولي وإيجابي، والإيجابية هي تجاوز السؤال نحو سؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

فكيف نخلق الحاجة للجواب بقدر الحاجة إلى السؤال؟ كيف نتجاوز العوائق ونرفع الصعوبات التي تقف دون ابتكار الجواب؟ هل هناك وضع يكون فيه الإنسان غير محتاج للجواب ومكتفياً بالسؤال؟ وكيف نتغلب على أكبر عائق أمام وضعية الجواب وهو الاكتفاء بالتسآل والتساؤل؟ أن يزعم الكائن البشري أنه يسأل ويسائل ويشكل ويشاكل الوقت كله وأنه على بيّنة من معنى وحمولات السؤال والمساءلة في مستوى مجالاته ومناهجه وغاياته، فذلك عين الجهل، وصنيع الكائن الهائم، ونتيجة الوقوع فريسة مكر وحيل وخداع السؤال والمساءلة، وفريسة حكم مسبق لم يقع نقده أو خلخلته.

إنَّ التعرف الى كينونة بنْيَة السؤال هو جهد لم تتحدد طبيعته بعد وفعل لم يحسم بعد - حتى الفلاسفة - أمرهم بشأنه بدليل أنهم ما زالوا يطرحون سؤال: ماذا عن سؤال السؤال ومساءلة السؤال؟ وما زالوا منقسمين فيما بينهم بشأن الجواب الذي يمكن إعطاؤه لسؤال: ما هي بنْيَة كينونة السؤال التي هي بنْيَة تشكيل كينونة الكائن البشري ذاتها؟ ومن هو الكائن والفيلسوف على الحقيقة والإطلاق؟

---

يمدح بها هرم بن سنان وأباه، ومطلعها: إن الخليط أجد البين فانفرقا × وعلق القلب من أسماء ما علقا وهو في ديوانه ص 41). ويقال: لقيته بكذاك إذا استقبلته به، قال تعالى: (ويلقّون فيها تحية وسلاما) [الفرقان/75]، (ولقّاهم نضرة وسرورا) [الإنسان/11]. وتلقاه كذا، أي: لقيه. قال: (وتتلقاهم الملائكة) [الأنبياء/103]، وقال: (وإنك لتلقّى القرآن) [النمل/6] والإلقاء: طرح الشيء حيث تلقاه، أي: تراه، ثم صار في التعارف اسما لكل طرح. قال: (فكذلك ألقى السامري) [طه/87]، (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين) [الأعراف/115]، وقال تعالى: (قال ألقوا) [الأعراف/116]، (قال: ألقها يا موسى × فألقاها) [طه/19 – 20]، وقال: (فليلقه اليم بالساحل) [طه/39]، (وإذا ألقوا منها) [الفرقان/ 13]، (كلما ألقي فيها فوج) [الملك/8]، (وألقت ما فيها وتخلت) [الانشقاق/4] وهو نحو قوله: (وإذا القبور بعثرت) [الانفطار/4]، ويقال: ألقيت إليك قولا، وسلاما، وكلاما، ومودة. قال تعالى: (تلقون إليهم بالمودة) [الممتحنة/1]، (فألقوا إليهم القول) [النحل/86]، (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) [النحل/87]، وقوله: (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلاً) [المزمل/5] فإشارة إلى ما حمل من النبوة والوحي، وقوله: (أو ألقى السمع وهو شهيد ( [ق/37]، فعبارة عن الإصغاء إليه، وقوله: (فألقي السحرة سجدا) [طه/70] فإنما قال: (ألقي) تنبيهاً على أنه دهمهم وجعلهم في حكم غير المختارين.

اللافت للنظر أن كينونة الكائن الإنساني تجد في ذاتها مصدر تفكيرها وتأملها في السؤال التجرباني والفلسفي والعلمي والعقلاني والعرفاني والغيبي، وأن كينونة السؤال والمساءلة ومشكلاتها وإشكالاتها تنبثق من المصدر الأصلي للأنا، ومن معايشته لتجارب قصوى ووضعيات عبثية وينمو عندما يسخر المرء من نفسه، ويقضي على تراكمات متكلسة من الاعتقادات الباطلة، ويفلت من تحجر عادات التصور والفكر والتفكير والتأمل الناشئة من الاتصال بالتجارب المألوفة، وعندما يحطم أشكال أصنام المسايرة وضروب مجاراة الحدوس الأولية، تجاوز صنمية التقليد الأعمى للتراث أو الآباء أو العقلي الجمعي أو...إلخ.

فكينونة السؤال والمساءلة وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب أساساً تنطلق من القلق والشك والجهل والاضطراب والتوتر، لتصل إلى الاطمئنان والاستقرار واليقين والحقيقة والعلم المدفوع برغبة التكامل الثاوية بالقوة في فطرة الكائن البشري. فصيرورة كينونة السؤال الطبيعي والمستقيم والصحيح والكامل هي الذي تمكننا من تجاوز قيمته وطابعه غير اليقيني، وتمكننا من هدم أسوار وجدران سجن الأحكام المسبقة، وتخلصنا من استبداد العادة وتكلس حمولاتها المعرفية، وتحافظ على بكارة وشفافية شعورنا بالتعجب بأن ترينا الأشياء المألوفة في مظهر جديد، وتثير فينا إمكانيات توسع واستطالة مجال تفكيرنا، وتنمي كينونة الكائن البشري ذاتها، وتجادل مع الكينونات الذاتية والطبيعية والملكوتية الأخرى.

هذه الوضعية الأنطولوجية الوجودية والأبستيمولوجية المعرفية لكينونة الكائن وكينونة السؤال، تمكننا من طرح السؤال والمسألة وسؤال السؤال وسؤال الجواب ومساءلتها ومعاينة مشكلاتها وإيراد إشكالاتها، وإيجاد إجاباتها وردودها، وتوصيف حلولها ومعالجاتها بشكل دقيق من جانب، وطرح برامج وبرمجياتها العملية لمواصلة البحث والاستطلاع والتفتيش، بلوغاً لغاياتها المثلى وأهدافها العليا الكامنة بالقوة في بنْيَة كينونة السؤال ذاتها، من جانب آخر. فمن خلال معرفة كينونة الكائنات الوجودية

المختلفة على حقيقتها، وفق سُلَّمية راتوبية لها مدارج ومراتب ومراقٍ متعددة، يصير بها كينونة الكائن حتى تصل إلى مبتغاها النهائي ومنتهاها المنشود، حسب قابلياتها وتبعاً لزوايا مِمْيلتها وإحداثيات منْقلتها وأوزان مَكْيلتها واتجاهات بوصلتها التي تحدد وتقوِّم مساراتها وسيروراتها وصيروراتها وحركتها الجوهرية، حتى تمنحنا الإجابات الشافية للشكوك المحيطة بها، وتهدي توتراتها واضطراباتها القابضة على كينونة الكائن البشري من كافة الجوانب والاتجاهات، وتذليل الصعوبات المستعصية التي تعترضها في كل خطوة تقدمية تكاملية.

وطبيعة سيرورة وصيرورة الحركة التكاملية لكينونة الكائن البشري ووقودها الوقاد وطاقتها المستديمة وديناميتها الديمومة، كامنة في سؤال ومساءلة السؤال والمشكلات والإشكالات السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيومنطقية و...إلخ. وهذه الحمولات المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية هي مصدر القلق والحيرة والتوتر والانبهار والإحراج الذي يجعل كينونة السؤال تحمل في طياتها قوة تفجيرية معرفية وجودية ، وهي السبب الذي يُقلق ويُحيِّر ويُحرج ويُوَتِّر الكائن ويجعله واعياً ومسؤولاً أمام السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي. وهذه الوضعية هي التي تمكن الكائن البشري الواعي بكينونة السؤال وسؤال السؤال أنّ يعيد النظر في اليقينيات والمسلَّمات والبديهيات والسنن والقوانين والأحكام والحقائق الواقعية لكينوناتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والفكرانية والأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية، التي تبدو أنها حقيقة وحقة متساوقة ومتماهية مع مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا في مجرى العالم والكون والوجود.

الوعي بكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب يتطلب

منهاجيات تشميلية تكاملية تراتبية توحيدية نقدية وتأويلية في إطارها العصموي المتمثل في الثقلين كتاب الله والعترة الطاهرة، اللذين يحميان الكائن البشري من الضلال والانحراف والسقوط في الهاوية والدرك الأسفل. لأن كينونة الكائن البشري لا تشرع في السؤال والمساءلة إلا حين تولج في عملية التأمل والتفكير النقدي المسؤول والهادف في كل ما يفعله في هذا العالم، فيحوّل الحدث بالفكر إلى تجربة استنطاقية وانطاقية منطقية واتصافية صوفية وعرفانية متعقّلنة ومتشرّعنة. حيث يعود إلى الفكرة المباشرة المرتبطة بالتجربة المعيشة، ليكتشف عمق معناها ويستخرج حقيقة حقيقتها المجردة، أي إن السؤال والمساءلة هي جهد وجدية وجدة تبذله كينونة الكائن البشري في سبر أغوار الفكر والتفكر والفكرانية، ونبش وحفر في حفريات جينيالوجيات وأركيولوجيات وأيكيولوجيات المنهاجية المثلى لعقّلنة وتعالي الواقعي عن أغلال وقيود الواقعيات المصنعة، وإبدالها بالواقعيات الحقيقية الحقة المتعالية والخاضعة لسيرورة ديمومية وديناميةكينونة السؤال والمساءلة المستديمة باتجاه مراقٍ ومراتب عليا من درجات سُلّميتها الراتوبية التكاملية.

ومن هنا فإن الفضيلة الأولى لكينونة السؤال الحق هي إخلاصها وتفانيها واستغراقها واستجماعها للحقيقة وصيانة كرامتها وقدسيتها وحريمها، ووفاؤها للوجود المطلق. ولذلك فالكائن البشري لا يملك سوى أن يموضع السؤال موضع المسألة والمحاكاة والنقد والحفر الجينيولوجي والتنقير الأركيولوجي والتشريح الأيكيولوجي، وضعا جديدا يعيد النظر في حمولاتها المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والجمالية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيومنطقية و...إلخ. وأنْ يجعل مجرى ومجال الحفر والتنقيب والبحث مفتوحا على مصراعيه لكينونة السؤال والذات، وفق مقارنة ومقاربة متوازية مع مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى

والصفاتي العليا الفاعلية والناظرة والواصفة والشارحة والكاشفة والقائمة والقيُّومة والمقوِّمة لها في المجرى الحدثي والمشهدي والمرآوي والحقيقي والواقعي القائم في مجرى الكون والعالم والوجود.

والسؤال الأصيل والأثيل الكبروي الكبّار هو ميزان ومقياس ومسطرة سلامة وصحة كينونة حواس وعقل وقلب الإنسان، وهو بمثابة مضادات حيوية مانعة وقاتلة لفيروسات الجهل والعصبية والنفعية المادية البغيضة والأنا وأمراضها النفسية البهيمية من الإقامة والاستيطان الدائم فيها. إنَّ غايتها في علمِها تمسك الحقيقة وإصابة الحق، وفي عمَلِها العمل بهما. وهو الناظر والشاخص والقائم والكاشف والمقوِّم لحمولاتها المعرفية والوجودية المشبوهة والخاطئة واستدلالاتها الساذجة التي تتيه تماما في ترّهات التفاهة والابتذال، فتقوم كينونة السؤال الكبّار بدور المسبار والمصحح والمنبه لكافة الأسئلة المتحاقلة والمتجاورة والمماسة والقريبة لها، دائماً وأبداً ما دامت صيرورة السؤال الكبّار مستديمة وآليات متوالياتها الهندسية التوليدية المنتجة دينامية ومستمرة، وأقفال أبوابه وحصونه مفتوحة ومشرعة للعمل بجدة واجتهاد وجدية في حفر وسبر أغواره وتنقيب أعماقه من خلال سؤال السؤال ومساءلة المساءلة وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب.

السؤال هو الهدف الذي نسعى إلى تحديده حتى نتمكن من الولوج إلى التأمل والتفكير التجرباني والعلمي والفلسفي والعرفاني والفقهي والشرعي والغيبي، وموضوعاته التشعيبية المختلفة وثيمات عناوينه التفصيلية المتعددة، والتمسك بكلتا اليدين بمفتاح قفل أقفال أبواب قلاعه الحصينة، ونقف على أرضيته الصلبة والخصبة، ونسترشد ببوصلته ونتصرف بهديه وحتى يكون جوابنا عن سؤال: ما الفلسفة والعلم والتجربة والعرفان والشريعة والفقه وثيمات موضوعاته؟ جواباً متفلسفاً متعالياً وعلمياً دقيقاً وتجربانياً موضوعياً وعرفانياً متشرِّعناً ومتعقّلناً وشرعياً تعبدياً وغيبياً اعتقادياً. وبهذه الرؤية والمنهاجية ندعو كينونتنا الذاتية للحضور الواعي والمسؤول في المجرى

الأنطولوجي والأبستيمولوجي والأكسيولوجي والاستطيقي المؤدي إلى ممارسة التفكير والتأمل والتعقل والتعرّفن والتشرّعن والانفتاح على الغيب وغيب الغيب، وذلك بالدخول في حوار منولوجي مع الذات وحوار فنومنولوجي مع الغير كالفلاسفة والعلماء والعرفاء والفقهاء، بغية تحقيق التوافق والانسجام والاتساق والتماهي بين ماهيات الفلسفة والعلم والتجربة والعرفان والفقه والشريعة، حيث غاية الأمر من كينونة السؤال والمساءلة ومآلاتهما اللزومية هي الولوج والتموضع في مركز وبؤرة دائرة الفلسفة والعلم والعرفان والفقه والتجربة والشريعة، بغية الإقامة والتوطن الدينامي والديمومي المتعالي. وإن سؤال ومساءلة مؤشرات بوصلة منهاجية صيرورة السؤال تشير باتجاه واضح ومحدد ومستقيم ومقتصد وضامن ومبرهن على أن سير كينونة السؤال والمساءلة أولاً لا يخرج خارج المحيط الداخلي لدائرة الفلسفة والعلم والفقه والعرفان والشريعة، وثانياً أنّ تؤول وتتجه صيرورتها التكاملية باتجاه مركزها وبؤرتها التوحيدية المطلقة والمثل الأعلى، لا أنّ تقيم في أطرافها ولا أن تدور حولها من الخارج.

إنَّ كينونة السؤال والمساءلة نفسها أطروحات ومقاربات ومذاهب وأنساق مختلفة ومتغايرة ومتمايزة ومتضادة ومتقابلة ومتطابقة ومتناقضة، ولكن غايتها الأسمى وصيرورتها المتعالية وبوصلتها الراشدة هي التوصل إلى مرفأ شاطئ الأمان والتطابق والاطمئنان والاستقرار الدينامي والديمومي المتعالي نحو الكمال والجمال المطلق. أي التمسك بخيط كينونة الحقيقة والحق المجردة ثم الحقيقة الواقعية الموصولة بالعمل الصالح وثم الحقيقة المسؤولة في سياق الاستخلاف والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، وحبّ الحكمة النظرية والعملية وتشريع القيمة وإضفاء المعنى، هذا هو الخيط الجامع المستجمع لعقدها، والبؤرة المستهلكة لعناصرها، والمركز المستغرق لأطرافها وجوانبها وحواشيها.

إنَّ تاريخ كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب نفسه يمكن أن يغدو عديم الأهمية وبلا جدوى، ما لم نعزم مرة واحدة على اليقظة عما

في بنْيَته البنْيوية وبناءاته التركيبية والتراكبية والتكوينية والدلالية والاستدلالية والتداولية والتواصلية والوظيفية والغائية الأنطولوجية الوجودية والأبستيمولوجية المعرفية والأكسيولوجية القيمية والأخلاقية والاستطيقية الجمالية والفنّية، بحمولاتها السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيومنطقية و...إلخ، من التباسات وإشكاليات، وتشتتات وتبعثرات وتشظيات، واختلافات وتمايزات، وتغايرات وتضادات، وتقابلات وتطابقات، وتناقضات ومزايلات، بعيدة عن المشابهات والمشاكلات والمضارعات والمضاهيات والمماثلات والمجاورات والمناظرات والمتطابقات التعضيدية والوفاقية والتكاملية بينها، وكذلك بعيدة عن نقطة التمركز والتمحور والتبأور لها.

ما لم نصمم ولو للحظة واحدة على إثارة المشاكل والإشكالات الحقيقية الكبروية السابقة التي تثوي في بنْيَة السؤال وسؤال السؤال، وما لم نحاول باجتهاد ومجاهدة من أجل معالجتها وانتشال المسائل النائمة فيها من سبت سبوتها، وإعادة صيرورة حركتها الدينامية والديمومية على مسرح الكون بجدية وجدة متعالية وواقعية تنطلق من ذات كينونة الكائن الإنساني المستجمعة والمستهلكة والمستغرقة في بنْيَتها العميقة آماد وأبعاد وأعماق وأعراض وحدود وماهيات وجواهر كينونات الوجودات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتشريعية والتجربانية والعقلانية والعرفانية والغيبية لمساءلة سؤالها وإشكالات مشكلاتها بغية حمل صياغاتها الجديدة بحمولاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية المستنتجة والمتعالية والتكاملية مرة ثانية، وهكذا دواليك.

على هذا النحو يصبح التعقل والتأمل والتفلسف في أمر كينونة السؤال ومساءلة ذات السؤال وتعيين وتحيين مشكلاته الكبروية العميقة وإيراد إشكالاته المختلفة، علماً

دقيقاً شمولياً وفناً رفيعاً متعالياً، وصناعة ثقيلة في إنتاجه، وذوقاً رفيعاً في تصاميمه، وميتا علم دقيق في برمجياته، وبناءً شامخاً في معالمه الأركيولوجية، ونسقاً تأسيسياً في نظْميّته المنتظمة، وقاعدة تقعيدية في جيناته الجينيالوجية الصلبة والمتماسكة.

فمعرفة حقيقة كينونة الذات والكينونات الطبيعية والملكوتية في الكون، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، رهينة راهنية إجلاء وانكشاف ما هو الكامن وراء الاسترار والاستتار والانحجاب والانوراء لمعطياته الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية بحمولاتها المختلفة، انطلاقا من أسئلة كبروية كبّارة وصغروية صغّارة مباشرة وغير مباشرة ،وهي تتطلب قبل البحث والسير في إجابات وردود محددة منطقية وعقلانية وعرفانية وحسية مساءلة السؤال ذاته، أي سؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب. ويتم هذا عن طريق تحليل المعاني العامة وإبراز التناقضات والتفكير في المفارقات، حيث إن هاجس السؤال والمساءلة هو إثارة المشاكل والإشكالات، وبناء المسائل والتساؤلات، وابتكار الإجابات والردود، وإبداع الحلول والمعالجات، وخاصة إذا ما كانت المسألة تنتمي إلى نفس الحقل الدلالي للسؤال، وأن البعض من طبيعة السؤال تعدّي الجواب، وهذا السؤال يقبل أن تكون له أجوبة متعددة ومختلفة ومتنوعة.

### 17.5 علاقة غاية كينونة السؤال بالحرية والشكر:

يصبُّ مجرى حمولات ويتبأر ثقل أثقال دوافع وغايات كينونة السؤال وسؤال السؤال الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والاستطيقية «**الجمالية والفنّية**» بحمولاتها المتعددة والمختلفة في مصابّ وبؤر ثلاثة، هي: إما دفعاً للضرر والجهل والأذى والمصائب «**نار جهنم**»، أو جلباً للمنفعة والفائدة والراحة والسعادة «**نعيم الجنة**»، أو حباً وتقديراً وشكراً وشوقاً للحق والحقيقة والجمال والكمال المطلق «**الذات الإلهية**». وهذا عيناً ما ورد في قول إمام المتقين علي ابن أبي طالب عليه السلام الذي قال: «**إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة**

**التجار وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وإن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار**». وقال عليه السلام في مناجاته لله: «**إلهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا رغبةً في ثوابك ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك**».

التحليل المجهري الدقيق لجينيالوجية وأركيولوجية عبادة وسؤال الأحرار، هي عبادة شكر الشكر «**ميتا شكر**» لكونها البنْيَة التحتية والتأسيسية للسعادة الأبدية لكينونة الكائن ، وهي عبادة ناظرة وواصفة وكاشفة وشارحة وقائمة وقيّومة ومقوِّمة للشكر والعبادة، وهي مشمولة وضامنة لدفع الضرر والألم والخوف والجهالة من جهة، ومستهدفة ومستجلبة للنفع والفائدة والخيرية الدنْيوية والديْنونية معاً، من جهة أخرى. فأقصى قيمة وأبستيمية وأنطولوجية وأكسيولوجية واستطيقية لغاية كينونة السؤال وسؤال السؤال تتحقق في سؤال الأحرار؛ سؤال الحب والعشق للمثل الأعلى وللجمال والكمال المطلق سبحانه وتعالى؛ سؤال التوحيد الذاتي والفعلي والصفاتي لله عزّ وجلّ.

فهنا يرسي إمام المتقين علي عليه السلام قاعدة السؤال والطلب والعمل والنيّة والقصدية ليس على أساس بنْيَة لها مردود اقتصادي أو صحي أو اجتماعي أو سياسي أو نفسي للكائن البشري، أو على أساس لباس يقي الكائن من الضرر والخوف والألم، وإنما على حقيقة أنطولوجية وجودية تكوينية لبنْيَة كينونة الكائن البشري المآسسة على مقام حقيقة الاسم الأعظم، وعلى أساس أنها جرم صغير انطوى فيه الجرم الأكبر، وعلى أساس أن كينونة الكائن البشري وحمولات كينونة سؤالاته وتساؤلاته مستغرقة ومستجمعة في بنْيَتها الفطرية العميقة بالقوة والإمكان من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، التي يفترض أن تكون موضع سؤال الكائن البشري وسؤال سؤاله، وموضع استفهام واستعلام واستفسار واستنطاق صيرورتها التكاملية، وإن أعلى مرتبة وقيمة حقيقية لكينونة السؤال تتحقق في حال أنَّ حمولاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية الاستطيقية السوسيوكونية والسوسيوحضارية والسوسيوتاريخية والسوسيواجتماعية والسوسيوسياسية والسوسيواقتصادية والسوسيوسيكولوجية

والسوسيوثقافية والسوسيوعقائدية والسوسيوعرفانية والسوسيوعلمانية والسوسيومنطقية و...إلخ، تتبأور في بؤرة التوحيد ــ وحضور ديمومي وديناصي لمفهوم حضرة التوحيد ــ في بنْيَة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب. هذا هو صك الضمان والأمان الوحيد الذي يمنح الكائن البشري ويمنح كينونة السؤال من أن تتجاوز قيمة وأهمية دفع الضرر والخوف والطمع أو جلب النفع والفائدة، لتتعامل مع قاعدة الشوق والعشق والحب الذاتي، ومولد حقيقة الشكر العقلاني والعرفاني الوجودي، وكذلك تتجاوز مرحلة سؤال الشكر ليتعامل مع حقيقة سؤال شكر الشكر «**ميتا شكر**»، وذلك لما أسدلت الستار والاستتار والاسترار والانحجاب والانوراء عن الكائن والكمال والجمال والعالم والعارف والعابد والمعشوق المطلق؛ أي عن ما هو أهل للسؤال والعبادة والعبودية والعبودة والولاية والطاعة المطلوبة، التي تحقق العلم والمعرفة الحقيقية والحقة، وتضمن الحرية والكرامة والسعادة والخيرية لكينونة الكائن البشري في جميع العوالم الممكنة (إلهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا رغبة في ثوابك، ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك)، لا يعني هذا الكلام أن علياً لا يخاف عقاب الله ولا يرغب في ثوابه وإنما يعني أن الدافع لعبادة الله عند علي عليه السلام بالدرجة الأولى هو معرفته لعظمة الله سبحانه وتعالى.

وعودة إلى البدء، يجب أن لا نتعامل مع سؤال الكمال والجمال والحق والحقيقة المطلقة الله تعالى بعقلية وغائية ومطلوبية درء المخاوف والخطر والخوف أو الطمع في المال والصحة والمقام، وإنما يجب أن تنطلق كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب من حقيقة الحقيقة الكونية التكوينية للكون والكينونات الكائنية التي لو كشف لنا الغطاء، لوجدناها في حالة استغراق وديمومة التسبيح وديناصية الشكر وشكر الشكر على نعمة الشكر. وإن أهمية شكر الشكر «**ميتا شكر**» لكونه ناظراً وكاشفاً وواصفاً وشارحاً ومقوِّماً للشكر ذاته، فإن لم تتعالَ وتتعاظم كينونة شكر الشكر «**ميتا الشكر**» على ذات الشكر فإنها على الأقل توازيها وتعادلها. فالشكر الثاوي في بنْيَة كينونة السؤال

هو من أجل ديمومة فيض النعم الإلهية والآلاء الربانية الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية لها، أما سؤال شكر الشكر «**ميتا شكر**» فهو غني عن شكر الفيوضات والآلاء والنعم والأسماء العليا والصفات الحسنى الثاوية في بنْيَة كينونة سؤال، وفقير ومتوجه إلى ذات الله وإلى الواحد الأحد القهار الأبدي السرمدي، وإلى حقيقة الحقائق وكمال الكمالات ومطلق المطلقات فقط، وهذه هي عبادة الأحرار التي يقصدها إمام المتقين علي عليه السلام في قوله المأثور.

والسؤال الجوهري الهام هو: هل هناك بيْنونة وتمايز بين أن يُمأسس الكائن البشري بنْيَة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وحمولاتها المتعددة والمختلفة على كينونة الشكر وشكر الشكر أم على كينونة الخوف وخوف الخوف أم على أساس جلب النفع والفائدة والخير؟

فجينيالوجية وأركيولوجية كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب المنطلقة أو المآسسة على الخوف والرهبة أو الرغبة وجلب النفع والفائدة، لا تتجاوز منتجاتها الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية وحمولاتها للحق والحقيقة مقدار معادلة دفع الضرر وجلب النفع، أما كينونة السؤال الحر أو العبد لله فهي الكينونة الحاملة لحمولات تتجاوز حدود حقيقة الضرر وحقيقة جلب النفع، وتتعامل مع حقيقة الحقائق التي هي فوق مسألة الضرر والنفع، فهو سؤال مفتوح الأبعاد ومنفتح الآفاق على الغيب والمطلق والكمال، لا يكتفي بمقدار محدد، ولا يتوقف عند حد معين، ولا يقتنع بمستوى خاص، ولا يشاهد أفقاً مسدوداً.

نعم تتجلى تلك البيْنونة والفروق في كينونة السؤال المبني على الرغبة أو الخوف بشكل واضح وجلي، فأين العامل الذي يعمل طمعاً في مقدار الراتب الذي يعطيه إياه رب العمل، أو خوفاً من الحسومات إذا قصر وقلل من العمل؟ وأين المصلي الذي يصلي مقدار ما فرض الله من الصلوات الخمس اليومية طمعا في الثواب وتجنبا من عقوبة

تارك الصلاة فقط؟ وأين الكائن البشري الذي يصلي لأنه يرى الله أهلا للعبادة ويتعبد حتى يشكر الله على ما أسدى إليه من النعم وأفاض عليه من الخير، ويشكر هذا الشكر الذي هو فيض ونعمة تتجاوز ذات الشكر، فهو الكائن العاشق الذي يخدم معشوقه تقرّباً إليه وحباً له. هذا اللون من العبادة هو عبادة وعبودية وعبودة يطرحها سؤال الأحرار والعبيد لله فقط لا سؤال الطامعين لنعمه والخائفين لعقابه تعالى. وبذلك من يريد أنْ يشكر نعم الله تعالى عليه لا يكون بمقدار أداء ما يسقط منه الواجب فقط، وإنما بمقدار ما يتمكن ويستطيع. فأداء الصلاة الواجبة مع كافة مستحباتها هي لمن يعبدون الله لأنه أهل للعبادة وشكرا له على آلائه وفضله ونعمه، ولذلك لا يكتفون بهذا الحد وإنما يطالبون أنفسهم بأقصى ما يستطيعون ويتمكنون. وهكذا كانت عبادة إمام المتقين والأحرار والعبد لله سبحانه وتعالى علي ابن أبي طالب عليه السلام. لذلك قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة «**أما العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على وِرْدِهِ أن يُبسط له نطعٌ بين الصفين ليلة الهرير فيُصلي عليه وِرْدَه والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته، وما ظنك برجل كانت جبهته كسفنة البعير لطول سجوده**» المسألة ليست مسألة أداء واجب وإنما مسألة الشكر لله والعبادة له لأنه أهل للعبادة والعبودية والعبودة.

أما الدعاء فقد نقل أبو الدرداء قال: (شهدت علي ابن أبي طالب بشويحات النجار وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيرات النخل فافتقدته وبَعُدَ عليَّ مكانه فقلتُ لحق بمنزله فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول إلهي كم من موبقة حلمت عني فقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري... مع كل هذه العبادة انظروا كيف يناجي ربه: إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك ولا أنا براج

غير رضوانك... فشغلني الصوت ـ يقول أبو الدرداء ـ واقتفيت الأثر فإذا هو علي ابن أبي طالب بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة فركع ركعات في جوف الليل الغابر ثم فزع إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى فكان مما ناجى بها للّه أن قال: إلهي أفكر في عقوبتك، إلهي أفكر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليَّ بليتي، ثم قال: آه آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملا إذا أذن فيه بالنداء. ثم قال آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى... وصار يناجي ربه حتى وقع مغشيا عليه. وكم ذكر التاريخ من موارد لمناجاة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب تتجلى فيها خشيته وتعظيمه للّه سبحانه وتعالى.

## الخلاصة:

**«مشكلة وإشكالية الكائن البشري ليست في حمولات الجواب المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية فحسب، بله، في حمولات كينونة السؤال المعرفية والوجودية والأخلاقية والجمالية».**

**«الجواب جوهرة كنهها السؤال، فما فقد من في الجواب وجد في السؤال، وما خفي عن السؤال أصيب في الجواب».**

**«ورب جواب حقيقته المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية في كنه حقيقة السؤال».**

**«من عرف سؤاله حق المعرفة عرف جوابه حق اليقين».**

**«الجواب دالّة تابعة لدالّة السؤال المستقل».**

**«السؤال حصان والجواب عربة، والراكب هو العقل المشرْعن والمعرْفن والموحْين**

المسدد والمؤيد، فالحصان يجر العربة بواسطة حبل هذا العقل وقيادته».

«من صدق سؤاله حق الصدق صدّق جوابه حق الاعتراف والالتزام والعمل به».

«من كَبُرَ سؤاله عظم جوابه ورفع شأن ذاته واتسع أفق عمله».

«الاقتصاد في السؤال دليل على كفاءة السائل ورشده المعرفي والوجودي والأخلاقي والجمالي».

«السؤال إظهار واستعراض وإسدال ما في القلب من الصفاء والكدر، وما في العقل من العلم والجهل».

«السؤال عنوان ومقدمة للهوية والماهية والشخصية الإنسانية، فزِنْ سؤالك واعرضه على عقلك وقلبك وخزانة معرفتك ومرجعياته».

«السؤال نصف الجواب» و«حسن السؤال نصف العلم».

«سؤال الجواب دليل على معرفة السؤال وفهم الجواب».

«سؤال السؤال دليل على وعي السائل بكينونة السؤال وأهميته وخطورته ومآلات الجواب».

«سؤال سؤال الجواب دليل على تفقه وتفلسف وتعلُّم وتعرْفن وتشرْعن السائل».

«معرفة مِمْيلة ومنْقلة ومَكْيلة ومسطرة وبوصلة السؤال دليل على هدف وغاية وقصدية ونيّة البحث عن كينونة الجواب».

«معرفة مِمْيلة المِمْيلة ومنْقلة المنْقلة ومّكْيلة المَكْيلة ومسْطرة المسْطرة وبوْصلة البوْصلة لكينونة السؤال دليل على البحث عن الجواب وفق قيم الصراط المستقيم والطريق القويم».

«السؤال الصامت والصوْمَتة «الصوت - السكوت» شعار المحققين بحقائق ما

**سبق وما خزن في الذات، وهو مفتاح كل جواب، وفيه حفظ وصون لكرامة وحرمة وقدسية كينونة السؤال وكينونة الذات».**

السؤال إظهار وإسدال ما في القلب من الصفاء والكدر، وما في العقل من العلم والجهل، وعنوان للهوية والماهية والشخصية الإنسانية، فزِن سؤالك واعرضه على عقلك وقلبك وخزانة معرفتك ومرجعياته، فإنْ كان في مجرى سيرورة الكمال والجمال الوجودي والمعرفي والقيمي والأخلاقي داخل المجرى الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي فجاهد في إعلانه وإظهاره ، بله، وجاهد في مجاهدتك وفق بنْيَتها العميقة وأنساقها المتسقة وتأسيساتها المتمأسسة على محبة الجهاد والجهاد في الجهاد والجهاد للجهاد والصبر على الجهاد في بناء وتكوين كينونة السؤال، وإلا فالسكوت أولى وأجدى وأنفع من قلقلة اللسان والنطق بالسؤال.

إن رصد ومعاينة قواعد وأسس مفهوم النمْذجة الاحتفالية لفقه فلسفة وعلْمنة وعرْفنة ووحْيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب المعرفي الوجودي والقيمي الأخلاقي والجمالي الفنّي ومساءلة مشكلاتها وإشكالاتها، تؤكد أنَّ لها ركائز وقواعد وأصولاً ومبادئ وبنْيات وبناءات تركيبية وتراكيبة وتكوينية، ولها دلالات واستدلالات معرفية ووجودية، ولها تداولات وتواصلات وتبليغات معرفية واجتماعية، ولها وظائف وغايات تكاملية تعاضدية وفاقية، وتعمل في مجرى وجودي ومعرفي حدثي ومشهدي ومرآوي تقارب الواقع الموضوعي وتحتكم إلى مجرى الحق الإلهي الأسمائي الحسنى والصفاتي العليا الفاعلية، وتعمل في مناهضة **«التفرج»** و«الفرجة» وإقرار مبدأ المشاركة الجماعية من كل أطياف الحضور المسرحي الاحتفالي لكينونة السؤال.

وتقوم بتجاوز زمكانيتها المتاخمة للحياة المادية وحتى المعنوية الدنْيوية، لتتموضع في كافة عوالمها الممكنة والمحتملة.

حيث إنَّ زمكانية حقيقة الكائن والسؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب واحدة موحدة متشككة متراتبة في سياق وحدتها الوجودية والمعرفية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية.

وإنَّ نسق علاقاته ونظام نظْميته وبنْيَة بنْيَته مبنية على التلاقح والتواصل والانفتاح والتعالق والتصالح والتصاهر والتزاوج والتحاقل والتجاور بين التجربة الحسية الواقعية والتجربة العقلية الفلسفية والتجربة العرفانية القلبية والتجربة الفقهية والشرعية الغيبية؛ أي بين البيان والبرهان والعرفان والغيب؛ أي بين الحس والعقل والقلب والوحي.

إنَّ البنْيَة المعرفية والوجودية لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب، مآسسة وفق النموذج التشميلي التراتبي التكاملي التوحيدي على الإيمان بالوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، وتؤمن بالوحدة المعرفية والوجودية المتشككة التي لها راتوبية تعاضدية تكاملية تبدأ بالمشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة مروراً بالمماثلة والمحاذاة ومنتهياً بالمناظرة والمطابقة، وسُلّمية راتوبية تناقضية سلبية تبدأ بالاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد مروراً بالتقابل والتطابق ومنتهياً بالتناقض والمزايلة، بين مكنونات وحمولات الفطرة المخمورة النورانية، والفطرة المحجوبة الشبيهية والشبحية والظلمانية.

يكشف لنا نموذج كينونة السؤال واقعية متميزة يكون فعلاً صورة انعكاسية مرآوية للنموذج المعرفي الوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي النظري المثالي – الواقعي. إن عدسة النموذج تلتقط صورتين، إحداهما للواقع الموضوعي المعيشي كما هو، وصورة أخرى تلتقطها من نموذج الحقيقة والحق في ذهن الكائن البشري المستقى والمستنتج من الفطرة البشرية وكينونة الذات، وهو نموذج بالأساس معطى قبْلي بالقوة والإمكان والاحتمال، ينتظر من يستفهمه ويسأله ويستنطقه لكي يكشف

حقيقته ومعالمه. صورة الواقعية الملتقطة هنا تتمايز وتتباين عن صورة الحقيقة والحق، وذلك لحقيقة كبروية أنطولوجية تقول بأن الواقع لا يمكن بالضرورة أن يكون حقيقة أنطولوجياً «**وجودياً**»، إذ إن مكوناته وعناصره وصوره المركبة قد تكون موهومة مزيفة مصطنعة، بله، مخالفة ومتضادة ومتناقضة مقارنة ومقاربة مع الحقيقة والحق في النموذج المعرفي الوجودي والقيمي والجمالي الإنساني الكوني الإلهي، الذي يوافقه منطق العقل والقلب والوحي والعلم والتجربة الإنسانية العقلانية في الواقع. إذ الظلم والعدوان والخداع والحيل والمكر والخبث والاستغلال والقتل والاستكبار والعبودية للسلطة والثروة والمقام، هي كلها واقع موضوعي مادي نلمس وجودها، ولكن هذه القضايا والأشياء لا تمثل الحقيقة في شيء التي يفترض أنْ يكون الشيء عليه «**الحق**» كما هو مرسوم ومنقوش ومعطى في النموذج الفطري الإنساني الكوني.

إن رصد وتصوير الواقع ومتغيراته ومعالمه الظاهرية السطحية الهامشية المحيطة به هو من مسؤولية ووظيفة العدسات الرؤيوية الحسية الاستكشافية التي لا تتجاوز إضاءتها حدود السطوح أو في أحسن الأحوال عمق السطوح فقط، بينما العدسات الرؤيوية العقلية والقلبية والغيبية التحليلية والتفسيرية والتأويلية والاستشرافية البنائية التركيبية والدلالية الاستدلالية والتداولية التواصلية، هي التي تخترق إضاءاتها وتلج في عمق أعماق وأغوار بنّيات الواقع من خلال حفر جينيالوجيته وتنقير أركيولوجيته وتشريح أيكيولوجيته، لتكشف لنا كنه حقيقة جوهر الواقع الحقيقي الذي يفترض أن يسود ويحكم وينظم ويوجه سير صيرورة الكائن البشري التكاملي نحو أهدافه وغاياته المنشودة والمتساوقة والمتماهية مع حقيقة تسبيح الكائنات الكينونية في الكون.

إذ إن الكينونات الطبيعية «**الجماد والنبات والحيوان**» جميعاً في مجرى الحقيقة والحق «**التسبيح والشكر**» بالقوة والفعل والواقع، ما عدا كينونة الكائن البشري الذي يمتلك هذا النموذج التسبيحي بالقوة والإمكان، أما التحقق والانوجاد والإنّية فهي من مسؤولية الإرادة الواعية للكائن البشري وحده. إذاً الصورة الكونية بكل تمفصلاتها

وتموضعاتها متساوقة منسجمة متماهية متكاملة تامة، إلا التمفصلات والتموضعات التي يفترض أن يمليها ويكملها ويُتمّها الكائن البشري، فالكون بانتظار الكائن البشري أن يتساوق ويتماهى معه شكراً وتسبيحاً وعبودية للجمال والكمال المطلق والمثل الأعلى سبحانه وتعالى. وهذا الأمر لا يتحقق إلا باستنطاق الكون من خلال السؤال الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي الكبّار الذي يصبح الإطار المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي لكافة الأسئلة الكبيرة الصغيرة والصغّارة للكائن البشري في الوجود.

الواقعية التي ينشدها المسرح أو النموذج أو فقه فلسفة وعلْمنة وعرْفنة ووحْيَنة الاحتفالية لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال لجواب ومساءلة مشكلاتها وإشكالاتها المعرفية الوجودية والقيمية والجمالية، تقوم على أساس رصد وتحليل وتقييم وتقويم وتصحيح اعوجاجات وانحرافات أو تشوهات واختلالات الواقع الكينوني للكائن البشري، ورد هذه الواقعية إلى حقيقتها الفطرية والتكوينية الأولى التي هي معطى قبْلي ومعجونة ومغروزة بالقوة والإمكان والاحتمال القابلة والممكنة للتحقق والتثبت والانوجاد والإنّية، بفعل الحركة الجوهرية للنفس الواعية والحرة، وبمعية مرجعاتها الجوانية «**الفطرة الأصلية المخمورة النورانية**» المؤسسة على حب الجمال والكمال المطلق وتعشق الخير والسعادة المطلقة، والفطرة الفرعية المتمثلة في التنفر من النقص والأذى والشر والشقاء[1]، والمرجعية والبرانية «**الثقلين - كتاب الله والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام**» أو المرجعية الاتّباعية الولائية الفقهية التقوائية العامة في مجرى الوجود الانتظاري.

هذه الحقيقة التي طمستها «**الفطرة المحجوبة الظلمانية**» أو العقول التجزيئية التي خضعت وتلونت بألوان الأحكام الطبيعة المادية وصارت محجوبة عن الروحانية

(1)- الإمام الخميني قدس سره كتاب شرح جنود العقل والجهل، ص 77.

وعالمها الأصلي، وأصبحت منشأ جميع الشرور ومبعثاً لضروب الشقاء وألوان البلاء[1].

فكينونة السؤال وسؤال السؤال إذا كانت تعكس هذه الواقعية التي أوجدتها «**الفطرة المحجوبة الظلمانية**» فإنها تفتقد إلى الدهشة والحيرة والإثارة والإحراج التي تدفع كينونة الكائن البشري إلى فعل التفكير والتساؤل ومساءلة السؤال ومشكلاته وإشكالاته، ومساءلة الواقع الذي أصبح الاختلاف والتغاير والتضاد والتناقض سمته الأساسية، وحاله التكراري السائد والقائم إلى حد أنه أوجد الحول والعمى الأبستيمولوجي «**المعرفي**» والأنطولوجي «**الوجودي**» والأكسيولوجي «**الأخلاقي والقيمي**» والجمالي الفني والتيولوجي «**الغائي**»، ما أفقده رؤية الغرابة والشذوذ والتناقض المعرفي والوجودي في هذا الواقع المتلبس به، ففقد تلمس معرفة الواقع الحقيقي والحق المفترض أن يتحقق.

إنَّ مسرح ونموذج احتفالية كينونة السؤال تؤكد على الملازمة والمقاربة والمزاوجة بين النظري والعملي، أو بين الإيمان والعمل الصالح والخيّر والنافع والمفيد، وأنَّ هذا الارتباط والعلاقة ترتقي وتتداخل وتتشابك عضوياً وبنُيوياً وبنائياً ووظيفياً وغائياً ودلالياً وتداولياً ارتباطاً متيناً ومتماسكاً ومتساوقاً.

النموذج الكينوني لكينونة السؤال وسؤال السؤال، نموذج دينامي ديمومي يثوّر المخزون التراكمي للإجابات والأسئلة المتكدسة والخاملة والخامدة والمتكلسة من الداخل والخارج لإيقاظها من سبتها السبوت وسكونها السكون، لتدرك حقيقتها الواهية وانبهارها الزائف، وتفضح فساد حمولات معلّباتها المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية والفنّية الجاهزة المستوردة من مقولات فرويد وماركس وانجل وهيغل وداروين وهيدغر وفوكو ونيتشه وراسل و... أو من القدماء وما أكثرهم. إن كينونة السؤال العربي والمسلم اليوم في الأغلب الأعم هي سؤال بلا مركز تأثيلي وبلا مرجعية تأصيلية، إنه

(1)- نفس المصدر، ص 77، وص 79.

سؤال مركزه يتموقع خارج حدود ذاته، ومرجعية تتموضع في مكان آخر بعيداً عن أرضه وتربته، فهو يتحرك ويحيا وينمو، ولكن بشكل اصطناعي أي بفعل عوامل خارجية برانية مفعول به، تفعل فيه تلك العوامل البرانية كيفما تشاء، وهو نسخة منسوخة من الخارج. فما قيمة السؤال الذي لا يحمل حمولات معرفية ووجودية وأخلاقية وقيمية وجمالية وفنّية وسسيوكونية وسسيوحضارية وسسيوتاريخية وسسيواجتماعية وسسيوسياسية وسسيواقتصادية وسسيوثقافية وسسيوكولوجية وسسيوعقائدية و...إلخ، تستنطق كينونة الذات والكينونات الغيرية والطبيعية والملكوتية الثاوية في بنْيَتها الجوانية لتعكسها وتجسدها أنطولوجياً في الواقع المعيش، وتقلبه من رأسه إلى أخمص قدمه، ليطرد جميع الفيروسات المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية الوبائية، ويمأسس بنيانه على شاكلة فطرته التي فطرها الله. كينونة السؤال معطى أنطولوجي وجودي لا يمكن أن يشبه إلا ذاته.

فالمسرح والنموذج الاحتفالي لكينونة السؤال وسؤال السؤال أو الاحتفالية التساؤلية تطرح نفسها ككينونة طارئة هامشية ثانوية تزول وتختفى إلى الأبد، بله، كنموذج ومنهاج حقيقي تأثيلي أصيل وأصلاني لكشف الحقائق المعلنة والمسكوت عنها، وإنها تركز على الجوهر والثابت والمطلق والباطن والكلي والإنساني والكوني والتكاملي والواحدي التي تحكم وتضبط وتقوِّم هوامشه ومحيطه ومتغيراته ونسبياته وظواهره، وإنه يرفض الاستهلاك النظري والاستظهار الآلي والتكراري، ويؤكد الفاعلية الدينامية الديمومية الابتكارية والإبداعية والتوليدية، ويميز بين الفكر والتفكير، والنظر والتنظير، والفعل والتفعيل، والمسرح والتمسرح، والسؤال والتساؤل. فالتأكيد لا يقع على الشيء في ذاته ولذاته - ككينونة ثابتة جامدة - ولكن على الفعل الدينامي الحي والديمومي المتحرك والمتغير، فعل التفكير وفعل النية وفعل القصد وفعل التساؤل والتفاعل والانفتاح والتعالق والتداول والتواصل، فعل ينتمي إلى الماضي ولكنه يتجدد في كل حين له شأن آخر، عبر حركته الجوهرية للنفس. من هنا كان البحث عن نمذجة فلسفة وفقه وعلْمنة وعرْفنة

ووحْيَنة كينونة السؤال، فعل يتجدد لإسدال الستار والاسترار والاستتار ورفع الحجب والانحجاب والاحجاب عن كينونة الحقائق، ويمأسس سؤالاً واقعياً متجدداً متعالياً، فيه شيء مما هو كائن، وشيء مما هو ممكن، فيه بعض ما نراه، وبعض مما نتصوره، وفيه بعض الظاهر والناطق وبعض الغائب والساكت عنه.

إنَّ مسرح الاحتفالية[1] أو النمْذجية لفقه فلسفة وعلْمنة وعرْفنة ووحْيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال، ليس مسرحاً للفرجة والضحك وتفريغ الهموم والمعاناة اليومية المعيشية، بله، إنه مسرح احتفالي يؤمن ويدعو جمهوره للمشاركة الحسية والوجدانية والعقلية والعلمية والعرفانية والغيبية، أي إيجاد جمهور فاعل ومنفعل وليس مفعولاً به ومستهلكاً للسؤال فقط، بله، مبتكر ومبدع ومولّد ومنتج لكينونة السؤال وسؤال السؤال ومساءلة مشكلاته وإشكالاته المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والاجتمعرفية والنفسمعرفية والغائية والتركيبية البنائية والدلالية الاستدلالية والتداولية التواصلية. فهو مسرح معرفي وجودي يريد أن يبقى دوماً وأبداً الأقرب إلى جوهر الحقائق وروحها الفطرة الأصلية المخمورة النورانية.

دعونا نلقي الضوء على نتائج مقارنة ومقاربة مسرح الحياة المعرفي الوجودي والقيمي الأخلاقي والجمالي الفنّي الذي يتحاقل ويتجاور ويتقارب مع جوهر وروح الحق والحقيقة والجمال والكمال المطلق الكامنة بالقوة والإمكان في عمق بنْيَة كينونة الكائن البشري، مع أنواع وأشكال مسارح الحياة المعرفية والوجودية الأخرى، وخاصة المسرح المعرفي الوجودي والقيمي والجمالي المعيشي اليومي الذي أصبح يستورد الواقع المعيشي من البلدان المجاورة والبعيدة، ويستورد مصطلحاته وعناصره ومفاهيمه

---

(1) – إن النظرية الاحتفالية هي نظرية فلسفية جمالية عامة وكلية بينما المسرح الاحتفالي جزء وتطبيق للنظرية على مستوى الممارسة الميدانية. ومن ثم فالاحتفالية نظرية مسرحية قائمة على الحفل والاحتفال، وإن جذور المسرح احتفالية مع بدايات المسرح اليوناني الذي كان يقدم فرجته الاحتفالية لمباركة الإله ديونيسوس. ومن هنا، يعد التراث من أهم مكونات النظرية الاحتفالية إلى جانب الشعبية، والعفوية، والتلقائية، ودائرية الزمن، والتحدي، والإدهاش، والتحرر من العلبة الإيطالية نحو فضاءات خارجية ترتبط بالشعب والجماهير.

وفقهه وفلسفته وأوّلياته وإوَالياته وآلياته وآلاته وأدواته وأساليبه ووسائله واستراتيجياته الأبستيمولوجية «**المعرفية**» والأنطولوجية «**الوجودية**» والأكسيولوجية «**الأخلاقية والقيمية**» والاستطيقية «**الجمالية والفنّية**» والإتيمولوجية «**الغائية**» ونظرياته السسيولوجية «**الاجتمعرفية والاجتصادية** » **والسيكولوجية** «**النفسمعرفية**» في علب معلَّبة جاهزة للعرض والاستهلاك، من دون فحص صلاحيتها ومكوناتها وعناصرها وجنيولوجيتها وأركيولوجيتها وأيكيولوجيتها المعرفية والوجودية.

1 – المسرح الاحتفالي أو النموذج المعرفي الوجودي الدرامي العاطفي[1] هو مسرح يحاكي فعل نيّة وقول وعمل وصيرورة الكائن البشري، أي أنه يحيي « **ما كان كما كان**» [2] وبهذا تتحول عملية إبداع وابتكار وتوليد وإنتاج وصياغة كينونة السؤال وسؤال السؤال ومساءلة مشكلاته وإشكالاته في مسرح الحياة المعرفية الوجودية إلى «**موائد وجلسات تحضير أرواح الأسئلة البالية والفاقدة للحيوية والديمومة الابتكارية والإبداعية التي تحاكي الحاضر بروح الماضي والمستقبل**».

2 – المسرح الاحتفالي أو النموذج المعرفي الوجودي والقيمي والجمالي الملحمي: هو مسرح البريختي الذي يعد مسرحا تعليميا عقلانيا وذهنيا يخاطب العقل والوعي الإيديولوجي. وفي بحثنا هو مسرح معرفي وجودي لا يحاكي السؤال وسؤال السؤال، ولكن يحكي، أي أنه يحكي «**ما هو كائن أو ما كان**»، ما يفقد هذا المسرح المعرفي الوجودي لكينونة السؤال حيويته ومصداقيته وفعّاليته الدينامية والديمومية، ويصبح مجرد روايات وقصص وحكايات كان ما كان في قديم الزمان والمكان. أي أنها حكاية تحيلنا إلى شيء خارج زماننا ومكاننا وشخوصنا وفضائنا ومحيطنا، وأيضاً بعيداً كل

(1) – إن أستاذنا مصطفى رمضاني يصحح تصور عبد الكريم برشيد حول البريختية ذاهبا إلى أن المسرح البريختي يجمع بين الإحساس والعقل معا، فبريخ يصرح قائلا بأن: »ما هو جوهري بالنسبة للمسرح الملحمي يتلخص كما يبدو لي في مخاطبته للمشاعر قدر مخاطبته لعقل المشاهد، فالمشاهد يجب ألا يتعاطف، بل يجب أن يجادل، وفي مثل هذه الحالة فليس من الصحيح قطعا أن نجرد هذا المسرح من الإحساس».

(2)– خضري خالد:»الاحتفالية الجديدة ـ قراءة موجزة في مبادئ الاحتفالية على ضوء البينين الأول والثاني لجماعة المسرح الاحتفالي»، العلم الثقافي، عدد خاص بالاحتفالية.

البعد عن تخوم دائرة الفطرة الأصلية المخمورة النورانية. وبهذا فهو مسرح وحفل معرفي وجودي يصادر «**النحن**» لمصلحة «**الهم**»، و«**الهنا**» لفائدة «**الهناك**»، و«الآن» لحساب «**الماضي**»، ويحل «**النسبي**» محل «**المطلق**»، و«**المتغير**» يُبدله بـ «**الثابت**»، و«**الظاهر**» بـ «**الباطن**»، و«الشاهد» بـ «**الغيب**»، و«**الجزء**» بـ «**الكل**»، و«**الفرد**» بـ«**المجتمع**»، و«**المجتمع**» بـ «**الإنساني والكوني**» و.... والعكس كذلك.

3- المسرح الاحتفالي أو النموذج المعرفي الوجودي الفطري لكينونة السؤال: هو مسرح ونموذج وفقه فلسفة وعلْمنة وعرْفنة ووحْيَنة احتفالية فطرية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب ومساءلة مشكلاتهما وإشكالاتهما، يستحضر زمن الماضي الأصيل وزمن الحاضر القويم وزمن المستقبل المنشود بكل معطياته وشخوصه وأطروحاته ونماذجه ومسارحه الاحتفالية إلى الحفل الابتكاري والإبداعي والإنتاجي الفطري لكينونة السؤال، ويصبح النظر في هذا المسرح وفق عدسات رؤيوية مركبة على مناظير تلومايسكتروسكوبية، بحيث تتموضع منظومة هذه العدسات الرؤيوية والاستكشافية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية والاستشرافية والتركيبية البنائية والدلالية الاستدلالية والتداولية التواصلية والوظيفية الغائية، كلاً في مواضعها الخاصة في خانات الشبكة العنكبوتية المعرفية الوجودية لكينونة السؤال. فهو مسرح احتفالي فطري بعدساته الرؤيوية التشميلية التراتبية التكاملية التوحيدية.

وعلينا أن نشكر الله سبحانه وتعالى على ما وفق بعض فلاسفة الإسلام وفقهائها وعرفائها وعلمائها القدماء وخاصة صدر المتألهين الشيرازي، ومن المعاصرين الإمام الخميني «**قده**» والعلامة محمد حسين الطباطبائي «**قده**»، وتلميذه الشهيد مرتضى المطهري «**رض**» والفقيه والفيلسوف الشهيد محمد باقر الصدر«قده»، من اكتشاف وطرح أطروحات الفكر الإسلامي الأصيل والقويم المبني على جوهر وروح الإسلام والقرآن وأهل البيت عليهم السلام. ونحن اليوم بأمسّ الحاجة إلى تمزيق غلاف الإيديولوجيات والمذهبيات والعقائد المعرفية والفقهية والفلسفية والعرفانية التي

تباعدت عن الاستخلافية الإنسانية المعقودة، والخاتمية المحمدية ﷺ الكونية الخالدة، والانتظارية المهدوية عجل الله فرجه الشريف الموعودة، والاتّباعية الولائية لولاية الفقيه التقوائية العامة والممهدة للولاية العصموية المنتظرة، فضلاً عن أنها طمست جوهر وروح الدين والإسلام والفطرة النورانية والأصيلة المخمورة والمنفتحة على الغيب والكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى المطلق، وتمزيق وإسدال الستار والاسترار والاستتار على عصر الآلة والتقنيات والبرمجيات المعرفية الثاوية في بنّيتها التي تفعل بنا ما تشاء وبإرادتنا المسلوبة والمعبودة والمعشوقة لها.

لقد فقدت البشرية كينونتها الفطرية الحقيقية وفقدت كينونة سؤالها وتساؤلاتها وإشكالاتها المعبرة عنها في فضاء التقنيات والبرمجيات المعرفية والوجودية الثاوية في الأجهزة التواصلية، والمسيطرة بواسطة «**ميتا برمجيات**» و«ميتا سلطات» سياسية واقتصادية وإعلامية التي شكلت هوية وشخصية وإنسانية وماهية جديدة لكينونة الكائن وكينونة السؤال لتحل محل الكينونة الفطرية التي فطرها الله عليها، وذلك لإماتة الحيوية والدينامية والديمومة والصيرورة للفطرة النورانية الأصيلة المخمورة، وإحياء الفطرة المحجوبة الظلمانية الهجينة والغريبة.

في هذا الفضاء تحول الكائن البشري وتحول السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب إلى مسامير وقطع وأجزاء وأرقام في أجهزة آلية مبرمجة ببرمجيات معرفية وقيمية وجمالية وفنّية خاصة، تستهدف إيجاد حياة بشرية مصابة بوباء التخرتت، أي يلحق المسخ كل الناس، فيختفي كل كائن بشري ما يميز هذا عن ذاك، يصبح كل كائن صدىً، يردد نفس الكلام، ويعتقد نفس الاعتقاد، وينتهج نفس المنهج، ويلبس نفس اللباس، ويضع نفس العدسات الرؤيوية والاستكشافية والتحليلية والتفسيرية والتأويلية والاستشرافية والتركيبية البنائية والدلالية الاستدلالية والتداولية التواصلية والوظيفية الغائية، ومن ثم يطرح نفس السؤال والتساؤل والمساءلة والمشكلات والإشكالات النمطية، وتبنّي نفس الإجابات والردود لها، أي عولمة السؤال والجواب كما

هي ثاوية بالقوة والإمكان في بنْيَة التقنيات والبرمجيات في هذه الأجهزة، التي تتحقق وتثبت وتوجد في الواقع من خلال ما تفعل بنا هذه البرمجيات المعرفية الوجودية.

بعدما سلبت منا الإرادة والحرية، أو بتعبير آخر بعدما أبدلت إرادتنا بإرادة الآلة، وحريتنا بعبوديتها، التي هي في الواقع إرادة وعبودية «**ميتا سلطة المال والسياسة والإعلام**». ولذاك صرخة الاحتفالية والنموذج الكينوني المعرفي والوجودي والقيمي والأخلاقي والجمالي والفنّي للسؤال ومساءلة السؤال، هي صرخة مدوّية ضد تشييء الكائن البشري وتشييء كينونة السؤال، وضد التقوقع في الفردانية والنفعية المادية الآنية، وضد العدسات الرؤيوية ذات البعد الأحادي، أي ضد ديكارت مجرد عقل فقط، وماركس مجرد اقتصاد وعضلات مادية، وضد فرويد الجنس و....، وضد ثقافة استيراد واستهلاك السؤال الأجنبي، وضد التخرتت والتناسخ والتماسخ والتفاسخ السؤالي، وضد تهجين كينونة السؤال وسؤال السؤال، وضد احتجاب وإقصاء حفر جينيالوجية وتنقير أركيولوجية وتشريح أيكيولوجية كينونة السؤال وسؤال السؤال الخارجي المستورد قبل الحكم عليه أو الاستفادة منه.

توجد آفة السؤال والتساؤل والجواب الثاوي في عمق بنْيَة برمجيات وتقنيات الأجهزة المعرفية والوجودية الحديثة التي كما أشرنا إليها في التخرتتات والتناسخات والتماسخات والتفاسخات والاستبدالات والاحلالات الدائمة لكينونة الكائن البشري ومن ثم كينونة سؤاله وسؤال سؤاله وسؤال جوابه وسؤال سؤال جوابه. وهذه الآفات هي الناظمة والحاكمة والشارحة والواصفة والقائمة والقيّومة والمقوِّمة لشؤون الحياة اليومية المعيشية وسؤالاتها وتساؤلاتها ومشكلاتها وإشكالاتها الوجودية والمعرفية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية، وهي التي تنتج وتولِّد وتمأسس وتصيغ سؤال الكائن البشري وسؤال سؤاله، وترسم معالم صورة الحياة المستقبلية في صورة آلية تدور معها الأيام والأزمنة والأمكنة دوراناً تكرارياً نسخياً ومسخياً وفسخياً في المضمون والماهية ومستحدثاً ومتغيراً من حيث اللباس والشكل واللون والطعم والملمس، الأمر

الذي يؤول إليه الكائن البشري والكائن السؤالي والتساؤلي، دوران في حلقة مفرغة، ينتهي ماهوياً ومضمونياً من حيث يبتدئ ويكرر فعل النيّة والقول والعمل والشعور والتخيّل والتذكّر والتصوّر... إنه لقوقعة وحصار وسجن له مدخل واسع واضح مغرٍ جذاب، ولكن لا مخرج له، ولا توجد في هذا النفق والسجن المظلم أي إشارات وعلامات استرشادية مرورية للخروج من التيه والاستسلام والعبودية لبرمجيات وتقنيات هذه الأجهزة المعرفية الوجودية.

إنَّ الأساس الذي يرتكز عليه النموذج الاحتفالي لكينونة السؤال، هو أن يكون حافزاً لفعل الذهن، ودافعاً لفعل النيّة، ومنشطاً لفعل القول والعمل. الاحتفالية النمذجية لفقه فلسفة وعِلْمنة وعِرْفنة ووحْيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال تقوم على مأسسة وإقامة وبناء فعل القول والعمل، أي إقامة حمولاته المعرفية أنطولوجيا «**وجودياً**» كمفهوم إقامة الصلاة والزكاة، أي تمكين مفاهيمهما المعرفية إلى كينونات أنطولوجية «**وجودية**» تأخذ تموضعاتها في قلب حياة الفرد والمجتمع. وإن النموذج هذا لا يطرح نفس السؤال بحمولاته المعرفية والوجودية إلا مرة واحدة، وإلا أصبح ميتاً بتقادم زمكانيته، وأصبح سؤالاً مكروراً مجتراً. حيث إنَّ الأصل والأساس في كينونة السؤال ليس هو النص، بله، بحمولات النص وغاياته، وبتثوير نص السؤال لاستخراج مكنوناته المعرفية والوجودية المتجددة والمتغيرة، حيث يفترض أن السؤال الأصيل والكبروي الكبّار والإنساني الكوني الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي هو في كل يوم في شأن، لكونه يتماهى ويتساوق مع حركة النفس الجوهرية، ولكونه صورة مرآوية لها، ووجهها الخارجي لحقيقتها الجوانية.

إنَّ كلاً من السائل والموضوع والمستمع والمشاهد والجمهور والفضاء والمحيط والظروف والزمكان في الاحتفالية النمذجية لكينونة السؤال وسؤال السؤال والجواب ومساءلة مشكلاتهما وإشكالاتهما، لا تتكرر بالتمام والكمال مرتين، لكون جميع ما ذكرنا نسبياً ومتغيراً في مجرى نهر ثابت ومطلق تتحرك مياهه في كل آن. والسؤال الحقيقي ليس حكاية لها بداية ووسط وختام، وإنه لا بد أن يطرح بشكل يرضي الذوق

والاستئناس والوضع الراهن السائد، أي الوضع الموسوم بالثبات والنبات.

النموذج الكينوني للسؤال بعيد عن حياة الفرجة الجامدة القائمة على استظهار السؤال من أجل ذات السؤال، أو اجترار ماضي السؤال في مختلف المحافل، بله، إنه يوسم العار للمتفرجين الجامدين. والنمذجة لسؤال الكائن إن لم يحرك السؤال ساكناً في حياة السائل فهو ليس بسؤال استخلافي وخاتمي وانتظاري واتّباعي مسؤول صادر من كائن مستخلَف في الأرض، بله، متفرج سائح متسكع ضائع في متاهات ومنحنيات الحياة، لأن السؤال الحقيقي المسؤول مهمته أن يستنطق الصامت، ويحرك الساكن، ويظهر المختفي، ويكشف الثابت، ويفسر النسبي، ويبين المطلق، ويعيّن الوحدة، ويكشف الغيب، ويفضح اللاشعور، ويضيء الاختلاف والتمايز والتغاير والتضاد والتقابل والتطابق والتناقض والمزايلة، ويعضد المشابهة والمشاكلة والمضارعة والمضاهاة والمماثلة والمحاذاة والمناظرة والمطابقة للحمولات المعرفية والوجودية الثاوية في بنِْيته العميقة. أي إنه يحمل مشروعاً ضخماً للتنوير والتغيير التراتبي التشميلي لكافة البنِْيات الذهنية والنفسية والمعرفية والعلمية والعرفانية والغيبية والفقهية والأخلاقية والجمالية والفنّية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية و....

ليس غاية النموذج الاحتفالي لكينونة السؤال وسؤال السؤال بظرفيته ووعائه وإمكاناته الواسعة هي الوصول إلى ما نريده منه، بله، المهم هو أن نموضعه في عربته وسفينته وأن نبحر دائماً في الآفاق والأنفس، ونسير بدينامية وديمومة مستديمة. الوصول في عالم السؤال الدنْيوي يشي بنهاية، وما النهاية إلا انتفاء لكل فعل قول وحركة، أي إنها في جوهرها وحقيقتها تكلس وجمود وثبات وشلل. فعين عدسة كينونة السؤال في النموذج الاحتفالي المعرفي والوجودي التشميلي التراتبي التكاملي التوحيدي، دائماً وأبداً، موجهة إلى الفطرة النورانية الأصلية المخمورة وكينونة الكائن الإلهية التي انطوت فيها الأسماء الحسنى والصفات العليا تعالى بالقوة والإمكان والاحتمال، فهي في الواقع عدستان أو عينان في عدسة واحدة، إحداها تنظر إلى ما هو كائن معلوم وموجود بالفعل، والأخرى تنظر إلى ما سيكون، أي ما بالإمكان والاحتمال كشيء

مجهول وموجود بالقوة.

وعليه، فإنَّ الاحتفالية النمذجية لفقه فلسفة وعلْمنة وعرْفنة ووحْيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤل سؤال الجواب هي في الواقع فلسفة لا بالمعنى المدرسي للكلمة، وفقه لا بالمعنى الشرعي، ونظرية لا بالمعنى التجريدي، ومثالي لا بالمعنى الخيالي الرومنسي، وموقف سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي وفكري لا بمعنى الفرجة الجماهيرية التصفيقية في مباراة رياضية. ولذا النموذج المعرفي الوجودي للسؤال يتطلب أحداقاً واسعة، وآذاناً صاغية، وإحساساً مرهفاً، وذهناً حاداً، وقلباً سليماً، وفطرة نورانية مخمورة، ورؤية كونية، وفلسفة إلهية، ومذهباً إسلامياً أصيلاً، ومثلاً أعلى ومطلق، ومرجعية جوانية وبرانية عصموية أو تقوائية ولائية فقهية من خارج جنسه.

النموذج المعرفي الوجودي والقيمي والجمالي لكينونة السؤال وسؤال السؤال يقدم بيانات ومعلومات ومعارف وحكماً وحقائق ومفاهيم تنظيرية عملية مثالية واقعية ودنْيوية ديْنوية تؤسس لفعل دينامي ديمومي متجدد، وفكر يقظ، ومرجعية واضحة، وتنفتح على الآخر من دون أدنى إحساس بالنقص، ذلك وفق سياقات تواصلية تداولية متفاعلة في إطار الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتّباعية، تستجيب لفطرة الكائن البشري وغاياته وطموحاته وآماله وكمالاته التي تقرّبه إلى مثله الأعلى وكماله وجماله المطلق تعالى. فالنموذج لا يؤمن بالجمود والثبات والسكون، فإن السؤال الإبداعي والابتكاري له، يتغذى على حمولات الحركة الجوهرية الحيوية، بعيداً عن كل واقعية سطحية مبتذلة، وقريبة من المزاوجة في تداخل الأزمنة والأمكنة، بشكل يتناسب مع طبيعة وماهية فطرة الكائن وكينونته الوجودية.

لذا تتجدد قوة وحيوية وديناميةوديمومة نموذج كينونة السؤال وسؤال السؤال بتجدد الأزمنة وحركته الجوهرية، ويتطور بتطوير الأحداث والظروف والملابسات،

ذلك أنه بعمق فكره وروحه، استطاع أن يبني إطاره النظري والتنظيري من رؤيته التي تتجاوز الوقوف عند كل ما هو كائن إلى تصور ما هو ممكن ومحتمل، فخالف بذلك كينونة السؤال البسيط الساذج السطحي والقشري الشعبوي والسؤال المبتذل والمستورد في علب محكمة أو المستنسخ والتكراري الرتيب اليومي في ماهيته ونسقه وبنِيته ونظميته التركيبية البنائية وأبعاده وتصوراته وتجلياته وتمظهراته المعرفية المفاهيمية والوجودية والتداولية والتواصلية ودلالاته الأبستيمولوجية والأنطولوجية والأكسيولوجية والاستطيقية والسسيولوجية والسيكولوجية والتيولوجية.

النموذج المعرفي الوجودي لكينونة السؤال يمتلك من القوة والحيوية والديمومية والإمكانات التي تؤهله برصد كل الحركات والسكنات والنبضات، دون كلل أو ملل؛ ومن خلال تجربته التشميلية والمزاوجة بين كينوناته الحسية والعلمية والعقلية والعرفانية والغيبية من بناء بنِيَة ونسق ونظام محكم مستحكم، وتعيين مرجعية واضحة عصموية وتقوائية جوانية وبرانية، ونسق ونظام راتوبي لقيم مراتبه ومراقيه التكاملية التعاضدية والسلبية التناقضية والسفلية، وأن يبني صروحاً وأوْقية ودروعاً مانعة، تحميه من كل الزوايا والاتجاهات والأطراف الممكنة والمحتملة من نفاذ فيروسات الأوبئة المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية إلى بنِيَته العميقة، حيث إن بنِيَته تستوعب المفاهيم والأفكار والحقائق والمعطيات النسبية والثابتة والمتغيرة والمطلقة والجزئية والكلية والحاضرة والغائية والهامشية والمركزية والكثرة والوحدة ومتقابلاتها السلبية التناقضية السفلية والتعاضدية الإيجابية التكاملية.

إن استيعاب النموذج المعرفي الوجودي التشميلي التكاملي التراتبي التوحيدي لكينونة السؤال، يستلزم، بدءاً وأصلاً وقبلاً وسلفاً، فعل مراجعة حقيقية لكينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب القائم والراهن ورهاناياته من جانب، وتثوير وتفجير جواني وهدم وتدمير من جانب آخر. حيث إن عملية بناء النموذج تمر على أنقاض الأوهام والأشباح والأصنام والأوثان، وإن بناء العقل والتعقل والعقلانية، يتأسس

على تكسير الأوثان وتدمير الأصنام المعرفيّة المثبتة في بنْيَته والمتعالقة في جداره، والمتحلقة في فضائه، وعلى مراجعة مسلَّماته، ومناقشة مقولاته، ومعاينة وظائفه وغاياته، وعلى تثبيت مرجعيته المعرفية والوجودية والأخلاقية والقيمية والجمالية السسيوكونية والسسيوحضارية والسسيوتاريخية والسسيواجتماعية والسسيوسياسية والسسيواقتصادية والسسيوثقافية والسسيوكولوجية والسسيوعقائدية و...إلخ

إنَّ طريق نمذجة السؤال وسؤال السؤال وطرح السؤال والتساؤل والمساءلة ليست طريقاً معبدة ممهدة منبسطة سهلة، كما هي حال سبيل السؤال الساذج والبسيط والقشري والسطحي والشعبي والسوقي الدارج أو المدرسي التكراري المهيمن اليوم على كافة الأصعدة والمحافل التعليمية والتربوية الثقافية والفقهية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية و...، بله، إنها طريق غير معبّدة أصلاً، والسير فيها شاق جداً ومحفوف بكثير من المخاطر والأهوال والاضطرابات المعرفية والوجودية والقيمية والجمالية التي يتخللها الكثير من الحيل والمكر والخداع والأوهام والالتواءات والنتوءات، وتعاني من غياب علامات وإشارات السير والوقوف والسرعة، ومسيجة بالشك والظن والخوف والوهم والتخيّل، وبسوء التحليل والتفسير والتأويل والفهم والاستشراف، وبسوء السريرة والنيّة والقصد والمقاصد، وفاقدة للمشروعية والشرعية والمرجعية والمصدرية التي تقيِّم وتقوِّم حركة واتجاه السير في هذه الطريق. ولذا لا بد من تفكيكها وتشقيقها ومعاينتها ومعالجتها معاينة ومعالجة حقيقة وحقاً، ومثالية واقعية، وتشميلية وكلية، وتراتبية وتدريجية، وتكاملية توحيدية لها، قبل البدء في عملية التركيب والبناء البنْيوي وتنظيم نظامه وتنسيق أنساقه وعلاقاته المختلفة.

إنَّ كينونة السؤال الحقيقي الكبير والكبّار، والأصيل والأثيل، والفطري والإنساني والكوني، الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي، هو ملتقى الأكوان، وملتقى الأزمنة والأمكنة والعوالم الممكنة والمحتملة، وهو ملتقى الدلالات والمعاني، وملتقى العلامات والإشارات والعبارات، وهو ملتقى العلوم والفنون والصناعات والفلسفات

والعرفان والغيب والوحي المسدد والمؤيد، وهو ملتقى الأجساد والأرواح، وهو ملتقى الأشياء والجهات. كينونة السؤال تختزل وتبئّر جميع هذه الأمور في بؤرة مركزية ومحورية استجماعية واستهلاكية واستغراقية.

كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب في النموذج المعرفي الوجودي والقيمي والجمالي التشميلي التراتبي التكاملي التوحيدي، هي حركة تكاملية تشميلية خطية مستقيمة في الذات والمجتمع والتاريخ والكون. هذا الخط التكاملي المستقيم يعشق ذاته، فإنه يعود إلى بدايته وإلى منطلقه، وبذلك فإنه يصبح دائرة، ويكون مماثلاً ومناظراً لخط عالم الطبيعة وكينوناته التكوينية وعالم الملكوت المجرد وعالم الكلمات القرآنية المجيدة، ويكون مضاهياً ومضارعاً لخط الحياة، ويكون محاكاة لخط الوجود، ويكون الجوهر والروح والأساس في هذا الخط المستقيم، هو عشق الجمال والكمال المطلق، وعشق الحركة والدينامية والديمومة نحو المثل الأعلى، وعشق العلم والقدرة والقوة والعدالة والرحمة والعطف والإيثار، وعشق البحث والسبر والسير والسفر باتجاه الممكنات المستقبلية، وباتجاه المثل الأعلى والأنبل والأجمل والأكمل والأعلم والأقدر، هذا ما يجعل السؤال يبدأ من حيث ينتهي الجواب أو السؤال ذاته، وفق سلسلة متواليات هندسية لا متناهية.

وعليه، فإنَّ كينونة السؤال تحاول دائماً وأبداً أن تواكب التطورات العلمية والتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتحولات الثقافية والمعرفية، إنْ لم تكن سابقة عليها كما يفترض أن تكون كذلك. وتحاول أن تكون في مستوى راهنية ورهانية اللحظة التاريخية والإنسانية والكونية في قلب المجرى الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي في العالَم أو الكون أو الوجود. فهي كينونة تستهدف رفع حجب الأميّة والجهالة الاستخلافية والخاتمية والانتظارية والاتّباعية والتجهيل والتخرتتات والخربشات المسرحية. والنموذج المعرفي الوجودي والقيمي والجمالي لكينونة السؤال يسعى إلى تبيين وتوضيح الحياة كما هي عليه الآن، وكما ينبغي أن تكون مستقبلاً أيضاً، ويُري

الإنسان وهي في صورتها الدينامية الديمومية المتحركة، وذلك بين حد الكائن والقائم وحد الممكن والمحتمل، وحد المستحيل والمحال، وحد التقابل والتضاد والتناقض والمزايلة، وحد التشابه والتشاكل والتناظر والتطابق.

والأصل في كينونة السؤال هو معرفة الذات التي تؤدي إلى معرفة الكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى الله سبحانه وتعالى «**من عرف نفسه عرف الله**». كينونة السؤال مثل كينونة الطبيعة الأم، لا تحب الفراغ، ولا تسمح به، ولا تعترف به، وما يطبع ويثوي في كينونة سؤال الكائن البشري اليوم، يكشف لنا عار الجهل والتجهيل ويكشف التخرتتات والخربشات، ويكشف لنا الثبات والجمود والسبات والغياب والفراغ واللامعنى واللامضمون واللاحقيقة في كينونات الكائن البشري الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والتربوي والتعليمي والتأليفي والفني والرياضي، التي تحولت جميعها إلى ثمن وسلعة استهلاكية تخضع لقوانين اقتصاديات السوق وتعظيم الربحية المادية. ولم يُستثنَ من ذلك حال قصور واضح في كينونة السؤال الفقهي والعقلاني والفلسفي والعرفاني والغيبي الاستخلافي والخاتمي والانتظاري والاتّباعي.

ولذا نأمل أن يساهم نموذج فقه فلسفة وعلّمنة وعرّفنة ووحّيَنة كينونة السؤال وسؤال السؤال وسؤال الجواب وسؤال سؤال الجواب في هذا الكتاب المتواضع في خلخلة وغربلة المياه الساكنة والنتنة التي تجري في مجرى كينونة السؤال وسؤال السؤال ومشكلاتهما وإشكالاتهما، وفي محاولة سد الثغرات وتسويد البياضات بحروف وكلمات وعلامات وإشارات معرفية ووجودية وقيمية وجمالية اجتهادية جادة، ليصبح السؤال صورة مرآوية واضحة لحقيقة الفطرة البشرية وكينونته الإنسانية المتعشقة للكمال والجمال المطلق. وهو محاولة لاختراق الكلام داخل مملكة الصمت، وهو فعل داخل مجالات اللافعل، وحركة داخل تخوم السكون والثبات والجمود والسبات، وامتلاء وحضور داخل شبح الفراغ لمواجهته.

هذه الأمور مطلوبة لإفاقة السؤال وسؤال السؤال من سبته السبوت، ليفكَّ عزلته الصومعية، وينهي غربته الاستلابية، ويكفِّر عن خيانته العظمى، ويحضّر وجوده المعدوم، ويتواضع لذاته، وينفتح على مغلقاته، ويستنطق مسكوتاته، ويطرح المقموع والمصادر، وينتقل به من حال الكمون إلى حال الظهور، ومن حال السر إلى العلن، ومن الهمس إلى الجهر، ويفك قيد عبوديته لغير الله، ويستعيد مرجعيته العصموية والتقوائية الولائية الفقهية الجوانية والبرانية، ويصالح ويصاهر ويزاوج بين أجهزة النفس الإدراكية؛ بين الحس والعقل والقلب والوحي، أو بين العلم والبرهان والبيان والعرفان، وذلك من أجل استنطاق الصامت، والتحدث عن المسكوت عنه، واستحضار الغائب أو المغيَّب، والتعالق مع الكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى تعالى.

يجب أنْ يكون الانحياز والغيرة فقط للحق والحقيقة والكمال والجمال المطلق، وذلك دون الادعاء بملكية الحق والحقيقة المطلقة، بله، بدرجة ومرتبة من مراتبها ومراقيها التكاملية، ما يسمح للاختلاف والتصالح والقبول للرأي الآخر، واقتسام اللحظة المعرفية والوجودية والقيمية والأخلاقية والجمالية والفنّية معه، وعدم مصادرة حقه وقوله وتفسيره وتأويله واستشرافه المعرفي والوجودي، وعدم إقصائه وإعدامه وإلغائه، إلا في حال الإخلال المنطقي والعقلاني والشرعي والعرفاني والغيبي بمصداقية وصحة معاييره وموازينه ومساطره، وأسس وقواعد التفكير والاستدلال لديه، وإنْ تباينت مخرجاته الاستنتاجية وفهمه الدلالي، مع كل الحق في تفنيد ونقد أسسه وقواعده الفكرية ومنهاجيته الاستدلالية، بالدليل والبرهان والحجة العلمية والعقلية والعرفانية المعقلنة والمشرعنة.

الانفتاحية والتعالقية لحمولات كينونة السؤال وسؤال السؤال مع الكمال والجمال المطلق والمثل الأعلى، الأسمائي والصفاتي الحسنى والعليا، والظلي المرآوي الجواني والمغروز والمعجون بالقوة الإمكان والاحتمال في الفطرة، أو مع الكينونات الطبيعية والتكوينية أو الكينونات الملكوتية المجردة الوجودية الغيرية والبرانية، أو مع الكمال

والجمال الحقيقي والمثل الأعلى الوجودي الحقيقي سبحانه وتعالى، ورهانه على الكونية، هي منحة لا محدودية الدينامية والديمومية والفعّالية والغائية والتجديدية والاجتهادية، ولا متناهية الاستطالة والامتداد والسعة والطول والعرض والعمق، وهي موسومة بدقة وقوة تماسكية ونسقية ونظْمية بنْيوية ووظيفية وعلائقية لا مثيل لها. لما تمتلك من أدوات وأساليب ووسائل وآليات واستراتيجيات تركيبية بنائية، ودلالية استدلالية، وتداولية تواصلية لا محدودة، فأصبحت موضوعات وطروحات وهموم وغايات نموذج كينونة السؤال وسؤال السؤال ومساءلة مشكلاته وإشكالاته قريبة من نبض فطرة الكائن البشري، ومتساوقة ومتماهية مع نسق ونظام وبنْيَة الكون. هذا النموذج المعرفي الوجودي للسؤال كفيل بفضح تخرتتات وتخربشات وتناسخات وتماسخات وتفاسخات أسئلة الكائن البشري وراهنيتها ورهاناتها التي تصدرها الخارجي وتنسخها الداخلي، في ضوئها يعيش الكائن في كنفها ويسكن في إقامتها وسكنها المعنونة بالحداثة وما بعد الحداثة. هذه الحداثة وما بعد الحداثة المتلبسة بلباس الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والليبرالية الرأسمالية الاقتصادية والفردية المنتجة، والثاوية في بنْيَة برمجيات التقنيات والأجهزة المعرفية والتعليمية والترفيهية والاستهلاكية اليومية، هي اليوم متحكمة ومتسلطة بواسطة ثالوث سلطة خفية وناعمة متصالحة ومتعانقة ومتصاهرة ومتزاوجة بين «**ميتا إعلام**» و«ميتا رأسمال ـ اقتصاد» و«ميتا سياسة» في العالم. وبفعل هذا التواطؤ والمزاوجة نشاهد فعل تقدم وتطور دارويني معكوس ومقلوب، قد حول سؤال الكائن وسؤال سؤاله الذي أصبح دالة تابعة للجواب الجاهز المنتج سلفاً وقبلاً، حيث وضعت كينونة الجواب قبل كينونة السؤال «**العربة أمام الحصان**»، ما حوّل السؤال والإنسان البشري إلى كائنات مستعجبة ومستغربة ومستهجنة ومستلبة.... كائنات هي في الواقع منتمية إلى برمجيات تقنيات أجهزة التسلية الاستهلاكية تعيش في مسرح السيرك، ولكنها بتاتاً غير منتمية إلى المسرح الفطري الإنساني الكوني الإلهي.

# مؤلفات الكاتب

1 - «**تحليل المدخلات - المخرجات الاقتصادية - الصناعية**» الناشر: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي – الكويت، 1985 م..

2 – سلسلة موانع المعرفة، مطبعة كويت تايمز، 1985 (765 صفحة)

**الكتاب الأول:** المنهج الفكري وأثره في حياة الناس.

**الكتاب الثاني:** الجهل البسيط والجهل المركب وأثرهما على أفكار ومعارف الإنسان

**الكتاب الثالث:** اتباع الهوى والذنوب ودورهما في الانحراف الفكري والسلوكي عند الإنسان.

**الكتاب الرابع:** الترف المادي والفكري وأثرهما في تضليل وتحريف الإنسان عن الحق والحقيقة.

**الكتاب الخامس:** الغضب والتشنج ودورهما في تحريف وتشويه الحقائق.

**الكتاب السادس:** الأفكار والدوافع اللاشعورية وأثرها على تحريف الحقائق.

**الكتاب السابع:** التقليد واتباع الآباء والأجداد ودورهما في الانحراف عن الحق والحقيقة.

**الكتاب الثامن:** العقل الجمعي وأثره في تحريف الناس عن الحق والحقيقة.

**الكتاب التاسع:** الغفلة والنسيان واثرهما في تحريف الحقائق عند الإنسان.

**الكتاب العاشر:** الظن والشك وأثرهما في تحريف وتضليل الإنسان عن الحق والحقيقة.

**الكتاب الحادي عشر:** القلق والخوف كمصدر مانع للمعرفة والحقيقة.

**الكتاب الثاني عشر:** العجلة والتسرع في الحكم وأثرهما في تضليل وتحريف الإنسان عن الحق والحقيقة.

**الكتاب الثالث عشر** : العوامل المادية ودورها في تحريف الحق والحقيقة في حياة الإنسان.

3 - كتاب نظرية المعرفة «**دراسة تحليلية لنظريات المعرفة في المدرسة الإسلامية والمادية**»، الناشر مكتبة الألفين، الكويت، 1986.

4 – كتاب الاقتصاد الإسلامي «**دراسة مقارنة مع المذاهب الاقتصادية المعاصرة**»، الجزء الأول، الناشر مكتبة الألفين، بيروت 1986.

5 – كتاب الاقتصاد الإسلامي «**دراسة مقارنة مع المذاهب الاقتصادية المعاصرة**»، الجزء

الثاني، الناشر مكتبة الألفين، بيروت 1986. - كتاب التطبيقات العملية لجداول المدخلات والمخرجات الاقتصادية مع الإشارة إلى بيانات دولة الكويت. الناشر: الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1993.

6 - كتاب نظام الحسابات القومية «**النظرية**»، الناشر مكتبة الألفين، الكويت 1993.

7 - كتاب الحسابات القومية «**التطبيقات والمسائل الجزء الثاني**»، الناشر مكتبة الألفين، الكويت 1993.

8 - كتاب مصطلحات العلوم الاقتصادية ، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، 1987.

9 - كتاب الآثار الاقتصادية لحرب الخليج الثانية على القطاعات الاقتصادية في الكويت، الناشر: المركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993.

10 - كتاب النظام المالي لدولة الكويت ، الناشر دار التعارف، بيروت،2005.

1 - كتاب اقتصاديات الكيان الصهيوني، دار المطبوعات الكويت 1999.

2 - كتاب فقه الربا من منظور فلسفة الاقتصاد الإسلامي، 1989، بالغة الإنجليزية.

12 - كتاب فقه فلسفة المنهاجية التكاملية التوحيدية – من منظور إسلامي، ثلاثة أجزاء. دار المحجة البيضاء بيروت 2012

1 - كتاب العدسات الرؤيوية الاستبصارية لفقه فلسفة المنهاجية التكاملية التوحيدية. جزئين، دار المحجة البيضاء بيروت 2012.

2 - فقه فلسفة كينونة السؤال وسؤال السؤال، قيد الطباعة 2014

15 - كتاب فقه فلسفة كينونة الإنسان. عدة أجزاء، قيد المراجعة النهائية.

16 - كتاب فقه فلسفة كينونة العمل – من منظور إسلامي..قيد الإعداد.

17- كتاب فقه فلسفة المصطلحات المعرفية والوجودية..قيد الإعداد.

18 - كتاب فقه فلسفة ولاية الفقيه العامة. قيد الإعداد.

19 - كتاب فقه فلسفة اختيار المرجعية الرشيدة من منظور المقلِد. قيد الإعداد.

20 – كتاب فلسفة الأخلاق، قيد المراجعة.

21 - كتاب فقه فلسفة الاستخارة، قيد الإعداد.

22 - كتاب فقه فلسفة كينونة الذنوب، قيد الإعداد.

23 - كتاب فقه فلسفة الرؤية الكونية، قيد الإعداد.